



مجلة دورية بحثية علمية تعنى بنشر البحوث والدراسات
العلمية الخاصة بمعارف الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وفكره
وما يتعلق به ولا سيما علوم نهج البلاغة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * فَاَلَيْكَ يَوْمَ الدِّينِ اَنَا نَعْبُدُ وَاَنَا بِكَ
نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ
الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ

صدق الله العلي العظيم

أبواب المعرفة

مجلة أبواب المعرفة

مجلة دورية بحثية علمية تعنى بنشر البحوث والدراسات العلمية
الخاصة بمعارف الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) وفكره وما يتعلق به
ولا سيما علوم نهج البلاغة.

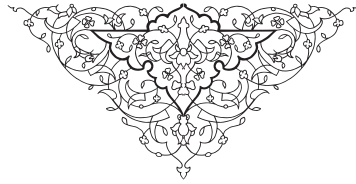


شهر شعبان، سنة ١٤٤٥هـ - ٢٠٢٤م، العدد (الخامس)



الإمام أمير المؤمنين عليه السلام

علمني رسول الله صلى الله عليه وآله ألف باب
من العلم يفتح لي في كل باب ألف باب



الإرشاد، ج ١، ص ١٨٥ . نظم درر السمطين، ص ١١٣ . مسند أحمد، ج ٥، ص ٣٠.



المشرف العام السيد علي المجابري

الهيئة العلمية الاستشارية

أ.د. حسن عيسى الحكيم
أ.د. يحيى السلطاني
السيد زيد المحلو
أ.د. عباس الفحام
أ.د. حسن خليل رضا (لبنان)
أ.د. عباس رضا (لبنان)
أ.د. عمار نصار

رئيس التحرير
الأستاذ هاشم محمد الباججي

سكرتير التحرير
الأستاذ حيدر المجد

التصحيح اللغوي
أ.م.د. خالد كاظم حميدي

العلاقات العامة والمتابعة والتوزيع
الشيخ أحمد الذهبي
محمد باقر رحيم الحسناوي

التنفيذ الإلكتروني
أحمد هاشم

التصميم والإخراج الفني
أحمد مكي جعفر

am | AGENCY
وكالة ابي ام الاعلانية 078 2690 1443



مجلة دورية بحثية علمية تعنى بنشر البحوث والدراسات العلمية
الخاصة بمعارف الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وفكره وما يتعلق به
ولا سيما علوم نهج البلاغة.

تصدر عن:

مركز الإمام أمير المؤمنين عليه السلام للدراسات والبحوث التخصصية

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ٢٦٦٩ لسنة ٢٠٢٣



جمهورية العراق - النجف الأشرف

من أهم معايير القبول الأولي لنشر الأبحاث في مجلة أبواب المعرفة أن يشكل البحث إضافة علمية في مجال البحث ويسهم في التنمية الفكرية والعلمية وان يكون بحثا غير تقليدي مكتمل العناصر الأساسية.

١- تخضع البحوث لتقويم سري لبيان صلاحيتها للنشر، ولا تعاد البحوث إلى أصحابها سواء قبلت للنشر أم لم تقبل.

٢- تُعبّر جميع الأفكار المنشورة في المجلة عن آراء كاتبها، ولا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر المركز.

٣- يمنح كل باحث نسخة واحدة من العدد الذي نشر فيه بحثه.

عناصر البحث الأساسية:

١- عنوان البحث.

٢- معلومات عن الباحث (الدرجة العلمية، التخصص، الجامعة أو مكان العمل، المدينة، الدولة، بيانات التواصل).

٣- ملخص البحث ما لا يزيد عن ٢٥٠ كلمة باللغة العربية.

٤- المقدمة ويجب ان تتضمن مشكلة البحث وأسئلته، أهمية البحث، أهداف البحث.

٥- أجزاء البحث ومحتوياته.

٦- الخاتمة.

٧- نتائج البحث.

٨- التوصيات والمقترحات.

٩- المصادر والمراجع.

تنسيقات البحث:

- ١- يرفق مع البحث ملخص للبحث لا يزيد عن ٢٥٠ كلمة باللغتين العربية والانجليزية.
- ٢- ترتيب العناوين الرئيسة والفرعية ترتيباً تسلسلياً على التوالي.
- ٣- ترتيب الجداول والأشكال والصور في البحث ترتيب تسلسلياً على التوالي.
- ٤- لا تتجاوز عدد صفحات البحث ٤٠ صفحة ولا تقل عن ١٠ صفحات.
- ٥- ترقيم صفحات البحث.

المحتويات

١٥	أ.ر. جميل خليل نعمة المعلقة	العدل وصفات المسؤول وأصول إدارة الدولة في حكم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام
٥١	أ.ر. مهدي صالح سلطان	الحوار والإقرار في خطبة الغدير
٦٥	ر. أحمد راسم النفيس	بيعة الغدير ... تحت الشجرة ... بيعة خلافة الله في الأرض
٨٧	أ.ر. عبداللطيف محمودي الطائي	الشعرُ شاهدٌ صدقٍ على بيعة الغدير
١٠٩	أ.ر. حسين عليوي ناصر الزبيري	موقع غدير خم دراسة في جغرافية المكان
١٢٩	أ.ر. حسن عبد المجيد عباس الشاعر	تنوّع إعجاز النص القرآني لحادثة (غدير خُم)
١٥٩	ر. سميرة حسنيان	ملاحم من صفات الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عند شعراء الغدير في مدينة أصفهان
١٨٥	أ.ر. فضيلة عبوسي محسن العامري	قصيدة النص في خطبة الغدير للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم
٢٢١	أ.ر. رميم فريط	حديث الغدير التاريخ والآفاق
٢٥١	م.ر. هوراء مهدي عبد الصاحب ر. إلهام محمد عيسى	بيعة الغدير وأثرها في وحدة الأمة
٢٧١	م.ر. عنذراء حسن راضي العزاوي	حديثُ الولاية عند أهل الولاية
٢٩٣	ر. جنان الجعيفري	المناقب الثمانون للولي



إضاءة

رسالة علم وإيمان

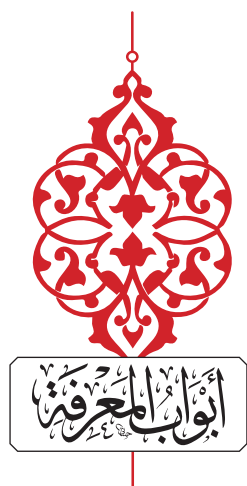
رئيس التحرير

العلم هو أساس نهضة الأمم وتقدمها، فهو نورٌ يُستضاء به، واللبنة الأولى للازدهار والعلو والرفعة، وهو منبعُّ الفضائل، والطريقُ إلى الجنة، وقد روي عن الرسول الأعظم محمد ﷺ: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة»، فطلب العلم وحبّه من علامات توفيق الله تعالى للإنسان، ولا سيما إذا كان طلب العلم عن معرفة ووعي وإدراك وفهم للحقائق بتجرّد عن ميول النفس والهوى، وطريق العلم والمعرفة واضح وسهل يسلكه كلّ بصير، هدفه الوصول إلى الله تعالى بأيسر الطرق وأقصرها وأفضل السبل وأنجعها، فقد حدّد الرسول الأكرم محمد ﷺ هذه السبل، وبيّن طريق العلم والمعرفة حينما قال: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها»، أو «أنا مدينة الحكمة وعليّ بابها... فمن أراد العلم فليأتها من بابها، فمن أراد الحكمة فليأتها من بابها» على روايتين -؛ لأنّ غاية العلم الخير، فهو يُوصلنا إلى منازل رفيعة، وهو النور الذي يُضيء العقول، والحثّ عليه واجب، فهو يُحقّق التكامل الروحي والنفسي للإنسان، ثم الرفاهيّة والتقدّم في مجالات عديدة، منها: الصحّة والعمل والتكنولوجيا وغيرها، مما يُسهّل حياة الإنسان، فلولا العلم والمعرفة لكانت الدنيا غير يسيرة، فالعلم بحرٌ واسعٌ لا نهاية له، فمهما حاول طالب العلم الإبحار في شتى العلوم، سيُدرك أنّه ما زال على الجرف، فضلاً عن ذلك فإنّ العلم - بالضرورة - يُؤدّي إلى الحكمة والأخلاق، فلا علم من دون خلق حسن؛ لذلك فهو يتطلّب الجهد والصبر والمثابرة والاطلاع الواسع، ووضع الأسئلة والتفكير بالإجابة عنها، فلا حدود للعلم والمعرفة أبداً، فضلاً عن ذلك فإنّ العلم هو سرّ السعادة، فهو يمنح الثقة بالنفس، والقدرة على فهم الآخرين والتفاعل معهم؛ لذا دأب مركز الإمام أمير المؤمنين ﷺ للدراسات والبحوث التخصصيّة - في ضمن نشاطه النوعي والإبداعي - على نشر فكر الإمام أمير المؤمنين ﷺ وتراثه، عن طريق البحوث العلميّة التي تنشر في هذه المجلة المباركة لتكون امتداداً لطريق العلم والمعرفة الذي خطّه نبينا العظيم ووصيه وصنوه (صلوات الله عليهم أجمعين)، ومن هذا المنطلق يدعو المركز المؤسسات الأكاديميّة والعلميّة والثقافيّة لأن يكون لها أثرٌ مهمٌّ في تطوير التعليم ودعم الأبحاث العلميّة، وتوفير التعليم المجاني للجميع؛ للنهوض والتقدّم والنجاح.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



IN THE NAME OF ALLAH THE MOST BENEFICENT THE MOST MERCIFUL



العدل وصفات المسؤول
وأصول إدارة الدولة
في حكم الإمام
علي بن أبي طالب عليه السلام

أ.د. جميل خليل نعمة المعلقة



جامعة الكوفة - كلية الآداب







مقدمة:

هدف البحث:

كان العدل وما زال هو أمنية الشعوب ومطالبها الذي ترى فيه ملاذها وضمانها وأمنها من الحاجة والعوز والظلم والحيث، إن الحرية بقدر ما هي ضرورية ولازمة، إلا أنها قد تسمح للأقوياء باستعباد الضعفاء وللأغنياء باستغلال الفقراء. والعدل هو وحده الذي يمكنه أن يقف مانع دون استغلال الناس.

إن العدل هو فضيلة الإسلام وقيمه العظمى، وهو الوجه الآخر للتوحيد الذي يطل على البشرية في الحياة الدنيا، ومن أشد المفاهيم التي أكدها الإسلام وعدّها العمود الفقري للإسلام وروح القرآن الكريم والرسالة السماوية هو قيمة مطلقة معيارية ثابتة، وقد وصف الله تعالى نفسه بالعدل، فالعدل اسم من أسماء الله، وقد ورد في القرآن الكريم بصورة مباشرة وغير مباشرة في كثير من المواضع، والإسلام لا يقيم وزناً لأي عبادة أو سلوك أو موقف ما أو سياسة مهما بلغت من حجم إذا خلت من (قيمة ومفهوم العدل) الذي هو ضد الظلم بصورة عامة وقد جسّد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام مفهوم العدل الاجتماعي بشكل عملي بين الناس في أثناء حقبة تولية الخلافة.

تكمن أهمية البحث في كون مفهوم العدل من المفاهيم العالمية والإنسانية، ولم يكن مفهوماً دينياً بقدر ما هو مفهوم عقلي، وحركة البشرية منذ تاريخها الأول إلى يومنا هذا تبحث عن تجسيد هذه القيمة، وتبناها على الرغم من اختلاف الأديان حول هذا المفهوم، فالعدل من المفاهيم الفلسفية والعالمية المشتركة بين بني البشر.

وإننا نرى أنّ هناك ارتباطاً وثيقاً بين الحق والعدل في القرآن الكريم، فالعدل هو الحق مطبقاً، كما أنّ الحق هو العدل مجرداً، وهما - أي الحق والعدل - من أسماء الله الحسنى، وأنّ الله تعالى أنزل الكتب وأرسل الرسل بالحق وأقام السماوات والأرض بالحق، ولا بدّ أن يتمخض هذا الربط ما بين الحق والعدل من جهة وما بينهما والله تعالى من جهة أخرى عن وجود حقيقي للعدل، وأنّه أساس الرسالات النبوية وما تقيمه هذه الرسالات من عدل بين مجتمعات إنسانية، وأنّ العدل في الإسلام هو حق بقدر ما أنّ الله تعالى حق.





فرضية البحث:

ينطلقُ البحثُ من فرضية مفادها: إنَّ الإسلام المحمّدي الأصيل الذي يقوم على الأصول الإسلامية وأولها الحرية والعدل عن طريق منهج تطبيقي عملي يحقق للمسلمين دولةً إسلاميةً مدنيّةً يكون العدل وعدم الظلم أساسها، ودليلنا على ذلك كثير من الآيات القرآنيّة الكريمة، وقد جسّد الإمام علي عليه السلام هذه الدولة الإسلامية العادلة في أثناء تولية أمور المسلمين، إذ جسّد مضامين ومفاهيم الآيات القرآنيّة بشكل عملي عن طريق تطبيق منهج حكم عادل يخلو من الظلم، وقد وضع عدداً من الصفات للشخص الذي يتولّى إدارة شؤون الدولة من أجل أن يستقيم فيه الحقّ والعدل بشهادة الأعداء قبل الأصدقاء.

إشكالية البحث

حاولنا في هذا البحث الإجابة عن سؤال مهم، هو كيف حقّقت دول الغرب العدالة الاجتماعيّة من دون أن يكون العدل من قيمتها الحضاريّة الحاكمة، وأهملت المجتمعات الإسلامية العدل وهو روح الإسلام، وحاولنا الإجابة عن هذه السؤال: بأنّ المجتمع الإسلاميّ - للأسف الشديد - لم يحكمه الإسلام

المحمّدي الأصيل الذي طبق أيام نزول الرسالة المحمّديّة وخلافة الإمام علي عليه السلام، بل حكمها من رضى بالظلم والقهر وغياب العدل والتسامح؛ لذلك أصبح الإنسان في هذه المجتمعات التي تظهر إسلامها في المظهر من دون الجوهر، خالية من قيم الإسلام الأصيل كون تلك القيم لا يكفي أن ننظر لها بل تحتاج إلى تطبيق عملي لتلك المبادئ والقيم التي ظهر في سلوكيات الغرب على الرغم من ابتعادهم عن التنظير لتلك القيم التي تنسب إلى الإسلام، وإن لم نعد إلى منبع الإسلام المحمّدي الذي جسّده الإمام علي بن أبي طالب وآل بيته عليه السلام لا نصل إلى دولة العدل والحقّ وأولها الحرية في الفكر والعدل الاجتماعي التي تمثّل الأساس الصحيح لبناء دولة مدنيّة يكون العدل والحقّ أهم مبادئها.

منهجية البحث:

اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الوصفي التاريخي والمنهج التحليلي، كون الباحث سيحاول تقديم رؤية وصفيّة تاريخيّة تحليليّة فلسفيّة لمكانة العدل وصفات المسؤول وأصول إدارة الدولة في فكر الإمام علي عليه السلام في بناء دولة إسلاميّة



حدود البحث:

مدنيّة، مما يجعل هذا المنهج مناسباً لطبيعة هذه الدراسة.

جاء البحث في أربع مباحث، الأول: مفهوم العدل لغةً واصطلاحاً، والثاني: تحدثنا فيه عن عدل الإمام علي عليه السلام. ثم قدمنا في المبحث الثالث صفات المسؤول وأصول إدارة الدولة في حكم الإمام عليه الإسلام. وفي المبحث الرابع درسنا عدل الإمام علي بن أبي طالب بين الناس.

المبحث الأول: تعريف العدل لغةً واصطلاحاً:

العدل هو ما قام في النفوس، أي ما استقام بها، وهو ضد الظلم والجور، عدل الحاكم في الحكم يعدل عدلاً فهو عادل من قوم عدول وعدل، والعدل: الحكم بالحق، والعدالة والعدولة والمعدلة كله من العدل^(١).

العدالة في اللغة الاستقامة وفي الشريعة

عبارة عن الاستقامة على طريق الحق باجتناّب ما هو محظور، والعدل هو الأمر المتوسّط بين طرفي الإفراط والتفريط، والعدل مصدر بمعنى العدالة وهو الاعتدال والاستقامة والميل إلى الحق^(٢).

وفي اللغة الانجليزية (Justice)؛ سمة لما هو عدل وعادل ويستعمل هذا اللفظ على الإنصاف والشرعيّة^(٣)، وخلاف العدل الظلم (Injustice) وهذان المفهومان أخلاقيان ويستعملان في النظريات الفلسفيّة والأخلاقيّة والسياسيّة وغيرها، وبشكل عام فإنّ تفسير هذه النظريات للعدل والظلم كان يعدّ مطلقاً وصحيحاً في عهود التاريخ المختلفة، تبعاً للظروف المحيطة والمشكّلة لكلّ عصر^(٤).

عنده العودة إلى قواميس العربية ومعاجم اللغة وجدنا^(٥):

- العدل: ضد الجور، وما قام في النفوس أنّه مستقيم كالعدالة.
- وعادله وزنه وفي المحل ركب معه.

١- ابن منظور، لسان العرب، مج ١٠، دار صادر، بيروت، ط ٤، ٢٠٠٥، ص ٦١.

٢- الجرجاني، التعريفات، المطبعة الخيرية، مصر، ط ١، ١٣٠٦ م، ص ٦٣.

٣- اندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفيّة، مج ١، تعريب: خليل احمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، ط ٢، ٢٠٠١، ص ٧١٨.

٤- روزنتال و يودين، الموسوعة الفلسفيّة، ترجمة: سمير كرم، دار الطليعة، بيروت، ط ٤، ١٩٨١، ص ٢٩٢.

٥- الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ج ٤، ط ١، المطبعة الحسينية، ١٣٣٠ هـ، ص ٣.



- العدل المثل والنظير كالعدل والعديل
وبالكسر نصف الحمل.

- والاعتدال توسط بين حالين في كم
أو كيف وكل ما تناسب فقد اعتدل.

ونجد في معجم ألفاظ القرآن الكريم.
من الحشى نصف الحمل أي حمل معدول
مسوأل له، وعدّل الرجل - كضرب - ركب
معه في المحل فوازنه، وعدل الشخص
الحمل وازنه بما يساويه، ومنه كان
العدل بكسر العين وفتحها - فكان ما
يدرك بالحواس عدلاً بالكسر وما يدرك
بالبصيرة عدلاً بالفتح، وفعله كضرب
والمصدر العدل والعدالة، ويوصف به
فيكون للمذكر والمؤنث والواحد والجمع
والذي يعدل الشيء أو الحمل يميله هنا
وهناك، حتى يستقيم ويعتدل فاختلفت
معاني فعله باختلاف حرف التعدية فكان
عدّل به سواه بغيره ووازنه به وعدل
عنه مال وانصرف وعدل إليه مال نحوه
وعاد إليه^(١).

وقال الفراء العدل بالفتح ما عادل
الشيء من غير جنسه والعدل بالكسر
المثل نقول: عندي عدل غلامك وعدل

شأتك، إذا كان غلاماً يعدل غلام وشاة
تعديل شاة، فإذا أردت قيمته من غير
جنسه نصبت العين، وربما كسرها بعض
العرب وكأنه منهم غلط قال واجتمعوا
على واحد الأعدال أنه عدل (بالكسر)
والعديل الذي يعادل في الوزن والقدر
يقال فلان يعادل أمره عدلاً ويقسمه أي
يميل بين أمرين أيهما يأتي وعدل عن
الطريق، جار وأنعدل عنه، وعادلت بين
شيئين وعدلت فلاناً بفلان إذا سوّيت
بينهما، وتعديل الشيء تقويمه، وتعديل
شهود أي تقول أتهم عدول^(٢).

ونلاحظ من التعاريف الطبيعية المركبة
للعديل، وأنه عدل (بين) كما توحى
التعريفات بوجود معنى من معاني
الاعتدال والاستقامة للحيلولة دون الميل
للهمى والانحراف عن الجادة، كما قد
يوحى التعريف بمعنى (المساواة).

أمّا فلسفياً فهو أحد الفضائل الأربع
الكبرى التي سلم بها الفلاسفة منذ
القديم، وهي الحكمة والشجاعة والعفة
والعدالة، والعدل صفة للأشياء ويراد
به المطابق للحق الطبيعي والوضعي،
والعادل من يحترم حقوق غيره ولا يخضع

١- معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية، دار الشروق، ص ١٣٤

٢- اسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، دار العلم للملايين، بيروت، ج ٥، ص ١٧٦١



المبحث الثاني: العدل عند الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

عندما تسنم الإمام علي عليه السلام مقاليد الحكم، صادر كل الأموال الموهوبة بغير حق في عهد عثمان عبر خطبته الشهيرة، وذلك بعد يوم من استلام السلطة. فقد روى ابن أبي الحديد عن ابن عباس: إنَّ علياً عليه السلام خطب في اليوم التالي من بيعته بالمدينة فقال: (ألا إن كل قطعة اقتطعها عثمان، وكل مال أعطاه من مال الله مردود في بيت المال، فإنَّ الحقَّ القديم لا يطله شيء، ولو وجدته تزوج به النساء و فرق في البلدان لرددته إلى حاله، فإنَّ في العدل سعة، ومن ضاق عليه الحقَّ فالجور عليه أضيّق، إلى أن قال الكلبي، ثم أمر به عليه السلام بكل سلاح وجد لعثمان في داره فما تقوى به، على المسلمين فقبض، وأمر بقبض نجائب كانت في داره من أبل الصدقة فقبضت، وأمر بقبض سيفه ودرعه وأمر ألا يعرض بسلاح وجد له لم يقاتل به المسلمين، وبالكف عن جميع أمواله التي وجدت في داره وفي غير داره، وأمر أن ترجع الأموال التي أجاز بها عثمان حيث أصيبت أو أصيب أصحابها)^(٣).

لميل أو هوى ولا يجور في حكمه^(١)، فهو عند الفلاسفة المبدأ المثالي الذي يُحدّد معنى الحقّ ويوجب احترامه وتطبيقه، فإذا كانت متعلّقة بالشيء المطابق للحق دلت على المساواة والاستقامة، وإذا تعلّقت بالفاعل دلّت على إحدى الفضائل الأصلية وهي الحكمة والشجاعة والعفة والعدالة، والعدالة ليست جزءاً من الفضيلة، بل هي الفضيلة كلّها، وإذا نظرنا للعدالة بوصفها فضيلة فإنَّ لها جانبين، الأول: فردي، والآخر: اجتماعي، فإذا نظرنا إليها من الجانب الفردي دلّت على هيئة راسخة في النفس تصدر عنها الأفعال المطابقة للحق، وجوهرها الاعتدال والتوازن والامتناع عن القبيح وتجنب الإخلال بالواجب، أمّا إذا نظرنا إليها من الجانب الاجتماعي فإنّها تدلّ على احترام حقوق الآخرين^(٢). وخلاصة الأمر: إنَّ العدل هو (إعطاء كل ذي حق حقه) أو (وضع الأمور في مواضعها الحقة).



١- إبراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، الهيئة العامّة لشؤون المطابع الاميرية، القاهرة، ١٩٨٣، ص ١١٧.

٢- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج ٢، الشركة العالميّة للكتاب، بيروت، ١٩٩٤، ص ٥٩.

٣- ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء التراث العربي، ج ١،



قال الكشفي الحنفي: (كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قد دخل ليلة في بيت المال يكتب قسمة الأموال فورد عليه طلحة والزبير، فأطفأ عليه السلام السراج الذي بين يديه، وأمر بإحضار سراج آخر من بيته، فسألاه عن ذلك؟ فقال عليه السلام: (كان زيتُه من بيت المال لا ينبغي أن نصابكم في ضوئه)^(١).

وقد كتب الإمام علي عليه السلام إلى أحد عماله وهو مصقلة بن هبيرة، وكان عامله على أردشير مرة: (بلغني عنك أمر إن كنت فعلته فقد اسخطت إلهك وأغضبت إمامك، إنك تقسم فيئ المسلمين الذي حازته زمامهم وأريقته عليه دماؤهم في ما بين أعراب قومك، فوالذي خلق الحبة وبرأ النسمة لئن كان ذلك حقاً لتجدن بك عليّ هواناً ولتخفن عندي ميزاناً، فلا تستهن بحق ربك، ولا تصلح دنياك بمحق دينك، فتكون من الأخسرين أعمالاً، إلا أن حق من قبلك وقبَلنا من المسلمين في قسمة هذا الفبيء، سواء يردون عندي عليه، ويصدرون عنه)^(٢).

وقد كتب إلى عثمان بن حنيف وهو

أحد عماله في البصرة عندما بلغه أنه كان مدعوا إلى وليمة فيها ألوان الطعام فاستجاب لها وفي الوقت كان هناك فقراء في البصرة محتاجون منعوا من حضورها، فأرسل إليه كتاباً يوبخه فيه: (أما بعد يا بن حنيف فقد بلغني أن رجلاً من فتية أهل البصرة قد دعاك إلى مأدبة، فأسرعت إليها تستطاب لك الألوان، وتنقل إليك الجفان، وما ظننت إنك تجيب إلى طعام قوم عائلهم مخفو وعينهم مدعو، فانظر إلى ما تقضمه من هذا المقضم، فما أشبهه عليه علمك فالفتنة وما أيقنت من طيب وجهه فنل منه، إلا وإن لكل مأموم إمام يقتدي به ويستضيء بنور عمله ألا وإن إمامكم قد أكتفى من دنياه بطمريه، ومن طعامه بقرصيه، إلا وإنكم لا تقدرون على ذلك ولكن أعينوني بورع واجتهاد وعفة وسداد فوالله ما كنزت من دنياكم تبراً، ولا أدخرت من غنائمها وفراً، ولا أعددت لبالي ثوبي طمراً، ولا حزت من أرضها شبراً....)^(٣). ثم عزله بعد ذلك عن موقعه والياً على البصرة.

وقد وبَّخ الإمام خازنَه على بيت المال

بيروت، ١٩٦٥م، ص ٢٦٩.

١- الكشفي الحنفي، المناقب المرتضوية، ط ٢، ١٤٠٣هـ، ص ٣٦٥.

٢- ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، مصدر سابق، ص ٤٣.

٣- ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، مصدر سابق، ج ١٦، ص ٢٠٥.



أبا رافع لإعارته ابنته عليها السلام عقد لؤلؤ من بيت المال، روي عن ابن الأثير في تاريخ الملوك: أنه كان أبو رافع مولى رسول الله ﷺ خازناً لـعلي عليه السلام على بيت المال، فدخل علي عليه السلام يوماً وقد زينت ابنته فرأى عليه لؤلؤاً كان عرفها لبيت المال، فقال: (من أين لها هذا؟ لأقطعن يدها!) فلما رأى أبو رافع جدّه في ذلك، قال: أنا والله يا أمير المؤمنين زيتها بها فقال علي عليه السلام: (لقد تزوجت بفاطمة ومالي فراش إلا جلد كبش ننام عليه بالليل، ونعلق عليه نازرنا بالنهار ومالي خادم غيرها)^(١).

وفي قصّة عقيل بن أبي طالب مع الإمام علي عليه السلام عندما طلب شيئاً من المال لعياله وأولاده بعد أن أصابهم القحط والعوز وكان عقيل ضريراً، فعندما جاء إلى أخيه أمير المؤمنين امتنع الإمام علي عن إعطائه من بيت مال المسلمين، فعندما بلغ الخبر إلى معاوية، سأل عقيلاً عن الأمر فقال له قصّة حمي الحديد، فقال له: نعم أقوى وأصابني خمصة شديدة، فسألته فلم تند صفاته، فجمعت صبياني وجئت بهم والبؤس والضر ظاهران

عليهم، فقال: (أتني عشية لأدفع لك شيئاً) فجئت يقودني أحد ولدي فأمره بالتنحي، ثم قال: (ألا دونك) فأهويت حريصاً قد غلبني الجشع أظنها صرة، فوضعت يدي على حديدة تلتهب ناراً فلما قبضتها نبذتها وخرت كما يخور الثور تحت يد جزار، فقال لي: (ثكلتك أمك!) هذا من حديدة أوقدت لها نار الدنيا، فكيف بك وبـي غداً أن سلكننا من نار جهنم) ثم قرأ: **وَإِذَا الْأَغْصَانُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ** ﴿٢﴾ ثم قال: (أليس لك عندي فوق حقك الذي فرضه الله عليك إلا ما ترى، فأنصرف إلى أهلك) فجعل معاوية يتعجب، ويقول: هيهات، هيهات، عقلت النساء أن يلدن مثله)^(٣).

وهذا يؤكّد على حرصه وشدّته وحزمه عليه السلام في حفظ مال المسلمين، وعنده ميزان العدل أدقّ من الشعرة على الرغم من فقر وعوز أخيه، وحين تنظر إلى سلوك أمير المؤمنين عليه السلام مع قتلته فكان قمة الإنصاف والرحمة، على الرغم مما أحدث قاتله به من الآلام، فلم يفكر بطريقة منتقمة ولا بنوع من الكراهية حتى

١- الطبري، أبو جعفر بن جرير، تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، دار المعارف، القاهرة ج ٤، ص ٤٤١.

٢- القرآن الكريم، سورة غافر / الآية ٧١.

٣- ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، مصدر سابق، ج ١١، ص ٢٥٣.



مع قاتله ففي (نهج البلاغة) في كتاب له عليه السلام في وصيته للحسن والحسين عليهم السلام لما ضربه ابن ملجم (لعه الله): (يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُفَيِّنْكُمْ تَحْوَضُونَ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ خَوْضًا تَقُولُونَ قَتَلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَلَا لَا تَقْتُلُنَّ بِي إِلَّا قَاتِلِي أَنْظَرُوا إِذَا أَنَا مِتُّ مِنْ ضَرْبَتِهِ هَذِهِ فَأَضْرِبُوهُ ضَرْبَةً بِضَرْبَةٍ وَلَا تُمَثِّلُوا بِالرَّجُلِ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله يَقُولُ إِيَّاكُمْ وَالْمَثَلَةَ وَلَوْ بِالْكَلْبِ الْعَقُورِ^(١). وروى عن ابن الصباغ المالكي في (الفصول المهمة) لما جيء بابن ملجم في المسجد نظر إليه عليه السلام، ثم قال: (النفوس بالنفوس، إن أنا مت فأضربوه كما قتلني، وإن سلمت رأيت رأي فيه)^(٢).

وكان الإمام علي عليه السلام يرى أنه: (في العدل صلاح البرية)^(٣). و(في العدل الاقتداء بسنة الله وثبات الدول)^(٤). و(في العدل الإحسان)^(٥). و(العدل حياة والجور هلاك)^(٦). وقد كان مثالا في الزهد، وكان يقنع بالقليل من طعام حتى يكون

مستوى معيشته أضعف الناس، يقول: (إن الله فرض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بضعف الناس كيلا يتبع بالفقير فقره)^(٧) ولقد عني الإمام علي عليه السلام في شؤون ولاته وموظفيه والعامل والجباة، واحتياط في أمورهم أشد الاحتياط فلم يول أحد منهم إلا بعد الفحص التام عن عدالته، ونزاهته وخبرته وإخلاصه في العمل، وكان الحاكم عنده وسيلة للإصلاح الاجتماعي، وسببا للنهضة الفكرية والاقتصادية حتى يسلم المسلمون من ويلات الجهل وكوارث المرض والفقر، وقد أكد على ولاته وعماله تعمير الأرض وزيادة الدخل الفردي، وأن لا يكون همهم أخذ الضرائب المفروضة على المزارعين وغرهم حتى تتوفر في البلاد نهضة اقتصادية تزدهر بها الحياة العامة.

ومن الأمور الخطرة والمهمة هي الإمارة على الأقطار والأقاليم من المناصب الحساسة في جهاز الحكم

١- ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، مصدر سابق، ج ٣، ص ٢٣٨

٢- المالكي: ابن الصباغ، الفصول المهمة، ص ١٣٤.

٣- الأمدي: عبد الواحد بن محمد التميمي، غرر الحكم ودرر الكلم للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، تحقيق السيد مهدي الرجائي، الناشر دار الكتاب الإسلامي، ج ٤، ص ٤٠٤، ح ٦٤٩١

٤- الأمدي: غرر الحكم ودرر الكلم، مصدر سابق، ج ٤، ص ٤٠٣، ح ٦٤٩٦.

٥- الأمدي: غرر الحكم ودرر الكلم، مصدر سابق، ج ٤، ص ٤٠١، ح ٦٤٨٢.

٦- الأمدي: غرر الحكم ودرر الكلم، مصدر سابق، ج ١، ص ٦٤، ح ٦١٢.

٧- الشريف الرضي: نهج البلاغة، تعليق د. صبحي الصالح، الناشر دار المودة، بيروت ط ٢، ١٩٨٠م، الخطبة ٢٠٠.



الإسلامي فإذا أديت بالوجه الصحيح نجا صاحبها من عذاب الله وعقابه، وإن لم تؤد على وجهها المشروع تعرّض من تقلّدها للنقمة والعذاب.

يقول النبي ﷺ لأصحابه: (إن شئتم أنبأتكم عن الإمارة وما هي) فانبرى إليه عوف بن مالك قائلاً: ما هي يا رسول الله فقال ﷺ: (أولها، أي الإمارة، الملامة، وثانيها ندامة وثالثها عذاب يوم القيامة، إلا عن عدل، وكيف يعدل مع قريبه)^(١).

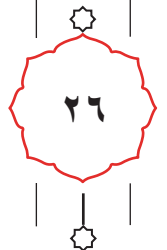
المبحث الثالث: صفات المسؤول وأصول إدارة الدولة في حكم الإمام عليه الإسلام.

تعدّ مسألة الحكومة والدولة والمسؤول من المسائل المهمّة في حياة الإنسان والمجتمعات، ومن المسائل الأساسيّة التي واجهها الفكر البشري منذ نشوء المجتمعات، وقد طُرحت في هذا المجال نظريات وآراء كثيرة ومختلفة من مفكرين وأديان ومدارس فلسفية على طول التاريخ. وقد سجل لنا التاريخ شواهد كثيرة على هذا الجهد البشري، ومن

أقدم المحاولات في هذا الاتجاه، ما وصل إلينا من تنظير فكري رائع حول الدولة من فلاسفة اليونان، ولأسيما أفلاطون في جمهوريته التي تحدّث فيها عن العدالة والنظام وطبيعة الدولة والحكومة وقد تأثر به الفيلسوف الإسلامي الكبير الفارابي وألّف على نهجه المدينة الفاضلة التي تحاكي جمهورية أفلاطون في نسقها وعدالتها وحكمها ومثاليها. وكان المحور في هذه المدينة هو الحاكم والرئيس الذي يمثّل الضمانة الأكيدة للدولة الفاضلة العادلة، وشبهه بقلب الإنسان وعلاقته بباقي أعضاء الجسد فإذا صلح القلب صلح وطاب جميع الجسد، وإذا مرض القلب مرض وخبت جميع الجسد وكذلك الحاكم إذا صلح صلح جميع المجتمع، وإذا فسد فسد جميع المجتمع وهذا المعنى يشير إليه الحديث الوارد عن النبي ﷺ: (صنفان من أمتي إذا صلحا صلحت أمتي وإذا فسدا فسدت أمتي الأمراء والقراء)^(٢).

وقد حظيت مسألة الحكومة والعدالة بعناية كبيرة عند الإمام عليّ عليه السلام عن طريق تجربته الفذة والرائعة والمتفردة على

١- باقر شريف القرشي، نظام الحكم والأدرة في الإسلام، دار التعارف، بيروت، ط ٣، ١٩٧٨ م. ص ١٦٧.
٢- الصدوق، الامالي / ٤٤٨ / ح ٦٠١.



طول التاريخ في الحكم وإدارة الدولة في عصره. وقد تجسّدت هذه التجربة الرائعة في الحكم عن طريق سيرته عليه السلام وكلماته وخطبه ووصاياه إلى الولاة والأمراء، وأشمل وأجمل وأطول هذه النصوص وأجمعها لأصول ومسائل إدارة الدولة والحكم هو العهد الذي كتبه إلى واليه على مصر مالكٍ الأشتر. وسوف نستفاد من هذا العهد في تحديد صفات وخصائص المسؤول العادل وأصول إدارة الدولة عند الإمام عليه السلام وأثرها في بناء المجتمع والدولة الفاضلة.

أولاً: الأمانة والتقوى والعدالة:

أن يشعر الحاكم بأنَّ الحكم أمانة عنده وتكليف إلهي له، وليس منحة أو ملكاً شخصياً له، وقد بين ذلك عليه السلام في رسائله الكثير ومنها عامله الأشعث بن قيس على أذربيجان موضحاً له أن عملك ليس له بطعمة ولكنه أمانة في عنقه وأنه مسترع لمن فوقه^(١). والتقوى تعني الالتزام بالأوامر الإلهية والانتهاز عن النواهي الإلهية. وهي الرقيب الداخلي الذي يحفظ سلوك الإنسان عن الزيغ والخروج عن الطريق السوي

الذي أمر الله تعالى به. فالتقوى يعدّ صمام أمانٍ وضابطاً مهماً لكل فردٍ في المجتمع وبالخصوص للحاكم لأنها تمنعه من أن ينحرف بتأثير شهواته ومطامعه وأهوائه وأن يتعالى على نفسه ليستطيع أن يحكم بين الناس بالعدل والإنصاف فلا يجوز ولا يتعسف ويضع نصب عينيه رضا الله تعالى فينتصر للمظلوم من الظالم ويرجع الحقوق إلى أهلها. إن النظام الأخلاقي والقيمي في الإسلام يربط الإنسان ربطاً أكيداً بالله تعالى ويعدّ الإنسان موجوداً له عمرٌ غير متناهٍ تمتد حياته إلى أبعد من هذه الحياة الدنيا المحسوسة إلى حياةٍ أخرى لا يموت فيها، وأن الإنسان مخلوقٌ لله تعالى لا يملك حولاً ولا قوة إلا بإذنه فهو موجودٌ رابطٌ فقيرٌ غير مستقلٍ يحتاج في كلِّ آنٍ إلى المدد الإلهي. وهذه الحقيقة لمن يتشعر بها لها تأثيرٌ كبيرٌ على أخلاق وأفعال الحاكم، وبهذا الصدد يقول أمير المؤمنين: (أنا وأنتم عبيدٌ مملوكون لربِّ لا رب غيره يملك منا ما لا نملك من أنفسنا)^(٢). فمن يعيش هذا الاحساس والشعور تجاه خالقه وربّه فلا شكّ سوف يقوم بأعماله على أفضل ما يكون وينضبط ضمن أوامر

١- ينظر: محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ٦/٣.

٢- الشريف الرضي، نهج البلاغة / ٣٦٢ / ٣١٦.



خالقه وربّه وهذا بدوره يؤدّي إلى قيام دولة العدل والانصاف بواسطة عدالة هذا الحاكم، فالمسؤول الذي له علاقة بهذا المستوى مع الله تعالى لا يظلم أحداً قطعاً ولهذا يقول الإمام عليّ (عليه السلام): (والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلته وإن دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها)^(١).

ثانياً: دراية المسؤول في أصول عمل الدولة الإداري والسياسي.

تضمّن عهد الإمام (عليه السلام) إلى مالك الأشتر قواعد وأصولاً مهمة للعمل الإداري والسياسي بشكل عام وللحاكم والوالي والمتصدي لأمر الناس بشكل خاص منها.

١- الاعتبار بتجارب الحكّام السابقين

ومن هذه القواعد النظر والتأمل في مسيرة الحكّام السابقين، وأن يراقب الحاكم نفسه بعين العامّة والمحكومين. وقد عبر عنها الإمام بقوله: (إني قد وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دولٌ قبلك، من عدلٍ وجورٍ وإن الناس ينظرون من أمورك في

مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاية قبلك ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم، وإنما يُستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده، فليكن أحب الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح)^(٢). أصّل الإمام في هذا النص قاعدة مهمّة في إدارة الحكم، وهي أن الحاكم يراقب نفسه عن طريق سيرة الحكّام السابقين ويعتبر بها ويجعل نفسه في صفوف المحكومين والعامّة في تقييم أعماله وهذا كلامٌ في غاية الروعة لأن الإنسان بطبعه عندما يكون ضمن العامّة ينظر إلى تصرفات الحاكم بطريقة مختلفة عن الحاكم نفسه وبذلك تكون حكومته وقراراته منطلقة من حاجات الناس ومن رغبة الشعب وعامته، وإذا كان الحاكم بهذه الصورة فإنّ الله تعالى قد جعل له سنناً تجري في عباده ومن هذه السنن الذكر الطيب والرضا من قبل عامّة الناس على هذا الحاكم. إن هذه الوصية جعلها الإمام في أول وصاياه وعهده إلى مالك الأشتر لأنها في غاية الأهمية وذلك لأن أغلب الذين يتصدون للحكم والمسؤولية يتناسون انتقادهم لأعمال الحاكم والمسؤول عندما كانوا ضمن المحكومين وعامة الناس فينفصل

١- الشريف الرضي، نهج البلاغة / ٣٦٢ / خ ٢٧٤.

٢- الشريف الرضي، نهج البلاغة / ٣٦٢ / خ ٤٤٩.



تماماً عن تلك المرحلة (مرحلة المحكوم) ويمارس دور الحاكم بدون الاستفادة من تجربته عندما كان محكوماً وضمن عامة الناس والشعب وهذه الصفة تجعل الحاكم بعيداً عن رغبات وطموح عامة الناس. وهذا ما حصل لمن تولى الحكم بعد عام ٣٠٠٢ م في العراق حيث إن الحُكَّام لم يعتبروا من تجربة النظام البائد مع الشعب العراقي وتناسوا معاناتهم وآلامهم وانتقاداتهم ومعارضتهم للنظام البائد عندما كانوا في المعارضة واليوم الكثير منهم يكرر كثيراً من أعمال الظلمة وكان جديراً بهم وبالخصوص أتباع أهل البيت ومن يدعون بالرجوع إلى الإمام علي عليه السلام أن يجعلوا سيرة الإمام وكلماته وعهده لمالِك الأشر الملية بالوصايا المهمة في مسألة إدارة الدولة والمجتمع موضعاً للتطبيق، وهذه الوصية تدعو إلى إعطاء أهمية كبيرة لرأي العامة والشعب. وهي من القوانين المتقدمة في الفكر الإنساني في هذا المجال.

٢- المحبة والتسامح واللطف بالناس:

وهذه القاعدة لها أثر كبير في التفاف الجمهور وعامة الناس حول القائد والحاكم والمسؤول وقد وضع الإمام

عليه السلام مبدأ إنسانياً وأخلاقياً عظيماً للتعامل مع المجتمع على أساس المشتركات معهم إما بأخوة الدين وإما بأخوة الإنسانية، إذ قال الإمام: (وأشعر قلبك الرحمة للرحمة والمحبة لهم واللطف بهم ولا تكونن عليهم سبباً ضارياً تغتنيهم أكلهم، فإنهم صنفان إما أخ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق)^(١). فهذه الوصية من الإمام قبل ١٤٠٠ سنة، عندما كانت المفاهيم القبلية والشعوبية والعنصرية هي السائدة، فالإمام له الريادة والسبق في وضع قانون إنساني مهم يحترم الإنسان لإنسانيته ويعلي من قيم المحبة والإخاء بين أبناء النوع الإنساني. وهو بذلك يضع قاعدة مهمة لتعامل الحاكم مع أبناء شعبه وإن كان بعضهم من أديان أخرى، فالأخوة الدينية مع أبناء دينه والأخوة الإنسانية مع أبناء الأديان الأخرى، لأن مسؤولية الحاكم هي مسؤولية إنسانية قائمة على العلاقة الطيبة بينه وبين عامة الناس، فهو كالأب الحنون الحريص على مصالحهم الذي يأخذ بأيديهم إلى مواطن الخير والصالح.

٣- العدل وإنصاف الناس أساس

الحكم:

وذلك بان يكون عادلاً ولا يحدد



مبغوضاً من الله تعالى وكان من خصماء الله تعالى وأعدائه فيأذن بحربٍ من الله تعالى، ومن دواعي تغيير النعم وزوالها هي ظلم العباد لأن دعوة المظلوم ليس دونها حجابٌ.

٤- مداراة العامة على حساب الخاصة:

يضعُ الإمام في هذا العهد وصية مهمة للحاكم والمسؤول وهي العناية بعامة الشعب على حساب الخاصة، لأنَّ الخاصة يشكّلون عبئاً على الحاكم ولأنهم أصحاب امتيازاتٍ بخلاف العامة الذين تقع عليهم أعباء الحرب ومقارعة الأعداء والبناء والزراعة والصناعة فهم عماد الدين وجماع المسلمين، فإرضائهم على حساب الخاصة لا يؤثر على الأمور العامة ومصلحة الدولة والناس بخلاف إرضاء الخاصة على حساب العامة لأنَّ العامة تقع على عاتقهم الأعمال الجسام وإدامة المصالح العامة من الدفاع عن كيان الدولة ومحاربة الأعداء ومن القيام بتوفير الحاجات الأساسية للدولة عن طريق الزراعة والصناعة وأمور أخرى.

٥- اختيار المستشارين من أهل الحكمة

والعقل:

عن الحق ولا تأخذه بالله لومة لائم، وفي النهج وصايا للحاكم بان يلزم الحق من لزمه من القريب والبعيد من القرابة أو الخاصة. ويحرص الإمام دائماً ان تطبق العدالة على نفسه وأولاده أولاً. مشيراً إلى أنَّ عدم عدل الوالي يأتي من اختلاف هواه فيمنعه ذلك كثير العدل، في حين يجب أن يكون أمر الناس في الحق سواء لأنه ليس في الجور عوض عن العدل، ومن ضاق عليه الجور فالعدل عليه أضيّق.

إنَّ قاعدةً مهمةً في الإدارة والتصدي للمسؤولية وهي عملية إنصاف الحاكم الناس من نفسه ومن خاصته إذ قال (عليه السلام): (أنصف الله وأنصف الناس من نفسك ومن خاصة أهلِكَ ومن لك فيه هوًى من رعيتك فإنك إلّا تفعل ظلمٌ ومن ظلم عباده الله كان الله خصمه)^(١). والعدل والانصاف أساس الحكم ودوامه فإنَّ الملك يدوم مع الكفر ولا يدوم مع الظلم فالحاكم والمسؤول العادل الذي يعطي الناس حقهم من نفسه ومن خاصته سوف تكون له مكانةٌ مكرمةٌ ومقدسةٌ عند عامة الناس وبالتالي سوف يكون موضع رضا الله تعالى ونصره، وبعبكسه سوف يكون مبغوضاً من الناس



فالحاكم لا يستغني عن نصيح ومشاورة الرعيّة، ويشترط الإمام - كما في عهده للأشتر - بالآلا يدخل في مشورته البخيل الذي يعدل به عن الفضل، ويعدّه الفقر، ولا الجبان الذي يضعفه من الأمور، ولا الحريص الذي يزين له الشره بالجور. فهوّلاء من عوائق نمو الدولة وسبب في تحطيمها، وعلى الحاكم أيضاً أن يتعاون مع رعيته، ويمثل الإمام ذلك بقوله (من واجب حقوق الله على العباد النصيحة بمبلغ جهدهم والتعاون على إقامة الحقّ بينهم)^(١) ويقابل ذلك أن من حق الحاكم على الرعيّة الوفاء بالبيعة والنصيحة في المشهد والمغيّب .

إنّ مركز الخطر في المستشارين والمقربين من الحاكم هو أنهم يجعلونه ينظر إلى الأمور من وجهة نظرهم، وعليه فكلّما كانوا يتمتعون بصفاتٍ صالحةٍ وخيرةٍ كانت آراء الحاكم صالحةً وسديدةً والعكس صحيحٌ. ولذلك أوصى الإمام عليه السلام الحاكم بمشاورة العلماء والحكماء وإن صلاح الأمة وخيرها يرتبط بمشاورة أهل الخبرة وأهل الاختصاص من العلماء والحكماء، وبهذا الصدد يقول الإمام عليه السلام: (وأكثر مدارس العلماء ومناقشة الحكماء في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك وإقامة ما استقام به الناس قبلك)^(٢).

٦- استبعاد أعوان الظلمة من موقع المسؤولية:

هذه وصيّة مهمّة من الإمام عليه السلام للحاكم العادل في استبعاد وعدم استوزار أو تقريب أو جعل في بطانته من كان وزيراً للظلمة؛ لأن هؤلاء أصحاب تاريخ سيّئ تجاه عامّة الناس، وفي رقابهم مظالم وآثام كثيرة وهم أصحاب نفاق وليس لهم إخلاصٌ حقيقيّ تجاه الحكومة الجديدة، بل هم أصحاب مصالح شخصية لا يتوانون في خذلان الدولة وتخريبها، ثم إن هؤلاء يمثلون مرحلةً ظالمةً كانت لها ضحايا كثيرة من عامّة الناس؛ ولذلك وجودهم ينفر العامّة والمظلومين من قبلهم، فعلى الحاكم العادل ألا يقرب هؤلاء إليه وأن يستبعدهم من التصديّ لأُمور العامّة والناس؛ لأنّهم أعوان الظلمة، فهم لا دين لهم ولا ضمير عندهم. وقد جاء في وصيته عليه السلام: (إن شر وزرائك من كان للأشرار قبلك وزيراً، ومن شركهم في الآثام، فلا يكونن لك بطانة فإنهم أعوان الأئمة وإخوان الظلمة وأنت واجدٌ منهم خيرَ الخلف)^(٣). والمستنتج من هذه القاعدة ضرورة استبعاد

١- محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ١٩٩/٢.

٢- محسن الأمين، أعيان الشيعة، ١/٤٥٣.

٣- محسن الأمين، أعيان الشيعة، ١/٤٥٢.



أعوان الظلمة من مهمة إدارة الدولة؛ والسبب في ذلك أن هؤلاء منافقون متملقون يزينون الأمور للمتصدي والمسؤول على حساب الحق والحقيقة، فلا يوجهونه الوجهة الحق، وعادةً المسؤول ينسجم نفسياً مع هؤلاء ويبعد من يجاهر بالحق والحقيقة من المخلصين، ثم إن الإمام عليه السلام عندما يوصي الحاكم بعدم استوزار الظلمة يوصيه من جهة أخرى في مكان آخر من العهد بأن يقرب منه ويلصق نفسه بأهل الإحسان وأهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة وأهل النجدة والشجاعة والسخاء والسماحة^(١).

طريق أساليب كثيرة لا يعدها الحاكم عن طريق الشكر والتقدير والهدايا والتصرّيح بأعماله الحسنة على رؤوس الأشهاد، وأيضاً بالنسبة للمسيء لا بد من محاسبته على قدر إساءته وإشعاره بتقصيره حتى يتجاوزها في قابل الأيام، ويعبر عن هذه الوصية بقوله عليه السلام: (ولا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواءٍ فإن في ذلك تزيهيداً لأهل الإحسان في الإحسان وتدريباً لأهل الإساءة على الإساءة)^(٢). فالمحسن لا بد أن يكافأ لإحسانه، والمسيء لا بد أن يُجازى على إساءته حتى يعتبر به غيره.

٨- عدم نقص السنن الصالحة في الأمم:

٧- إعطاء كل ذي حق حقه:

أوصى الإمام الوالي بالمحافظة على السنن الصالحة التي كانت سائدة قبله وعدم نقضها؛ لأن فيها خيراً للأمة وللصالح العام فيجب إدامتها والعمل على وفقها، وإن كانت من صنع حكام سابقين ظالمين لأن مدار العمل الصالح هو (الحكمة ضالة المؤمن)^(٣)، فلا ينبغي على الحاكم التفريط بها ما دامت موضع اجتماع وصلاح الأمة، وهذه الوصية تشير إلى احترام العادات والتقاليد للشعوب

وجّه الإمام عليه السلام في هذه الوصية الحاكم في كيفية التعامل مع الناس، وألا يجعل المحسن والمسيء في كفة واحدة وبمنزلة سواء؛ لأن هذا العمل سوف يقتل حال الإبداع عند المحسن والناس الآخرين من أهل الإحسان، ويدفع المسيء في مواصلة إساءته، وتغيب الموازين الحقّة في التمييز بين أهل الإحسان وأهل الباطل، فعلى الحاكم أن يشعر المحسن بإحسانه عن

١- ينظر: العلامة الحلي، كشف المراد، ١/ ٤٥٤.

٢- محسن الأمين، أعيان الشيعة، ١/ ٤٥٣.

٣- محسن الأمين، أعيان الشيعة، ١/ ٤٩٧.



الأمر وقلة استئصال دولتهم^(١). يضع الإمام ﷺ قاعدة مهمة في إدارة الدولة وهي تواصل الحاكم والمسؤول مع الناس بشكل مباشر وعدم الاحتجاب عنهم؛ لأن الاحتجاب عن الناس يؤدي إلى القطيعة بين الحاكم والمحكوم، في حين أن التواصل يؤدي إلى المحبة والألفة والتواصل بين الحاكم وشعبه، ويطلع بصورة مباشرة على حاجاتهم وأمورهم، ما يؤدي إلى التفاف الشعب حول الحاكم والمسؤول.

ثالثاً: دراية المسؤول في الطبقات الاجتماعية:

ومن وصايا الإمام ﷺ إلى مالك الأشتر يقسم ويصنف المجتمع على طبقات، وقد استعمل الإمام مصطلح الطبقة ويريد منه الذين ينتمون إلى نشاط مهني واحد كالجنود والزراع والقضاة والتجار... فالتقسيم والتصنيف على أساس العمل والمهنة لا على أساس منطقي أو عنصري أو قومي أو أسياد وعبيد، وهذا التقسيم يتناسب مع نسق المدينة المتنوعة والمتحضرة والكبيرة لا القرية الصغيرة؛ لأن مجتمع المدينة مجتمع يتبادل المصالح والمنافع والتخادم في ما بينهم، فالجنود

التي لا تتقاطع مع الشريعة الإسلامية، ولا شك في أن هذه الوصية تؤدي إلى الألفة والمحبة بين الحاكم والمحكومين.

٩- التواصل بشكل مباشر مع الناس:

أوصى الإمام ألا يكون سفيره إلى الناس إلا لسانه ولا حاجب إلا وجهه، وإن لا يجب ذا حاجة عن لقائه به، وإن يواسي بينهم في اللحظة والنظرة والإشارة والتحية، وستر عيوب الرعية وإبعاد الطالب لمعايب الناس، وألا يجعل إلى تصديق الساعي، فإنه غاش وأن تشبه بالناصحين. وإن يفرغ قسماً من وقته لذوي الحاجات وبمجلس عام يكلمونه من دون خوف، ويورد الإمام علي ﷺ عن الرسول ﷺ قوله لن تقدس أمة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي، ويضيف الإمام أن على الوالي احتمال الخرق من الرعية والوعي، وألا يسلط عليهم الضيق والأنف (المتكبر) من الرجال، وعلى الحاكم أن يكون واسع الصدر؛ لأن هذه هي آلة الرياسة، ومن عوامل المحبة التي يجب أن يتمتع بها الحاكم هي استقامة العدل في البلاد وبذلك تظهر مودة الرعية والتي لا تظهر إلا بسلامة صدورهم ولا تصح نصيحتهم إلا بحيطتهم على ولاية



يقدمون الأمن للمجتمع، والزراع يقدمون مزروعاتهم ومنتجاتهم للناس، ولولاهم لحصل القحط، وهكذا كل صنف من الأصناف يقوم بتقديم خدمة للمجتمع تكون قوامه ومساعدًا في استمراره، فيقول الإمام (عليه السلام) في وصيته: (واعلم أن الرعيّة طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض ولا غنى ببعضها عن بعض: فمنها جنود الله، ومنها كتاب العامّة والخاصة ومنها قضاة العدل، ومنها عمال الإنصاف والرفق، ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس، ومنها التجار وأهل الصناعات، ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة)^(١).

أشار هذا النص إلى علم الإمام (عليه السلام) بالمجتمع ومكوناته ومسؤولياته وما يصلحه؛ لذلك صنّف الإمام (عليه السلام) المجتمع على أساس المهن والأعمال، وإنّ هذا التصنيف يقتضي التعاون والتلاحم والتخادم بين أبناء المجتمع؛ لأنّ صلاحهم يقوم على تعاونهم، وهلاكهم يقوم على تصارعهم، وإن كل صنف من هذه الأصناف لا تستقيم أموره إلا بالتعاون مع الأصناف الأخرى، وهذه هي طبيعة المجتمع المدني القائم على تبادل الخدمات والمنافع، كون لا غنى لصنف عن الأصناف الأخرى؛

لأنّ مصالحهم متداخلة متوقفة على المصالح الأخرى لتلك الطبقات، فالجنود يقع على عواتقهم حفظ أمن البلد من الداخل والخارج، وإن قوام معيشة الجند يعتمد على ما يقوم به الزراعة والتجار من أعمال تستوجب الخراج والضرائب الذي يمد الدولة بالأموال، فتقوم الدولة بإعطاء المعاش لهذه الشريحة، وهذا يحتاج إلى جهاز إداري من القضاة والكتبة لتسيير أمور الدولة والإشراف على هذه النشاطات، وحل النزاعات عن طريق القانون.

أوصى الإمام أن يكون المسؤول عونًا وسندًا للضعفاء والفقراء، شديدًا على الأقوياء الظلمة. ويجب أن يتم انتخاب واختيار المسؤولين والقادة من البيوتات الصالحة وأهل التاريخ الحسن وممن يتصفون بالنجدة والشجاعة والسخاء والسماحة، وهذه الصفات هي مجمع الخير والصلاح، ولها أثر كبير في إشاعة العدل والإنصاف والمحبة والألفة بين عموم الناس. كذلك يوصي الوالي بوصية مهمة جدًا للجنود ولغيرهم وهي حسن الشاء عليهم وإظهار محاسنهم وشجاعتهم ونجدهم، فإنّها تثير العزيمة فيهم وتدفع بقليل المهمة إلى الاندفاع والتسامي نحو



١ - أن يكون عالمًا كثير الاطلاع والدراية والخبرة بحيث لا تضيق عليه الأمور، قادرًا على إعطاء الحلول والأحكام بين الخصوم.

٢ - عفيف النفس لا تشرف نفسه على طمع، وهذه الصفة ضرورية جدًا للقاضي حتى لا يميل في حكمه لمن يبذل له أو يتوقع منه نفعًا أو مصلحة.

٣ - دقيقًا صبورًا قوي الحجّة والبرهان لا يتسرع في الشبهات، إذ لا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه وأوقفهم في الشبهات وأخذهم بالحجج.

ثم أوصى الإمام عليه السلام الوالي بأن يتعهد القاضي في البذل والعطاء لكي لا يقع في الحاجة والعوز ما قد يؤدي عند ضعفاء النفوس إلى الجور في الحكم لمن يبذل لهم، لكي يبقى القضاء نزيهًا مستقيمًا لا يؤثر فيه أحدٌ، ويجب أن يأخذ مكانه الاجتماعي اللائق به، وأن يكون موضع اهتمام وتواصل من الوالي حتى لا يتوسل إلى الآخرين في أموره، فلا يطمع أحدٌ فيه من أصحاب الجاه والثروة، فيقول الإمام عليه السلام: ثم أكثر تعاهد قضائه وافسح له في البذل ما يزيل علته وتقل سعة حاجته إلى الناس، وأعطه من المنزلة لديك ما لا

النجدة والشجاعة والبسالة، وهذا أسلوبٌ رائعٌ لتشجيع الضعيف والخامل من دون لومه وإظهار عيوبه، بل عن طريق الثناء على المحسن، فيقول عليه السلام: (وواصل في حسن الثناء عليهم وتمديد ما أبلى ذؤو البلاء منهم فإن كثرة الذكر لحسن أفعالهم تهز الشجاع وتحرض الناكل إن شاء الله^(١)). ويضع ضوابط للقائد الذي يكون موضع قرب واهتمام واستخلاص من قبل الوالي وهي أن يكون مواسيًا لجنوده في السهر على توفير الضروري من حاجاتهم وحاجات عوائلهم حتى يشعروا بالاطمئنان على مستقبلهم ومستقبل أولادهم لكي يقوموا بأداء واجباتهم على أفضل ما يكون.

واستعرض الإمام وصاياه للوالي في طبقة القضاة والحكام الذين يحكمون بين الناس، فيذكر الإمام عليه السلام مجموعة من الصفات والمميزات التي يجب أن يتوافر عليها القاضي والحاكم؛ لأن القاضي والحاكم تقع عليه مسؤولية كبيرة ومهمة في إقامة العدل والإنصاف بين الناس، فالقضاء في الإسلام يمثل مؤسسة مستقلة بذاتها عن الحكومة والسلطة التنفيذية ولا تتدخل في أمورها ومن هذه الصفات^(٢):

١- محسن الأمين، أعيان الشيعة، ١/ ٤٥٥.

٢- محسن الأمين، أعيان الشيعة، ١/ ٤٥٦.



يطمع فيه غيره من خاصتك ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك^(١). ومن وصايا الإمام علي عليه السلام للوالي في كيفية اختيار عماله لإدارة أمور ولايته ودولته ألا يختارهم على أساس القرابة والمحابة، بل على أساس المهنية والإدارة الناجحة عن طريق اختبارهم ومراقبتهم وأن يكونوا من أهل الحياء ومن أهل البيوتات الصالحة والقدم في الإسلام ومن أصحاب الأعراض الطيبة الشريفة، وهذه وصايا من الإمام في غاية الروعة للحاكم والمسؤول الذي يريد أن يدير دولته أو مؤسسته بطريقة ناجحة وعادلة أن يعتمد على أشخاص يحملون هذه المواصفات التي تؤهلهم للقيام بأعمالهم.

رابعاً: دراية المسؤول في الجانب الاقتصادي:

وضع الإمام عليه السلام وصايا مهمة في الجانب الاقتصادي للحاكم في هذا المجال منها ما يتعلق بأمر الخراج وجباية الضرائب وإصلاح الأرض وعمارها، فإن الدولة لا يمكن أن تقوم بدون هذه الأمور؛ لأن معيشة الناس من الجند وموظفي الدولة وغيرهم يعتمدون على هذا الرافد المهم؛

ولذلك على الوالي أن يحسن إدارته وأن يعمل على إصلاح الأرض وعمارها وتوفير فرص العمل ما يؤدي إلى إصلاح المجتمع وتقدمه وسعادته، ثم على الوالي أن يتبع سياسة عادلة في جباية الضرائب من دون أن تؤدي إلى إفقار الناس والإضرار بهم وتخريب الأراضي الزراعية. فعلى الوالي أن يهتم أولاً بإصلاح الأرض وزراعتها وتوفير كل مستلزمات إعمار الأرض قبل التفكير في طلب الخراج ولذا يقول الإمام عليه السلام في وصيته: وتفقد من أمر الخراج بما يصلح أهله فإن في صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم، ولا صلاح عن سواهم إلا بهم، لأن الناس كلهم عيال على الخراج وأهله، وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج، لأن ذلك لا يُدرك إلا بالعمارة ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرج البلاد وأهلك العباد^(٢). وعليه فإن سياسة الوالي في الضرائب إذا كانت عادلة ومنصفة وذات نظرة بعيدة سوف تؤدي إلى إعمار الأرض وزراعتها. أمّا إذا كانت سياسة جائزة قائمة على عدم مراعاة الزراع وفرض ضرائب تثقل كاهلهم دون النظر إلى واقعهم وظروفهم سوف تؤدي

١- النسائي، سنن النسائي ٨/ ١١٠.

٢- محسن الأمين، أعيان الشيعة، ١/ ٤٥٧.



فإن رسول الله ﷺ منع منه^(٢). كذلك يوصي الإمام عليه السلام الوالي بالطبقة الضعيفة من المجتمع وهم الفقراء والمساكين والأيتام بأن يجعل لهم نصيباً من بيت المال لأن الدولة مسؤولة عن توفير الحياة الكريمة لهؤلاء وهو تأسيس من قبل الإمام لمؤسسات الرعاية الاجتماعية الموجودة الآن عند الدولة المتحضرة، إذ أمر الإمام عليه السلام الوالي بتعهد هؤلاء ورعايتهم وتدبير أمورهم وتوفير مستلزمات العيش الكريم لهم من قبل الدولة وهذا واجب عليها. هذا العمل من أفضل الأعمال لأن هذه الطبقة محرومة وتحتاج إلى الإنصاف من الوالي أكثر من غيرها.

خامساً: تواضع المسؤول وابتعاده عن البطانة الفاسدة:

على المسؤول أن لا يكون متكبراً معجباً بنفسه، يحب الإطراء واستماع الثناء من رعيته، ففي النهج أن من أسخف حالات الولاية عند صالح الناس أن يظن بهم حب الفخر ويوضع أمرهم على الكبر. ويقدم الإمام علي نصيحة إلى الولاية بالابتعاد عن الفخر والتكبر؛ لأن ذلك أسلوب الشيطان ليمحي إحسان

إلى هجران الأرض وتركها وبالتالي يصبح البلد لا يجد قوته لأن الزراعة هي أساس اقتصاد الدولة وخرابها ينعكس على جميع المستويات السياسية والتجارية والدفاعية.

وأوصى الإمام عليه السلام بالتجّار وأصحاب الصناعات، فمما لا شك فيه أن التجّار وأصحاب الصناعات يمثلان أركاناً مهمة في السياسة وفي اقتصاد الدولة، فالإمام يوصي الوالي بهم خيراً أي إنّه تقع على عاتق الدولة حمايتهم وتوفير الأمن لهم وحماية أموالهم وتيسير حركة تجارتهم وتهيئة مستلزمات أعمالهم، فيقول عليه السلام: (ثم استوص بالتجار وذوي الصناعات وأوص بهم خيراً)^(١). ومن جهة أخرى الإمام عليه السلام يوصي الوالي بمراقبتهم ليمنع الاحتكار الذي يقوم به بعض التجّار من ضعاف النفوس وأصحاب الشأن؛ لأن الاحتكار يمثل خطراً كبيراً على مصالح العامة؛ ولذلك فإن الشريعة المقدسة حرّمت الاحتكار ومنعته فقال عليه السلام بهذا الصدد: واعلم أن في كثيرٍ منهم ضيقاً فاحشاً وشحاً قبيحاً، واحتكاراً للمنافع وتحكّماً في البياعات وذلك بابٌ مضرٌّ للعامة، وعيبٌ على الولاية فامنع من الاحتكار

١- محسن الأمين، أعيان الشيعة، ١/ ٤٥٨.

٢- محسن الأمين، أعيان الشيعة، ١/ ٤٥٩.



نفس بعض البطانة أن لم يكن اجمعها، وبالتالي فإنَّ النصيحة والاخلاص في العمل والمشورة سوف لن تكون متحققة بفعل عدم تواضع الحاكم^(٣).

وفي هذا ربط بين صفة التواضع في الحاكم وصلاح الحكم عن طريق صلاح البطانة وفعاليتها. إذ قال: (والصق باهل الورع والصدق، ثم رضهم على الا يطروك ولا يبجحوك بباطل تفعله)^(٤) أي عود بطانتك وخاصتك والمقربين منك لان لا يمتدحوك لأي فعل تفعله حقاً كان أو باطلاً، وألا يزينوا لك أعمالاً باطلة فيجرفوك عن الحق، وهو المراد من قوله (يطروك) أما (يبجحوك) فيما لم تقم به من أعمال، بأن ينسبوا إليك أعمالاً أنت لم تفعلها ويمتدحونك عليها، ثم يرشد الله لكيفية الوصول إلى هذه الحال الإيجابية، وذلك عن طريق التحلي بصفة التواضع من جهة وجعل قرب المسؤول ممن حوله محكوماً بضوابط وحدود يعلمها الجميع، وعلاوة على انحساره في أهل الورع والتقوى.

وسبب هذه يكمن في كون (كثرة

المحسنين^(١). يقول الإمام عليه السلام: (والصق بأهل الورع والصدق ثم رضهم على ألا يطروك ولا يبجحوك بباطل لم تفعله فإنَّ كثرة الإطراء تحدث الزهو وتدني من العزة)^(٢).

وفضلاً مما للتواضع من أهميّة في منظومة القيم الإسلاميّة، فإنَّ الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام قد بين مواصفات البطانة والخاصة والوزراء، وقد بيّن عليه السلام في إحدى كلماته أهميّة تواضع المسؤول كونه استكمالاً لمبدأ الوقاية بقطعه أسباب الفساد، وعلى الرغم من أن هذا المقطع من الكلام يسير في عدد كلماته إلا أنَّه ثقیل في مضمونه، إذ إنَّ تواضع الحاكم وعدم قبوله بالإطراء والمديح والثناء على وجهية المتمثلين في تعظيم ما يقوم به المسؤول من أعمال وتمجيده لما لم يقم به ولم يفعله بالأساس من شأنه أن يسد باب المفسدة والتعلق للحاكم على حساب المصلحة العامّة، فيميل بطبيعته البشريّة لمن يمتدحه ويشني عليه. ف (على الجانب الآخر فإنَّ عدم تواضع الحاكم لاشك سيعمل على ادخال الخوف والتردد في

١- ينظر: محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ١٠٢/٣.

٢- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مصدر سابق، ص ٥٧٦.

٣- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مصدر سابق، ص ١٤٧.

٤- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مصدر سابق، ص ١٤٨.



الإطراء تحدث الزهو وتدني من العزة) أي الكبر والغرور، وذلك مصداق لقوله تعالى ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾^(١). وقوله جل شأنه ﴿فَادْخُلُوا أَبْوََابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَيْئَسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾^(٢)؛ لأنَّه لا جهل أضل من العجب، كما يقول الإمام الصادق عليه السلام و (شر الأمور الرضا عن النفس) فـ (بالرضا عن النفس تظهر السوءات والعيوب) و (من كان عند نفسه عظيماً كان عند الله حقيراً)^(٣).

سادساً: إن يعمل المسؤول بمبدأ الثواب والعقاب ومبادئ العدالة الاجتماعية في النظام الإداري:

قال الإمام عليه السلام في عهده إلى مالك الاشر: (إن لا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء فإن في ذلك تزهيدا لأهل الإحسان في الإحسان وتدريباً لأهل الإساءة على الإساءة وألزم كلا منهم ما ألزم نفسه واعلم أنه ليس شيء بأدعى إلى حسن ظن راع برعيته من إحسانه إليهم وتخفيفه المتوناتهم عليهم وترك استكراهه إياهم

على ما ليس له قبلهم، فليكن منك في ذلك أمر يجتمع لك به حسن الظن برعيته فإن حسن الظن يقطع عنك نصبا طويلا وإن أحق من حسن ظنك به لمن حسن بلاؤك عنده، وإن أحق من ساء ظنك به لمن ساء بلاؤك عنده)^(٤).

يلاحظ في متن العهد العودة المستمرة للتأكيد على مبادئ العدالة الاجتماعية بعد كل مجموعة من الفقرات، فضلاً عما يتخلل نصوص الفقرات من معان ومضامين ترتبط نفس المبدأ والقيمة، ويرى في هذه الفقرة وفي الفقرات السابقة واللاحقة، مع اختيار مظهر محدد من مظاهر العدالة الاجتماعية في كل مرة تبعاً لسياق الفقرات؛ نظراً لكون العدالة الاجتماعية هي الأساس الذي ينبنى عليه النظام الإداري الإسلامي.

كذلك نجد تأكيد ضرورة خلق حال الموازنة في الأحكام بإعمال مبدئي الثواب والعقاب على وفق القانون والحدود تأكيداً شديداً، فنهى الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام الحاكم عن المساواة بين المحسن

١- سورة فاطر، الآية / ٨.

٢- سورة النحل، الآية / ٢٩.

٣- الأمدى، غرر الحكم ودرر الكلم، مصدر سابق، باب العجب.

٤- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مصدر سابق، ص ٢٧٦.



وصاحب الذنب إذ يقول: (ولا يكونن حقه.

ونظراً لارتباط هذا الامر بمسألة إصدار الأحكام سواء في حالات التخاصم أم في مكافأة المحسنين والمذنبين في الحياة العامة، تطبيقاً للقانون وتحقيقاً للاستقرار والأمن الاجتماعي وتعزيزاً لروح التكافل الاجتماعي، فإن لم تفت الإشارة إلى بعض مفاتيح العدل الرئيسة في الحكم التي منها^(٣):

١- حسن الظن: إذ إنَّ الأحكام في التشريع الإسلامي ترتبط بالفعل لا بالنوايا التي ليس لاحد من الخلق حق التكهن بها أو التعويل عليها. لذا يقول ﷺ: واعلم انه ليس شيء بأدعى إلى حسن ظن وال برعته من إحسانه إليهم.

٢- عدم تكليف الرعية بما يفوق حد قدرتهم: إذ إنَّ هذا التكليف يخلق الحاجة والعوز، ومن ثمَّ يدفع بالفرد - تبعاً لما يحمله من إيمان ووازع ديني - لأن يتجه لبعض أشكال الانحراف أو الإتيان بالمخالفات. وهنا يكون من الظلم معاقبة المخالف، إذ إنَّ المخالفة في هذا الاطار هي نتيجة أو مظهر، في حين يجب أن يكون

المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء^(١) لما في ذلك من دفع الناس لترك الاحسان من جهة، وتمادي المذنب في ذنبه من الجهة الاخرى، وهي العلة التي يوضحها الإمام علي بن أبي طالب ﷺ لهذا النهي في قوله: (فإنَّ في ذلك - أي في المساواة بين المحسن والمسيء - تزهيداً لأهل الإحسان في الإحسان، وتدريباً لأهل الإساءة في الإساءة)^(٢) والبديل بطبيعة الحال هو مجازاة كل فرد بما فعل والزم كلا منهم ما ألزم نفسه وذلك منتهى العدل بين الرعية، إذ كل إنسان يملك خياره في أي فعل يقدم عليه، لاسيماً وإن الأمر جاء في مقدمة العهد للحاكم بأن يبين ماهية الأحكام وعللها.

وهنا تأكيد قاطع للحجة في هذا العهد، فالمحسن يعلم أن ما يقوم به هو إحسان، وإنَّ جزاءه يجب أن لا يكون إلا الإحسان، والمذنب يعلم العقوبة المترتبة على ذنبه، وبالتالي فإنَّ اقدام كل من المحسن والمذنب على الفعل اختياراً يجب أن يترتب عليه حكم يعطي كل ذي حقا

١- الملاح، نادر، النظام الإداري في الإسلام، ط ١، كتاب الكتروني، تاريخ النشر ٢٠٠٨م، ص ١٥٠.

٢- الملاح، نادر، النظام الإداري في الإسلام، مصدر سابق، ص ١٥٠.

٣- الملاح، نادر، النظام الإداري في الإسلام، مصدر سابق، ص ١٥١.



العلاج للأسباب والجذور لا للصور والمظاهر، والأسباب إنما تتمثل في سدّ ثغرات الحاجة بأشكالها كافة الاقتصادية أو الاجتماعية أو النفسية أو المادية أو غيرها، فلا يكون للمخالف من بعد ذلك حجة في مخالفته، وهو المعنى الذي عبّر عنه عليه السلام بقوله وتخفيفه المثونات عليهم أي عدم ارهاقهم بالواجبات تجاه الدولة ومنها دفع الضرائب علي سبيل المثال: لا الحصر، وتوفير ما يحتاجون إليه من مستلزمات ومؤن، والتوسع في العطاء وما إلى ذلك.

٣- عدم إكراه الرعيّة على فعل ما لا يستطيعون فعله: وهو امتداد للمفتاح السابق تخفيف المثونات عليهم، إذ إنّ الإكراه قد يتسبب في الانحراف المباشر وغير المباشر، ومن ثمّ فساد المجتمع، ومن غير السليم معالجة المظاهر، بل الأسباب، أي أنّه لن يكون من حقّ الحاكم ههنا تطبيق أحكام المخالفات، في حين هو المتسبّب في وجودها بما سنّه من قوانين مرهقة للناس تفوق قدرتهم واستطاعتهم وترك استكراهه إياهم على ما ليس له قبلهم.

فال مطلوب إذا حسب توجيه نص

العهد (فليكن منك في ذلك امر يجتمع لك به حسن الظن برعيتك فإنّ حسن الظن يقطع عنك نصبا طويلا وإن احق من حسن به لمن حسن بلاؤك عنده، وإن احق من ساء ظنك به لمن ساء بلاؤك عنده، والمحددين الاخيرين انما يؤكدان مجددا على مبدأ الحقوق والواجبات، حيث يجعل من حسن ظن الحاكم بالفرد والجماعة حقا من حقوق هذا الطرف على الحاكم، يقابله واجب يتمثل في حسن ظن العامّة بالحكم وقد نهى الله سبحانه وتعالى عن سوء الظن، وحث في المقابل على التحلي بأحسنه فقال جل جلاله ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم﴾ ^(١) وقال الرسول الاكرم ولذلك عليه السلام واله (اطلب لأخيك عذرا فإنّ لم تجد عذرا فالتمس له عذرا) ^(٢) وقال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: (ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك منه ما يغلبك ولا تظن بكلمة خرجت من أخيك سوءا وأنت تجد لها في الخير محملا) ^(٣) وتعريفا لحسن الظن هو حسن الظن أن تخلص العمل وترجو من الله أن يعفو عن الزلل.

١- سورة الحجرات، الآية / ١٢.

٢- المجلسي، بحار الانوار، مصدر سابق، ج ٧٥.

٣- الملاّح، نادر، النظام الإداري في الإسلام، مصدر سابق، ص ١٥٢.



سابعاً: تقرب المسؤول من أهل الرأي والعلماء وأهل الحكمة:

أكد الإمام في عهده على ضرورة تقرب المسؤول من العلماء ومناقشة الحكماء في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك وإقامة ما استقام به الناس قبلك، يقول المولى عز وجل ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ إن الله عزيز غفور^(١) وذلك لإظهار ما للعلم والعلماء وأهل الرأي والحكمة من المؤمنين مكانه مرتفعة، وفي هذا القول تدليل لله سبحانه وتعالى كونه لا يريد من عباده أن يعبدوه عبادة جوفاء تقوم على قيام وقعود وصيام وغيره من دون أن يكون هناك تفكير وتدبر في قدرة الله وعظمته وفي الحكمة التي تقف وراء تلك السنن والفرائض والأحكام؛ لأنه ليست العبرة بالفعل، بل بما يترتب عليه الفعل، فالمكانة التي يرسمها المنهج الإسلامي لأهل العلم مكانه لا تماثلها مكانه ولا تجاريها مرتبة، وقال الإمام الصادق عليه السلام: (الملك حكام على الناس، والعلماء حكام

على الملوك)^(٢) وعبر الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام عن هذه المكانة بقوله: (الحكماء أشرف الناس أنفسهم وأكثرهم صبراً وأسرعهم عفواً وأوسعهم أخلاقاً)^(٣) لذا فقد اتبع عليه السلام دعوته للحاكم لتتقى بطانته وخاصته والاعتماد على المستشارين الذين سيتم بيان صفاتهم، بالدعوة والحث على مجالس العلماء وأهل الحكمة والرأي لاستثمار ما يتمتعون به من إيمان ونفاذ بصيرة وقدرة على رؤية الأمور بمنظارها الصحيح ووضع الأشياء موضعها المناسب. ويقصد بالحكمة (المعرفة والتفقه في الدين)^(٤) وهذا لا يعني - بطبيعة الحال - دراسة فقه الشريعة والتشريع فحسب، بل كل علم من علوم الدنيا هو علم من علوم الدين فالعلم في أدبيات الثقافة الإسلامية عام واسع وليس محددًا محصوراً، ومن ذلك ذلك قول النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم (قلب ليس فيه شيء من الحكمة كبيت خرب، فتعلموا وعلموا، وتفقهوا ولا تموتوا جهالاً، فإن الله لا يعذر على الجهل)^(٥)، إذن مجالسة الحكماء

١- سورة فاطر الآية / ٢٨.

٢- المجلسي، بحار الانوار، مصدر سابق، ج ١.

٣- الآمدي، غرر الحكم ودرر الكلم، مصدر سابق، باب الحكماء.

٤- المجلسي، بحار الانوار، مصدر سابق، ج ١.

٥- الهندي، علاء الدين بن حسام، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، باب الحكمة، الطبعة الأولى، مكتبة التراث الإسلامي، بيروت، ١٣٩٧ هـ.



ب نماذج مستقيمة.

٤- مراقبة المسؤولين الإداريين
وتزويدهم بالمناهج والخطط من أجل
إقامة حكومة العدل بين الناس في
الإسلام ومنع الظلم.

وقد أكد الإمام على العدل والرحمة
بين الناس، إذ قال في عهده إلى محمد بن
أبي بكر حين ولّاه مصر، قال: (فاخفض
لهم جناحك وألن لهم جنبك وأبسط
لهم وجهك وآس بينهم في اللحظ والنظر
حتى لا يطمع العظماء في حيفك لهم ولا
يأس الضعفاء من عدلك عليهم فإن الله
تعالى يسألكم معشر عباده عن الصغيرة
من أعمالكم والكبيرة والظاهرة والمستورة،
فإن يعذب فأنتم أظلم وإن يعف فهو
أكرم)^(١).

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: (إن أمير
المؤمنين صلوات الله عليه أمر قنبراً أن
يضرب رجلاً حداً، فغلظ قنبر فزاد
ثلاثة أسواط، فأقاده عليه من قنبر ثلاثة
أسواط)^(٢). وعندما نازع يهودياً الإمام
علي عليه السلام في درع زعم أنها له فحاكمه عند
عمر، فقال الإمام: قم يا أبا الحسن مع
خصمك، فتأثر الإمام عليه السلام وبان الغضب

والعلماء، بحسب ما يفهم من هذا النص
الموجز تعمل ببعدين رئيسين، يكون
الحاكم أكثر الناس حاجة لهما، وهما:
الاستشارة والاستفادة من سلامة
الرأي ونفاذ البصيرة لدى العالم والحكيم
وتسخير خبرته ومعرفته بأمور إصلاح
الدولة.

العمل على اكتساب الحكمة، التي
هي مهارة قابلة لأن يكتبها الإنسان إذا ما
سعى إليها وتعلق بها ورغب في اكتسابها
واتقانها.

المبحث الثالث: عدل الإمام علي عليه السلام بين الناس.

امتازت حكومة الإمام علي عليه السلام بالعدل
وذلك برجوعها إلى ينابيع الإسلام كما
أرادها الله إذ حققت بين الناس ما يأتي:

١- ردّ المظالم التي تسبب بها الولاة
السابقون.

٢- تشديد الرقابة على بيت مال
المسلمين.

٣- عزل الولاة المنحرفين واستبدالهم

١- ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، مصدر سابق، ج ٣، ص ٣٨٢.

٢- المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٠، ص ٣١٣.



على سحنات وجهه الشريف وبعد الفراغ من المحاكمة انبرى عمر فقال للإمام: لقد بدى عليك الغضب لأنّي أمرتك بالمثول أمام القضاء مع خصمك اليهودي؟ فأجاب الإمام: (ليس الأمر كذلك، ولكن لم تساوي بيني وبين اليهودي، فقد كنتني وقلت: يا أبا الحسن ولم تكنّي اليهودي، فانبهر عمر لذلك وبهذا قد أظهر الإمام مدى تطوّر القضاء الإسلامي وبلوغ الإنسانيّة)^(١).

إنّ مسؤولية الناس كبيرة وهي عذاب وندامة لمن خرج وحاد عن الطريق وركب الظلم ومارس إعداء على الناس هذا في فهم الإمام علي عليه السلام. إذ يقول الرسول ﷺ لأصحابه محذراً من الإمارة قائلاً: (ستحرصون على الإمارة ثم ستكون عليكم حصرة وندامة، فنعمتِ المرضعة وبئستِ الفاطمة)^(٢).

وقد وضع الإمام علي عليه السلام عدداً من الصفات التي يجب أن يتحلّى بها من يُعيّن في الإمارة^(٣):

١ - أداء الأمانة إلى أهلها.

٢ - تجنب الخيانة.

٣ - الصدق بالقول.

٤ - الوفاء بالعهد.

٥ - لين الكلام وحسن الخلق مع الرعيّة.

٦ - التفقه في أحكام الإسلام.

٧ - الحلم وكظم الغيظ.

٨ - خفض الجناح للرعية. هذه بعض صفات الولاية ويجب على ولي الأمر المسلمين الفحص بدقة وإمعان عن شخص المكلف.

وكان الإمام علي عليه السلام يذم في كلامه الإمام الجائر والابتعاد عنه ليقول: (تباع عن السلطان الجائر ولا تأمن خدع الشيطان، فتقول، أنكرت، فزعت فإنه هكذا هلك من كان قبلك، فإنّ أبت نفسك إلا حب الدنيا وقرب السلاطين وخالفتك عمّا في رشدك فاملك عليك لسانك فإنه لا بقيّة للموت عند الغضب، ولا تسئل عن أخبارهم، ولا تنطق بأسرارهم، ولا تدخل فيما بينهم)^(٤).

١ - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مصدر سابق، ج ١٠، ص ١٣٥.

٢ - بن قتيبة، عيون الأخبار، ج ١، ص ٧٣.

٣ - باقر شريف القرشي، نظام الحكم في الإسلام، ط ١، مصدر سابق، ص ٢١٥.

٤ - باقر شريف القرشي: نظام الحكم والإدارة في الإسلام، مصدر سابق، ص ٣٦١، ٣٦٢.



سلطانك أبه أو مخيَّله، فأنظر إلى عظم ملك الله فوقك وقدرته منك على ما تقدر عليه من نفسك فإنَّ ذلك يطمأن إيك من طماحك ويكن عنك من غربك، ويفيء اليك بما عذب عنك من عقلك! إياك ومساماة الله في عظمته، والتشبه به في جبروته، فإنَّ الله يذل كل جبار يهين كل مختال^(٢).

وكان الإمام يؤكد على إن الولاة أن ينصفوا الله تعالى وذلك بطاعته وامتنال أوامره، وإن ينصفوا الناس وذلك بإعطائهم حقوقهم حيث يقول: (أنصف الله وأنصف الناس من نفسك، ومن خاصة أهلِكَ، ومن لك فيه هوى من رعيتك وإن لا تفعل تظلم! ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده، ومن خاصمه الله أدحض حجه وكان الله حرباً حتى ينزغ أو يتوب. وليس أدعى إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من إقامة على ظلم، فإنَّ الله سميع دعوة المضطهدين وهو للظالمين بالمرصاد)^(٣). وفي تصورنا هذا العدل هو الذي ينعش الشعوب ويعود بالخير على الجميع.

فقد وضع أمير المؤمنين عليه آداباً ومناهج خاصة للولاة وأمره بالتحلي بها ليكونوا هداة للناس وذلك في عهد مالك الأشتر، إذ يقول على الولاة أن يشعروا قلوبهم بالرفقة والرحمة من دون فرق بين المسلمين وغيرهم، إذ يقول عليه لما لك: (وأشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم، والطف بهم ولا تكن عليهم سبباً ضارياً تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان: إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق)^(١) فكانه يقول:

أ- أن يحملوا في مشاعرهم المحبة والرفقة لكل المواطنين.

ب- جميع المواطنين سواسية سواء مسلم أم غير مسلم ولا يكون فضل أحد على أحد إلا بالتقوى.

ج- أن لا تكون الأمرة والسلطة وسيلة وطريق للتحكم على الناس وإذلالهم.

ويقول الإمام علي عليه: (ولا تقولون: إني مؤمر أمر فأطاع، فإنَّ في ذلك أدغالا في القلب، ومنهكة للدين، وتقرباً من الغير، وإذا حفظ لك ما أنت فيه من

١- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مصدر سابق، ج ٤، ص ٣١٥.

٢- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٥٤.

٣- المستشار فليح سوادى، عهد مالك الأشتر، الناشر العتبة العلوية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، سنة ٢٠١٢م، ص ١٦.



ويمكن ان نسوق بعض نماذج عدله عن طريق قوله ﷺ: (والله لأن أبيت على حسك السعدان مسهداً، أو أجر في الأغلال مصفدى أحب إليّ من أن القى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد، وغاصباً لشيء من الحطام، وكيف أظلم أحداً لنفس يسرع إلى البلى قفولها ويطول في الثرى حلولها)^(١). ويقول الإمام علي عليه السلام مبيناً مميزات الوالي (ولقد علمتم أنه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والأحكام وإمامة المسلمين البخيل فتكون في أموالهم نهمته ولا الجاهل فيضللهم بجهله ولا الجافي فيقطعهم بجفائه ولا الخائن للدول فيتخذ قوماً دون قوم ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق ولا المعطل للسنة فيهلك الأمة)^(٢).

الذين شربتم بصفوكم كدرهم وخلطتم بصحتكم مرضهم وادخلتم في حقكم باطلهم وهم أساس الفسوق وحلاس العقوق اتخذهم أبلّيس مطايا ضلال وجنداً بهم يصول على الناس وترجمة ينطق على الستهم استراقاً لعقولهم ودخولاً في عيونكم)^(٣).

ومن مسؤولية الشعب أمام الوالي أن يعطي الوالي ماله عليه من حقوق فيطيعه إذا أمره ويحبه إذا دعاه ونصفه وينصحه إذا كان في حاجة إلى ذلك وعلى الدولة أن تتعاون مع شعبها بكل صدق وشفافية وأن يعدلوا بين الناس بمختلف عقائدهم ومذاهبهم ومللهم.

خلاصة البحث:

مثل العدل في الإسلام منزلة الصدارة بحكم الطبيعة التعددية للإسلام التي يكون العدل فيها هو واسطة العقد. وقد ترادفت وتعددت الآيات التي تأمر به وتجعله معيار الإيمان ومقياس الثواب وتندد بالظلم، إذ لا بد أن تتولد حاسة العدل عند من يقرأ القرآن الكريم.

هنا يبين الإمام صفات الوالي على أن يكون ذا تاريخ نظيف ومشرق، ومتحرراً من النفاق والأهواء النفسية ويجب أن لا ينخدع بالحكام الذين ماضيهم سيء لأنه سوف يجلب الويلات على الأمة والناس. ويقول الإمام علي عليه السلام: (ولا تطيعوا الأديعاء

١- محمد الري شهري، ميزان الحكمة، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ط ١، ج ١، ١٩٨٠م، ص ١٧٦.

٢- محمد الري شهري، ميزان الحكمة، مصدر سابق، ص ١٧٨.

٣- الشريف الرضي: نهج البلاغة، تعليق د. صبحي الصالح، مصدر سابق، الخطبة ١٩٢، ص ٣٨٥.



آخر، وعلى هذه القاعدة تشخص العقوبة والمكافأة.

ب- ليس للإنسان إلا ما سعى، إذن العمل هو الأساس في الرزق والكسب.

ج- يُطَبَّقُ العَدْلُ على الجميع بالنسبة إلى الأحكام السماوية بغض النظر عن مكانة ومنصب ونسب الإنسان في هذه الحياة الدنيا.

يضمُّ إطار العدل الاجتماعي كافة ما يصدر عن الفرد من أعمال ويعرض الإسلام الوسائل التي تحقق العدل الاجتماعي في كلِّ مجال، ففي المجال الاقتصادي يحرم الإسلام استغلال الآخر، ويحث على التكافل والتعاون بين أفراد المجتمع. وفي المجال السياسي يؤكد الإسلام على الشورى وتبادل الرؤى بين المسؤولين عن إدارة شؤون الناس، والمساواة بين الناس في الحقوق والواجبات، وفي المجال القضائي درأ الحدود بالشبهات وتعاقبها بين الناس والنهي عن التجسس واستعباد الإنسان لأخيه الإنسان في أيِّ صور من الصور، وتطبيق القصاص عن طريق العدل الاجتماعي، ومن ذلك الردع في جريمة السرقة.

إنَّ العَدْلَ حاكمٌ على تطبيق الحقِّ، ولأنَّ كافة الحقوق في الإسلام مضبوطة بحسن التطبيق أي العدل، فإساءة استعمال فرد ما لحقه يهدر تصرفه ويخضعه لمقتضيات العدالة.

تنتفي النسبيَّة عن العدل الإسلامي بحكم انبثاقه عن الله تعالى، وإنَّما تكون النسبية في فهمه وتكييفه للوصول إلى الحقيقة، فمثلاً من العدل المساواة في الحقوق والواجبات، ولكن ليس من العدل المساواة ما بين من يعمل ومن لا يعمل، فإنَّ العَدْلَ يوجب ضرورة وفاء أجر العامل وعدم وفاء بالأجر أو مكافأة العامل يصبح نوعاً من الظلم.

يعدُّ العَدْلُ أكبر مصدر للتشريع كونه المعيار المهيأ للفصل بين الناس. عن طريق القرآن الكريم الذي يعده مقياساً وميزاناً.

تحديد مفردات ومضمون ومفهوم العدل من الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث الشريفة الثابتة التي يمكن عن طريق استخلاصها نصل إلى المقومات الآتية للعدل الإسلامي:

أ- لا تزر وزر أخرى، فلا يُحاسب أو يكافأ شخص على ذنب أو فضيلة



التي تتابع مؤسسات الدولة وتحفظ المال العام.

تُعطي وصاياه للحاكم والمسؤول بالتواصل مع رعيته وشعبه - باستمرار - إشارات مهمة على أن الحاكم ليس إلا خادماً لشعبه ورعيته، فليس له حق الاستبداد والتفرد والظلم. كذلك ما ورد من وصايا في العهد من تقديم مصالح العامة على الخاصة فيه دلالة واضحة على أن السياسة العامة في الإسلام هي تحقيق مصالح الأغلبية من الشعب دون الخاصة، وهذا قد تضمنته الدساتير الغربية متأخراً عن عهد الإمام عليه السلام بمدة طويلة جداً.

من الضروري أن يعتمد المسؤول في قراراته على مجموعة من المستشارين من أهل الخبرة والاختصاص والصالح ولا تكون عشوائية في اتخاذ القرارات من دون تنسيق وتخطيط.

مصادر ومراجع البحث:

- القرآن الكريم.
- بن منظور، لسان العرب، مج ١، ط ٤، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٥م.
- اندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، مج ١، ط ٢، تعريب: خليل أحمد خليل، منشورات

إنَّ عهد الإمام عليه السلام إلى مالك الاشر يمثل وثيقة مهمة وبرنامج عمل متكاملًا للحاكم والمسؤول في مواقع الدولة والمسؤولية؛ لأنَّه يتضمَّن وصايا في غاية الدقة والروعة تضع معالجات من شخصية عملاقة في المجال السياسي والإداري والاجتماعي والاقتصادي والعسكري، قد مارست الحكم والإدارة والحرب، وهو باب مدينة العلم، الرسول صلى الله عليه وآله، وهو أعلم الناس بعد النبي صلى الله عليه وآله فما جاء من قوانين وبنود في هذه الوصية تمثل الفكر المتميز للإمام علي عليه السلام في مسائل إدارة الدولة والحكم، إذ سجَّل فيها صفات الحاكم والمسؤول العادل، ووضع فيها قواعد وأصول إدارة الدولة على المستويات كافة.

الإسلام عن طريق عهد أمير المؤمنين أسَّس لمجموعة من المؤسسات الرقابية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وقد مثَّلت سابقة في الفكر الإنساني؛ لأنَّ هذه الأفكار والملاحظات لم يكن لها حضور في دساتير الدول إلا متأخراً كمؤسسة الرعاية الاجتماعية التي تُعنى بالفقراء والمساكين والأيتام وأصحاب الحاجة، ومؤسسة الرقابة لأجهزة الدولة من قضاة ووزراء وكتَّاب وجند وتجار، ومؤسسة النزاهة



- عويدات، بيروت، ١٠٠٢م.
- بن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج ١، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٩٦٥م.
- بن قتيبة، ابو محمد عبدالله بن مسلم، عيون الأخبار، ج ١، الناشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ.
- ابراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية، القاهرة، ١٩٨٣م.
- اسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، ج ٥، دار العلم للملايين، بيروت، (بلا تاريخ).
- الأمدي: عبد الواحد بن محمد التميمي، غرر الحكم ودرر الكلم للأمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ج ٤، تحقيق السيد مهدي الرجائي، الناشر دار الكتاب الإسلامي، ايران، (بلا تاريخ).
- باقر شريف القرشي، نظام الحكم والأدرة في الإسلام، دار التعارف، بيروت، ط ٣، ١٩٧٨م.
- الحلي، أبي منصور الحسن بن يوسف، كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، الناشر مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ايران، ١٩٨٦م.
- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج ٢، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ١٩٩٤م.
- الجرجاني، التعريفات، ط ١، المطبعة الخيرية، مصر، ١٣٣٦هـ.
- روزنتال و يودين، الموسوعة الفلسفية، ط ٤، ترجمة: سمير كرم، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨١م.
- الشريف الرضي: نهج البلاغة، ط ٢، تعليق د. صبحي الصالح، الناشر دار المودة، بيروت، ١٩٨٠م.
- الشيخ محمد عبده، شرح نهج البلاغة، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٢، ٢٠م.
- الصدوق، ابو جعفر محمد بن علي، الامالي، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية، الناشر مؤسسة البعثة، قم، ايران، (ب، ت).
- الطبري، أبي جعفر بن جرير، تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، دار المعارف، القاهرة (بلا تاريخ).
- العاملي، محسن الامين، أعيان الشيعة، الناشر دار التعارف، بيروت، ١٩٩٤م.



بيروت، لبنان، ١٩٩٨ م.
الفيروز آبادي: القاموس المحيط،
ج ٤، ط ١، المطبعة الحسينية، قم،
١٣٣٣ هـ.

النسائي، احمد بن شعيب، سنن
النسائي، ط ١، الناشر دار الفكر،
بيروت، لبنان، ١٦، ٢ م.

الهندي، علاء الدين بن حسام، كنز
العمال في سنن الاقوال والافعال،
الطبعة الاولى، مكتبة التراث
الإسلامي، بيروت، ١٣٩٧ هـ.

الكشفي الحنفي، المناقب
المرتضوية، ط ٢، قم، ٣، ١٤ هـ.

معجم ألفاظ القرآن الكريم،
مجمع اللغة العربية، دار الشروق،
مصر، (ب، ت).

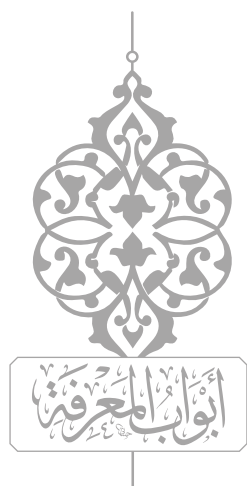
محمد الري شهري، ميزان الحكمة،
ج ١، ط ١، مؤسسة الاعلمي،
بيروت، ١٩٨ م.

المستشار فليح سوادى، عهد
مالك الأشتر، الناشر العتبة
العلوية المقدسة، قسم الشؤون
الفكرية والثقافية، النجف الاشرف،
١٢، ٢ م.

المالكي، بن الصباغ، الفصول
المهمة في معرفة الأئمة، ج ٢، ط ١،
تحقيق سامي الغريزي، الناشر دار
ردمك، ١٤٢٢ هـ.

الملاح، نادر، النظام الإداري في
الإسلام، ط ١، كتاب الكتروني،
تاريخ النشر ٨٠٠٢ م.

المجلسي، العلامة محمد باقر:
بحار الانوار الجامعة لدور اخبار





الحوار والإقرار في خطبة الغدير

(دراسة لغويّة أسلوبيّة)

أ.د. مهدي صالح سلطان



جامعة الإمام جعفر الصادق عليه السلام







ملخص البحث:

يُعنى هذا البحث بدراسة العلاقة بين أجزاء خطبة الغدير، ومناسبتها للأجواء التي قيلت فيها؛ وتفاعل المخاطبين وإقرارهم بمضمونها، ومناسبتها لمرجعها التاريخي: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ...﴾ المائدة ٦٧.

ونقصد بالحوار: وجود طرفين متحاورين وقضية تكون سبباً لهذا الحوار ونتيجة مرجوة تتحقق منه، أمّا الإقرار: فالإذعان للحق والاعتراف به، أو إثبات الشيء باللسان أو بالقلب أو بهما معاً [لسان العرب ١٣ / ٣٩٥].

وقد ناسب افتتاح الخطبة موضوعها، وما كان من استعداد لها، وهذا هو الذي جذب متلقيها، إذ تبدأ بقول الرسول الكريم: أو شئ أن أدعى فأجيب... ما أنتم قائلون؟ فيجيبون نشهد أنك قد بلغت ونصحت وجاهدت فجزاك الله خيراً. وهذا هو الإقرار الأول والشهادة الأولى. أمّا الإقرار الثاني فلذكره ثوابت الإسلام: أستم تشهدون أن لا إله إلا الله... وأن جنته حق، وأن الموت حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور.. قالوا: بلى نشهد بذلك. قال: اللهم اشهد.. [فكان هذا

إقرارهم بتوكيد تلقيهم التبليغ وشهادتهم بتلقيه]. ثم قال: أيها الناس ألا تسمعون؟ قالوا نعم.. [الاستعداد لتوكيد تلقي ما سيسمعون].. [فيبلغهم بالمصير والمستقبل والاستعداد لما ينتظرهم]: إني فرطكم على الحوض، وأنتم واردون... فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين.. [فاعتبروا].

فنادى مناد: ما الثقلان؟ قال: الثقل الأكبر: كتاب الله... والأصغر: عترتي... لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض...

ثم ينتقل من المقدمة إلى الغاية من الحوار، فيأخذ بيد عليّ فيرفعها... ليكمل الحوار، فيسأل: أيها الناس من أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين، أنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فعليّ مولاه، يقولها ثلاث مرات... اللهم وال من والاه وواد من عاداه... فليبلغ الشاهد الغائب... فنزل قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا...﴾ المائدة ٣.

أمّا الحوار: فالقول والتفاعل والقبول، وأحد أدواته في الخطبة الاستفهام





العائد من حجة الوداع، في يوم الخميس الثامن عشر من ذي الحجة من سنة عشر من مهاجرة ﷺ [الغدير ١ / ١٠]، وفي غدير خم، وهذا هو الوقت الذي قدره ﷺ مناسباً للتبليغ بالآية الكريمة؛ وتوفاه الله بعدها بواحد وثمانين أو اثنين وثمانين يوماً.

فعن ابن عباس: (لَمَّا أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَقُومَ بَعْلِي بْنُ أَبِي طَالِبٍ الْمَقَامَ الَّذِي قَامَ بِهِ، فَانْطَلَقَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى مَكَّةَ، فَقَالَ: رَأَيْتِ النَّاسَ حَدِيثِي عَهْدٍ بِكَفَرٍ بِجَاهِلِيَّةٍ، وَمَتَى أَفْعَلُ هَذَا بِهِ يَقُولُوا صَنَعَ هَذَا بَابَنَ عَمِّهِ، ثُمَّ مَضَى حَتَّى قَضَى حُجَّةَ الْوَدَاعِ، ثُمَّ رَجَعَ حَتَّى إِذَا كَانَ بِغَدِيرِ خُمٍ أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ - المائدة ٦٧»؛ فقام منادٍ فنادى الصلاة جامعة، ثم قام وأخذ بيد عليٍّ عليه السلام، فقال: (من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه وانصر من نصره، واخذل من خذله) [موسوعة عبد الله بن عباس ١ / ٢٣٧، والغدير ١ / ١٠ - ١١].

وفي شواهد التنزيل: (إِنَّ قَوْمِي قَرِيبُو عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ، وَفِيهِمْ تَنَافُسٌ وَفَخْرٌ،

والجواب وجوابهم كان إقراراً منهم لمضمون السؤال، أمّا الضمائر فقد شددت أجزاء النص وأكّدت تماسكه وانسجامه، من ذلك: أدعى فأجيب، إني فرطكم، أنا مولى، أنا أولى، مولاي؛ تخلفوني، أنتم قائلون، وأنتم واردون، ألا تسمعون، تشهدون، تمسكوا، كنت، وعلى لسانهم:شهد، بلّغت، ونصحت، جزاك، ضمير الغائب: جتّه، يبعث.. والأمر: انظروا كيف تخلفوني في الثقلين: ردُّ الأعجاز على الصدر: أنتم واردون. والجملة النواة ومضمون التبليغ جملة الشرط: من كنت مولاه فعلي مولاه.

وبالإمام عليه السلام تكمل النعمة وتستقرّ الشريعة.

والحمد لله رب العالمين.

المقدمة

يُعنى هذا البحث بدراسة العلاقة بين أجزاء خطبة الغدير، ومناسبتها للأجواء التي قيلت فيها؛ وإقرار المخاطبين بمضمونها، ومطابقتها لتنفيذ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ...﴾ [المائدة ٦٧].

فقد خوطب بهذه الخطبة الجمهور



وما منهم رجل إلا وقد وتره وليّهم،
وإني أخاف، فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ
بَلِّغْ...﴾ المائدة ٦٧ [شواهد التنزيل ١/
١٩١].

أمّا الخشية والخوف من التبليغ؛
فلأنّ (الناس حديثو عهد بكفر بجاهليّة...
وأنّه ابن عمّه)؛ إذ التّقْدُ يتوجّه إلى
الصيغة في العهد والولاية، التي هي
أشبه بالوراثة، مع أنّ النبيّ تجاوز الأطر
القبليّة، وهو أبعد ما يكون عنها، تلك
التي تعني التعصّب والانحياز الأعمى،
ومع ذلك فالرسالة نفسها ابتدأت بإنذار
الأقربين، في قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ
الْأَقْرَبِينَ﴾ الشعراء ٢١٤، فدعا أول
الأمر بني عمومته؛ وكان ألصق الناس
به منهم الإمام عليّ، في حين كان بعض
أقرب أقربائه قد حمل لواء معاداته، وهذا
معروف.

وقد اصطفّى الإمام للولاية استناداً إلى
مجموعة من العوامل الدينيّة، فهو كنفسه
وشخصه، فضلاً عن الكفاءة والمؤهّلات
الشخصيّة، والثبات في المواقف الفاصلة
المعروفة، التي لسنا بصدد تعدادها، أو
البحث في حيثيّاتها، فقد تكفّلت المؤلّفات
الكثيرة بهذا الشأن، وبحثنا هذا يقتصر
على الدراسة اللغويّة لأجزاء خطبة

الغدير وانسجامها ومناسبتها، مثلما ذكرنا
قبل قليل.

أمّا الاصطفاء الروحيّ الأخويّ
فقد استمرّ... أكثر من ثلاثين عامّاً،
عاشها عليّ بن أبي طالب بتمامها في فلك
الرسول، وفي اصطفاؤه، وتربيته، وتدريبه،
وإعداده، فكانت حياته منذ البدء في
حجر النبوّة، وكانت آخر لحظة في حياة
النبيّ... على صدر عليّ؛ فكأنّ الاصطفاء
أبى إلا أن يتمّ أعظم صفحاته، في التسليم
الأخويّ المطلق لعليّ بن أبي طالب لنداء
الاصطفاء التاريخيّ [عليّ بن أبي طالب،
سلطة الحقّ ٤٥].

تميّزت خطبة الغدير بافتتاح شدّد
جمهور المتلقّين الذين كانوا ينتظرون
الخطب الجلل الذي جُمِعوا من أجله،
فيفاجئهم بأنّه سيفارقهم وستنتهي
مسؤوليّته المباشرة، فيطلب شهادتهم فيما
أدّاه تجاههم.

وكان مركزُ هذه الخطبة وجملتها
الأساس هي: (من كنت مولاه فعليّ
مولاه) وهذا هو مضمونها الواضح، أمّا
الضُمائر فقد شدّت أجزاء النصّ من
أوله إلى آخره؛ فهو الداعي لهذه الخطبة
ومرجعها - بحسب اتّفاق الإماميّة -
تثبيت الولاية بعد النبيّ ﷺ، وبالتبليغ





الحوار، يريد الذي دعا إليه مناقشة الأمر المُعين الخطير، أو المصلحة المشتركة، أو تدارس قضايا ترتبط بمستقبل المخاطبين، وقد يعتمد هذا الحوار الإجابة السريعة عن تساؤلات واستفسارات موجهة إلى الحاضرين، فيُطلب منهم التفاعل الإيجابي مع ما يعرض من أسئلة عن موضوعه المهم [المحاورة مقارنة تداولية ٩٣].

و(الإقرار: هو الإذعان للحق والاعتراف به، وأقرّ بالحق، أي اعترف به، وقد قرّره عليه، وقرّره بالحق غيره حتى أقرّ) [لسان العرب لابن منظور ٥/ ٣٥٨٢]؛ وفي الشرع: (هو اعترافٌ يوجب حقاً على قائله، أو هو إخبار الإنسان شفاهة أو كتابة عن ثبوت حق لغيره على نفسه) [معجم غريب الحديث والأصول ٦٩ - ٧٠].

وللحوار طرفان وقضية تكون سبباً لهذا الحوار، ونتيجة مرجوة تتحقق منه، أمّا الإقرار: فالإذعان للحق والاعتراف به، أو آتاه: إثبات الشيء باللسان أو بالقلب أو بهما معاً [لسان العرب ١٣/ ٣٩٥]. فالحوار: القول والتفاعل والقبول والاستفهام في خطبتنا: يُراد به إقرار المخاطبين، يعضده التوكيد وكذلك النفي الذي يُراد به الجواب والإيجاب، مثل:

الذي أتمّ به أمر الدين، وكملت نعمة الإسلام، واستقرت الشريعة [مواهب الرحمن، للسبزواري ١٢ / ٨].

أمّا أسلوب خطبة الغدير فقد اعتمد على العرض والإجابة والأسئلة والأجوبة، مباشرة ومن دون انتظار، أسئلة وجهها النبي ﷺ إلى المخاطبين، أراد بها تأكيد أسس الدعوة في تداولهم وأذهانهم، حتى تكتمل بالولاية، وهي مقصد الخطبة وغايتها.

وقد شهدت هذه الخطبة تفاعلاً إيجابياً لفظياً مع ما عُرض فيها، فلم تكن على نمط الخطب الوعظية التقليدية التي ربما لا يشارك فيها المخاطبون، ولا يكونون إلا مجرد متلقين، لا فاعلية لوجودهم، ولا إسهام لهم؛ وهذا ما سنعرضه في هذا البحث إن شاء الله.

أولاً: الحوار والإقرار

الحوار: كل خطاب أو مخاطب للإقناع أو الاقتناع، يُراد به تجاوب المتلقين المعيّنين، لتكوين موقف في أمر من الأمور [المحاورة مقارنة تداولية ٨٦]، والمحاورة هي المجاورة، والتحاوَر: التجاوب. أو أنّ الحوار: عَرَضٌ معيَّن على جمهورٍ في زمان ومكان معلومين، لمناسبة أمر طارئ يستحق



من في القبور.. قالوا: بلى نشهد بذلك.
قال: اللهم اشهد.. [فكان هذا إقرارهم
بألسنتهم].

ثم قال: أيها الناس ألا تسمعون؟ قالوا
نعم.. [التأكيد على سماعهم وتمام تلقيهم].

[فيحذّرهم من المصير] إني فرطكم
على الحوض، وأنتم واردون... فانظروا
كيف تخلفوني في الثقلين.. [أي فاعتبروا].

فنادى مناد: ما الثقلان؟ قال: الأكبر:
كتابُ الله... والأصغر: عترتي... لن
يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض... ثم أخذ
بيد عليّ فرفعها... أيها الناس من أولى
الناس بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: الله
ورسوله أعلم... قال: الله مولاي، وأنا
مولى المؤمنين، أنا أولى بهم من أنفسهم،
فمن كنت مولاة فعليّ مولاة، يقولها
ثلاث مرّات... اللهم وال من والاه وعاد
من عاداه... فليبلغ الشاهد الغائب...
قال تعالى: (اليوم أكملت لكم دينكم...
المائدة ٣).

ثانياً: الأسئلة وأجوبتها

ستّة أسئلة وأجوبتها، كانت الأداة
والوسيلة الأهمّ في عرض محاور هذه
الخطبة، وقد تتابعت لتظهر موضوعها،
وتبيّن مقاصدها، وتُفهم متلقيها، وقد

ألستم، ولن يفترقا، وكذلك النداء لشدّ
الانتباه: أيها الناس، واللهم، وجواب
النداء: وال.. وعاد... والضائر: شدّت
أجزاء النصّ وأكّدت تماسكه وانسجامه،
منه: أدعى فأجيب... إني فرطكم... أنا
مولى... أنا أولى... مولاي... تخلفوني، أنتم
قائلون... وأنتم واردون... ألا تسمعون...
تشهدون... تمسكوا... كنت... وعلى
لسانهم: نشهد... بلغت... ونصحت...
جزاك... ضمير الغائب: جنته، يبعث...
والأمر: انظروا كيف تخلفوني في الثقلين:
ردّ الأعجاز على الصدر: أنتم واردون..

وقد ناسب افتتاح الخطبة موضوعها،
وما كان من استعداد لها، وهذا هو الذي
جذب متلقيها، إذ تبدأ بـ: أو شكّ أن أدعى
فأجيب، ما أنتم قائلون؟ فيجيبون نشهد
أنك قد بلغت ونصحت وجاهدت
فجزاك الله خيراً. وهذا هو الإقرار الأوّل.

فكان بدء الخطبة متعلّقاً بـ(بلغ)
مضمون الآية، فدنوّ الأجل (أو شكّ
أن أدعى فأجيب) هو الداعي للتبليغ
بالوصيّة.

أمّا الإقرار الثاني فلذكره ثابّت
الإسلام: ألستم تشهدون أن لا إله إلا
الله... وأنّ جنته حقّ، وأنّ الموت حقّ، وأنّ
الساعة آتية لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث



١٩ / ٥٣١]؛ والحوُصُ: حوُصُ رسولِ الله
ص الذي يسقي أمته يوم القيامة [لسان
العرب ٢ / ١٠٥١].

٥ - السؤال من المخاطبين: ما الثقلان
يا رسول الله؟

جواب رسول الله ﷺ: الثقل الأكبر
كتاب الله... فتمسكوا به، والآخر الأصغر
عترتي، وإنّ اللطيف الخبير نبأني أنّهما لن
يفترقا حتى يردا عليّ الحوض.

لكن ما الداعي لهذا السؤال؟
والمخاطبون أهل فصاحة، ولم لم
يُحدّد (الثقلان) في الخطبة نفسها، كأن يكون
السؤال: كيف تحلفوني في الكتاب وعترتي؟
وهنا نعرض لما جاء به بعض اللغويين
والمفسرين لمادة (الثقلين والعتره)، لأهميّة
هاتين المفردتين، والدلالة التي أريد بها
لهما في هذه الخطبة، وكانت قد قصّدتا في
موضعهما الذي وُضعتا فيه:

جاء في تهذيب اللغة: (... عن زيد
بن ثابت قال: قال رسول الله ص إنّ
تارك فيكم الثقلين خلفي: كتاب الله
وعترتي، فإنهما لن ينفترقا حتى يردا عليّ
الحوض... قال محمد بن إسحاق: وهذا
حديث حسن صحيح... وفي بعضها: إنّ
تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل

توزّعت هذه الأسئلة أجزاء هذه الخطبة،
وأسهمت في تفاعل المخاطبين، وشدّهم
إليها، وأخذ رأيهم بما جاء فيها، وتنامي
مضمونها، لتُهيئ الأمر - مع غيرها -
لاختتامها، وهذه هي الأسئلة:

١ - سؤاله ﷺ: إنّني أوشك أن أدعى
فأجيب... فماذا أنتم قائلون؟

الجواب: نشهد أنّك قد بلّغت
ونصحت وجاهدت فجزاك الله خيراً.

٢ - سؤاله ﷺ: ألستم تشهدون أن لا
إله إلا الله، وأنّ محمداً عبده ورسوله، وأنّ
جنّته حقّ، وناره حقّ، وأنّ الموت حقّ،
وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها، وأنّ الله
يبعث من في القبور؟ الجواب: بلى نشهد
بذلك.

٣ - سؤال النبي ﷺ: أيّها الناس:
أتسمعون؟ الجواب: نعم.

٤ - سؤال النبي ﷺ: فانظروا كيف
تحلفوني في الثقلين؟ بعد قوله: إنّني فرطُ
على الحوض، وأنتم واردون...

والفرط: هو السابق والمتقدّم إلى الماء
كالرائد في الكأ، أي يتقدّم ليستقي لجماعته
ويهيئ لهم، وهو (فعلٌ) بمعنى: فاعلٌ،
مثلُ تبع بمعنى تابع، وفي الحديث: (أنتم
لنا فرطٌ ونحن لكم تبع) [تاج العروس



وُسَمِّيَ الْجَنِّ بِذَلِكَ مجازًا للمجاورة،
والثقل العظيم الشرف؛ وفي الحديث: «إِنِّي
تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقْلَيْنِ كِتَابَ اللَّهِ وَعَتْرَتِي»
[الدرّ المصون ٦ / ٢٤٢، ومسند أحمد
١٧ / ٣، والحاكم في المستدرک ٣ / ١٤٨].

ونرجح ما جاء في البحر المحيط
أنَّ القول الثقيل: (هو القرآن وثقله بما
اشتمل عليه من التكاليف الشاقة كالجهاد
ومداومة الأعمال الصالحة) [البحر المحيط
٨ / ٣٥٩].

٦ - سؤال النبي ﷺ: من أولى بكم من
أنفسكم؟

أو: من أولى الناس بالمؤمنين من
أنفسهم؟

أو: ألسنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟

الجواب: الله ورسوله أعلم.

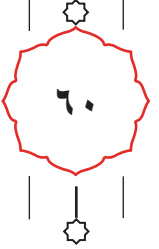
هذه الأسئلة كانت قد تعاقبت لتظهر
مضمون الخطبة وموضوع تبليغها،
واستجلبت في متابعتها واستمرارها شهادة
المخاطبين بإخلاص النبي ص، وتواصلت
بمشاركتهم الفاعلة فيها، وإقرارهم
بمضامين دعوته، وقد هيأت هذه
الأسئلة للوصول إلى المعلومة الأكثر أهمية
في الخطبة، وهي: (من كنت مولاه فعلي
مولاه).

ييتي؛ فجعل العترة أهل البيت؛ وقال
أبو عبيد: عترة الرجل وأسرته وفصيلته:
رهنه الأذنون... وقيل: عترة النبي ﷺ:
أهل بيته، وهم آل الذين حُرِّمَتْ عليهم
الصَّدقة المفروضة، وهم ذوو القربى
الذين لهم الخمس المذكور في سورة
الأنفال... [فَأَنَّ اللَّهَ حُجُّهُ وَلِلرَّسُولِ...
٤١]... قال أبو العباس أحمد بن يحيى:
سُمِّيَا ثَقْلَيْنِ لِأَنَّ الْأَخْذَ بِهِمَا ثَقِيلٌ، وَالْعَمَلُ
بِهِمَا ثَقِيلٌ؛ وَأَصْلُ الثَّقَلِ أَنَّ الْعَرَبَ تَقُولُ
لِكُلِّ شَيْءٍ نَفِيسٍ مَصُونٍ: ثَقُلْ... وقال الله
جَلَّ وَعَزَّ: «إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا
- الْمُزْمَل ٥» يعني الوحي... جعله ثَقِيلًا
من جهة عِظَمِ قدره، وجلالة خطره...
[تهذيب اللغة للأزهري ٩ / ٧٨ - ٧٩].

وفي معجم مقاييس اللغة لابن فارس:
الثقل: (ضِدَّ الْخِفَّةِ... وَأَثْقَالُ الْأَرْضِ
كَنُوزُهَا، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَخْرَجَتِ
الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ الزلزلة ٢ [تح عبد
السلام هارون، القاهرة ١٣٦٦، ١ / ٣٨٢].

وقال ابن عطية: (يُقَالُ لِكُلِّ مَا يَعِظُمُ
أَمْرُهُ ثَقُلٌ... وقال النبي ﷺ: «إِنِّي تَارِكٌ
فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ كِتَابَ اللَّهِ وَعَتْرَتِي») [المحرر
الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٥ / ٢٣٠].

وقال السمين الحلبي: (الثقلان الجنَّ
والإنس لأنها ثَقُلَا الْأَرْضَ؛ وَقِيلَ لثَقْلِهِم
بِالذُّنُوبِ، وَقِيلَ: الثَّقَلُ لِلْإِنْسِ لِشَرِّفِهِم



ثالثاً: التوكيد في الخطبة

تكرار: (فمن كنت مولاه فعلي مولاه)،
لتوكيد مضمونها ثلاث مرات.

تكرار (إنّ، أنّ) تسع مرّات:

(نشهد أنّك قد بلغت...).

(أنّ محمّداً... وأنّ جتّه... وأنّ الموت...
وأنّ الساعة... وأنّ الله يبعث).

(إني فرط...).

(إنّ اللطيف الخبير نبأني أنّها).

(إنّ الله مولاي وأنا مولى المؤمنين).

رابعاً: تكرار النفي سبع مرّات في الخطبة

(ألستم تشهدون أن لا إله إلّا الله...؟)؛
هذا الاستفهام المتبوع بنفي تقريريّ،
نقل النفي إلى الإثبات المؤكّد؛ فالمستفهم
يعرف أنهم يشهدون، لكنّ غرضه إعداد
المخاطبين لما بعد الإقرار.

ومثل هذا ما جاء قبل حديث الغدير:
(ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟)،
أو (ألست أولى بكم من أنفسكم؟)، قالوا
بلى يا رسول الله، وأراد بهذا ردّ من في نفسه
شكّ أو تردّد أو تكذيب لما سيقرّر من

قرار، فكأنّه ص أشهدهم على أنفسهم
وقرّهم لما سيقول، وهذه الولاية من
التناصّ، المأخوذ من القرآن الكريم:
﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾
الأحزاب ٦، لأنّ ولاية النبيّ ص من تعيين
الله تعالى.

... فتمسكوا به لا تفلّوا...

أيها الناس ألا تسمعون..

لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض... لن:
الدلالة على الاستمرار في المستقبل، وورود
الحوض كذلك، فالملازمة بين الثقلين، فيقول
الرسول: سألت ذلك لهما ربي، فلا تقدّمهما...
فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا، ثم أخذ
بيد علي فرفعها حتى رؤي بياض أباطهما وعرفه
القوم أجمعون..

خامساً: النداء في الخطبة

يلجأ المتكلّم إلى النداء، كلّما شعر أنّ مخاطبه
شارد عنه، أو في حاجة إلى تنبيهه، حتى يتعرّز
التفاعل [الوظائف التداوليّة ١٢١].

١ - اللهم اشهد...

٢ - أيها الناس ألا تسمعون... توجيه
النظر، والحثّ على الاهتمام بمضمون الخطاب،
والدعوة للتبصّر به، وتأمّل ما يرمي إليه المنادي
[النداء في اللغة العربيّة ١٦٠].



٣ - ما الثقلان يا رسول الله؟

ألا تسمعون... أنتم واردون...).

٤ - أيها الناس من أولى بالمؤمنين...؟

ضمير جماعة المتكلمين: (نشهد أنك...
نشهد بذلك...).

٥ - اللهم وال من والاه... دعاء لمن يتبع الإمام..

ضمير الخطاب الموجّه للنبي ص: (بلغت...
نصحت... جهدت).

سادساً: الضمائر ومرجعها في الخطبة

(ألا تسمعون... فانظروا... تمسكوا... لا
تضلّوا... فتهلكوا... فتهلكوا).

(الربط يعمل على اتّساق النصّ وخاصة
الربط بين التراكيب اللغويّة، فهو لا يزيد
تماسك النصّ فحسب، وإنّما يساعد على فهم
المعاني والدلالات الواردة في النصّ...) [في
علم اللغة النصّي والتطبيقي ١٠١].

خطاب الباري عز وجل: (إنّ محمّداً عبده...
جنته... ناره... يبعث... اللهم اشهد... طرف
بيده... رسوله...).

والضمائر أصل الروابط بين مكوّنات الجمل
وكامل النصّ، وفيما يأتي عود الضمائر في نصّ
خطبة الغدير:

خطاب الإمام عليّ بهاء الغياب: (أخذ
بيد عليّ فرفعها... وال من والاه... وعاد من
عاداه... أحبه... أبغضه... نصره... خذله...
معه...).

ياء المتكلّم: ضمير يعود على النبي ﷺ
في ثمانية مواضع، هي: (نبأني اللطيف الخبير...
إنّي أوشك أن أدعى... وإنّي مسؤول... إنّي
فرط على الحوض... تخلفوني في الثقلين... إنّ
اللطيف الخبير نبأني أنّهما لن يفترقا... سألت
ربّي... الله مولاي).

الكتاب والعترة: (تمسكوا به... أنّهما... لن
يفترقا... يردا... لهما... فلا تقدموهما... ولا
تقصّروا عنهما).

سابعاً: أفعال الأمر والنهي في الخطبة

انظروا... تمسكوا به... لا تضلّوا... لن
يفترقا... فلا تقدّموهما... ولا تقصّروا عنهما...
وال... عاد... أحبّ... أبغض... انصر...
اخذل... أدر... ألا فليبلغ الشاهد الغائب.

ضمير المتكلم (أنا) تكرر مرتين: (أنا مولى...
أنا أولى...).

ضمير المتكلم (التاء) تكرر مرتين
أيضاً: (سألت... كنت مولاه...).

ثامناً: الشرط في الخطبة

جملة الشرط: (من كنت مولاه فعليّ
مولاه...)، هي الجملة المركزيّة في الخطبة،

خطاب الرسول ص للآخرين: (أنتم
مسؤولون... أنتم قائلون... ألستم تشهدون...)





وهي جملة نواة هذه الخطبة — مثلما يقول اللغويون المحدثون — وهي الغاية المقصودة منها، فهي المعلومة المقاليّة الجديدة الأبرز فيها، وقد أُريدَ بها إنجاز تبليغ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ...﴾ المائدة ٦٧؛ الدافع والدلالة المقاميّة التي استوجبت ظهور هذه الخطبة.

والشرطُ في اللغة: هو إلزام الشيء والتزامه [القاموس المحيط ٦٢٠، وتاج العروس ١٩ / ٤٠٤]؛ وفي الاصطلاح: (ما يتوقّف عليه وجود الشيء فيمتنع بدونه؛ أو ما يترتّب وجوده عليه... قال بعض المحقّقين: ما يسمّيه النحاة شرطاً هو في المعنى سبب لوجود الجزاء، وهو الذي تسمّيه الفقهاء علّة ومقتضياً وموجباً...) [الكليات للكفوي ٤٤٤].

لكن أيكون هذا الإلزام أو الالتزام أو الموجب مقصوراً على مخاطبين بأعيانهم لا يتعدّاهم إلى غيرهم في الزمان والمكان؟ !. بمعنى أهذا الخطاب خطاب مغلق، محصور بمخاطبين مباشرين مُعيّنين مُعيّنين؟ أم هو خطاب مفتوح يشمل غيرهم في زمانهم وفي الأزمان اللاحقة بزمانهم؟

فالإجابة صريحة واضحة من الخطبة نفسها، وفي اختتامها، وفي آخر عبارة من

عباراتها: (ألا فليبلغ الشاهد الغائب)، و(ألا) في هذه العبارة: للاستفتاح والتنبيه، بعد سبعة من أفعال الأمر الدالة على الدعاء، والمتّسقة مع ما بعدها، من موصول وصلته، تكون الصلة من مادة فعل الأمر، سوى الدعاء الأخير: اللهم: وال من والا، وعاد من عاداه، وأحب من أحبه، وأبغض من أبغضه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار.

و(ألا) في هذه العبارة بمنزلة الإعلان عن تنبيه السامعين على أهميّة هذه الأوامر، ووجوب إشاعتها وتبليغها.

ويتأكّد هذا أيضاً من صياغة جملة (فليبلغ الشاهد الغائب)، فاللام لام الأمر، والفعل (يلغ) المضارع المجزوم، ينسجم والسبب الذي من أجله كانت هذه الخطبة، فضلاً عن أنّها صدى لقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ... المائدة ٦٧)، ومادته اللفظيّة من مادته: بلّغ: فليبلغ؛ وجاء في معجم مقاييس اللغة: (الباء واللام والغين أصل واحد، وهو الوصول إلى الشيء) [١/ ٣٠١]، وبلغ المكان: وصل إليه وانتهى، والبلاغ: الإيصال [تاج العروس ٢٢/ ٤٤٤]، ومنه ما جاء في القرآن الكريم: ﴿... إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْغِيهِ إِلَّا بِشَقِّ الْأَنْفُسِ﴾ النحل ٧.



وَحَسَنَ ختام الخطبة بعبارة (فليبلغ الشاهد الغائب)، ليرفع بهذا التوكيد مقام الإمام باستمرار التبليغ؛ الذي كُمَلت به النعمة واستقرت الشريعة.

الخاتمة

لا بُدَّ من وعي السياق التاريخي لنص خطبة الغدير، وقراءتها وقراءة ما يُحيط بها قراءة تفاعليّة متأنّية، والنظر إليها بعيون معاصرة، ومعرفتها معرفة دقيقة على جميع المستويات اللغويّة، والإلمام بالسياقات التي ظهرت فيها ولا سيما التفاعل بين الخطيب والمعنيين بالخطبة؛ للخروج برأي محايد واع (يتمكّن هذا الوعي من تأمّل نفسه، في علاقته بمعطيات التراث المقروء، وكيفية إدراكه لها وسيطرته عليها) [قراءة التراث والحداثة ٢٥].

أمّا محور الخطبة الرئيس فهو (تبليغ الدعوة والإقرار بمضمونها)، موازنة مع المحاور الفرعيّة الأخرى، والخطبة نفسها استجابة لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ...﴾ المائدة ٦٧، مثلما عرضنا.

وداعي التبليغ والإقرار أن النبي ﷺ سيُدعى لتلبية نداء ربّه، فيسأل المخاطبين عن أدائه ومسؤوليتهم — إن جاز التعبير — بقوله: (إني مسؤول وأنتم مسؤولون؛

فماذا أنتم قائلون؟)، فيشهدون له بالجهد بالتبليغ وبالنصيحة، هذا في المقطع الأول. أمّا في المقطع الثاني فيطلب شهادة ثانية، هي الشهادة لله ولرسوله، وبالمصير المحتوم للبشر: الموت والجنّة والساعة والبعث؛ فيشهدون بذلك؛ فيؤكّد شهادتهم وإقرارهم بقوله: (اللهم اشهد). ثمّ يتوقّف في مقطع ثالث ليتأكّد من سماعهم ما سبق، واستعدادهم لتلقّي ما سيأتي من الخطبة، في قوله: (أيّها الناس: ألا تسمعون؟) فيقولون: نعم. فيتحوّل إلى الحديث عن المصير في مقطع رابع، وكيف سيواجهونه وهو سابقهم على الخوض، استناداً إلى ما سيكون موقفهم من الثقلين. فيسألون ما الثقلان؟ فيحدّدهما بالكتاب والعترة.

أمّا المقطع الخامس فشهادة المخاطبين بالتسليم لله ولرسوله، في جوابهم لسؤال: من أولى المؤمنين من أنفسهم، فيؤكّد أنّ الله مولاه، وهو مولى المؤمنين، ويكتمل مضمون التبليغ بالولاية، في قوله ص: (من كنّ مولاه فعليّ مولاه...).

فالمناسبة واضحة بين أجزاء النصّ ومقاطعته من أوّله إلى آخره... والحمد لله ربّ العالمين.





المصادر والمراجع

- لسان العرب لابن منظور، دار المعارف بمصر، د. ت.
- المحاوره مقارنة تداوليّة، د. حسن بدّوح، إربد، ٢٠١٢.
- المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت، ٢٠٠١.
- المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري، ١٩٩٠.
- مسند أحمد بن حنبل، تح شعيب الأرنبوط، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١.
- معجم غريب الحديث والأصول، د. محمد إبراهيم الحفناوي، القاهرة، ٢٠٠٩.
- معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تح عبد السلام هارون، القاهرة ١٣٦٦.
- مواهب الرحمن، للسبزواري، ط ٢، قم، ٢٠٠٧.
- موسوعة عبد الله بن عباس، محمد مهدي الخرسان، قم، ١٤٢٨.
- النداء في اللغة العربيّة د. أحمد محمد فارس، بيروت، ١٩٨٩.
- الوظائف التداوليّة، د. يوسف تغزاوي، إربد، ٢٠١٤.
- البحر المحيط، لأبي حيّان، الرياض، د. ت.
- تاج العروس، للزبيدي، الكويت، د. ت.
- تهذيب اللغة للأزهريّ، تح عبد السلام هارون، مصر ١٩٧٦.
- الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبيّ، بيروت ١٩٩٤.
- شواهد التنزيل، للحسكاني، تح محمد باقر المحمودي، ط ٢، بيروت، ٢٠١٠.
- عليّ بن أبي طالب، سلطة الحقّ، عزيز السيّد جاسم، ط ٢، بغداد، ٢٠١٢.
- الغدير في الكتاب والسنة والأدب، عبد الحسين الأميني، ط ٢، طهران، ١٣٦٦هـ.
- في علم اللغة النصّي والتطبيقي، د. مجدي حسين، القاهرة، ٢٠١٧.
- القاموس المحيط، للفيروز آبادي، ط ٢، بيروت، ٢٠٠٣.
- قراءة التراث والحداثة، د. جابر عصفور، القاهرة، ١٩٩٠.
- الكليات للكفوي، تح د. عدنان درويش، ومحمد المصري، قم، ١٤٣٣هـ.





بيعة الغدير...
تحت الشجرة...
بيعة خلافة الله في الأرض

د. أحمد راسم النفيس



مصر



وَالْعِلْيَاة



﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾
الفتح ١٨.

﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّ أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ * وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ الرعد ١٩-٢١.

قال ابن منظور في لسان العرب:
الْبَيْعَةُ: الْمُبَايَعَةُ وَالطَّاعَةُ. وبأيعه عليه
مُبَايَعَةٌ: عَاهَدَهُ. وبأيعته من البيع والْبَيْعَةُ،
هو عبارة عن الْمُعَاوَدَةِ وَالْمُعَاهَدَةِ كَأَنَّ كُلَّ
وَاحِدٍ مِنْهُمَا بَاعَ مَا عِنْدَهُ مِنْ صَاحِبِهِ
وَأَعْطَاهُ خَالِصَةً نَفْسِهِ وَطَاعَتَهُ وَدَخِيلَةً
أَمْرِهِ.

وَالْعَهْدُ كُلُّ مَا عُوْهِدَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَكُلُّ مَا
بَيْنَ الْعِبَادِ مِنَ الْمَوَاقِيقِ، فَهُوَ عَهْدٌ. وَأَمْرُ
الْيَتِيمِ مِنَ الْعَهْدِ، وَكَذَلِكَ كُلُّ مَا أَمَرَ اللَّهُ
بِهِ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ وَنَهَى عَنْهُ.

وَالْعَهْدُ: الْوَصِيَّةُ وَيُقَالُ: عَهِدَ إِلَيَّ
فِي كَذَا أَيْ أَوْصَانِي؛ وَمِنْهُ حَدِيثُ عَلِيٍّ،
كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ: عَهِدَ إِلَيَّ النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ أَيْ

أَوْصَى؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَلَمْ أَعْهِدْ
إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ
إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا
صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾^(١)؛ يَعْنِي الْوَصِيَّةَ وَالْأَمْرَ.
وَالْعَهْدُ: التَّقَدُّمُ إِلَى الْمَرْءِ فِي الشَّيْءِ.

وَالْعَهْدُ: الْمَوْثِقُ وَالْيَمِينُ يَحْلِفُ بِهَا
الرَّجُلُ، وَالْجَمْعُ كَالْجَمْعِ وَالْعَهْدُ أَيْضًا:
الْوَفَاءُ. وَفِي التَّنْزِيلِ: وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ
مِنْ عَهْدٍ؛ أَيْ مِنْ وَفَاءٍ؛ قَالَ أَبُو الْهَيْثَمِ:
الْعَهْدُ جَمْعُ الْعُهُدَةِ وَهُوَ الْمِيثَاقُ وَالْيَمِينُ
الَّتِي تَسْتَوْثِقُ بِهَا مِمَّنْ يِعَاهِدُكَ.

ثَلَاثَةُ مُصْطَلَحَاتٍ تَكَرَّرَتْ فِي الْقُرْآنِ
الْكَرِيمِ لَيْسَ لِمَجْرَدِ التَّرَادُفِ اللَّغْوِيُّ، بَلْ
لِلْإِحَاطَةِ بِالْمَعْنَى مِنْ جَوَانِبِهِ كَافَةً.

الْأَصْلُ فِي هَذَا هُوَ الْعَهْدُ، أَمَّا تَأْكِيدُهُ
فَهُوَ الْمِيثَاقُ وَبَعْدَ ذَلِكَ تَأْتِي الْبَيْعَةُ الَّتِي
هِيَ إِجْرَاءٌ لِتَأْكِيدِ الْإِلْتِمَازِ بِالْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ،
إِذْ تَزْدَادُ قُوَّتَهُ حِينَمَا يَجْرِي أَمَامَ الْمَلَأِ، إِذْ
يَتَعَذَّرُ إِنْكَارُ حَدُوثِهِ وَالزَّعْمُ بِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ
هَنَّاكَ اتِّفَاقٌ وَلَا مِيثَاقٌ وَلَا مَنْ يَجْزُونَ!!.

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ *
الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ
هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ
لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ



حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰ أَرْوَاحِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١﴾.

تضمنت الآيات مجموعة من القيم والتكاليف التي يتعين على المؤمن أن يلتزم بها، ومن أهمها رعاية العهد وحفظ الأمانة، لتنتهي بالمكافأة الكبرى التي تنتظر هؤلاء (أولئك هم الوارثون) سواء كانت هذه الورثة للفردوس الأعلى أم للأرض، كما ورد في آيات أخرى ومنها قوله تعالى في آخر سورة الأنبياء ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (٢).

لو كان لنا أن نقترح على المسلمين صفة تميزهم لاقتربنا التحلي بصفة الوفاء بالعهود والمواثيق فهي صفة لو جعلوها عنواناً لهم لكانوا -بحق- خير أمة أخرجت للناس، ولدخل الناس في دين الله أفواجاً، إلا أن الواقع كما التاريخ لا يقولان ذلك.

وفي الوقت الذي يقول رب العزة في محكم كتابه: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَضَتْ غَزَاهُمْ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (٣)، نرى المتغلبين على رقاب المسلمين يتصلون -دوماً- من عهد الله وميثاقه ويسعون في الأرض فساداً، ولا يباليون بتخريب بنيان الأمة وهدم ما بناه غيرهم من الحريصين على خيرها بعد أن بذلوا من أجل ذلك الغالي والنفيس.

البيعة - إذن - إعلان وتعهد بالالتزام بعهد وميثاق معلوم، وليس كلاماً على العموم، وهو ما يؤلف أساساً متيناً لبناء الأمة وترسيخ كيائها، وليس مجرد نصيحة هلامية كما يتصور كثير من المتممين لهذا الدين.

إن إعطاء البيعة والالتزام بالوفاء بالعهود والمواثيق سبق خلق الخلق وإرسال الرسل ليهلك من هلك عن بينة

١- سورة المؤمنون ١-١١.

٢- الأنبياء ١٠٥.

٣- النحل ٩١-٩٢.



ويحيى من حيي عن بينة.

أولئك الذين يفسرون كلمة العهد على العموم.

العهد والميثاق أخذ على الرسل والأنبياء بنصرة خاتم الأنبياء: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ * فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (١).

لم ترد في القرآن كلمة (عهود) فهي كلمة عظيمة لا تقبل التعدد ولا تنطبق على المعاملات الشخصية، بل وردت كلمة عقود: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ (٣)، والمعنى أن كلمة (العهد) منفردة تشير لأمر جليل معروف ومحدد يتوقف عليه بقاء واستمرار الدين وبناء المجتمع المسلم وليس مجرد نصيحة عامة.

وهو أيضاً عهد وميثاق أخذه الله تعالى على الخلائق وهم في عالم الذر، وذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ (٢).

أمّا إذا أضيفت كلمة (العهد) إلى الله عز وجل يصبح الأمر أكبر وأجل، وذلك قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثْ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَن يَكْفُرْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٤).

إذ يبايعونك تحت الشجرة؟!!

قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَنَابَهُمْ فَتَحَا قُرَيْبًا﴾ (٥).

وردت كلمة (العهد) ثلاث مرات في القرآن الكريم، أمّا كلمة (عهد الله) فوردت ثماني مرات بما يقطع السبيل على

١- آل عمران ٨١-٨٢.

٢- الأعراف ١٧٢-١٧٣.

٣- المائدة ١.

٤- الفتح ١٠.

٥- الفتح ١٨.



أي شجرة؟!

الإسلام، فقبلوا ذلك^(١).

التصق أغلب المسلمين بالتفسير الذي يزعم أنها كانت بيعة على القتال ثاراً لمقتل عثمان بن عفان (!!) في حين يقول القمّي إنها كانت بيعة على السمع والطاعة في مواجهة التمرد الذي قاده عمر بن الخطاب وهو الصحيح والمقبول عقلاً ونقلاً!!.

نتحدث عن الآية لا عن تمرد عمر بن الخطاب وتهجمه على مقام النبوة، ووصفه للصلح بأنه كان إعطاءً للدنية وقبولاً بالذل إلى آخر تلك المقولات التي لا ينجل القوم من تكرارها والتفاخر بها!!.

نتحدث القاعدة العامة في التفسير عن عموم النص، لا عن خصوص السبب، فعندما يقول سبحانه (إذ يبايعونك تحت الشجرة) فلا مجال للبحث عن شجرة معينة، ثم القول إن النص مختص بالبيعة التي جرت في ظل هذه الشجرة أمّا إذا لم تكن تحت هذه الشجرة فلا قيمة للبيعة وهي غير ملزمة، فما بالك لو لم تجر تحت أي شجرة أو جرت في الخلاء فعندها تصبح قيمة البيعة هي والعدم سواء!!.

نحن لا ننفي أنه كانت هناك بيعة يوم

الشائع عند المفسرين أن بيعة الشجرة كانت يوم الحديبية، يوم أن خرج رسول الله ﷺ في العام السادس للهجرة متجهاً نحو مكة لأداء العمرة، فكان أن تصدت له قريش بالمنع، وكان ما كان من إبرام صلح واتفاق بين الطرفين نصه: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله وسهيل بن عمرو، «واصطلحا على وضع الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض على أنه لا إسلال ولا إغلال، وأن بيننا عيبة مكفوفة، وأنه من أحب أن يدخل في عهد محمد وعقده فعل، وأنه من أحب أن يدخل في عهد قريش وعقدها فعل، وأنه من أتى محمداً منهم بغير إذن وليه رده إليه، وأنه من أتى قريشاً من أصحاب محمد لم يردّوه، وأن محمداً يرجع عنا عامه هذا بأصحابه، ويدخل علينا قابلاً في أصحابه فيقيم بها ثلاثاً، لا يدخل علينا بسلاح إلاّ سلاح المسافر السيوف في القرب».

أمّا القمّي فيضيف في تفسيره إلى نص كتاب الصلح (على أن المسلمين بمكة لا يؤذون في إظهارهم الإسلام ولا يكرهون ولا ينكر عليهم شيء يفعلونه من شرائع



الحديبية، إلاَّ أنَّ الإشارة إلى الشجرة تحوي من الدلالات ما ينبّه الواعي والبصير إلى أنَّ تذكير المسلمين ببيعته في هذا اليوم في مواجهة الانقلاب والتدمر الذي قاده ابن الخطاب يُشير إلى ما هو أبعد وما هو آت في مستقبل الأيام.

صورة طبق الأصل من سلوك اليهود الذي يعدون في السبت ﴿وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾^(١).

ماذا لو أخبرناهم أنَّ بيعة الغدير جرت هي الأخرى تحت شجرة كما يقول المحدثون والرواة ومن ضمنهم ابن كثير الذي قال: فصل في إيراد الحديث الدال على أنه ﷺ خطب بمكان بين مكة والمدينة مرجعه من حجة الوداع قريب من الجحفة - يقال له غدير خم - فلما فرغ ﷺ من بيان المناسك ورجع إلى المدينة خطب خطبة عظيمة يوم الثامن عشر من ذي الحجة عامئذ وكان يوم الأحد بغدير خم تحت شجرة هناك، فبين فيها أشياء. وذكر من فضل علي وأمانته وعدله وقربه إليه ما أراح به ما كان في نفوس كثير من

الناس منه.

ونحن نورد عيون الأحاديث الواردة في ذلك، ونبيّن ما فيها من صحيح وضعيف بحول الله وقوّته وعونه، وقد اعتنى بأمر هذا الحديث أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري صاحب التفسير والتاريخ، فجمع فيه مجلدين، أورد فيهما طرقه وألفاظه، وساق الغث والسمين والصحيح والسقيم، على ما جرت به عادة كثير من المحدثين يوردون ما وقع لهم في ذلك الباب من غير تمييز بين صحيحه وضعيفه.

بيعة الشجرة وإرهاصات التمرد الكبير!!

ما الأمر الذي بايع عليه المسلمون رسول الله ﷺ يوم الحديبية، فيما بات يُعرف ببيعة الرضوان كما سمّاها القرآن الكريم أو شجرة الرضوان (لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ)؟!.

زعم بعض الرواة أنّه أخذ بيعتهم على الموت، وهو ما نفاه آخرون ذاكرين أنّه بايعهم على ألاّ يفروا في أعقاب (إشاعة) سرت عن مقتل عثمان بن عفان!!.

بالتأمّل في خبر أو إشاعة مقتل عثمان



بن عفان وتقديمها بوصفها مسوغاً للبيعة نرى من الصعب أن نسلّم بهذا الزعم، وهو الذي ذهب إلى مكّة باقتراح من عمر بن الخطاب إذ (استقبله أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكّة، فحمّله بين يديه، ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ، فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش، فبلغهم عن رسول الله ﷺ ما أرسله به، فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله ﷺ إليهم: إن شئت أن تطوف بالبيت فطُف فقال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله واحتبسته قريش عندها، فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين أن عثمان قد قُتل).

المهمُّ أنّه عادَ بعد ذلك سالماً وافرأ لم يمسه سوء، وبذلك فإنّ تفسير البيعة بأنّها كانت استعداداً للقتال ردّاً على مقتل عثمان المزعوم ليس أمراً مقنعاً.

الثابتُ أيضاً أنّ بعض المسلمين على رأسهم عمر بن الخطاب قد اعترضوا على الصلح فيما يشبه التمرد وهو ما غصّت به كتب الروايات.

ها هو ابن القيم في كتابه (زاد المعاد) يروي قصّة تمرد عمر بن الخطاب ورفضه للصلح - في أعقاب قصّة أبي جندل - راوياً عنه: قال عُمَرُ: واللّهِ ما شككتُ

منذ أسلمتُ إلا يومئذ. فأتيْتُ النّبي ﷺ، فقلت: يا رسولَ الله؛ ألسْتُ نبيَ الله حقاً؟ قال: «بلى»، قلتُ: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: «بلى»، فقلتُ: علام تُعطى الدّنيّة في ديننا إذا، ونرجع ولما يُحكّم الله بيننا وبين أعدائنا؟ فقال: «إنّني رسولُ الله، وهُوَ ناصري، وكُنتُ أعصيه»، قلتُ: أو لستَ كنتَ تُحدثنا أنّا سنأتي البيتَ ونطوفُ به؟ قال: «بلى، فأخبرْتُكَ أنّك تأتيهِ العام؟»، قلتُ: لا. قال: «فإنّك آتية ومُطوّفٌ به». قال: فأتيْتُ أبا بكر، فقلتُ له كما قلتُ لرسول الله ﷺ، وردَّ عليّ أبو بكر كما ردَّ عليّ رسول الله ﷺ سواء، وزاد: فاستمسك بِغُرْزِهِ حتّى تموت، فوالله إنّه لعلّ الحقّ. قال عُمَرُ: فعملتُ لذلك أعمالاً. فلمّا فرغ من قضية الكتاب، قال رسولُ الله ﷺ: «قومُوا فانحَرُوا، ثم اخلِقُوا» فوالله ما قامَ مِنْهُمْ رجلٌ واحد حتى قال ذلك ثلاثَ مرات، فلمّا لم يبقَ مِنْهُمْ أحد، قام فدخل على أمّ سلمة، فذكر لها ما لقيَ مِنَ الناس، فقالت أمّ سلمة: يا رسولَ الله؛ ألحِبُّ ذلك؟ أخرُجْ ثم لا تكلم أحدًا منهم كلمة حتى تنحر بُدْنَكَ، وتدعو حَالِقَكَ فيحلقَكَ، فقام، فخرج، فلم يُكلّم أحدًا مِنْهُمْ حتى فعل ذلك: نحر بُدْنَةَ، ودعا حَالِقَهُ فحلقه، فلمّا رأى الناسُ ذلك، قامُوا فانحَرُوا،



وجعل بعضهم يَخْلِقُ بعضاً، حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غماً.

حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غماً!!!!!!.

أمّا قصّة (أبو جندل) فلا نراها موضعاً للاعتراض بعد صلح أقر بحق المسلمين في مكّة في إظهار دينهم، والأمر كان كما وصفه ابن شهاب الزهري ونقلناه سابقاً: (لَمَّا كَانَتِ الْهَدْنَةُ وَوَضَعَتِ الْحَرْبَ أَوْزَارَهَا وَأَمِنَ النَّاسُ كُلُّهُمْ بَعْضُهُمْ بَعْضاً فَالتَقُوا وَتَفَاوَضُوا فِي الْحَدِيثِ وَالْمَنَازَعَةِ، فَلَمْ يَكَلِّمْ أَحَدٌ بِالْإِسْلَامِ يَعْقِلُ شَيْئاً إِلَّا دَخَلَ فِيهِ فَلَقَدْ دَخَلَ فِي تِنِكَ السَّتِينَ فِي الْإِسْلَامِ مِثْلَ مَا كَانَ فِي الْإِسْلَامِ قَبْلَ ذَلِكَ. وَأَكْثَرُ).

لا نرى مسوّغاً -على الإطلاق- للاعتراض على أمر النبي الأكرم الذي كان ينفذ أمراً إلهياً، إذ يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾^(١).

روى ابن سعد في الطبقات عن ابن عباس قال عمر بن الخطاب: (لقد صالح رسول الله ﷺ، أهل مكّة على

صلح وأعطاهم شيئاً لو أن نبي الله أمر علي أميراً فصنع الذي صنع نبي الله ما سمعت له ولا أطعت (!؟)، وكان الذي جعل لهم أن من لحق من الكفار بالمسلمين يردّوه ومن لحق بالكفار لم يردّوه!! وعلامات التعجّب من عندنا.

لا نرى في أغلب المصادر التي نقلنا عنها ردّاً وافياً من رسول الله على اعتراضات ابن الخطاب باستثناء تفسير القمي الذي أورد مزيداً من تفاصيل الرد (وأقبلوا يعتذرون إلى رسول الله ﷺ فقال لهم: أَلَسْتُمْ أَصْحَابِي يَوْمَ بَدْرٍ إِذْ أَنْزَلَ اللَّهُ فِيكُمْ: إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابْ لَكُمْ إِنَّي مَعَكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدَفِينَ، أَلَسْتُمْ أَصْحَابِي يَوْمَ أَحَدٍ إِذْ تَصْعَدُونَ وَلَا تَلَوْنِ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَاكُم، أَلَسْتُمْ أَصْحَابِي يَوْمَ كَذَا؟ أَلَسْتُمْ أَصْحَابِي يَوْمَ كَذَا فَاعْتَذَرُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَنَدَمُوا عَلَى مَا كَانَ مِنْهُمْ وَقَالُوا: اللَّهُ أَعْلَمُ وَرَسُولُهُ فَاصْنَعْ مَا بَدَا لَكَ)^(٢).

قال علي بن إبراهيم (تفسير القمي) في قوله: (هو الذي أنزل السكينة - إلى قوله - والله جنود السموات والارض) فهم الذين لم يخالفوا رسول الله ﷺ ولم

١- الأحزاب: ٣٦.

٢- تفسير القمي ج ٢ ص ٣١٨-٣١٩ دار السرور بيروت لبنان.



ينكروا عليه الصلح ثم قال (ليدخل المؤمنين والمؤمنات - إلى قوله - الطائين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء) وهم الذين أنكروا الصلح واتهموا رسول الله ﷺ ثم عطف بالمخاطبة على أصحابه فقال (لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه) ثم عطف على نفسه عز وجل فقال: (وتسبحوه بكرة وأصيلاً) معطوفاً على قوله لتؤمنوا بالله، ونزلت في بيعة الرضوان (لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة) واشترط عليهم ان لا ينكروا بعد ذلك عن رسول الله ﷺ شيئاً يفعلوه ولا يخالفوه في شئ يأمرهم به، فقال الله عز وجل بعد نزول آية الرضوان (ان الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً) وإنما رضي عنهم بهذا الشرط أن يفوا بعد ذلك بعهد الله وميثاقه ولا ينقضوا عهده وعقده فبهذا العهد رضي الله عنهم^(١).

لم يكن التمرّد الذي قاده عمر بن الخطاب على مقام النبوة أمراً هيئاً أو بسيطاً بعد أن أدى إلى إثارة الغضب والتمرّد رفضاً للصلح، الذي كان منذ البدء خطّة إلهية وفتحاً مبيناً، ما كان لهؤلاء ولا لغيرهم

أدنى حق في الاعتراض عليه ولا لإثارة مثل هذه الزوبعة التي هدّدت تماسك الأمة الإسلامية ووحدتها.

الشاهد أنّ موقف ابن الخطاب الذي عبّر عنه بعد ذلك (لقد صالح رسول الله، ﷺ، أهل مكة على صلح وأعطاهم شيئاً لو أن نبي الله أمر علي أميراً فصنع الذي صنع نبي الله ما سمعت له ولا أطعت (١؟)، وكان الذي جعل لهم أن من لحق من الكفار بالمسلمين يردّوه ومن لحق بالكفار لم يردّوه)، كان إنذاراً بما سيصدر منه بعد ذلك في مواجهة البيعة الأكبر بيعة الغدير وهو بذلك كان يدرّب أنصاره على مبدأ العصيان والتمرّد وإعمال الهوى والرأي في مقابل الأمر الربّاني الذي أصدره رسول رب العالمين الذي لا ينطق عن الهوى، ومن ثمّ جاءت البيعة وكأنيّها تمهيد أو تدريب للمسلمين على الإذعان والسمع والطاعة!!

وهيهات هيهات!!

بيعة الغدير والاستخلاف في الأرض

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ



وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ
* وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ
عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ
لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ
* قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ
بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا
كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿١﴾

يعرف كل من له مسكة من علم أن
الله تبارك وتعالى خلق آدم وأسكنه الأرض
لينهض بمهمة خلافته ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ
لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (٢)،
وأن (تساؤل) الملائكة عن حكمة هذا
الاستخلاف لم يكن اعتراضاً على أمر
الله سبحانه وهم الذين ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ
مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (٣)،
بل لأنهم لا يعلمون غيب السموات
والأرض، ولا يعلمون إلا ما علمهم الله
عز وجل، ومن ثم فلم يكن لهم علم
بأن استخلاف الإنسان في الأرض سيكون
هو المحور الذي سيدور حوله الاختبار
البشري برمته ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ *

فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ
إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٤﴾

منذ البدء وحتى هذه اللحظة وصولاً
إلى نهاية الصراع حينما تضع الحرب
أوزارها إذ تبلى السرائر وتكشف الحقائق
وتظهر نتيجة الاختبار البشري الطويل
﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا
الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ
إِيمَانِكُمْ فذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ
* وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ
اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٥)، ظل الاختبار
الحقيقي للناس دائراً حول خلافة الله في
الأرض وظيفته وشخصاً أكثر من كونه
دائراً حول وجود الله تبارك وتعالى، إثباتاً
للمؤمنين، ونفيّاً من الملحدين، وأكثر من
كونه دائراً حول أصل النبوة إثباتاً أو نفيّاً
كما هو الحال بالنسبة لقضية الألوهية.

اختلف الناس حول الخلق والخالق
إثباتاً ونفيّاً، إلا أن الغالبية العظمى حتى
أولئك الذين لا ينتمون للديانات السماوية
الكبرى، يقرّون بوجود الخالق، وإن

١- البقرة ٣٠-٣٣.

٢- البقرة ٣٠.

٣- التحريم ٦.

٤- الأعراف ٢٩-٣٠.

٥- آل عمران ١٠٦-١٠٧.





اختلفت تصوراتهم حول الله عز وجل. بعضاً.

﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا * يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (١).

في البدء عندما خلق الله الخلق وقال للشيء كن، فكان، اقتضت إرادته أن يكون للخلق خليفة واحد، اختاره سبحانه واصطفاه على العالمين، خليفة يعقبه خليفة آخر من نفس الوعاء الذي اصطفى منه آدم أبو البشر وأبو الأنبياء، لكنَّ البشر غيَّروا وبدَّلوا بوسوسة من الشيطان الرجيم، فتنازعوا وتفرَّقوا فيما بينهم، وساروا على السبل نفسها التي اختطَّها لهم إبليس: (أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ)، فكان الصراعُ الدمويُّ، وكان الفساد وسفك الدماء، وهو ما كان عصياً على ملائكة الله المجبولين على الطاعة وعمل الخير أن يدركوا حكمته منذ اللحظة الأولى.

لا يتحقق الإيمان بالخالق عز وجل إلا بإفراده وتوحيده بصفات الكمال وتنزيهه عن المثل والشبيه، ولا يكفي أن يزعم المرء إيمانه بأن للكون خالقاً مبدئاً معيداً من دون معرفة الله (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، فضلاً عن ذلك فإنَّ الإيمان بمطلق

الآن هناك مليار ونصف مسلم يعيشون في هذا العالم، يؤمنون بأن لا إله إلا الله ويؤمنون بنبوَّة محمد بن عبد الله، إلَّا أنَّهم لا يفسِّرون الدين بطريقة واحدة، بل يصل الخلاف بينهم حدَّ السب والشتم، والتكفير، وسبي نساء بعضهم بعضاً، فضلاً عن قطع الرؤوس.

الآن هناك مراكز قيادة متعدِّدة ومتنازعة في عالمنا الإسلامي، إذ يوجد أكثر من مدعٍ للخلافة منهم الملا عمر، والبغدادي، وخليفة بوكو حرام، وأمير المؤمنين في المغرب، وملك السعودية، وأردوجان السلاجقة، وكلَّهم يدَّعي وصلاً بليلى وليلى لا تقرُّهم بهذا ولا بذاك!!.

يستند هؤلاء الشراذم لذات (الفقه المخترم) بالخفاء الذي افتراه القوم على الله وعلى رسول الله والذي يقول بخليفة واحد مفروض بالسيف (وإذا بويح لخليفتين فاقتلوا الثاني)، إلَّا أنَّهم لا يتمكِّنون من هذا؛ لأنَّهم كلهم على بيعتهم للشيطان الأمريكي الأكبر، الذي يتلاعب بهم ويمسك سوطه ليضرب هذا ويؤدِّب ذاك ويسوقهم لقتل بعضهم



النبوة لا ينفع صاحبه شيئاً ما لم يقر بنبوة محمد ﷺ؛ ولذا كانت بوابة الدخول للإسلام هي الإقرار بالشهادتين: (لا إله إلا الله محمد رسول الله).

ينطبق الأمر ذاته على قضية خلافة الله في أرضه، ولا يغني المقر بالاستخلاف مجرد الإقرار بالمبدأ، في حين تجده يتمرد على خليفة الله في أرضه ووصيه على عباد.

الأمر الإلهي بالسجود لآدم يعني الإقرار المادي، وليس الإقرار المعنوي الذهني بمبدأ الاستخلاف كما يزعم المتشدقون بالحديث عن دور الإنسان -عموم الإنسان- سواء من كان من أهل الجنة أم من أهل النار في خلافة الله في أرضه، وقصارى ما يمكن لهؤلاء إثباته هو الركن المادي لعامة الأرض وهي مهمّة يتشارك فيها المؤمن والكافر، لكنهما لا يستويان.

لو كان المقصود بالاستخلاف عمارة الأرض كما يزعم المتفهبون لكان أحق الناس بخلافة الله في أرضه هم الأوروبيون والأمريكان الذين هجروا تعاليم الأديان السماوية، ولن نتحدث -هنا- عن إباحة الخمر والزنا، فيكفي ما فعلته وتفعله أمريكا وأوروبا من استعباد للبشر وما

مارسته من إبادة جماعية لشعوب بأسرها. سيرد بعضهم على كلامنا بأن المسلمين ارتكبوا أفعالاً مشابهة لتلك التي يفعلها جبابرة العصر، وهذا الرد تأكيد على ما نعتقده من أن قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ لا يقصد به عموم المسلمين، ومن باب أولى لا يقصد به المستكبرين المهيمنين على العالم الآن، على الرغم من إنجازاتهم العلمية الجبارة التي غيرت وجه الحياة الإنسانية، وجعلت ما كان مستحيلاً -قبل بضعة عقود- سهلاً يسيراً.

الخليفة المنصوب من الله تبارك وتعالى هو شخص أو فئة بعينها، وهو ليس استخلاقاً لعموم الإنسانية، إلا إذا نهجت البشرية ذات النهج الذي رسمه الله تبارك وتعالى لخليفته في الأرض، فصاروا بذلك جزءاً أساسياً مكماً للاستخلاف الإلهي وقادته المعيّنين من الله تبارك وتعالى.

الخليفة المنصوب من الله تبارك وتعالى هو نبي أو وصي نبي، وليس بالضرورة أن يكون حاكماً زمانياً؛ لأن إقامة الحكومة العادلة ثمرة من ثمار الاستخلاف الإلهي، وليست المظهر الأوحده لخلافة الله في الأرض.



يكن في ذلك إكرام لآدم ولا كرامة إذ علمه الله سبحانه أسماء ولم يعلمهم، ولو علمهم إياها كانوا مثل آدم أو أشرف منه، ولم يكن في ذلك ما يقنعهم أو ييطل حجتهم، وأي حجة تتم في أن يعلم الله تعالى رجلا علم اللغة ثم يباهي به ويتم الحجة على ملائكة مكرمين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون بأن هذا خليفتي وقابل لكرامتي دونكم؟.

فقد ظهر مما سبق أن العلم بأسماء هؤلاء المسميات لا يكون إلا بالكشف عن حقائقهم وأعيان وجوداتهم، وليس مجرد المفهوم اللغوي، فهؤلاء المسميات حقائق خارجية معلومة، ووجودات عينية وهي مع ذلك مستورة تحت ستر غيب السماوات والأرض.

الذين عرضهم الله تعالى على الملائكة موجودات عالية محفوظة عند الله تعالى، محجوبة بحجب الغيب، أنزل الله سبحانه كل اسم في العالم بخيرها وبركتها، واشتق كل ما في السماوات والأرض من نورها وبهائها، وهم على كثرتهم وتعددتهم لا يتعددون تعدد الأفراد، ولا يتفاوتون تفاوت الأشخاص، بل يتفاوتون في المراتب والدرجات. انتهى النقل.

الواضح أن العلامة الطباطبائي - على

قال العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان: الخلافة وهي قيام شيء مقام آخر لا تتم إلا بكون الخليفة حاكياً للمستخلف في جميع شؤونه الوجودية وآثاره وأحكامه وتدابيره بما هو مستخلف، والله سبحانه في وجوده مسمى بالأسماء الحسنى متصف بالصفات العليا، من أوصاف الجمال والجلال، منزّه في نفسه عن النقص ومقدس في فعله عن الشر والفساد جلت عظمته، والخليفة الأرضي بما هو كذلك لا يليق بالاستخلاف ولا يحكي بوجوده المشوب بكل نقص وشين الوجود الإلهي المقدس المنزه عن جميع النقائص وكل الأعدام، فأين التراب ورب الأرباب، وهذا الكلام من الملائكة في مقام تعرف ما جهلوه واستيضاح ما أشكل عليهم من أمر هذا الخليفة، وليس من قبيل الاعتراض أو الخصومة في شيء، والدليل على ذلك قولهم فيما حكاه الله تعالى عنهم: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾. وقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾، مشعراً بأن هذه الأسماء موجودات أحياء عقلاء، محجوبين تحت حجاب الغيب، وأن العلم بأسمائهم كان غير العلم الذي عندنا بأسماء الأشياء، وإلا كانت الملائكة بإنشاء آدم إياهم بها عالمين وصائرين مثل آدم مساوين معه، ولم



جلالة قدره وعظيم علمه - حاول أن يتجنب قدر المستطاع تسمية الأشياء بأسمائها.

يدورُ جوهر الحديث منذ البدء حول قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ ثم (اعتراض الملائكة) وجوابه سبحانه عليهم: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، وقهره لهم بالحجة البالغة التي توجب الإقرار والتسليم على كل من كان له قلب سليم بحقيقة هؤلاء الخلفاء الذين عرضت أسماؤهم على الملائكة فأقروا بالعجز عن معرفتهم معرفة كاملة بأسمائهم وحقائقهم، وإلا لو كان الاختبار قاصراً على معرفة الأسماء والأشكال، كما قال العلامة الطباطبائي لما كان اختباراً.

إنَّ الزعمَ بأنَّ الأسماء المذكورة في الآيات هي أسماء الأشياء لا يتوافق مع السياق اللغوي الذي يتحدث عن كائنات عاقلة لا عن أشياء أو جمادات: ﴿عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنِّيُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ﴾؛ ولأنَّ سياق الكلام يتحدث عن الخليفة والخلافة ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، يُصبح منطقياً أن نستنتج أن الأسماء التي سئل الملائكة عنها هي أسماء هؤلاء الخلفاء والأئمة، وأنَّ المعرفة التي افتقدها الملائكة هي المعرفة

الكاملة بالخلفاء الأئمة، وأنَّ كفر إبليس وتمردّه على طاعة الله عزَّ وجلَّ كانت رفضاً للخضوع للأئمة خلفاء الله في أرضه وعرفائه على عباده.

الملائكة تلك المخلوقات التي جُبلت على طاعة الله وعبادته، ما إن عرفت حتى أسلمت لله واعترفت بقدر خلفاء الله واستجابت للأمر الإلهي بالسجود لآدم وخلفائه، في حين تمردَّ إبليس عليه لعنة الله حسداً لتلك النعمة والميزة التي أسبغها الله تبارك وتعالى على خلفائه صفوة الإنسانيَّة وخيرتها وقادتها الذين اختارهم رب العزة لخلافته؛ لأنَّ (قيام شيء مقام آخر لا يتم إلاَّ بكون الخليفة حاكياً للمستخلف في جميع شئونه الوجوديَّة وآثاره وأحكامه وتدابيره بما هو مستخلف، والله سبحانه في وجوده مسمَّى بالأسماء الحسنى، متَّصف بالصفات العليا، من أوصاف الجمال والجلال، منزّه في نفسه عن النقص، ومقدَّس في فعله عن الشرِّ والفساد، (جلَّتْ عظمتُه) كما يوضح العلامة الطباطبائي.

الوجه الآخر (لاعتراض) الملائكة على قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ هو الوهم الذي اعتراهم بعموميَّة الاستخلاف، وأنَّ كلَّ من يوجد على وجه الأرض يمكن أن ينطبق عليه هذا الجعل،



فيصبح خليفة فيأتي الردّ الإلهي بكشفه سبحانه لهم عن كنزه المخبوء ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ قبل أن يكلف آدم ﷺ بأول مهمة من مهام الاستخلاف، وهي بيان حقيقة هؤلاء الخلفاء، فكان أن عرض (سبحانه) صورتهم على الملائكة بعد أن أعلم آدم أباهم بأسمائهم وحقيقتهم ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾، فوقف الملائكة حائرين (أُنَبِّئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ) الخلفاء فأقروا بنقص علمهم ومعارفهم، وكان أن فوض الله الإخبار لآدم ﷺ: (قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ...).

يُمكن للقارئ أن يستكشف ما ورد في شبكة المعلومات الدوليّة حول الاستخلاف ليرى أنّ من يسمّون أنفسهم بالإسلاميين يتعاطون مع العلم الإلهي كأطفال المدارس الذين اكتشفوا جزءاً صغيراً من الحقيقة، وهم يصرون على الثثرة حول العلم والمعرفة والعقل، وكلها حقائق كان إبليس يعرفها ويدركها أكثر من إدراكهم لها، إلّا أنّه أصرّ على الجحود والتمرد؛ لأنّه رأى أنّه خير من آدم ومن خلفاء الله في أرضه وعرفائه على عبادته، وهم على إثره سائرون وعلى دربه ماضون.

هذا هو الاستخلاف الذي أراده الله تبارك وتعالى فكان أن تغيّر مسار الكون منذ هذه اللحظة، إذ انقسم الكون إلى فريقين متواجهين: فريق يدعن ويقرّ بأمر الله تبارك وتعالى سيراً وراء خليفة الله في أرضه نبياً كان أو وصياً، وفريق يسير خلف الشيطان الرجيم ويتبع خطواته انطلاقاً من الخطوة الأولى: ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ * قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ * قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ * قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَا يَتَّبِعُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ * قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْذُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١﴾.

السجود لآدم ﷺ ليس بالقطع سجود عبادة لغير الله، إذ نرى أنّ الوهابيين الحمقى يعدون أنّ التوسّل بنبي من أنبياء الله أو بأحد الأئمة الأطهار المعصومين خلفاء الله في أرضه شركٌ يُخرج العبد



من الملة، بل نراهم يتهكّمون على من ينحني إجلالاً لأحد العلماء الربانيين، في حين نرى في القرآن الكريم أن عباد الله الصالحين يسجدون تعظيماً لخلفاء الله في أرضه. ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ يوسف (٤). ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبْوِيهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ أَمِينٌ﴾ * وَرَفَعَ أَبْوِيهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (١).

قال ابن منظور في لسان العرب: سَجَدَ يَسْجُدُ سَجُودًا وضع جبهته بالأرض، وقوم سُجَّدًا وسجود. وقوله عز وجل: وخروا له سجداً؛ هذا سجود إعظام لا سجود عبادة؛ لأن بني يعقوب لم يكونوا يسجدون لغير الله عز وجل. قال الزجاج: إنه كان من سنة التعظيم في ذلك الوقت أن يسجد للمعظم، وقيل: خروا له سجداً أي خروا لله سجداً؛ قال الأزهرى: هذا قول الحسن والأشبه بظاهر

الكتاب أنهم سجدوا ليوسف، دل عليه رؤياه الأولى التي رآها حين قال: إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين؛ فظاهر التلاوة أنهم سجدوا ليوسف تعظيماً له من غير أن يشركوا بالله شيئاً، وكأنهم لم يكونوا نهوا عن السجود لغير الله عز وجل.

أمّا الراغب الأصفهاني فيقول: السجود أصله: التطامن (التطامن: الانحناء) والتذلل، وجعل ذلك عبارة عن التذلل لله وعبادته، وهو عام في الإنسان، والحيوانات، والجمادات، وذلك ضربان: سجود باختيار، وليس ذلك إلا للإنسان، وبه يستحق الثواب، نحو قوله: ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾ [النجم/ ٦٢]، أي: تذللوا له، وسجود تسخير، وهو

للإنسان، والحيوانات، والنبات، وعلى ذلك قوله: ﴿وَاللَّهُ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [الرعد/ ١٥]، وقوله: ﴿يَتَقَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ﴾ [النحل/ ٤٨]، فهذا سجود تسخير، وهو الدلالة الصامتة الناطقة المنبهة على كونها مخلوقة، وأنها خلق فاعل حكيم، وقوله: ﴿وَاللَّهُ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾



والتائج المترتبة عليها، عندما يتحقق وعدُّ الله ليصبح أئمة أهل البيت هم قادة الأرض وسادة هذه الدنيا.

يوم الغدير في الأرض امتداد ليوم الاستخلاف في السماء

لا تقومُ الحجّةُ على العباد إلا بالبيان الواضح الصريح، لا بالتورية ولا بالتلميح.

أن ينكر فريق من المنتسبين للإسلام الوصية الإلهية النبوية الواضحة وضوح الشمس باستخلاف الإمام علي بن أبي طالب على الرغم من النص عليها في كتبهم، وهي أيضاً متواترة في مرحلة ما قبل تدوين الكتب، فهذا أمر لا يخالف الطبائع البشرية في اعوجاجها وانحرافها عن الحق وتلمسها المخارج التي تعين على التملّص من الالتزام بالحق ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ﴾ الطور ٤٠، ﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ﴾ الطور ٤٤.

إنَّ الذين تَرَدَّدوا وعصوا أمر رسول الله ﷺ وهو من عهد الله تبارك وتعالى بتدبير هذه الأمة وولاية أمرها، باستخلاف علي بن أبي طالب وتنصيبه ولياً لأمر الأمة يوم الغدير، لا يختلف شأنهم عن حال

[النحل / ٤٩]، ينطوي على النوعين من السجود، التسخير والاختيار، وقوله: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ [الرحمن / ٦]، فذلك على سبيل التسخير.

وهنا بيت القصيد.

فسجودُ الملائكةِ لآدم هو سجودٌ تسخير، وليس سجود عبادة بكل تأكيد، وكذا كان سجود آل يعقوب ليوסף عليه السلام سجود إقرار وإذعان لنبي ارتقى في الرتبة والمنزلة على أشقائه، بل وعلى أبويه فصار إماماً وخليفة لله في أرضه.

في اعتقادنا أن الخلافة المذكورة في القرآن هي الإمامة، وهو معنى قوله تعالى: ﴿أَمِنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ لَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذْكُرُونَ﴾ النمل ٦٢.

قال القمي في تفسيره فيما رواه عن أبي عبد الله عليه السلام: نزلت في القائم من آل محمد عليهم السلام، هو والله المضطر إذا صلى في المقام ركعتين ودعا الله فأجابه ويكشف السوء ويجعله خليفة في الأرض، وهذا مما ذكرنا أن تأويله بعد تنزيله.

الدليل -عندنا- أن الخلافة هي الإمامة هو تلك الآية الكريمة التي تحدّث عن لحظة ظهور القائم من آل محمد



إيليس الذي قال: أنا خير منه وقال خلقتني من نار وخلقته من طين.

لم تكن الوصية الإلهية باستخلاف علي بن أبي طالب ومن بعده أئمة الحق من آل محمد قاصرة على يوم الغدير، فقد كانت الشغل الشاغل لرسول الله منذ بيعة الرضوان تحت الشجرة ثم في حجة الوداع التي اجتمع فيها أغلب المسلمين من كل حذب وصوب وليس من المدينة المنورة وحدها وما حولها.

خطب رسول الله ﷺ الناس في (منى)، فوعظ وذكّر وقال ضمن ما قال: أيها الناس احفظوا قولي تنتفعوا به بعدي وافهموه تنعشوا ألا لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض بالسيف على الدنيا، فإن فعلتم ذلك ولتعلن لتجدوني في كتيبة بين جبرئيل وميكائيل أضرب وجوهكم بالسيف، ثم التفت عن يمينه فسكت ساعة ثم قال إن شاء الله أو علي بن ابي طالب، ثم قال ألا وإني قد تركت فيكم أمرين إن أخذتم بهما لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإنه قد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، ألا فمن اعتصم بهما فقد نجا ومن خالفهما فقد هلك، ألا هل بلغت؟ قالوا نعم، قال اللهم اشهد،

ثم قال ألا وأنه سيرد عليّ الحوض منكم رجال فيدفعون عني فأقول رب أصحابي فيقول يا محمد إنهم أحدثوا بعدك وغيروا ستتك فأقول سحقاً سحقاً.

فلما كان آخر يوم من أيام التشريق أنزل الله: إذا جاء نصر الله والفتح، فقال رسول الله ﷺ نعت إلى نفسي ثم نادى الصلاة جامعة في مسجد الخيف، فاجتمع الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال نصر الله امراء، سمع مقالتي فوعاها وبلغها من لم يسمعها فرب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه.... أيها الناس إنّي تارك فيكم الثقلين، قالوا يارسول الله وما الثقلان؟ قال كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإنه قد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض كاصبعي هاتين، وجمع بين سبابتيه ولا أقول كهاتين وجمع سبابتيه والوسطى، فتفضل هذه على هذه.

فاجتمع قوم من أصحابه وقالوا يريد محمد أن يجعل الإمامة في أهل بيته، فخرج أربعة عشر نفر منهم إلى مكة، ودخلوا الكعبة فتعاهدوا وتعاهدوا وكتبوا فيما بينهم كتاباً إن مات محمد أو قتل أن لا يردّوا هذا الأمر في أهل بيته أبداً، فأنزل الله على نبيه في ذلك (أَمْ أَبْرَمُوا أَمْراً فَإِنَّا





مُبْرُمُونَ * أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ).

فخرج رسول الله ﷺ من مكة يريد المدينة حتى نزل منزلاً يقال له غدير خم، وقد علم الناس مناسكهم وأوعز إليهم وصيته، إذ نزلت عليه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصُمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنْ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

فقام رسول الله ﷺ فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه ثم قال أيُّها الناس هل تعلمون من وليكم؟ فقالوا نعم الله ورسوله، ثم قال أستم تعلمون أيُّ أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا بلى، قال اللهم اشهد فأعاد ذلك عليهم ثلاثاً كل ذلك يقول مثل قوله الأول ويقول الناس كذلك ويقول اللهم اشهد، ثم أخذ بيد أمير المؤمنين عليه السلام فرفعها حتى بدا للناس بياض ابطيها ثم قال (ألا من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله واحب من احبه ثم رفع رأسه إلى السماء فقال اللهم اشهد عليهم وأنا من الشاهدين).

فاستفهمه عمر فقال: يارسول الله هذا

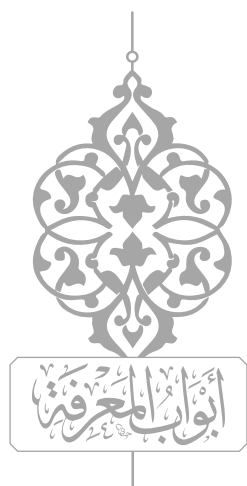
من الله ومن رسوله؟ فقال رسول الله ﷺ: نعم من الله ورسوله أنه أمير المؤمنين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين. فقال أصحابه الذين ارتدوا بعده، قد قال محمد في مسجد الخيف ما قال وقال ههنا ما قال وإن رجع إلى المدينة يأخذنا بالبيعة له، فاجتمعوا أربعة عشر نفرًا وتأمروا على قتل رسول الله ﷺ وقعدوا في العقبة، بين الجحفة والأبواء، فقعد سبعة عن يمين العقبة وسبعة عن يسارها لينفروا ناقة رسول الله ﷺ فلما جنَّ الليل تقدّم رسول الله ﷺ في تلك الليلة العسكر، فاقبل ينعس على ناقته، فلما دنا من العقبة ناداه جبرئيل يا محمد أن فلاناً وفلاناً قد قعدوا لك، فنظر رسول الله ﷺ فقال: من هذا خلفي؟، فقال حذيفة اليماني: أنا يارسول الله حذيفة بن اليمان، قال: سمعت ما سمعت، قال: بلى، قال: فاكتم، ثم دنا رسول الله ﷺ منهم فناداهم بأسمائهم، فلما سمعوا نداء رسول الله ﷺ فروا ودخلوا في غمار الناس وقد كانوا عقلوا وراحلهم فتركوها ولحق الناس برسول الله ﷺ وطلبوهم وانتهى رسول الله ﷺ إلى راحلهم فعرّفهم، فلما نزل قال: ما بال أقوام تحالفوا في الكعبة إن مات محمد أو قُتل ألا يردّوا هذا الأمر في أهل بيته أبداً، فجاءوا إلى رسول الله ﷺ



فحلفوا أنهم لم يقولوا من ذلك شيئاً ولم يريدوه ولم يكتموا شيئاً من رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا﴾، أن لا يردّوا هذا الأمر في أهل بيت رسول الله ﷺ ﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ وَابِئَا لَمْ يَتَّأَلَوْا﴾ من قتل رسول الله ﷺ ﴿وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ التوبة ٧٤.

ومثلما سأل إبليس -قائد التمرد على الاستخلاف الإلهي- النظرة إلى وقت معلوم فقد أمهل الله عز وجل هؤلاء

الجاحدين العصاة لأجل معلوم ﴿فَذَرُّهُمْ يُخَوْضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ الزخرف. (٨٣). (وإن أدري لعلّه فتنة لكم ومَتَاعٌ إِلَى حِينٍ * قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ) الأنبياء ١١١-١١٢.





الشعرُ شاهدُ صدقٍ على بيعة الغدير

من يوم الغدير إلى نهاية العصر العباسي الأول

أ.د. عبداللطيف حمودي الطائي



كلية الكوت الأهلية



قَالَ إِمَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ

خَيْرُ أَعْوَانٍ

الَّذِينَ الْوَرَعُ



مقدمة

عندما تمَّ نزول القرآن الكريم، وتمتَّ مراجعته مرتين في تلك السنة مع جبريل، إذ كان القرآن يُرَاجَع مرةً واحدةً قبل ذلك في الأعوام السابقة، هنا استشعر الرسول الكريم محمد ﷺ أنَّ حياته على وشك أن تنتهي، وقد اكتمل نزول القرآن الكريم، وكذلك اكتملت أركان الإسلام، ولم يبقَ شيءٌ غير واضح في الدين الإسلامي، إلى هنا والرسول عليه الصلاة والسلام لم يحجَّ بعد، والحجُّ يمثل ركناً رئيساً من أركان الإسلام الحنيف؛ لذا كان عليه أن يحجَّ أمام المسلمين، قبل رحيله عن الحياة الدنيا ليكون حجَّه سنةً يستنُّ بها المسلمون في حجَّهم من بعده، فعزم الرسول على الحجِّ في تلك السنة، فأخبر المسلمين بذلك، وأتته قد يفارقهم إلى جوار ربِّه، ولا يلقاهم في العام القابل، فذهب إلى الحجِّ وقد صحبته أعدادٌ غفيرة من المسلمين من أهل المدينة، فضلاً عمَّن التحقَّ به في طريق الذهاب إلى مكة، فحجَّ رسول الله محمد ﷺ الحجَّ الأكبر الذي هو عبارة عن عمرة التمتع فذبح الحجَّ، وحجَّ المسلمون مثل حجَّه، وبعد انتهاء مراسم الحجِّ، وفي طريق العودة إلى

المدينة، وفي منطقة الجحفة في غدير خم أتاه الوحي يأمره أن يعلن للمسلمين كافةً بأنَّ عليَّ بن أبي طالب ﷺ هو خليفته من بعده، فإن لم يعلن فما بلغ رسالته التي امتدت طوال (٢٣) ثلاثٍ وعشرين سنة، فأوقف الرسول الحجاج، وأمر بعودة من سبقه منهم أن يعودوا، ليسمعوا ما سيخطبهم به، حدث ذلك في يوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة للسنة العاشرة من الهجرة، فلما اكتمل حضور الحجاج خطبهم خطبة الغدير وهي خطبة طويلة، ومع ذلك سأختار منها من يتلاءم مع بحثنا، وإن كان المقطع المختار طويلاً نسبياً، ولكنَّ البحث يتطلب ذلك، وهو كما يأتي:

قال رسول الله ﷺ: ^(١) (قد أعلمني - الله - إني إن لم أبلغ ما أنزل إليَّ في حقِّ عليٍّ، فما بلغت رسالته، وقد ضمن لي تبارك الله وتعالى العصمة من الناس، وهو الله الكافي الكريم، فأوحى إليَّ بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الرسول بلغ ما أنزل تعالى إليَّ، وأنا أبين لكم سبب نزول هذه الآية، إنَّ جبريل هبط إليَّ مراراً ثلاثاً يأمرني عن السلام ربِّي، وهو السلام أن أقوم في هذا المشهد، فأعلم كلَّ أبيضٍ وأسودٍ أن علي بن أبي طالب أخي ووصيي وخليفتي



على أمتي والإمام من بعدي الذي محله مني محل هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، وهو وليكم بعد الله ورسوله، وقد أنزل الله تبارك وتعالى عليّ بذلك آيةً من كتابه هي^(١): ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا، الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ، وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾، وعليّ بن أبي طالب الذي أقام الصلاة، وآتى الزكاة، وهو راعٍ يريدُ الله عزَّ وجلَّ في كلِّ حالٍ، وسألتُ جبريلَ أن يستعفي السلام عن تبليغ ذلك إليكم أيها الناس، لعلمي بقلّة المتقين، وكثرة المنافقين، وإدغال اللائمين وحيل المستهزئين بالإسلام الذين وصفهم الله في كتابه، بأنهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، ومحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم، وكثرة أذاهم لي غير مرة حتى سمّوني أذنأ، وزعموا أنّي كذلك لكثرة ملازمته إياي، وإقبالي عليه، وهواه وقبوله مني، حتى أنزل الله عزَّ وجلَّ في ذلك^(٢): ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ بِالْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، ولو شئتُ لأسمي القائلين بذلك بأسمائهم،

لسميتُ وأنا أُمِّيُّ إليهم بأعيانهم لأومأتُ، وأن أدلّ عليهم لدلتُ، ولكني والله في أمورهم قد تكرمتُ، وكلّ ذلك لا يرضي الله مني، إلا أن أبلغ ما أنزل الله لي في حقّ عليٍّ ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ - فِي حَقِّ عَلِيٍّ -، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(٣)، واعلموا معاشر الناس ذلك فيه، وافهموه واعلموا أن الله نصبه لكم ولياً وإماماً فرض طاعته على المهاجرين والأنصار وعلى التابعين لهم بإحسان.... ثم قال: من كنتُ مولاهُ فهذا عليٌّ مولاه، وهو علي بن أبي طالب أخي ووصيي وموالتة من الله عزَّ وجلَّ أنزلها عليّ...، ألا وقد أديتُ، ألا وقد بلغتُ، ألا وقد أسمعْتُ، ألا وقد أوضحتُ، ألا وأنَّ الله عزَّ وجلَّ قال وأنا قلت عن الله عزَّ وجلَّ، ألا أنه لا أمير للمؤمنين غير أخي هذا، ألا لا تحل إمرة المؤمنين بعدي لأحدٍ غيره، ثم قال^(٤): ﴿فَمَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا عَلِيٌّ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَاوَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ، وَانصِرْ مَنْ نصره، وأخذلْ مَنْ خذله وأدر الحقَّ معه حيث دار﴾، ولما فرغ من خطبته تقدّم الشيخان أبو بكر

١- سورة المائدة، الآية: ٥٥

٢- سورة التوبة، الآية: ٦٠

٣- سورة المائدة، الآية: ٦٧

٤- مسند أحمد بن حنبل: ١/ ١١٩



وعمر إلى رسول الله ﷺ، فقالا^(١): (هذا أمرٌ منك أم من الله؟ فقال النبي ﷺ: وهل يكون هذا من عند غير الله سبحانه وتعالى؟ نعم أمرٌ من الله ورسوله، فقاما وبايعا، فقال عمر لعلي: السلام عليك يا أمير المؤمنين بخ بخ لك قد أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة)، وهنا نزل قوله تعالى^(٢): ﴿اليوم أكملتُ لكم دينكم، واتممتُ عليكم نعمتي، ورضيتُ لكم الإسلام ديناً﴾.

بعد أن أكمل رسول الله خطبة الغدير التي تحولت إلى بيعة الغدير اندفع المسلمون والمسلمات لمبايعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام له اختياره من الله ليكون خليفة لرسول الله ﷺ، وكان أول من بايعه أبوبكر، ثم تلاه عمر بن الخطاب، ثم بقية المسلمين والمسلمات،

وكانت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام ممن حجَّ مع رسول الله ﷺ، وسمعت خطبة الغدير، ولما حاجت الأنصار على خذلانهم لأمير المؤمنين بعد اغتصاب فدك منها، ومبايعتهم لأبي بكر بالخلافة، قالوا لها^(٣): (يا بنت محمد، لو سمعنا هذا الكلام منك قبل بيعتنا لأبي بكر، ما عدلنا بعلي أحداً، فقالت لهم: وهل ترك أبي يوم غدير خم لأحد عُذراً)، وكان للشعر حضورٌ كبيرٌ لتوثيق هذا الحدث التاريخي العظيم الذي أصبح عيداً ثالثاً للمسلمين بعد عيدي الفطر والأضحى، فهذا الشاعر حسان بن ثابت الأنصاري يستأذن رسول الله ﷺ، بأن ينظم الحدث شعراً لتوثيقه، فقال حسان بن ثابت: يا رسول الله أقولُ في عليٍّ شعراً؟ فقال رسول الله ﷺ افعَل، فقال^(٤):

يناديهم يومَ الغديرِ نبيُّهم
وقد جاءه جبريلُ عن أمرِ ربِّه
وبلَّغَهُمْ ما أنزلَ اللهُ ربيهم
فقامَ بهِ اذْ ذاكَ رافعَ كَفِّهِ
فقالَ: فمَنْ مولاكم ونبيُّكم؟
إلهُكم مولا نا.. وأنتَ نبيُّنا

بخمَّ واسمِعْ بالنبيِّ مُناديَنا
بأنَّكَ معصومٌ فلا تُكْ وانينا
إليكِ ولا تخشى هناكِ الأعاديَنا
بكفِّ عليٍّ معلنِ الصَّوتِ عاليَنا
فقالوا: ولم يبدوا هناكِ التعامينا
ولم تُلَقَّ مِنَّا في الولايةِ عاصينا

١- البداية والنهاية: ٧ / ٣٨٦

٢- سورة المائدة، الآية: ٣

٣- الخصال: ١ / ١٧٣

٤- ديوانه: اسقط القصيدة من الديوان شارح الديوان عبدالرحمن البرقوقي.



فَقَالَ لَهُ: قُمْ يَا عَلِيٌّ فَإِنِّي
فَمَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا وَلِيُّهُ
هَنَّاكَ دَعَا: اللَّهُمَّ وَالِ وَلِيِّهُ
فِيَا رَبِّ فَانصُرْ نَاصِرِيهِ لَنَصْرِهِ أَشَار

رَضِيْتُكَ مِنْ بَعْدِي إِمَاماً وَهَادِيَا
فَكُونُوا لَهُ أَتْبَاعَ صِدْقٍ مُوَالِيَا
وَكُنْ لِلَّذِي عَادَى عَلِيًّا مُعَادِيَا
إِمَامَ هَدًى كَالْبَدْرِ يَجْلُو الدِّيَا جِيَا

ورقاه فبرئت عيناه من الرمد، فبرز إلى
مرحبٍ قائد اليهود وزعيمهم فقتله،
وقلع باب خيبر، وفتح حصنها، وانتصر
المسلمون على اليهود في معركة خيبر.

حسان بن ثابت في هذه القصيدة إلى معركة
خيبر، وحصنها المنيع الذي استعصى على
المسلمين أن يفتحوه، وكان وقتها الإمام علي
عليه السلام مصاباً بالرمد فاستدعاه رسول الله ﷺ

دَوَاءً فَلَمَّا لَمْ يَحْسُ مُدَاوِيَا
فُبُورِكَ مَرَقِيًّا وَبُورِكَ رَاقِيَا
ضَارِباً كَمِيًّا مُحَبًّا لِلرَّسُولِ مُوَالِيَا
اللَّهُ الْخَصْمُونَ الْأَوَابِيَا
وَسَمَاءُ الْوُزَيْرِ الْمُوَاخِيَا

كَانَ عَلِيٌّ أَرْمَدُ الْعَيْنِ يَتَغَفِي
شَفَاهُ رَسُولُ اللَّهِ مِنْهُ بِنَفْسِهِ
فَقَالَ: سَأُعْطِي الرَّأْيَةَ الْيَوْمَ
يَحِبُّ إِلَهِي وَالْإِلَهَ يُحِبُّهُ بِهِ يَفْتَحُ
فَخَصَّصَ بِهَا دُونَ الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا عَلِيًّا

رجعتُ إلى شرح ديوان حسان بن ثابت
الأنصاري بشرح عبد الرحمن البرقوقي،
وجدتُ الشارح قد أسقط هذه
القصيدة، وكل ما قاله من شعرٍ في يوم
الغدير وبيعتها من ديوان شعر حسان
بن ثابت الأنصاري عمداً، وذلك لمرضٍ
في نفسه، وضميره الميت، وعلى الرغم
من ذلك فإن القصيدة كانت موثقة
في (٢٦) ستة وعشرين مصدراً قديماً^(١).

وكان الشاعر حسان بن ثابت الأنصاري
ممن حجَّ مع رسول الله ﷺ حجة الوداع،
واستمع إلى خطبتها، وفي طريق العودة
كان مع رسول الله، ملازماً له فسمع منه
خطبة الغدير وبيعتها، فبايع الإمام علياً
عليه السلام بإمرة المؤمنين، وبعد البيعة استأذن
من رسول الله ﷺ أن يوثقَ هذا الحدث
العظيم، وينظمه شعراً ليبقى شاهداً،
فأذن له فقال القصيدة أعلاه، ولما



وللقصيدة رواية أخرى هي:

يناديهم يوم الغدير نبئهم
فقال: فمن مولاكم ونيكم؟
إلهك مولانا وأنت نبينا
فقال له: فم يا علي؟ فإنني
فمن كنت مولاه فهذا وليه
هناك دعا اللههم؟ وإلهه

بخم واسم بالرسول مُناديا
فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا
ولم تلق منا في الولاية عاصيا
رضيتك من بعدي إماما وهاديا
فكونوا له أتباع صدق مواليا
وكن للذي عادا عليا معاديا

أكد الشاعر حسان بن ثابت أن رسول
الله محمد ﷺ أمر منادياً أن ينادي بالمسلمين
ليجتمعوا في منطقة الجحفة في غدير
خُم، ليخبرهم أن الله سبحانه وتعالى، قد
أمر رسوله الكريم أن يُنصب علي بن
أبي طالب عليه السلام أميراً للمؤمنين، وخليفة
للمسلمين من بعده، لقد حاول مبغضو
الإمام علي وأهل بيته عليه السلام وحسادهم

وأعدائهم اسقاط هذه القصيدة من
ديوان حسان بن ثابت، إلا أن الله سبحانه
وتعالى أبى إلا أن يُظهرها في (٢٦) ستة
وعشرين مصدراً، كانت كافية لإظهار
الحق.

أكد حسان بن ثابت الولاية للإمام
علي في قوله:

فقال: فمن مولاكم ونيكم؟
إلهك مولانا وأنت نبينا

فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا
ولم تلق منا في الولاية عاصيا

كان حسان بن ثابت في عهد رسول الله
موالياً لأمر المؤمنين علي عليه السلام، وعندما
تفاخر الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام مع
الفاسق الوليد بن عقبة بن أبي معيط
الأموي، الذي نزل فيه قوله تعالى^(١):
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ

فتبينوا أن تُصيِّبوا قوماً بجهالةٍ فتضُربُوا
على ما فعلتُم نادمين﴾، قال حسان بن
ثابت هذه القصيدة ناصراً للإمام علي
عليه السلام، ومعزّضاً بالوليد بن عقبة، ولكن
شارح ديوان أسقط هذه القصيدة أيضاً
من شعر حسان التي قال فيها^(٢):

١- سورة الحجرات، الآية: ٦

٢- تذكرة الخواص: ١١٥، الكفاية للكنجي الشافعي: ٥٥، شرح نهج البلاغة: ٢/ ١٠٣، مطالب
السؤل: ١٠



أَنْزَلَ اللَّهُ وَالْكِتَابُ عَزِيزٌ
فَتَبَوَّأَ الْوَلِيدُ مِنْ ذَلِكَ فِسْقَةً
لَيْسَ مِنْ كَانَ مُؤْمِنًا عَسَرَ اللَّهُ
سَوْفَ يُدْعَى الْوَلِيدُ بَعْدَ قَلِيلٍ
فَعَلِيٌّ يُجْزَى بِذَاكَ جَنَّاتٍ
رَبِّ جَدِّ لَعْقَبَةُ بْنُ أَبَانَ
فَعَلِيٌّ يَلْقَى لَدَى اللَّهِ عَزْزًا
سَوْفَ يُجْزَى الْوَلِيدُ خَزِيًّا وَنَارًا

فِي عَلِيٍّ وَفِي الْوَلِيدِ قُرَانًا
وَعَلِيٌّ مَبِئُوعًا إِيْمَانًا
كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا خَوَانًا
وَعَلِيٌّ إِلَى الْحَسَنِابِ عِيَانًا
وَوَلِيدٌ يُجْزَى بِذَاكَ هَوَانًا
لَا بَسَّ فِي بِلَادِنَا تُبَانًا
وَوَلِيدٌ يَلْقَى هُنَاكَ هَوَانًا
وَعَلِيٌّ لَا شَيْءَ كُفْرًا يُجْزَى جَنَانًا

أما الصحابي الجليل قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي الأنصاري (رحمه الله) فقد قال مبتهجا ببيعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أميراً للمؤمنين وخليفة

لرسول الله ﷺ في قصيدته المسماة بالغديرية التي أنشدها بين يدي أمير المؤمنين علي عليه السلام وهم في طريقهم إلى صفين فقال^(١):

وَعَلِيٌّ إِمَامُنَا لَا سِوَاهُ
حِينَ قَالَ النَّبِيُّ مَنْ كُنْتُ مُوَلَا
أَيُّمَا قَالَهُ النَّبِيُّ عَلِيٌّ الْأَمْرُ
يَابْنَ هِنْدٍ أَيْنَ الْفَرَارُ مِنَ الْمَوْتِ
وَلَوْ أَنَّ النَّبِيَّ يَخْفِقُ فِي كَيْفٍ
ثُمَّ حَامَتْ عَلَيْهِ مِنْ سَلَفِ الْخِزْرِ
عِنْدَ ذَلِكَ الْعِيَانُ يَخْلُفُهُ الظُّنَنُ

فِي كِتَابِ أَتَى بِهِ التَّنْزِيلُ
هُ عَلِيٌّ مُوَلَا هَذَا دَلِيلُ
فَرَضَ وَلَيْسَ قَالَ وَقِيلُ
تِ وَلِلْمَوْتِ فِي الْفَجَاجِ دُيُولُ
فِ عَلِيٍّ نَصِيرُهُ جَبْرِيلُ
رَجَ قَوْمٌ كَأَنَّهُمْ إِكْلِيلُ
نُ وَمَا غَيْرُهُ هُنَاكَ سَبِيلُ

أشار الصحابي الجليل قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري في الأبيات الثلاثة الأولى إلى قول رسول الله ﷺ: ((من كنت مولاه فعلي مولاه))، وأن الأمر ليس من عند رسول الله، بل

هو ما أتى به جبريل عليه السلام من عند الله سبحانه وتعالى في التنزيل، وما قاله رسول الله ﷺ هو فرض واجب التطبيق على كل مسلم ومسلمة، وجاء البيت الأول برواية أخرى في كتاب الغدير^(٢):

١- ديوان قيس بن سعد الأنصاري: ٩٣

٢- الغدير في الكتاب والسنة: ١ / ٣٤١



وعليّ إمامنا وإمام

لسوانا أتى به التنزيل

وهذا يعني إنّ الإمام عليّاً عليه السلام، هو أمير المؤمنين والمسلمين كافة سواءً رضوا به أم لم يرضوا؛ ذلك لأنّ تنصيبه كان أمراً من الله سبحانه وتعالى.

أمّا عمرو بن العاص السهمي الأموي، وهو من ألدّ خصوم الإمام علي

عليه السلام ومن أعدائه وخصومه الرئيسين، وفي الوقت نفسه هو من أكبر أنصار معاوية بن أبي سفيان، في معارك صفين، فقد قال مخاطباً معاوية في قصيدة طويلة، اخترت منها ما يتعلّق بيوم الغدير فقط^(١):

وكم قد سمعنا من المصطفى
وفي يوم خم رقى منبراً
وفي كفه كفه معنواً
ألسنت بكم منكم في النفوس
فأنحلّته إمرة المؤمنين
وقال: فمن كنت مولى له
فوال مواليه يا ذا الجلال
ولا تنقضوا العهد من عترتي
فبخبح شيخك لما رأى
فقال: وليكم فاحفظوه

وصايا مخصصة في علي؟
يبلغ والركب لم يرحل
يُنَادِي بِأَمْرِ الْعَزِيزِ الْعَلِيِّ
بأولى؟ فقالوا: بلى فافعل
من الله مُسْتَخْلَفُ الْمُنْحَلِ
فهذا له اليوم نعم الولي
وعاد مُعَادِي أَخِ الْمُرْسَلِ
فقاطعه م بي لم يوصل
عُرى عقد حيدر لم تحل
فمدخله فيكم مدخلي

كان عمرو بن العاص الأموي حليفاً لمعاوية بن أبي سفيان وشريكاً له في الانشقاق والتمرد على الخلافة الشرعية للإمام علي عليه السلام، وهو من أبرز أنصار معاوية وأداهم وأهمهم، وقائد جيش الشام في معارك صفين، لكنه قالها صراحةً، وكان عمرو بن العاص ممن شارك في حجة

الوداع وسمع خطبتها وحضر بيعة الغدير وسمع خطبتها، وبايع الإمام عليّاً عليه السلام بالخلافة، قال عمرو بن العاص: سمعتُ الرسول المصطفى عليه السلام، بعد أن أوقف مواكب الحجيج، وأرسل بعودة من تقدّم منها، وانتظر من تأخر منها حتى وصل، ثم ارتقى المنبر، ومعه ابن عمه علي بن



أبي طالب كَفّاً بكفٍّ، فرفع يدَ علي وقال: إِنَّ علياً أميرٌ للمؤمنين، وخليفة عليكم من بعدي، ثُمَّ أشار عمرو بن العاص في البيت التاسع من القصيدة إلى قول عمر بن الخطاب عندما سمع أَنَّ علي بن أبي طالب أصبح أميراً للمؤمنين بأمرٍ من الله، فقال مخاطباً الإمام علياً عليه السلام، بخ بخ لك يا ابن أبي طالب قد أصبحت مولاي ومولاي كُلِّ مؤمنٍ ومؤمنةٍ، والقصيدة وثيقة دامغة تمثل اعترافاً صريحاً لا لبس فيه، بأن معاوية بن أبي سفيان كان باغياً، وعلى الباطل، وأنَّ الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام هو صاحب الحق والشرعية، وهو الأحقُّ بالأمر والخلافة منك يا معاوية، ولكنك يا معاوية تنازعه على الباطل، وتطلبُ أمراً ليس لك، وشهادة الخصم تمثل أفضل وثيقة باعترافٍ صريح وصحيح، أن أهل الشام وزعيمهم معاوية هم الفئة الباغية، وهي تمثل مقولة: ((وشهد شاهدٌ من أهلها))، وكان على المسلمين أن يقاتلوا الفئة الباغية ولكن...

أمّا التابعي الجليل الكُميتُ بن زيد الأسدي شاعرُ أهل البيت عليه السلام فقد قال متحسراً على ضياع الخلافة، وسلَبِ حقِّ الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام من سبقه ومن بعدهم الأمويون فقال^(١):

وأصفاهُ النبيَّ على اختيارٍ	بما أعصى الرفوض له المذيعا
ويومَ الدَّوْحِ دَوَّحٍ غديرِ خُمٍ	أبأنَّ لهُ الولايةَ لو أطيعا
ولكنَّ الرجالَ تابِعُوها	فلَمْ أرَ مثلاً خطراً مبيعاً
فلَمْ أبلغْ بها لعناً ولكن	أساءَ بذاك أولهم صنيعاً
فصار بذاك أقربهم لعدل	إلى جورٍ وأحفظهم مضيعاً
أضاعوا أمرَ قائدهم فضلوا	وأقومهم لدى الحدثنِ ريعاً
تناسوا حقَّه وبغوا عليه	بلا ترةٍ وكان لهم قريعاً

هذه الأبيات هي من القصيدة الهاشمية السادسة للشاعر الكُميت بن زيد الأسدي، قالها وهو يتحسّرُ ألاماً على ضياع فيء العلويين واغتصابه منهم ظلماً، وهم يعلمون علم اليقين أنَّ النبيَّ محمدًا ﷺ نصَّبَ الإمامَ علي بن أبي طالب عليه السلام أميراً للمؤمنين وخليفةً للمسلمين من بعده في غدير خُم، وما حدث في بيعة السقيفة لا يمثل إلا انقلاباً على



الشرعية الإلهية، انقلابٌ قاده الشيخ الأول، يعضده الشيخ الثاني، علماً أنَّ الله سبحانه وتعالى قد أخبر رسوله الكريم بما سيحدث من بعده في المستقبل القريب، وإنَّ القومَ سوف ينقلبون على ما سيوصيهم به، وذلك قبل بيعة الغدير بسنواتٍ قليلة، وذلك عندما كان القوم مجتمعين في داره، فنزل الوحي من الربِّ الجليل يخبره بما يضمّره هؤلاء القوم لآله عليه السلام من بعده فقال عزَّ من قال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ ^(١)، والانقلاب على الأعقاب، يعني التراجع القهقري إلى الوراء، وهو أن تتراجع إلى الخلف ونظرك إلى الأمام، والآية الكريمة تشير إلى أنَّ زعماء قريش المجتمعين في دار النبي صلى الله عليه وآله سوف ينكثون ما عاهدوا رسول الله عليه، بمجرد أن يتوفاه الله، فيعودون إلى الجاهلية والظلمات من حيث خرجوا منها أول مرة، وفعلاً حدث الانقلاب (الارتداد) في يوم السقيفة، والرسول مازال مسجى لم يُوارَ الثرى بعد، فأجهضوا بيعة الغدير، ووأدوها بقيادة أولهم واستبدلوها ببيعة السقيفة، كما أشار الكميت في البيت

الثالث من القصيدة مؤكّداً أنَّ القوم نقضوا عهودهم لرسول الله، وما أمر الله به، منقّضين على حقٍّ ليس لهم فيه نصيب. ولشعر السيد إسماعيل الحميري بصفة قويةً وواضحةً في بيعة الغدير، فهو في بيعة الغدير أكثر من قال شعراً فقال ^(٢):



١- سورة آل عمران، الآية: ١٤٤

٢- الحميري وشعره في الغدير - الصفحات: ١ - ٢٠



لعلي بن أبي طالب ولأولاده من بعده.

وقال أيضاً:

يوماً قامَ النبيُّ في ظلِّ دَوْحٍ
رافعاً كَفَّهُ بِيَمِينِي يَدِيهِ
أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ هَذَا خَلِيلِي
وَابْنُ عَمِي أَلَا فَمَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ
وعليُّ مني بمنزلة هــارونَ

والـورى في وديقة صيخود
بايحاً باسمه بصوت مديد
ووزيرٍ ووارثي وعقبيـدي
فهـذا مـولاهُ فارعوا عهـودي
بن عمرانَ من أخيه الودود

أشارَ السيد الحميري في هذه الأبيات
إلى يوم الغدير، حينما وقفَ رسولُ الله ﷺ
في ظلِّ شجرة عظيمة في يوم قائنٍ شديد
الحرارة، وهو يرفعُ يمينه يدَّ علي بن أبي
طالب ﷺ ويقول بصوتٍ واضحٍ ومرتفع:
يا معاشر المسلمين هذا عليُّ أخي وحبيبي
ووزيرٍ، وهو ابن عمي وصهري، وهو

مني بمنزلة هارون من موسى ﷺ، فمن
كنتُ مـولاهُ فهـذا عليُّ مـولاه، فحافظوا
على عهدي وعهدكم وارعوه، اللهم وإلـ
من والاه وانصر من نصره، وعادِ من
عاداه.

وقال أيضاً:

ألا الحمـدُ لله حمداً كثيراً
هداني إليه فوحدتُـه

وليُّ المحامـدِ ربّاً غفـورا
وأخلصتُ توحيدـه المُستنيرا

في هذه التفتة يحمّدُ السيد الحميري
الله الغفور، حمداً لا حصر له على نعمة
اختياره للإمام علي بن أبي طالب ﷺ
للولاية ليكون خليفة لرسول الله محمد

ﷺ من بعده.

وقال السيد الحميري في قصيدة طويلة
اخترت منها هذه الأبيات:

لذلك ما اختارهُ ربُّـه
فقامَ بخُـمِّ بحديث الغديـر
وقُـمَّ لَهُ الدَّوْحُ ثَمَّ ارتقـى
ونادى ضحىً باجتماعِ الحجيـج
فقالَ وفي كَفِّهِ حيـدرُ

خير الأنام وصيًّا ظهيرا
وحطَّ الرِّحَالِ وعَـافَ المسيرا
على منبرٍ كانَ رَحـلاً وكورا
فجاؤوا إِلَيْهِ صَغِيرًا وكبيراً
يلبِـحُ إِلَيْهِ مُبِيناً مشيراً





ألا إنَّ مَنْ أنا مولىٌّ لـــــــهُ
فهل أنا بلغتُ؟ قالوا: نعم
يبلغُ حاضرُكُمْ غائبــــاً
فقوموا بأمرِ مليك الســـــــماء
فقاموا: لبيعتِهِ صافقيــــن
فقال: إلهي وإل الولـــــــي
وكنْ خاذلاً للأولىِ بخذلــــون
فكيف ترى دعوة المصطفــــى
أحبُّكَ يا ثاني المصطفــــى
وأشهدُ أنَّ النبيَّ الأَمــــى
وإنَّ الذينَ تعادوا عليــــك

فمولاهُ هذا قضا لن يــــحــــور
فقال: اشهدوا غيباً أو حضــــور
وأشهدُ ربِّي السميعَ البصيرــــا
يباعُهُ كُلُّ عليه أَمــــى
أكفأ فأوجسَ منهم نكيــــرا
وعادِ العدوْ لَهُ والكفــــور
وكنْ للأولىِ ينصرون نصيــــرا
مجاهاً بها أو هباءً نثيــــرا؟؟!!
ومن أشهدَ الناسَ فيه الغديــــرا
بلغَ فيك نداءً جهيــــرا
يصلونَ ناراً وساءتْ مصيــــرا

أشار السيد الحميري إلى أن تنصيب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام لم يكن من اختيار رسول الله صلى الله عليه وآله بل هو اختيار من الله سبحانه وتعالى، ليكون وصياً وسنداً لرسول الله، وإماماً للبرية من بعده، لذلك ارتقى رسول الله صلى الله عليه وآله المنبر بالخطبة في غدير خم خطيباً، بعد أن استوقف الحجاج كبارهم وصغارهم، رجالهم ونساءهم، ليعلنها على الملأ ورؤوس الأشهاد أن الله عز وجل أمره بالإعلان عن أن علي بن أبي طالب عليه السلام خليفة على المسلمين من

بعده، قائلاً: هذا علي وزيري وخليفتي من بعدي، اللهم وإل من والاه، وانصر من نصره، وعاد من عاداه، واخذل من خذله، فتجمع المسلمون وبايعوا علي بن أبي طالب بإمرة المؤمنين من بعد النبي صلى الله عليه وآله، وقال لهم النبي صلى الله عليه وآله، فليبلغ الحاضر الغائب بذلك، ثم قال لهم: كيف ستخلفوني فيه، وهل ستذهب وصيتي هذه عندكم هباءً منثوراً؟.

وقال أبو محمد سفيان بن مصعب العبدي الكوفي^(١):

كان عنها لهم في خم مُزدَجــــر
وقال والناس من دأنٍ إليه ومــــن

لما رقى أحمد الهادي على قتب
ثاوٍ لديه ومن مُصْغٍ ومرتقب

١- العبدي الكوفي وشعره في الغدير / الصفحات: ١ - ٢٠ وشعر أبو محمد سفيان بن مصعب العبدي أسقطه من شعر عبد القيس جامع شعر عبد القيس في الجاهلية والإسلام.

قُمْ يَا عَلِي فَإِنِّي قَدْ أُمِرْتُ بِـ_____
إِنِّي نَصَبْتُ عَلَيْكَ هَادِيًا عَـلَمًا
فَبَايَعُوكَ وَكُلُّ بَاسِطٍ يَـسُـدُّهُ

أَبْلَغَ النَّاسِ وَالتَّبْلِيغُ أَجْدَرُ بِـ_____
بَعْدِي وَإِنَّ عَلِيًّا خَيْرٌ مُتَّصِبٍ
إِلَيْكَ مِنْ فَوْقِ قَلْبٍ عَنْكَ مُنْقَلِبٍ

يقول العبدى أَنَّ النَّبِيَّ مُحَمَّدَ الْهَادِي
الْبَشِيرَ ﷺ ارْتَقَى مِنْبَرًا مَصْنُوعًا مِنْ أَقْتَابِ
الْجَمَالِ فِي يَوْمٍ غَدِيرِ خُمٍ، وَالنَّاسُ مُجْتَمِعُونَ
حَوْلَهُ، وَكُلُّهُمْ آذَانٌ تَصْغِي لِمَا سَيَقُولُهُ لَهُمْ،
فَنَادَى عَلِيًّا وَقَالَ لَهُ: قُمْ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ
وَجَلَّ أَمَرَنِي بِتَنْصِيْبِكَ خَلِيفَةً لِلْمُسْلِمِينَ
مِنْ بَعْدِي، وَذَلِكَ إِشَارَةً إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ
رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ
يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ ^(١)، ثُمَّ قَالَ: إِنِّي
نَصَبْتُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ﷺ عَلَيْكُمْ خَلِيفَةً
بِأَمْرِ مِنَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَبَايَعَ الْمُسْلِمُونَ
الْمُجْتَمِعُونَ كَافَةً عَلِيًّا بِإِمَارَةِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ
بَعْدِ الرَّسُولِ بِاسْطِينَ أَيْدِيهِمْ.

مَا لَعَلِّي سَوَى أَخِي_____ه
فَدَاهُ إِذْ أَقْبَلْتُ قَـرِيشَ
وَافَاهُ فِي خُمٍ وَارْتَضَى كَافَاهُ

مَحْمُودٌ فِي الْوَرَى نَظِيرُ
عَلَيْهِ فِي فَرَشِهِ الْأَمِيرُ
خَلِيفَةً بَعْدَهُ وَزِيرُ

يقول أبو محمد سفيان بن مصعب
العبدى لَيْسَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَخٌ غَيْرُ عَلِيٍّ
بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ إِشَارَةً مِنْهُ يَوْمَ الْمَوْخَاةِ
بَيْنَ الْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرِينَ، فَاخْتَارَ رَسُولُ
اللَّهِ عَلِيًّا لِيَكُونَ لَهُ أَخًا ^(٢) فِي السَّنَةِ الْأُولَى
مِنَ الْهَجْرَةِ فِي الثَّانِي عَشَرَ مِنْ شَهْرِ
رَمَضَانَ فِي دَارِ أَنْسِ بْنِ مَالِكٍ، وَأَنَّ عَلِيًّا
بَاتَ فِي فِرَاشِ النَّبِيِّ لَيْلَةَ الْهَجْرَةِ، وَأَنَّ
رَسُولَ اللَّهِ بِأَمْرِ مِنَ اللَّهِ اخْتَارَهُ وَزِيرًا لَهُ
وَخَلِيفَةً مِنْ بَعْدِهِ.

وَأَمَّا شَيْخُ الْعَرَبِيَّةِ وَالْأَدَبِ الشَّاعِرُ
الْكَبِيرُ حَبِيبُ بْنُ أَوْسٍ الطَّائِي الْمَشْهُورُ
بِأَبِي تَمَامٍ فَقَدْ قَالَ يَمْدُحُ أَهْلَ بَيْتِ النَّبِيِّ
(صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ) فِي قَصِيدَةٍ
طَوِيلَةٍ، فَضَّلَ فِيهَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى
الصَّحَابَةِ كَافَةً، ثُمَّ ذَكَرَهُمْ بِغَدَرِهِمْ بِأَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ، وَنَقَضَهُمْ بَيْعَةَ الْغَدِيرِ، وَيَعِيدُ
عَلَيْهِمْ مَا قَالَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حَقِّهِ فِي
ذَلِكَ الْيَوْمِ فَقَالَ ^(٣):

١- سورة المائدة، الآية: ٦٧

٢- ينابيع المودة: ٥٦، كنز العمال: ٦ / ٣٩٠، تذكرة الخواص: ٢٣

٣- ديوان أبي تمام: ١٤٤ - ١٤٥



فَجِئْتُمْ بِهَا بِكْرًا عَوَانًا وَلَمْ يَكُنْ
أَخْوَاهُ إِذَا عُدَّ الْفَخَارُ وَصَهْرُهُ
وَشَدَّ بِهِ أَزْرَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
هُوَ السِّيفُ سَيْفُ اللَّهِ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ
فَأَيُّ يَدٍ لِلدَّمِّ لَمْ يَبْرَ زَنْدَهُمَا
يَسْدُ اثْغَرَ الْخَوْفِ مِنَ الْبَرْدِ
بِأَحَدٍ وَبَدْرٍ حِينَ مَاجَ بِرِجْلَيْهِ
وَيَوْمَ حُنَيْنٍ وَالنُّضِيرِ وَخَيْبَرٍ
سَمَّا لِلْمَنِيَا الْحَمْرَ حَتَّى تَكْشِفَتْ
مَشَاهِدَ كَانَ اللَّهُ كَاشِفَ كَرَمِهَا
وَيَوْمَ الْغَدِيرِ اسْتُوضِحَ الْحَقُّ أَهْلُهُ
أَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ يَدْعُوهُمْ بِهَا
يَمْدُ بَضْبِعِيهِ وَيَعْلَمُ: أَنََّّهُ
يَرْوَحُ وَيَغْدُو بِالْبَيَانِ لِمَعْشَرٍ
فَكَانَ لَهُمْ جَهْرٌ بِإِثْبَاتِ حَقِّهِ

لَهَا قَبْلَ عَوَانٍ وَلَا بِكْرٍ
فَلَا مِثْلَهُ أُخٌ وَلَا مِثْلَهُ صَدْرٌ
كَمَا شَدَّ مِنْ مُوسَى بِهَارُونَهُ إِزْرُ
وَسَيْفُ الرَّسُولِ لَا دَانَ وَلَا دَثْرُ
وَوَجْهَ ضَلَالٍ لَيْسَ فِيهِ لَهُ أَثْرُ
وَيَعْتَاضُ مِنْ أَرْضِ الْعَدُوِّ بِهِ الثَّغْرُ
وَفِرْسَانُهُ أَحْمَدُ وَمَاجَ بِهِمْ بَدْرُ
وَبِالْخَنْدَقِ الثَّائِي بِعَقْوَتِهِ عَمْرُو
أَسْيَافُهُ حَمْرٌ وَأَرْمَاحُهُ حَمْرُ
وَفَارِجُهُ لَا فِيهَا مَلْتَبَسٌ إِمْرُ
بِفِيحَاءٍ لَا فِيهَا حِجَابٌ وَلَا شَرُّ
لِيَقْرَبَهُمْ عُرْفٌ وَيَنَاقُصُهُمْ نُكْرُ
وَلِي وَمَوْلَاكُمْ فَهَلْ لَكُمْ خَبْرُ
يَرْوَحُ بِهِمْ غَمْرٌ وَيَغْدُو بِهِمْ غَمْرُ
وَكَانَ لَهُمْ فِي بَرِّهِمْ حَقَّةٌ جَهْرُ

لهم: إِنَّ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا ﷺ فِي يَوْمِ غَدِيرِ، وَفِي
أَرْضٍ رَحْبَةٍ وَاسِعَةٍ، بَيَّنَّ لَهُمْ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ
بِدُونَ حِجَابٍ وَلَا سِتَارٍ، وَأَنَّ النَّبِيَّ رَفَعَ
عِضْدِيهِ عَالِيًا، قَائِلًا لِلْمُسْلِمِينَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ
اخْتَارَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ خَلِيفَةً عَلَيْكُمْ مِنْ
بَعْدِي، وَهُوَ كَرِيمٌ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ كَرِيمٍ،
وَلَكِنَّهُمْ غَدَرُوا فَشَبَّهَهُمْ بِأَصْحَابِ بَقْرَةَ
مُوسَى وَالْغَلَامِ الْقَتِيلِ فِي سُورَةِ الْبَقْرَةِ.

وهذا أبو الحسين علي بن العباس
بن جريج البغدادي المشهور بابن الرومي
يصف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب
ﷺ بالذهب الخالص مبيناً أَنَّ محله من

أشار أبو تمام إلى غدر ممن يسمون
أنفسهم أصحاباً لرسول الله في يوم
السقيفة، وقيامهم باغتيال بيعة الغدير
الشرعية، واستبدالها ببيعة السقيفة التي
لم يرضها الله ولا ورسوله، وسمى بيعة
السقيفة بالدهاية الدهياء، ويذكرهم أَنَّ
لعلي بن أبي طالب ﷺ بيعةً في رقابهم قد
نكثتموها، وبعد ذلك يعدد أبو تمام مآثر
الإمام علي وفضائله، ودوره الكبير في
الدفاع عن رسول الله في يوم بدر وأحد
والخندق وخيبر والنضير وحنين، وَأَنَّ علي
بن أبي طالب ﷺ كان يشدُّ أزرَ رسول الله،
كما شدَّ هارون أزرَ موسى ﷺ، ثم يقول

الفضل، مثلُ محل الشمس من الكواكب،
أو البدر في الليلة الظلماء بين النجوم، ثُمَّ

وأراه كالتيبرِ المصْفَى جَوْهراً

ومحله من كُلِّ فضلٍ يَبِينُ

قال النبيُّ لَهُ مَقَالاً لم يكنْ

من كنتُ مَوْلَاهُ فذا مولى لَهُ

وأرى سواه لَنَاقِدِيهِ مُبْهِرِجاً

عَالٍ محلَّ الشمسِ أو بدرَ الدُّجَى

يَوْمُ الغديرِ لِسَامِعِيهِ مُجْمِجاً

مثلي فأصبحَ بالفَخَارِ متوجاً

حضور، حينما نصبَ لَهُم رسول الله ﷺ
علي بن أبي طالب عليه السلام أميراً لَهُم، وخليفةً
من بعده، فيقول منشداً^(٢):

أما الشاعر أبو فراس الحمداني فيقولُ
مستغرباً ومتسائلاً: لِمَ ينكرون بيعة الإمام
علي عليه السلام، ألم يسمعوا ببيعة الغدير، وكلُّهم

منهُ النبيُّ من المقالِ أباهُ؟
من كنتُ مَوْلَاهُ فذا مَوْلَاهُ
يا مَنْ يَقُولُ بأنَّ ما أوصاهُ
وتأملوه وافهموا فحواهُ

أتراهُم لم يسمعوا ما خَصَّه
إِذْ قَالَ يومَ غديرِ خَمَّ مَعْنَاهُ:
هذي وصيتهُ إِلَيْهِ فافهموا
قروا من القرآن ما في فضلِهِ

وقال أبو فراس الحمداني معارضاً
محمد بن سُكرة الهاشمي في قصيدته التي
يفتخرُ بها على الطالبين، فقال قصيدته
المُسماة بالشافية^(٣):

هذه الأبيات أسقطها جامع شعر أبي
فراس الحمداني، وذلك لمرض في نفسه،
وضميره الميت؛ لأنَّه كان من مبغضي
الإمام علي بن أبي طالب وأهل البيت عليه السلام.

١- في رحاب الشيعة: ٨٧

٢- ابن الرومي وشعره في الغدير: الصفحات: ١ - ٢٠

٣- ديوان أبي فراس: ٢٣٥، شرح ديوان أبي فراس: ١٩٧



الدِّينُ مُحْتَرَمٌ وَالْحَقُّ مُهْتَصَبٌ
وَالنَّاسُ عِنْدَكَ لَا نَاسٌ فَيُحْفَظُهُمْ

قَامَ النَّبِيُّ بِهَا يَوْمَ الْغَدِيرِ لَهُمْ
حَتَّى إِذَا أَصْبَحَتْ فِي غَيْرِ صَاحِبِهَا
وَصُيِّرَتْ بَيْنَهُمْ شُورَى كَأَنَّهُمْ
وَاللَّهُ لَا جَهْلَ الْأَقْوَامِ مَوْضِعُهَا

وَفِيءُ آلِ رَسُولِ اللَّهِ مُقْتَسَمٌ
سُوءُ الرُّعَاةِ وَلَا شَاءٌ وَلَا نِعَمٌ إِلَى
أَنْ يَقُولَ:
وَاللَّهُ يَشْهَدُ وَالْأَمْلَاقُ وَالْأُمَمُ
بَاتَتْ تَنَازَعُهَا الذُّبَابُ وَالرَّخَمُ
لَا يَعْلَمُونَ وَلَا أَمْرَ أَيْنَ هُمْ
وَلَكِنَّهُمْ سَتَرُوا وَجْهَهُ الَّذِي عَلِمُوا

فهذا الشاعر أبو محمد المنصور بالله شيخ
الزيدية، يشير إلى ذلك فيقول^(١):

وهكذا يتواصل الشعراء في توثيق يوم
الغدير مستهجنين قول المخالفين والمنكرين
والجاحدين لإمامة أمير المؤمنين وولايته،

قَالَ فِيهِ الْمُصْطَفَى: أَنْتَ الْوَلِيُّ
وَكَمْ وَكَمْ قَالَ لَهُ: أَنْتَ أَخِي
وَهَلْ سَمِعْتَ بِحَدِيثِ مَوْلَايَ
أَلَمْ يَقُلْ فِيهِ الرَّسُولُ قَوْلًا

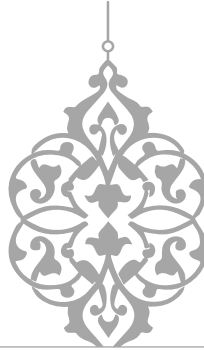
وَمِثْلُهُ: أَنْتَ الْوَزِيرُ وَالْوَصِيُّ
فَأَيُّهُمْ قَالَهُ مِثْلَ عَلِيٍّ
يَوْمَ الْغَدِيرِ وَالصَّحِيحُ أَوْلَى
لَمْ يُبْقِ لِلْمُخَالِفِينَ حَقًّا وَلَا

قال شيخ الزيدية إنَّ النبيَّ محمدًا ﷺ
قال لعلِّي بن أبي طالب ﷺ في يوم غدير
خُـم، وعلى مسمع ومرأى من رؤوس
قريش وزعمائها ممن كانوا معه في حجة
الوداع، أنت ولي أمر المسلمين من بعدي،
وأنت الوصيُّ والوزير، وأنت أخي فهل
قال الرسول ذلك لأحد من الصحابة
أنت أخي غير علي بن أبي طالب ﷺ.

الخاتمة:

الله، وما أراد الله منهم ؛ ذلك لأنهم كانوا يلهثون وراء الأموال والمناصب وأنا اخترت من الشعر الغدير ما يكفيني لكتابة بحثٍ للمشاركة فيه في مؤتمر الغدير، والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله تعالى على محمد واله الطيبين الطاهرين الكرام.

شعرٌ كثيرٌ قِيلَ في خطبة الغدير وبيعتها، أخفاهُ الرواة المناهضون والمبغضون لأهل البيت عليه السلام، محاولةً منهم لطمس الحقيقة وتزويرها، إلا أن الله سبحانه وتعالى أبى إلا أن يظهره، ليعرف الناس أن بيعة السقيفة غير شرعية ؛ لأنَّها بيعة الفلتان كما سماها عمر بن الخطاب، وبيعة السقيفة التي اجهضت بيعة الغدير وقتلتها، وأن كثيراً ممن يدعون أنَّهم أصحابُ رسول الله، قد نقضوا عهد الله ورسوله عن عمدٍ مع سبق الإصرار، ولم ينفذوا وصية رسول





المصادر:

- القرآن الكريم
- الإحتجاج - للعلامة أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، منشورات دار الشريف الرضي، ١٩٦٦م.
- ابن الرومي وشعره في الغدير: الصفحات: ١ - ٢٠
- البداية والنهاية - لابن كثير أبي الفداء الحافظ الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، ط ١، مكتبة المعارف ببيروت، ومكتبة النصر بالرياض، ١٩٦٦م.
- تذكرة الخواص - ليوسف بن قزالي الحنفي البغدادي المشهور بسبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤هـ) المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٨٣هـ.
- حسان بن ثابت وشعره في الغدير.
- ديوان أبي تمام - شرح وتعليق الدكتور شاهين عطية، مراجعة يونس الموصلي، مكتبة الطلاب وشركة الكتاب اللبناني، العازارية، الطبعة الأولى، بيروت، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٨م.
- ديوان أبي فراس الحمداني (المخطوطة المغربية) - تحقيق الدكتور محمد بن شريفة، مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، ٢٠٠٠م، الكويت.
- ديوان قيس بن سعد الأنصاري - جمع وتحقيق وشرح قيس العطار، انتشارات دليل مطبعة عترة، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ.
- السيد الحميري وشعره في الغدير.
- شرح ديوان أبي فراس الحمداني (المخطوطة التونسية) المكتوبة في سنة ٥٤٨هـ - تحقيق الدكتور محمد بن شريفة، مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، ٢٠٠٠م، الكويت.
- شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري - ضبط الديوان وصححه عبدالرحمن البرقوقي، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان (د.ت.).
- شرح نهج البلاغة لأمير المؤمنين علي عليه السلام - لابن أبي الحديد عز الدين بن عبد الحميد بن هبة الله المدائني (ت ٦٥٦هـ)، تحقيق محمد أبو



والأفعال - للمتقي الهندي، دار
الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٠م.

• مسند الإمام أحمد بن حنبل
(ت ٢٤١هـ)، رقم أحاديثه محمد
عبد السلام الشافي، دار الكتب
العلمية، ط ١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م،
بيروت لبنان.

• مطالب السؤول في مناقب آل
الرسول - لكمال الدين محمد بن
طلحة الشافعي (ت ١٢٥٤هـ)،
تحقيق ماجد بن أحمد العطية، (د.
ت).

• ينابيع المودة لذوي القربى -
للقندوزي، تحقيق سيد علي جمال
الحسيني (ت ١٢٩٤هـ)؛ ١٤١٦هـ.

الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب
العربية، القاهرة، ١٩٥٩م.

• العبد الكوفي وشعره في الغدير.

• عمرو بن العاص وشعره في
الغدير.

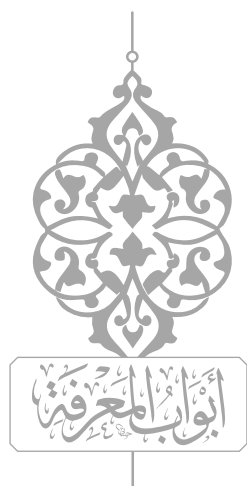
• الغدير في الكتاب والسنة والأدب
- الحبر العلم الحجة المجاهد
شيخنا الأكبر الشيخ عبدالحسين
أحمد الأميني النجفي، دار الكتب
الإسلامية، بازار سلطاني طهران،
١٣٦٦هـ.

• في رحاب الشيعة - للشيخ باقر
شريف القرشي، مؤسسة تحقيقات
ونشر معارف أهل البيت عليهم
السلام، إيران، ٢٠٢٠م.

• كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي
طالب - محمد بن يوسف كنجي
(ت ١٢٢٩هـ)، المطبعة الحيدرية
٢٠١٦م، النجف الأشرف.

• الكميّ بن زيد الأسدي بين
العقيدة والسياسة - الدكتور علي
نجيب عطوي، دار الأضواء، ط ١،
بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

• كنز العمال في سنن الأقوال





موقع غدِير خم

دراسة في جغرافية المكان

أ.د. حسين عليوي ناصر الزبادي



جامعة ذي قار - كلية الآداب



قَالَ الْإِمَامُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ

خَيْرُ الدُّنْيَا حَسْرَةٌ

وَشَرُّهَا نَدَمٌ



مقدمة

وغيرهم كثير.

تتمثل مشكلة البحث بالبحث عن تأثير الموقع الجغرافي لمنطقة غدير خم في حادثة الغدير وبيعة الإمام علي عليه السلام، ويفترض البحث أن اختيار الموقع كان بفعل النظرة الثابتة للرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ولم يكن اختياراً عشوائياً، وتحاول الدراسة أيضاً أن تُجيب على الأسئلة الآتية: - ما الأسباب الجغرافية لشهرة حديث الغدير وتواتره؟ وما الظروف والمميزات الخاصة التي اقترنت بالتبليغ؟ وهل كان للأسلوب البياني أثرٌ في شهرة حديث الغدير؟

الموقع الجغرافي

غدير خم: موضع بين مكّة المكرمة والمدينة المنورة، وهو إلى مكّة أقرب منه إلى المدينة، وبينه وبين الجحفة ميلان^(١)، وهناك عين نضّاحة إلى الشمال الغربي من الغدير، يجري ماؤها في مسيل غير طويل فينتهي إلى غدير حوله غيضة فيها أجمة من شجر الطَّلح وهو: شجر عظام من شجر العَصَاه ترعاه الإبل^(٢)، ويُشاهد

تركت واقعة الغدير بصمات جلية على وجه التاريخ؛ لأنّها لم تكن هامشيّة أو طارئة، تظهر حيناً وتختفي حيناً آخر، فهي حدثٌ خالدٌ بخلود الزمن، وأحاديث تلك الواقعة التي درسها العلماء - على كثرتها - مازالت تحفر في ذاكرة الزمن خلودها الأبدي، فلا يُمكن لأحد إنكار واقعة الغدير أو يشكّك بها بأدنى مراتب التشكيك؛ لأنّها من الحوادث المؤكّدة التي تواترت الأخبار بذكرها، وتناولها الباحثون على اختلاف تخصصاتهم واتجاهاتهم، فضلاً عن ذلك فقد تناولها بالذكر جملة من المؤرخين نذكر منهم: جلال الدين السيوطي، وابن حجر العسقلاني، والخطيب البغدادي، والبالاذري، وابن كثير، وابن قتيبة، وابن عبد البر، وياقوت الحموي، وابن عساكر، وابن الاثير، وابن أبي الحديد، والطبري، وابن خلّكان، واليافعي، وابن خلدون، والذهبي، وابن الصباغ، والمالكي، والمقرئزي، ونور الدين الحلبي

* الجحفة: قرية كبيرة تقع على طريق مكّة - المدينة، في الشمال الغربي من مكّة وهي على أربع مراحل من مكّة

* الغضا (الرمث) (Haloxylon persicum) هي شجرة رعوية معمّرة من الفصيلة السرمقية يمكن استزراعها تنتشر في الصحاري وهي ملائمة لبيئة الكثبان الرملية، يتراوح طول الرمث من ٣٠-٧٠ سنتيمتر وهناك أنواع يصل طولها إلى أربعة أمتار. وهي كثيرة النفرع، إذ يبدأ تفرع السيقان عند القاعدة، والأفرع قائمة غير شوكية عصيرية، وجذورها وتدية تتعمق في التربة. والأوراق في شكل





التي تثبت إمامة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وتوجب ولايته على جميع المؤمنين بعد ولاية الله تعالى ورسوله الكريم ﷺ بكل صراحة ووضوح^(١).

مفهوم البيعة في الإسلام

تُعَرَّف البيعة: بأنها ((نوع عهد وميثاق مشروط بين طرفين، يقوم فيه شخص أو جماعة بالتعهد والتعاقد مع إمامهم أو حاكمهم على الطاعة والوفاء، ومن أبرز مصاديق التعبير عن البيعة: (المصافحة، والقول باللسان، والكتابة، والإشارة)، مع احترام المبايعين وعدم إهانتهم وإذلالهم، كما يفعله عادة حكام الظلم والجور في إهانة الناس عندما يطلبون المبايعة منهم، وفي ذلك يُروى أن عبد الله بن عمر بن الخطاب، امتنع عن بيعة الإمام علي عليه السلام،

هنا وهناك أشجار السَّمُر وهو ضرب من شجر الطَّلح، وحدثه: سَمُرَة. وليس في العَصَاه أجود خشباً منه المتناثرة في ذلك الموضع تبعاً لمسير ماء العين، وفي كل أبعاد الوادي الفسيح تقريباً.

فالهجرة كانت البداية لانتشار الدعوة الإسلامية وانطلاقها خارج ربوع مكة، ومن ثم إلى العالم كله، وحجّة الوداع والعودة منها إلى المدينة المنورة كانت ختم الرسالة، إذ كُمل الدين فتّمت النعمة، وبيعة الغدير هي التمهيد لعهد الإمامة والإمام إذ ينتهي عهد الرسالة والرسول.

وعلى الرغم من وجود الموقع في طريق الهجرة النبوية، وله أهمية استراتيجية كونه يفرق الطرق إلى أنحاء وجهات متعددة، إلا أن الأهمية الحقيقية اكتسبها الموقع من حديث بيعة الغدير، وهو من الأحاديث

حراشف مثلثة، وتظهر الأزهار على شكل سنابل يتراوح طولها بين ٦-٧ سم وقد نجح هذا النبات في تثبيت الكثبان الرملية في بعض المناطق، إذ أطلق عليه مثبت الكثبان الرملية، وتستخدم سيقان هذه الشجرة في الانارة. اما السمر، بضم الميم: من شجر الطَّلح، والجمع سَمُرٌ وَسَمُرَاتٌ، وأسْمُرٌ في أدنى العدد، وتصغيره أَسْمِيرٌ. وفي المثل: أَشْبَهَ سِرْحَ سَرَحًا لَوْنًا أَسْمِرًا..

والسَّمُرُ ضَرْبٌ من العَصَاه، وقيل: من الشَّجَرِ صغار الورق قصار الشوك وله بَرَمَةٌ صَفْرَاءُ يأكلها الناس، وليس في العَصاه شيء أجود خشباً من السَّمُرِ، ينقل إلى القُرَى فتَغْمَى به البيوت، وحدثها سَمُرَةٌ، وبها سمي الرجل.

وإبل سَمُرِيَّةٌ، بضم الميم؛ تأكل السَّمُرَ؛ عن أبي حنيفة. وفي الصَّحاح في اللغة: والسَمُرَةُ بضم الميم، من شجر الطَّلح، والجمع سَمُرٌ وَسَمُرَاتٌ بالضم، وأسْمُرٌ في أدنى العدد. وفي مقاييس اللغة: والسَّمُرُ ضربٌ من شجر الطَّلح، وحدثه سَمُرَة، ويمكن أن يكون سَمِيٌّ بذلك لونه.

١- بحث مفصل عن بيعة الغدير وتنصيب الامام علي عليه السلام.



بيعة الغدير عند أئمة الحديث

أسهب أئمة الحديث - على اختلاف توجهاتهم - في ذكر الحديث عن بيعة الغدير ومنهم: ابن ماجه، والإمام الشافعي، والحاكم النيسابوري، وأحمد بن حنبل، والترمذي، والنسائي، وأبو يعلى الموصلي، والبغوي، والطحاوي، وابن المغازلي، والخطيب الخوارزمي، ومحب الدين الطبري، والحمويني، والهيثمي، والجزري، والقسطلاني، والمتقي الهندي، وتاج الدين المناوي، وأبو عبد الله الزرقاني، وابن حمزة الدمشقي وغيرهم كثير، وهذا التدقيق الإخباري المتواتر في ذكر الحديث لا يجعل مجال للشك في حادثة الغدير، فضلاً عن ذلك فإن اختلاف أزمان المحدثين يعزز مصداقية الواقعة ويؤكد أحداثها.

ومن الناحية الجغرافية فقد روى الحادثة ياقوت الحموي، ويعبد ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي الملقب بشهاب الدين من أبرز الجغرافيين العرب، توفي سنة (٦٢٦هـ / ١٢٢٩م)، وامتاز من سائر علماء البلدان بكثرة ملاحظاته وسعة نظره، وكان مثلاً لرجل الأدب واللغة والتاريخ والجغرافيا، إذ اطلع على ما كتب وألف في مجال الرحلات حول العالم العربي الإسلامي. انتهج ياقوت الحموي

وبعد استشهاد الإمام علي - وهو الإمام العادل -، تولى الحجاج بن يوسف الثقفي - وهو الحاكم الظالم -، سارع ابن عمر - ليلاً - إلى الحجاج واستأذن عليه كي يبايعه، فأذن له الحجاج بالدخول، وكان مستلقياً على فراشه، فمد إليه رجله لكي لا يضطر إلى الجلوس، فبايعه بالقبض على رجله، في الوقت الذي استنكف فيه عبد الله بن عمر من تقبيل يد الإمام علي عليه السلام، فحصد جزاء ما فعل حتى قبل قدم الحجاج!

أراد النبي ﷺ أن يكون مصير الحكم الإسلامي أمراً مفروغاً منه، فوظف كل فرصة للتعبير عن هذه الحقيقة، فحاول أن يفهم المسلمين أن علياً عليه السلام هو صاحب الأمر من بعده، وأنه خليفته ووصيه والقائم بالأمر من بعده، وقد وفق النبي ﷺ في ذلك إلى حد بعيد، والشاهد على ذلك قول الزبير بن بكار « كان عامة المهاجرين وجل الأنصار لا يشكون أن علياً هو صاحب الأمر بعد رسول الله ».





أسلوب تأليف كتب الموسوعات، وهو النمط الذي كان سائداً بين المؤرخين في القرن السابع الهجري، إلا أنه انفرد عن غيره من المؤرخين بكتابته المؤلفات الجغرافية والأدبية والشعرية، ومن أهم مؤلفاته معجم البلدان، وبعد الاطلاع على مصادر من ترجموا حياة ياقوت الحموي، لم نجد من عابه بشيء في ميوله واتجاهاته، أو في سلوكه الأخلاقي، أو شابه بشيء كبير، سوى ما ذكره الوزير جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي: (ت ٦٤٦هـ / ١٢٤٩م) من أنه: كان شديد الانحراف عن علي بن أبي طالب عليه السلام يرتكب في أمره ما لا يرتكبه أحد من مصنفى الفرق، حتى وقد نقل هذا القول كأنه قد طالع شيئاً من كتب ومذاهب الخوارج، فاشتبك في رأسه ما لم يزُل بعض من جاء بعد القفطي^(١)

حديث الغدير عند المفسرين

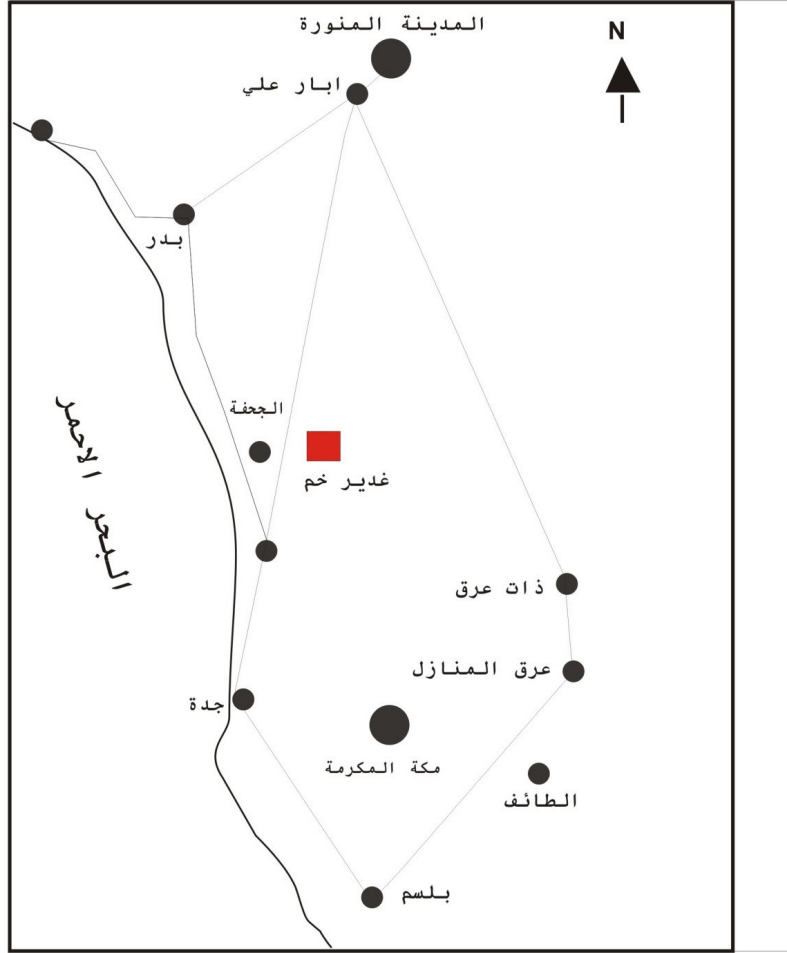
خاص كبار المفسرين في حديث الغدير، وذكره في كتبهم وتفسيرهم ومنهم: الطبري، والثعلبي، والواحدي في أسباب النزول، والقرطبي، وأبو السعود، والفخر

الرازي، وابن كثير الشامي، واليسابوري، وجلال الدين السيوطي، والآلوسي، والبغدادى، وذكره من المتكلمين طائفة جمّة في خاتمة مباحث الإمامة، وإن ناقشوا نقضاً وإبراماً في دلالة كالكاضي أبي بكر الباقلاني في تمهيد، والقاضي عبد الرحمن اليميني في مواقف، والسيد الشريف الجرجاني في شرحه، وشمس الدين الأصفهاني في مطالع النوار، والتفتازاني في شرح المقاصد، والقوشجي في شرح التجريد إلى غير ذلك من المتكلمين الذين تعرضوا لحديث الغدير وبحثوا حول دلالة ووجه الحجة فيه.

تسابق الأدباء والشعراء على نظم الحديث منذ صدوره من منبع الوحي، وإنشاده في أبيات وقصائد امتدت رقعتها منذ عصر انبثاق ذلك النص في تلك المناسبة إلى عصرنا هذا، وبمختلف اللغات والثقافات، وقد تمكّن الباحث المتضلع العلامة الأميني من استقصاء وجمع كل ما نظم باللغة العربية حول تلك الحادثة، والمؤمل والمتنظر من كافة المحققين على اختلاف ألسنتهم ولغاتهم استنهاض همهم لجمع ما نظم وأنشد في أدبهم الخاص.

١- بن خلكان، الوفيات، ج ٦، ص ١٢٧ || ص ١٢٨. الذهبي، تاريخ (٦٢١ - ٦٣٠هـ)، ص ٢٤٤. الحنبلي، شذرات، ج ٥، ص ١٢١.

الخريطة (١) موقع غدير خم



لم يستطيعوا لذلك سبيلاً، فذهبوا إلى التلاعب في معاني الألفاظ والالتفاف على حقيقتها على الرغم من وضوحها وبيانها ونقاوتها وسطوعها، وقد بذل بعضهم جهده الجهد على يزبح شيئاً من الحقائق الجلية في واقعة الغدير، ومنهم ابن تيمية الذي جمع سبع قرائن حاول -عن طريقها- نفي وجود الحارث بن النعمان الفهري وإبطال حدوث نزول العذاب

ولم تحظْ حادثة تاريخية في التاريخ الإسلامي بمثل ما حظيت به واقعة الغدير، ولقد استقطبت عناية الفئات المختلفة من المحدثين والمفسرين والكلاميين والفلاسفة والأدباء والكتّاب والخطباء وأرباب السير والمؤرخين كما استقطبت هذه الحادثة، ولقد اعتنوا بشيء مثلما اعتنوا بها، وحتى الذين حالوا دحض الواقعة أو التشكيك فيها



عليه؛ لما لهذه الحادثة المهمة من التأكيد من السواء على قبول ولاية أمير المؤمنين؛ متوخياً في ذلك ستر شمس الحقيقة وإخفاء نور الهداية عن الناس.

ويبدو أنّ يوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة الحرام كان معروفاً بين المسلمين بيوم عيد الغدير حتى أوقات متأخرة، وكانت هذه التسمية تحظى بشهرة كبيرة إلى درجة أنّ ابن خلكان يقول حول «المستعلّى ابن المستنصر»: - يُعد حديث الغدير من الأحاديث التاريخية الهامة والمصيرية التي أدلى بها رسول الله ﷺ في السنة الأخيرة من حياته المباركة، وقد كانت الاحتفالات حتى وقت متأخر تجري في بلاد مصر والمغرب والعراق بشكل رسمي وشعبي.

أسباب شهرة الحديث وتواتره فتعود إلى أسباب عديدة يمكن إجمالها بالآتي:

١. صرّح النبي ﷺ بالحديث في اجتماع حاشد ضمّ ما يربو على مائة ألف من المسلمين.

٢. كان الحديث بعد رجوعه ﷺ من أداء مناسك الحج في آخر سنة من حياته المباركة، ولا يخفى أنّ موسم الحج يعد بمنزلة مهرجان إعلامي

كبير يترقبه المسلمون بشوق ولهفة.

٣. المنطقة التي صرّح بها النبي ﷺ بهذا الحديث هي أرض خم التي تعدّ مفترق طرق، يفرّق عنده المسلمون باتجاهات متعدّدة، ويحظى المكان بأهمية كبيرة؛ كونه المكان الذي يفرّق عنده الحجيج.

٤. إنّ خلافة النبي ﷺ ليست بالأمر اليسير، فالمسلمون على اختلاف توجهاتهم كانوا يفكّرون ويبحثون في ذلك، وكلّما تمّ التطرق لهذا الموضوع، فإنّ حديث الغدير سيكون حاضراً بالأذهان.

٥. إنّ الحديث من الأحاديث المتأخّرة في حياة النبي ﷺ، لذا فإنّ وفاة النبي جعلت الناس تستذكر الأحداث الأخيرة من حياة النبي بكلّ تفصيلاتها.

٦. امتازت بيعة الغدير بالأسلوب الخاصّ في البيان والتعبير اللفظي والجسدي. وهي تعابير أكثر تأثيراً وأقرب إلى الدقة والثبات، فقد ابتدأت خطبة النبي ﷺ بسؤال استفهامي هو: ألسنّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ إذن علي فدنا فرفع



يده ورفع النبي ﷺ يده حتى نظرت إلى بياض إبطيه فقال: من كنت مولاه فعليّ مولاه، ورفع اليدين توثيق وتأكيد ودلالة على أهميّة القول وثباته، وهو من الوسائل التعليميّة الأكثر قوّة في تثبيت القول.

٧. تحظى خلافة النبي الكريم ﷺ بأهميّة كبيرة؛ لأنّ على عاتقها تقع أهميّة الحفاظ على الدين ومتابعة نشر الإسلام؛ لذا لم تكن خلافة النبي مسألة عابرة أو ثانوية.

٨. تَوَجَّ النبيُّ الأكرمُ الإمام عليّاً عليه السلام بعمامة بيضاء تُدعى السحاب وقال: هكذا تكون تيجان الملائكة، وأمر النبي ﷺ وصيّهُ وخليفته من بعده بالجلوس في خيمة خاصّة لتلقّي التهاني بهذا اليوم السعيد، عن قصد منه ﷺ لتثبيت الواقعة.

٩. هناك آيات قرآنيّة اقترنت ببيعة الغدير، فقد أنزل تعالى في تلك المناسبة آيات تلفت نظر القارئ إلى الواقعة عندما يتلوها، منها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ

وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس﴾ (المائدة / ٦٧)، وقد ذكر نزولها في واقعة الغدير جملةً من المفسرين يربو عددهم على الثلاثين، وكذلك قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة / ٣)، وقد نقل نزول الآية جماعة منهم يزيدون على ستة عشر، ومنها قوله عز وجل: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ * مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾ (المعارج / ١ - ٣)

١٠. أشار العلامة الأميني في كتاب الغدير أنّ رواة حديث الغدير من الصحابة يبلغون مائة وعشرة صحابياً، أمّا رواته من التابعين فهم أربعة وثمانون تابعياً، في حين بلغ عدد من نقلوا الحديث من أئمة الحديث وحفاظه والأساتذة ثلاثمائة وستون، فضلاً عن ألفوا من الفريقين في الغدير، والذين بلغوا بحسب إحصاء العلامة الأميني وما بلغ بيده ستة وعشرون؛ منهم الطبري صاحب التأريخ، وابن عقدة، والجعابي، والشيباني،



والغضايــــــــــــــــري والسجستاني،
والكراجكي وغيرهم.

١١. تداول الشعراء الواقعة في لا
مجال لذكره، والشعر -آنذاك- كان
الوسيلة الإعلامية الأبرز ومنهم
حسان بن ثابت شاعر النبي
ﷺ، وقيس بن سعد بن عبادة
الأنصاري سيد الخزرج، ومنهم
عمرو بن العاص العدو اللدود
للإمام أمير المؤمنين ﷺ، فلقد

مُحَمَّدُ النَّبِيِّ أَخِي وَصْنــــــــــــــــوي
وَجَعَفَرُ الَّذِي يُضْحِي وَيُــــــــــــــــسي
وَبِنْتُ مُحَمَّدٍ سَكَنــــــــــــــــي وَعُــــــــــــــــسي

أشار في قصيدته الجلجلة إلى واقعة
الغدیر، وأبو المستهل الكمي بن
زيد الأسدي وهو من شعراء القرن
الثاني، والسيد إسماعيل بن محمد
الحميري، ومن العجب أن عدداً
من النصاري ذكروا هذه الحادثة
نظماً ونثراً، ومن جملة الذين نظموا
واقعة الغدير هو مولانا أمير
المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ فقد
قال:

وَحَزَنَةٌ سَيِّدِ الشُّهُدَاءِ عَمِّي
يَطِيرُ مَعَ الْمَلَائِكَةِ ابْنُ أُمِّي
مَشُوبٌ لَحْمُهَا بِدَمِي وَلَحْمِي

وسبطا أحمد ولداي منها فأیکم له سهم سهمي

فَمَنْ مِنْكُمْ لَهُ سَهْمٌ كَسَهْمِي
مَا كَانَ مِنْ فَهْمِي وَعِلْمِي
رَسُولُ اللَّهِ يَوْمَ غَدِيرِ خَمٍّ

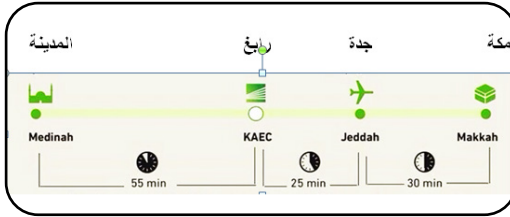
وَسَبْطَا أَحْمَدَ وَلَدَايَ مِنْهَا
سَبَقْتُكُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ طُرّاً عَلَى
فَأَوْجَبَ لِي وَلَايَتَهُ عَلَيْكُمْ

التسمية

مسند أحمد وكنز العمال والروضة النديّة
وجواهر العقدين وغيرها^(٥).

وهو قريب من الجحفة المسماة في هذا
الزمان رابغ بين مكة والمدينة في منتصف
الطريق تقريباً.

المسافة بين رابغ ومكة المكرمة والمدينة
المنورة



الغدير هو المياه الراكدة، ذات العمق
القليل، يغادرها السيل، أو مستنقع الماء،
الغدير هو النهر الصغير، غديرا الوجتين:
مجرىا الدّمع في الوجتين، لحيا الغدير:
جانباه غدير النبات: قِطْعَةٌ مِنْهُ^(١).

يأتي الغدير بمعنى المنخفض الطبيعي
الذي يجتمع فيه ماء المطر أو السيل، ولا
يبقى إلى القيظ^(٢)، أمّا حُمّ: فقد نقل
ياقوت الحموي عن الزمخشري قوله:
حُمّ اسم رجل صَبَّاح، أُضيف إليه
الغدير الذي بين مكة والمدينة بالجحفة
^(٣)، وأطلقت على موقع (غدير خم) عدة
أسماء تبعاً لتعاقب الأزمان والأجيال ممن
سكن المنطقة^(٤).

اسم الموقع:

١ - اشتهر الموضع باسم: «غدير حُمّ»،
ففي السيرة لابن كثير: (قال المطلب
بن زياد، عن عبد الله بن محمد بن
عقيل: سمع جابر بن عبد الله يقول: كنّا
بالجحفة بغدير حُمّ، فخرج علينا رسول
الله ﷺ من خباء أو فسطاط. وفي حديث
زيد بن أرقم، قال: (خطب رسول الله

وسمّي أيضاً (الجحفة) من باب تسمية
الجزء بالكل ؛ لأنّ حُمّاً جزءٌ من وادي
الجحفة الكبير، وهناك روايات كثيرة بأنّ
الموضع الذي نزل به النبي ﷺ بعد صدوره
من حجة الوداع، يُطلق عليه أيضاً
(الجحفة)، ومن تلك الروايات ما جاء في

١- معجم المعاني الجامع

٢- مؤسسة اهل البيت، مجلة تراثنا العدد ٢٥ السنة السادسة ١٤١١ هـ.

٣- معجم البلدان ٢: ٣٨٩.

٤- السيرة النبوية لابن كثير ٤: ٤٢٤، البداية والنهاية ٥: ٢٢٧، النهاية في غريب الحديث والأثر

٥- مؤسسة السبطين العالمية، ٢٠٠٨ www.sibtayn.com/ar/index.php?option



بغدير خُم تحت شجرات).

وقد ورد هذا الاسم في حديث السيرة لابن كثير ونصّه: «قال الإمام أحمد: حدثنا عفان حدثنا أبو عوانة عن المغيرة عن أبي عبيد عن ميمون أبي عبد الله، قال: قال زيد بن أرقم وأنا أسمع نزلنا مع رسول الله منزلاً يقال له وادي خُم».

وقد يُطلق عليه خُم اختصاراً، كما في كتاب صفة جزيرة العرب، فقد قال مؤلفه الهمداني وهو يُعدّ بلدان تهامة اليمن ومكة أحوازها لقريش وخزاعة، ومنها: مرّ الظهران، والتنعيم، والجعرانة، وسرف، وفخّ، والعصم، وعسفان، وقديد وهو لخزاعة والجحفة، وخُم، إلى ما يتصل بذلك من بلد جهينة ومحالّ بنى حرب، وأطلق عليه في بعض الحديث اسم: الجحفة؛ من باب تسمية الجزء باسم الكلّ، لأنّ خُمّاً جزء من وادي الجحفة الكبير.

الغُرَبَة، بضمّ الغين المعجمة وفتح الراء المهملة والباء الموحّدة، وهو الاسم الراهن الذي يُسمّيه به أبناء المنطقة في أيّامنا هذه، قال البلادي ويُعرف غدير خُم اليوم باسم الغُرَبَة، وهو غدير عليه

نخل قليل لأناس من البلاديّة من حرب، وهو في ديارهم يقع شرق الجحفة على أكيال، وواديها واحد، وهو وادي الخرار.

ويُقيّد لفظ (الغدير) بإضافته إلى (خُم) تمييزاً بينه وبين غدران أخرى، فُيِدَت هي الأخرى بالإضافة، منها غدير الأشطاط: موضع قرب عسفان، وغدير البركة: بركة زبيدة، وغدير البنات: في أسفل وادي خماس، وغدير سلمان: في وادي الأغراف، وغدير العروس: في وادي الأغراف أيضاً.

وقد يُطلق على غديرنا: (غدير الجحفة)، كما في حديث زيد بن أرقم: «أقبل النبي ﷺ في حجة الوداع حتى نزل بغدير الجحفة بين مكة والمدينة».

تحديد الموقع جغرافياً:

أكّد أغلب اللغويين والجغرافيين المؤرّخين على أنّ موقع غدير خُم بين مكة والمدينة، ففي لسان العرب مادة خم وخُم: (غدير معروف بين مكة والمدينة). وفي النهاية لابن الأثير مادة: خم (غدير خُم موضع بين مكة والمدينة). وفي معجم البلدان وقال الحازمي: خُم: (وادي بين مكة والمدينة)^(١).

وقال الزمخشري: خُم: (اسم رجل

بعد الغدير، ويأخذ بالاتساع أكثر حتى قرية الجحفة، ومن بعدها أكثر حتى البحر. فربما سلك أحدهم حافة الجبال، فتكون المسافة ميلاً، وقد يسلك أحدهم وسط الوادي، فتكون المسافة ميلين، ويسلك الآخر حافة الوادي من جهة السهل، فتكون المسافة ثلاثة أميال.

الخصائص الجغرافية لغدير خم

يحتوي غدير خم على جملة من الظواهر الطبيعية والبشرية التي تميز المنطقة ممّا يجاورها ويكسبها صفة خاصة منها:

١- العين:

ففي لسان العرب مادة: خم: (قال ابن الأثير: هو موضع بين مكة والمدينة تصب فيه عين هناك...)، وهذا الغدير تصب فيه عين).

وفي معجم البلدان: (وخم: موضع تصب فيه عين)، وتقع هذه العين في الشمال الغربي للموقع، كما سيوضح لنا هذا من ذكر المعالم الأخرى.

٢- الغدير:

وهو الذي تصب فيه العين المذكورة، كما هو واضح من النصوص المنقولة المتقدمة.

صباغ، أضيف إليه الغدير الذي هو بين مكة والمدينة)، ويبدو أنّه لا خلاف بينهم في أنّ موضع غدير خمّ بين مكة والمدينة، ولكن وقع شيء قليل من الخلاف بينهم في تعيين مكانه بين مكة والمدينة، فذهب الأكثر إلى أنّه في الجحفة، ويعنون بقولهم: في الجحفة أو بالجحفة وادي الجحفة.

أمّا المسافة بين موضع غدير خمّ والجحفة (القرية أو الميقات)، فحدّدت - فيما لديّ من مراجع - بالآتي: حدّدها البكري في معجم ما استعجم بثلاثة أميال، ونقل عن الزمخشري: أنّ المسافة بينهما ميلان، ناسباً ذلك إلى (القيّل)؛ إشعاراً بضعفه وإلى القول بأنّ المسافة بينهما ميلان وقدّرها الفيروز آبادي المسافة بثلاثة أميال، قال في القاموس - مادة: خمّ: (وغدير خمّ: موضع على ثلاثة أميال بالجحفة بين الحرمين). وقدّرها بميل كلّ من نصر وعرام. ففي تاج العروس - مادة: خمّ: (وقال نصر: دون الجحفة على ميل بين الحرمين الشريفين)، وفي معجم البلدان: (وقال عرام: ودون الجحفة على ميل غدير خمّ). وهذا التفاوت في المسافة من الميل إلى الاثنين إلى الثلاثة أمر طبيعي؛ لأنّه يأتي من اختلاف الطريق التي تسلك، ولاسيما أنّ وادي الجحفة يتسع



٣- الشجر:

في حديث الطبراني: (إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خطب بغدير خُمّ تحت شجرات)، وفي حديث الحاكم: (لَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ حَجَّةِ الْوُدَاعِ، وَنَزَلَ غَدِيرَ خُمّ أَمَرَ بِدُوحَاتٍ فَقُمِمْنَ).

وفي حديث أحمد: وَظَلَّلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ بثوب على شجرة سَمُرَةٍ مِنَ الشَّمْسِ. وفي حديثه الآخر: (وَكُسِحَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَحْتَ شَجَرَتَيْنِ فَصَلَّى الظُّهْرَ).

والشجر -المشار إليه هنا- من نوع (السَّمُر)، وهو من شجر الطَّلَح؛ وهو شجر كبير الحجم؛ ولذا عبّر عنه بـ«الدوح» كما في الأحاديث والأشعار التي مرّ شيء منها، واحده «دوحة»؛ وهى الشجرة العظيمة المتشعبة ذات الفروع الممتدة، وهى غير -الغيضة-؛ لأنّه متفرّق في الوادي هنا وهناك، وشجرة الطلح هي رمز للصحراء، وارتبطت بحياة البدو وأشعارهم؛ لانتشارها الكبير في الصحراء، إذ تتحمّل أقسى الظروف الجوية، فهي تتحمّل العطش والجفاف الذي تمتاز به جزيرة العرب، وما زالت شجرة الطلح هي إحدى مصادر الرعي والفَيء في الصحراء الحارقة المقفرة، وقد ذكرت شجرة الطلح في القرآن الكريم، إذ قال

تعالى في وصف النعيم في الجنة: ﴿وَطَلَحٍ مَّنْضُودٍ﴾ سورة الواقعة آية ٢٩. يصل طول هذه الشجرة إلى ٢٠ متراً بحسب نوعها، ويبقى نموها لمدة ٣٠ سنة ثم تبدأ بالتآكل والتراجع، يحتوي بعض من أنواعها على مواد سامّة، ولها أشواك طويلة، وهى ذات أزهار صفراء بداخلها بذور تسمى القرصي، ولها أيضاً ثمار قرنية الشكل، ويتم استخراج نوع من أنواع الصمغ العربي من هذه الأشجار، وتتكاثر أشجار الطلح بالبذور، وهناك العديد من أنواع الطلح العربي نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر العراقي والنجدي والحبيشي والسمري السناري والعسلي والنوبي والطويل والحسك. للطلح فوائد كثيرة، إذ استفاد الإنسان من خشبه وثمره وأزهاره وحتى من الصمغ التي تفرزه. فاستعملت أخشابها في سقف البيوت قديماً، وفي الصناعات الخشبية المختلفة حديثاً، ويستخرج من شجرة الطلح الصمغ العربي، وتم الاستفادة من ثمارها وأزهارها وبذورها في الطب الحديث في علاج الكثير من الأمراض، وتعدّ أزهار الطلح من مصادر غذاء النحل الذي يعد عسلها من أجود أنواع العسل المستخرج في العالم لفوائده الكثيرة. ويستخرج من الطلح حامض



شجر السمر المنتشرة في وادي خم



ولم يخل الشعراء العرب في ذكر الطلح في قصائدهم سواء في الشعر الفصيح أم الشعر الشعبي العامي، فهذا أمير الشعراء أحمد شوقي يقول:

يا نائِحَ الطَّلَحِ أشباهُ عوادينا

نَشجى لَوادِيكَ أَمْ نَأْسَى لَوادينا

وهذا الشاعر العامي يقول:

يا طَلَحَ ما مَرَكْ مع الصبح صافي
طير غدا لي أَمْس والشمس حيه

أَتَلَى العَهْد به راح يطرد مقافي
خبري بـه أوما في جناحه هنيه

٤ - الغِيضة:

وهي الموضع الذي يكثر فيه الشجر ويلتفّ، وتُجمع على غياض وأغياض.

وموقعها حول الغدير، كما ذكر البكري في معجم ما استعجم، قال: (وهذا الغدير تصبّ فيه عين، وحوله شجر كثير ملتفّ، وهى الغيضة). ومرّ بنا أنّ صاحب المشارق ذكر أنّ حُما اسم غيضة هناك، وبها غدير تُسب إليها

٥ - النبت البرّي:

ونقل ياقوت الحموي في معجمه البلدان عن عَرام، أنّه قال: لا نبت فيه غير المرخ والثمام والأراك والعشر.

٦ - المسجد:

وذكروا أنّ فيه مسجداً شَيّد على المكان الذي وقف فيه رسول الله ﷺ، وصليّ وخطب ونصب عليّاً للمسلمين خليفة ووليّاً.

وعَيّنوا موقعه بين الغدير والعين، قال البكري في معجمه: وبين الغدير والعين مسجد النبي ﷺ « وفي معجم البلدان أنّ صاحب المشارق قال: (وخُم: موضع تصبّ فيه عين، بين الغدير والعين، وبينهما مسجد رسول الله ﷺ. ونقل ياقوت في معجم البلدان عن الحازمي أنّ (هذا الوادي موصوف بكثرة الوخامة).



وبالصيف الحارّ الذي كان في تلك الأيام
الثلاثة في تلك الصحراء الملتهبة.

المناخ

يسودّ مكّة المناخ الصحراوي الحارّ مثل
أغلب مدن شبه الجزيرة العربية، ونظراً
لوجود مكّة بالمنطقة المدارية، وبُعدها
النسبي عن ساحل البحر الأحمر، فهي
تتميز بمناخ جاف نسبياً، وترتفع درجة
حرارتها كثيراً في فصل الصيف فتصل في
شهر يونيو إلى ما يقارب ٤٧° مئوية، أمّا في
فصل الشتاء فتختلف مكّة عن باقي مدن
الجزيرة العربية، فهي تتميز بمناخ دافئ
وتتراوح درجة الحرارة بين ٢٥° مئوية
نهاراً و ١٧° مئوية ليلاً، أمّا الأمطار فيكثر
هطولها في شهور: نوفمبر، وديسمبر،
ويناير، ويبلغ المعدّل السنوي لهطول
الأمطار في مكّة ما بين ٢٥ و ٨٠ ملمتراً.
أمّا الرياح فتهبّ من الاتجاهات الشمالية،
والشمالية الغربية، والجنوبية الغربية، وتبلغ
متوسطة سرعتها ما بين ٣ و ٣٦ عقدة،
أمّا الرطوبة فهي متوسطة أغلب أوقات
السنة ويبلغ متوسط معدلها ما بين ٣٢ و
٥٧٪^(١).

ويقال: وَخِمَ المكان وخامة: إذا كان غير
ملائم للسكن فيه ومع وخامته ذكر عَرَام
- فيما نقله ياقوت عنه - أنّ به أناساً من
خزاعة وكنانة، ولكنّهم قليلون، قال:
(و به أناس من خزاعة وكنانة غير كثير).
يمكن تصوير عظمة يوم الغدير من
مجموع رواياته بما يأتي:

١. اقترنَ إبلاغُ النبي ﷺ للأُمّة بولاية
عليّ ﷺ بظروف ومميزات خاصّة، منها
الاجتماع الكبير، والأسلوب الخاصّ في
البيان، والمنبر الخاصّ الذي تفرّدت به
هذه الواقعة التاريخيّة، وأنها تزامنت مع
وداع النبي ﷺ لأُمّته. وهي خصوصيات
فريدة تدلّ على حرص النبي ﷺ على
تحصين الإسلام به من أي تحريف داخلي
أو عدوان خارجي.

٢. لم يقدّم النبي ﷺ قضية الإمامة
في يوم الغدير وبعده بصورة توجيهات
ونصيحة، بل بصورة حكم إلهي وأمر
نبوي؛ لذلك اقترن إعلانها بأخذ البيعة
لعليّ ﷺ من جميع المسلمين، وبأسلوب
الأمر الذي يستوجب الامتثال والطاعة.

٣. تميّز إعلانُ الغدير بظرفه الجغرافي
في ملتقى الطرق في الجحفة قبل أن يتفرّق
المسلمون في طريق عودتهم إلى أوطانهم،



حديث الغدير

تختلف أقوال المفسرين والمحدثين من حيث الإيجاز والتفصيل، ولكن المفاد واحد، والمعنى لا يختلف وإن اختلفت العبارات، وهذه صورة الواقعة: لما قضى رسول الله مناسكه وانصرف راجعاً إلى المدينة ومعه من كان من الجموع الغفيرة ووصل إلى غدير خم من الجحفة التي تشعب فيها طرق المدنيين والمصريين والعراقيين وذلك يوم الخميس الثامن عشر من ذي الحجة نزل إليه جبرائيل الأمين عن الله بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ (٣) الآية وأمره أن يقيم علياً علماً للناس وبلغهم ما نزل فيه من الولاية وفرض الطاعة على كل أحد، وكان أوائل القوم قريباً من الجحفة، فأمر رسول الله أن يرد من تقدّم منهم، ويحبس من تأخر عنهم في ذلك المكان ونهى عن سمرة خمس متقاربات دوحات عظام أن لا ينزل تحتها أحد، حتى إذا أخذ القوم منازلهم فقم (كنس) ما تحتها حتى إذا نوّدي بالصلاة صلاة الظهر عمد إليهن فصلي بالناس تحتها، وكان يوماً هاجراً يضع الرجل بعض رداءه على رأسه وبعضه تحت قدميه من شدة الرمضاء، وظلل لرسول الله بثوب على شجرة سمرة من

الشمس، فلما انصرف الرسول ﷺ من صلاته قام خطيباً وسط القوم على اقتاب الإبل وأسمع الجميع رافعاً عقيرته فقال: الحمد لله ونستعينه ونؤمن به، ونتوكل عليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، الذي لا هادي لمن ضل، ولا مضل لمن هدى وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمد عبده ورسوله - أما بعد: أيها الناس قد نبأني اللطيف الخبير أنه لم يعمر نبي إلا مثل نصف عمر الذي قبله، وإني أوشك أن أدعى فأجيب، وإني مسؤول وانتم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت ونصحت وجهدت فجزاك الله خيراً، قال: أستم تشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن جنته حق وناره حق وأن الموت حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور؟ قالوا: بلى نشهد بذلك، قال: اللهم أشهد ثم قال: أيها الناس ألا تسمعون؟ قالوا نعم قال: فلإني فرط علي الحوض، وانتم واردون علي الحوض، وإن عرضه ما بين صنعاء وبصرى فيه أقداح عدد النجوم من فضة فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين فنادى مناد: وما الثقلان يا رسول الله؟ قال: الثقل الأكبر كتاب الله طرف بيد الله عز وجل وطرف بأيديكم فتمسكوا





به لا تضلوا، والآخر الأصغر عترتي، وإن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض فسألت ذلك لهما ربي، فلا تقدموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا - ثم أخذ بيد علي فرفعها حتى رأي بياض أباطهما وعرفه القوم أجمعون، فقال: أيها الناس من أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم؟ فمن كنت مولاه فعلي مولاه، يقولها ثلاث مرات، وفي لفظ أحمد إمام الحنابلة: أربع مرات ثم قال: اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وأحب من أحبه، وأبغض من بغضه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه إذ دار، ألا فليبلغ الشاهد الغائب فتهافت عليه الناس يبايعونه، وجاء الشيخان: أبو بكر وعمر إلى رسول الله ﷺ وقالوا: هذا أمر منك أم من الله؟ فقال النبي: وهل يكون هذا عن غير أمر الله؟ نعم أمر من الله ورسوله فقاما وبايعا، فقال عمر: السلام عليك يا أمير المؤمنين بخ بخ لك لقد أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة!! هذه الواقعة من أشهر الحوادث بين المفسرين والمحدثين والمؤرخين، وتعدّ عندهم من أصحّ الأحاديث لتواتر الروايات الواردة حول الحديث.

الاستنتاجات

حديث الغدير من الأحاديث المتواترة التي أسهب أئمة الحديث على اختلاف توجهاتهم في ذكرها، ولم يحظَ حديثٌ وحادثةٌ بعناية المفسرين والمحدثين والرواة والكلاميين والفلاسفة والأدباء والكتّاب مثلما حظي حديث الغدير.

تركّت واقعة الغدير بصمات جليلة على وجه التاريخ، فهي حدث خالد بخلود الزمن، وأحاديث تلك الواقعة التي أجهدت العلماء على كثرتها ما زالت تحفر

أمّا حديث الغدير في صحيح البخاري

أكد أغلب اللغويين والجغرافيين والمؤرخين
على أن موقع غدير خمّ بين مكة والمدينة
كما في لسان العرب وفي النهاية لابن
الأثير.

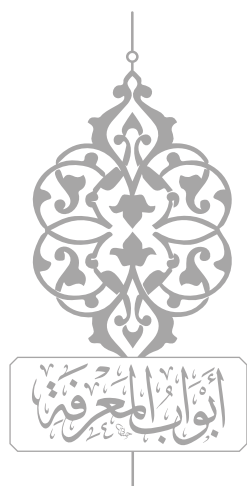
امتازت بيعة الغدير بالأسلوب الخاصّ
في البيان والتعبير اللفظي والجسدي،
وهي تعابير أكثر تأثيراً وأقرب إلى الدقة
والثبات.

في ذاكرة الزمن خلودها الأبدى.

هناك أسباب أدّت إلى شهرة الحديث
وتواتره، منها طبيعة البيان، فضلاً عن
المكان والزمان.

لم يُقدّم النبي ﷺ قضية الإمامة في يوم
الغدير وبعده بصورة توجيهات ونصيحة،
بل بصورة حكم إلهي وأمر نبوي؛ لذلك
اقترن إعلانها بأخذ البيعة لعلي عليه السلام من
جميع المسلمين.







تنوع إعجاز النص القرآني لحادثة (غدير خم)

أ.د. حسن عبد المجيد عباس الشاعر



جامعة الكوفة - كلية الآداب



قَالَ الْإِمَامُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

حَسْبُكَ الصَّدِيقُ
مَنْ نَقَرَ الْمَوَدَّةَ



مقدمة

﴿الحمد لله رب العالمين﴾، وصلى الله على رسوله المصطفى، المبعوث رحمة للعالمين، صاحب المعجزات ومنير الظلمات، وفيض الموجودات، وعلى آله الطاهرين، الأئمة الهداة المهديين، سفن النجاة، وأعلام الهدى، والعروة الوثقى، وعلى من اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد، فالنص القرآني ضارب بالإعجاز بجذور قنّتها السماء ودوحتهما المجد والعلواء وباطنها الخير والعطاء؛ وقد حكم عليه بذلك منشؤه، فجلبه بالبيان والتبيين والعلو والإعجاز والحق، فهو كلام الله تعالى، وخاتمة الكتب السماوية، وحرى به أن يكون على هذا القدر من الإحكام والبيان والمنعة، قال تعالى: ﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (سورة الإسراء ٨٨). وقوله سبحانه ﴿الرَّكِتَابُ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ (سورة هود ١). وقوله عز ذكره: ﴿وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ (سورة النمل ٦). وقال جل اسمه: ﴿بَلِسَانَ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ (سورة الشعراء ١٩٥). وصدق أمير

المؤمنين عليه السلام في قوله: ((فِيهِ تَبَيَّنَ لِكُلِّ شَيْءٍ وَ ذَكَرَ أَنَّ الْكِتَابَ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا وَأَنَّهُ لَا اخْتِلَافَ فِيهِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا وَإِنَّ الْقُرْآنَ ظَاهِرُهُ أُنِيقٌ وَبَاطِنُهُ عَمِيقٌ لَا تَفْنَى عَجَائِبُهُ وَلَا تَنْقُضِي غَرَائِبُهُ وَلَا تُكْشِفُ الظُّلُمَاتُ إِلَّا بِهِ)) (نهج البلاغة).

ومما عرض للباحث - وهو مؤمن بأن النص المنزل معجز - بسط الحديث في تنوع الإعجاز في نص مهمّ اشتمل على آية مهمّة جداً، ألا وهي آية تنصيب خليفة رسول الله ﷺ، أو النص القرآني لحادثة غدير خم المشهورة، وهو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (سورة المائدة ٦٧). وكان قد عنّ له سؤال في ذلك الشأن، ويحاول في هذا البحث الوصول إلى إجابة عنه. ومما أثير في البال: هل في هذه الآية أو النص المقدّس إعجاز واحد أو متنوع، وبعد فحص النص وتقليبه وإجالة الفكرة، خلص الباحث إلى ما أمكنه بفضل الله تعالى، أن في هذا النص أربعة أنواع من الإعجاز، سيقوم عليها البحث، وذلك بعد تقديم تمهيد





في السورة نفسها أم لإحدى السورتين المجاورتين.

والباحث في ذلك كله يتبع الوصف والتحليل، ويتابع ما له صلة بالموضوع من المصادر والمراجع البلاغية والنحوية والمختصة بالإعجاز العددي في محاولة للاستفادة منها قدر المستطاع، وهو يأمل من وراء ذلك رضا الله تعالى، وشفاعة محمد وعلي - صلوات الله عليهما وأهلهما -.

تهديد

(في معنى الإعجاز والإعجاز القرآني ولفظة خم في كتب اللغة والمعجمات)

أولاً / الإعجاز في اللغة والاصطلاح:

الإعجاز مصدر الفعل الثلاثي المزيّد بالهمزة (أعجز)، وهنا علينا البحث عن معنى الفعل (أعجز) في أشهر معجمات اللغة، الذي أصله الفعل الثلاثي المجرد (عَجَز - يَعْجِزُ)، وحتماً سيكون المرور على الفعل المجرد واقعاً. ذكر الخليل (ت ١٧٥هـ): ((أعجزني فلان إذا عجزت عن طلبه وإدراكه))^(١). وذكر الأزهري (ت ٣٧٠هـ): ((ومعنى الإعجاز الفُوت والسبق. يُقال أعجزني فلان، أي

عن معنى الإعجاز في معجمات اللغة العربيّة، وعن الإعجاز القرآني تخصيصاً بعد ذلك، ولفظة خم في كتب اللغة والمعجمات. علماً أنه لا يريد الخوض في ما اشتهر من الإعجاز القرآني في هذه الآية أو في النصوص القرآنية كلها بحسبان أن هذه جزءاً من هذه الآية يتعلق ببلاغة النص ودقة ألفاظه ونظمها...؛ وهذا أمر تداوله العلماء ووقفوا عليه طويلاً، وهو مجمعون عليه.

وهذه الأنواع الأربعة من الإعجاز، سيخصص لكل واحد منها مبحث، وهي الإعجاز التناسبي، القائم على الربط والمجاورة، ومهمته تتعلّق بهندسة القرآن الكريم، ومدى تعلّق الآية بما قبلها وما بعدها من الآيات، وقد يتجاوز الأمر إيجاد العلاقة بين السورة الواردة فيها والسورة التي قبلها والتي بعدها، ويمكننا أن نسميه النظم على المستوى الخارجي (عن السورة) أو البعيد، والإعجاز الأسلوبي، المختصّ بالتحليل الأسلوبي، والإعجاز التركيبي الجملي، وهو مبحث نحوي، والإعجاز العددي، القائم على الحسابات الرياضية في ما يخصّ رقم الآية أو عدد كلماتها؛ وعلاقة ذلك بالآيات ذات الصلة سواء أكانت



فَاتْنِي))^(١). وأشار ابن منظور (ت ٧١١هـ) إلى الشيء نفسه^(٢). وذكر أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ) من باب وضع الدلالة المحورية أو المركزية للجذر اللغوي الذي اشتقت منه الفعل (أعجز): «الْعَيْنُ وَالْجِيمُ وَالزَّاءُ أَصْلَانِ صَحِيحَانِ، يَدُلُّ أَحَدُهُمَا عَلَى الضَّعْفِ، وَالْآخَرُ عَلَى مُؤَخَّرِ الشَّيْءِ. فَالْأَوَّلُ عَجَزَ [عَجَزَ] عَنِ الشَّيْءِ يَعْجِزُ عَجْزًا، فَهُوَ عَاجِزٌ، أَيْ ضَعِيفٌ. وَقَوْلُهُمْ إِنَّ الْعَجْزَ نَقِصُ الْحَزْمِ فَمِنْ هَذَا: لِأَنَّهُ يَضْعُفُ رَأْيُهُ. وَيَقُولُونَ: «الْمُرءُ يَعْجِزُ لَا مَحَالَةَ»^(٣). وبحسب ما ذكر يتضح أن العجز بمعنى الضعف، والإعجاز بمعنى الفوت والسبق.

والإعجاز اصطلاحاً لا ينفك يخرج على المعنى اللغوي، ولأنه ارتبط بالقرآن الكريم، والقرآن الكريم كلام الله تعالى، الذي تحدّى به الجن والإنس من الإتيان بمثله، تعلّق الإعجاز اصطلاحاً بالكلام. ذكر الجرجاني (ت ٨١٦هـ): ((الإعجاز: في الكلام هو أن يؤدّي المعنى بطريق هو أبلغ من جميع ما عدها من الطرق))^(٤). وأشار في موضع آخر: ((حد الإعجاز:

هو أن يرتقي الكلام في بلاغته إلى أن يخرج عن طوق البشر، ويعجزهم عن معارضته))^(٥). وهو يقصد بذلك القرآن الكريم لا محالة، علماً أن إعجاز القرآن الكريم لا يقف على حدود الكلام فحسب، وكونه بليغاً، وإنما تجاوز ذلك إلى أنواع متعدّدة من الإعجاز، وكون النص من الله تعالى، فسيبقى نبعاً متدفقاً لا ينضب ماؤه على مرّ الزمان، والدليل على ذلك تعدّد وجوه إعجازه منذ القدم حتى يومنا هذا.

ثانياً / الإعجاز القرآني:

الإعجاز القرآني، بوصفه مركّباً من لفظتين، تركيب قائم على المصاحبة أو الملازمة بينهما، وبتركبهما ينصرف المعنى إلى شيء واحد لا غير، هو أن الأمر المعجز المتحدث عنه كائن في القرآن الكريم. والإعجاز القرآني بهذا المعنى موضوع قديم قدم نزول القرآن الكريم بين ظهري العربي وتداوله في ما بينهم إعجاباً جعلهم يحفظونه ويحلّونه ويعظّمون قدره، وارتبط الأمر مرة بكونه كتاب الله

١- لسان العرب (عجز): ٣٦٩/٥ - ٣٧٠.

٢- معجم مقاييس اللغة (عجز): ٢٣٢/٤.

٣- كتاب التعريفات: ٣١/١.

٤- المصدر نفسه: ٨٤/١.

٥- إعجاز القرآن، عبد الكريم الخطيب: ١٢٧/١.



تعالى، وهذا شأن تعلق بالمسلمين، وأنه تعالى أكد إعجازه، وارتبط مرةً أخرى بكونه كلاماً أعجب من ليس له صلة بالإسلام، فكانوا بين من سلّم بإعجازه ومن لم يسلم، فركنَ إلى العناد والعداء، تأخذهم العزة بالإثم.

وأراءهم في فضل القرآن، وفي إعجازه.. ولعلّ “الزنجشري” أشهر هؤلاء المفسرين وأولاهم بالذكر في هذا المقام، إذ كان تفسيره “الكشاف” يبحث عن نطاق الإعجاز في كتاب الله.. في آياته آية، آية، وفي كلماته كلمة، كلمة..^(١)

وموضوع جديد لا يكاد يظهر منه معجب حتى يبدو معجب غيره، فالمتبعون له لا يفتأون يُعملون الفكر، فيأسرهم ما فيه من الكنوز الربانية، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾^(٢).

وتمخّض عن ذلك كلّ صور متعددة من الإعجاز القرآني، عرض لها العلماء، ثم جمعها المتأخر منهم. وهي تدور في ما يأتي^(٣):

١. القرآن الكريم معجز ببلاغته.
٢. إخباره عن المغيبات.
٣. الصّرفة، في كون الله تعالى صرف الخلق عن أن يعارضوه.
٤. أسلوبه خاص، ما فيه تنافّض ولا اختلاف.
٥. لفظه موجز، ومعانيه كثيرة.
٦. إعجازه كائن في نظمه.
٧. جامع لأمر كثيرة يصعب حصرها.
٨. عدم الملل والسأم من قراءته.
٩. جمعه بين الجزالة والعدوبة.

وذكر الأستاذ عبد الكريم الخطيب فيما يخصّ دراسة الإعجاز قديماً: ((وقد كان نصيب “الإعجاز” في مباحث القرآن نصيباً موفوراً، وقد أفرده بعضهم بدراسة خاصّة. كما فعل عبد القاهر الجرجاني، وعبد الجبار، والرماني والخطّابي، والباقلاني.. إلّا أن أكثر مباحث الإعجاز هي التي كانت تجيء في ضمن مباحث التفسير، أو القراءات.. فمعظم الذين فسّروا القرآن الكريم حاولوا أن يجعلوا في صدر تفسيرهم إشارات تتضمّن

١- سورة الإسراء، من الآية ٢٠.

٢- ينظر. الإتيان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي: ٤/ ٢٧-٢٨، والكيلات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، الكفوي: ١/ ١٤٩-١٥٠، والبلغة إلى أصول اللغة، محمد صديق خان: ١/ ٢٣٠-٢٣١.

٣- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي: ١/ ٩٢.



١٠. الغنى عن غيره كونه خاتم الكتب السماوية.

١١. آياته لا تعدم ما بقيت الدنيا.

يجب عليه الالتزام بثلاثة عشر شرطاً منها كفايته العلمية بالعلوم الدينية والدنيوية، وعدم الانحراف عن المعاني الحقيقية للمعاني المجازية، وعدم التلاعب بقواعد النحو العربي ولا الأساليب البلاغية، وأنه يتعامل مع نص يُشير إلى العلوم إشارة لا تتعارض مع حقائقها^(٢).

يزاد على ذلك أننا يجب أن نراعي شيئاً مهماً، وهو أن ثمة فرقاً بين التفسير العلمي لآيات القرآن الكريم والإعجاز العلمي للقرآن الكريم. وهو أمر في غاية الأهمية، وذو بال عظيم: ((التفسير يبقى جهداً بشرياً، لحسن فهم دلالة الآية القرآنية لمن أصاب فيه أجران، ولمن أخطأ أجر واحد، والخطأ في التفسير لا يمكن أن ينسحب على جلال القرآن الكريم. أمّا الإعجاز العلمي للقرآن: فلا يجوز أن يوظّف فيه إلا القطعي من الثوابت العلمية؛ لأنّ المقصود بالإعجاز العلمي هو إثبات أن القرآن الكريم الذي أوحى به إلى نبي أمي ﷺ في أمة كانت غالبيتها الساحقة من الأميين من قبل أربعة عشر قرناً يحوي من حقائق هذا الكون ما لم يتمكّن الإنسان من الوصول إليه إلا منذ عقود قليلة، وبعد مجاهدات

نخلص إلى أن صور الإعجاز القرآني متعدّدة، وهي تظهر من زمان إلى آخر بلباس جديد بأبهى حلّة قاطعة الأزمنة لتخلص إلى ما يعجب ويهر أبناء الزمان الذي تظهر فيه. من ذلك ما ظهر في العصرين الحديث والمعاصر من الإعجاز العلمي، الذي واكب العلوم والمبتكرات الحديثة وربط بينها وبين آيات القرآن الكريم ووجد أن كتاب الله سبق زمانه وأشار إلى تلك العلوم والمبتكرات من قبل: ((إن في ذكر الآيات الكونية والعلمية في القرآن دليلاً على إعجاز آخر فهو بذلك يومئ إلى أن الزمن متجه في سيره إلى الجهة العلمية القائمة على البحث والدليل، وأن الإنسانية ذاهبة في أرقى عصورها إلى هذا المذهب، وأن الدين سيكون عقلياً، وأن العقل هو آخر أنبياء الأرض))^(١). فتلحظ عنايته بالطب، والكيمياء، والعلوم الرياضية والطبيعية وجيولوجيا الأرض...، والمفسر للقرآن الكريم بلحاظ هذه العلوم والمبتكرات

١- ينظر. الإعجاز العلمي في القرآن الكريم: ١/ ٣٧-٤٣، ٦٩-٧١.

٢- الإعجاز العلمي في القرآن الكريم: ١/ ١٠٠.



طويلة وهذا لا يمكن لعاقل أن يتصور له مصدرًا إلا بوحى من الله الخالق البارئ المصور^(١).

ومن صور الإعجاز القرآني في زماننا ما يتعلّق بالعدد وهندسة القرآن الكريم، ففي ما يخصّ الإعجاز العددي فيه، فهو قائم على حسابات تتعلّق بسور القرآن الكريم وعدد آياته وحروفه بعد الاستعانة بالحاسب الالكتروني^(٢). ثم تطوّر الأمر إلى حساب الكلمات المتشابهة ومقارنتها بنظائرها مرّة أو ما يضادّها مرّة أخرى^(٣)، وبعد ذلك صار النظر إلى الأعداد الواردة في الآيات القرآنية وعدد آيات السور وكلمات الآيات ودراسة العلاقات في ما بينها باستعمال العمليات الحسابية الأربع^(٤).

وهندسة القرآن الكريم موضوع يمكن أن يكون قديماً وحديثاً، وهو أقرب إلى ما يعرف بالتناسب. فهو يعنى بمواضع السور والآيات، ومناسبة مفتتح السورة وهذا مصير واضح وضوح الشمس ولن يأفل ما بقيت الدنيا.

والقرآن الكريم (معجزة لا تُرى بالعين؛ ولا تلمس باليد! وإنه لن يخرج

١- ينظر. الذرية الخاتمة بحوث في الإعجاز العددي مع بعض التطبيقات، جساس الذهبي: ١٢.

٢- ينظر. الإعجاز العددي للقرآن الكريم، عبد الرزاق نوفل: على سبيل المثال ص ٨ (مواضع ورود لفظتي الشياطين والملائكة).

٣- إعجاز العدد في القرآن الكريم، د. حسن عبد المجيد الشاعر، د. حيدر جبار عيدان، بحث منشور في مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، العدد ٣٧، الجزء الثاني: ٦٨١.

٤- ينظر. التناسب ودوره في الإعجاز القرآني، إقبال وافي نجم، رسالة ماجستير من كلية التربية للبنات / جامعة الكوفة، ٢٠٠٩: ٨، ١٣، ١٨، ٣٤.

٥- هندسة القرآن، دراسة فكرية جديدة في تحليل النص، د. جمال البدري: ١١.

٦- إعجاز القرآن، عبد الكريم الخطيب: ٢٢/١.



من هذا الكلام ما يراه الناس بأعينهم،
ويلمسونه بأيديهم.. وإنما على الناس
أنفسهم أن يسمعوا لهذا الكلام، وأن
يتدبروا آياته.. وعندئذ يرون ببصائرهم -
لا بأبصارهم - في كل آية معجزة قاهرة..
تعتوها الجباه؛ وتخضع لها الرقاب! ^(١).

ثالثاً / حُم في كتب اللغة والمعجمات:

في ما يخصّ حادثة الغدير، فقد كفانا
كتاب الغدير، أو موسوعة الغدير للعلامة
الأميني - قدس الله سره - ^(٢)، والذي يهمنا
هنا ما ورد عن تسمية (حُم) في كتب اللغة
والمعجمات:

قال ابن دريد (ت ٣٢١هـ) في معجمه:
(حُم: غدير معروف وهو الموضع الذي
قام فيه رسول الله ﷺ خطيباً يفضل
أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه
السلام) ^(٣).

قال الفارابي (ت ٣٥٠هـ) في معجمه:
(وغدير حُم: اسم موضع) ^(٤).

قال الجوهرى (ت ٣٩٣هـ) في معجمه:
(وغدير حُم: اسم موضع بين مكة
والمدينة بالجحفة) ^(٥).

قال أبو الفضل اليحصبى (ت ٥٤٤هـ)
في كتابه: ((حُم)) بِضَم الحُاء وَشَد المِيم
ذَكَرَ فِي مُسَلَّم أَنَّهُ مَاءٌ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ
عَلَى ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ مِنَ الْجَحْفَةِ وَحُمٌ هِيَ
الْغِيْضَةُ الَّتِي هُنَاكَ وَهِيَ غَدِيرٌ مَشْهُورٌ
بِهِ شَهْرَتٌ فَيُقَالُ غَدِيرٌ حُمٌ ^(٦). وقال
في موضع آخر: ((غدير حُم ذكرنا خفا في
حرف الحاء وهو غدير تصب فيه عين
وبين الغدير والعين مسجد للنبي ﷺ)) ^(٧).

قال نشوان بن سعيد الحميرى
اليميني (ت ٥٧٣هـ) في كتابه: ((حُم)): غدير
حُم: موضع «٥» بالجحفة شديد الوباء.
قال الأصمعي: «لم يولد بغدير حُم أحد
فعاش إلى أن يحتلم إلا أن ينجو منه» ^(٨).

قال أبو موسى الأصبهاني
المديني (ت ٥٨١هـ): ((هيح)) - في
الحديث: (٢) «اللهم انقل حُمها إلى مهيع»:

١- الغدير في الكتاب والسنة والأدب، الشيخ عبد الحسين أحمد الأميني النجفي: ١/ ١٨- ٢٦.

٢- جهرة اللغة (حُم): ١/ ١٠٨- ١٠٩.

٣- معجم ديوان الأدب (باب فعل بضم الفاء) ٣/ ٢٢.

٤- الصحاح (خوم): ٥/ ١٩١٦.

٥- مشارق الأنوار على صحاح الآثار: ١/ ٢٥١.

٦- مشارق الأنوار على صحاح الآثار: ٢/ ١٤٣.

٧- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: ٣/ ١٦٦٦.

٨- المجموع المغيث في غريب القرآن والحديث: ٢/ ٥٢٢.



وهي الجُحْفَة (٣) وبها غدير خم. (٣) قال الأصمعي: لم يولد بغدير خم أحد، فعاش إلى أن يحتلم إلا أن يتحول منها. ويقال: إن الجُحْفَة كانت إذ ذاك لليهود، فلذلك دعا بنقل الحُمى إليها. وأرض هيعة ومهيعة: مبسوطة، وكان اسمها مهيعة إلى اجتفاف السيل فسميت جُحْفَة)) (١).

قال ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ): ((وغدير خم موضع)) (٢). وقال في موضع آخر: ((في الحديث ونقل حماتها إلى مهيعة قال ابن قتيبة مهيعة الجُحْفَة وغدير خم بها قال الأصمعي لم يولد بغدير خم أحد فعاش إلى أن يحتلم إلا أن يتحول منها)) (٣).

قال ابن الأثير الجزري (ت ٦٠٦هـ): ((وفيه ذكر «غدير خم» موضع بين مكة والمدينة تصب فيه عين هناك، وبينهما مسجد للنبي ﷺ)) (٤). وقال في موضع آخر: ((فيه «وانقل حماتها إلى مهيعة» مهيعة: اسم الجُحْفَة، وهي ميقات أهل الشام، وبها غدير خم، وهي شديدة الوخم. قال الأصمعي: لم يولد بغدير خم أحد

فعاش إلى أن يحتلم، إلا أن يتحول منها. وفي حديث علي «اتقوا البدع والزمو المهيعة» هو الطريق الواسع المنبسط. والميم زائدة، وهو مفعول من التهييع: الانبساط)) (٥).

قال ابن منظور (ت ٧١١هـ): ((وخم: غدير معروف بين مكة والمدينة بالجُحْفَة، وهو غدير خم، وقال ابن دُرَيْد: إنما هو خم، بضم الخاء)) (٦).

قال الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ) في معجمه: ((وغدير خم: على ثلاثة أميال) بالجُحْفَة بين الحرمين. (أو خم: اسم غيضة هناك، بها غدير ماء سم، لم يولد بها أحد فعاش إلى أن يحتلم، إلا أن يتحول منها)) (٧).

قال مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) في معجمه: ((وغدير خم: ع على ثلاثة أميال) هو (بالجُحْفَة)، وقال نصر: دون الجُحْفَة على ميل (بين الحرمين) الشريفيين... وجاء ذكره في الحديث، قال ابن الأثير: هو موضع بين مكة والمدينة، تصب فيه عين هناك وبينهما مسجد سيدنا

١- غريب الحديث (باب الخاء مع النون): ١/ ٣٠٩.

٢- المصدر نفسه (باب الميم مع الياء): ٢/ ٣٨٠.

٣- النهاية في غريب الحديث والأثر (خم): ٢/ ٨١.

٤- المصدر نفسه (مهيعة): ٤/ ٣٧٧.

٥- لسان العرب (فصل الخاء المعجمة): ١٢/ ١٩١.

٦- القاموس المحيط (فصل الخاء): ١/ ١١٠٤.

٧- تاج العروس من جواهر القاموس (خم): ٣٢/ ١٢٤.



رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، (أَوْ خُمْ: اسْمُ غَيْصَةٍ هُنَاكَ
بَهَا غَدِيرٌ مَاءٌ سَمٌّ لَمْ يُولَدْ بِهَا أَحَدٌ، فَعَاشَ
إِلَى أَنْ يَحْتَلِمَ إِلَّا أَنْ يَنْتَقِلَ مِنْهَا). وَارَى ذَلِكَ
لِرَدَاءَةِ هَوَائِهَا وَخُبْثِ مَائِهَا^(١).

قال أحمد رضا في معجمه: ((غدير
خم: موضع على ثلاثة أميال بالجحفة
بين الحرمين، أو غيضة هناك فيها غدير
ماء))^(٢).

وبعد هذا كله، يمكن القول: إنَّ خم،
بضم العين وتضعيف الميم، اسم موضع
(غدير أو غيضة أو عين أو ماء) بين مكة
والمدينة، وهو موضع مخصوص في موضع
أعم منه، ويعرف بالجحفة (بقية الماء في
جوانب المكان) بضم الجيم واسكان الحاء
وفتح الفاء؛ وقد جمع فيه رسول الله ﷺ
المسلمين، وقام فيهم خطيباً لبيان فضل
علي بن أبي طالب - عليهما السلام - .
ويبدو أن موضع الاجتماع بالمسلمين صار
مسجداً بعدئذ، فذكر أن خم غدير تصب
فيه عين ماء، وما بين الغدير والعين
مسجد للرسول.

وهذا الموضع شديد الوباء، ومن
يولد فيه لا يعيش إلى وقت بلوغ الحلم

إِلَّا إِذَا غَادَرَهُ مِنْ قَبْلِ، وَأَنْ رَسُولَ اللَّهِ دَعَا
عَلَى سَاكِنِيهِ (اليهود) فَزَلَّتْ بِهِمُ الْحُمَى،
الَّتِي سَبَبَهَا رَدَاءَةُ الْهَوَاءِ وَخُبْثُ الْمَاءِ. وَأَنْ
اسْمَهَا الْأَوَّلُ كَانَ هَيْعَةً وَمَهْيَعَةً، أَيْ وَاسِعَةً
مَنْبَسُطَةً حَتَّى جَاءَهَا السَّيْلُ ثُمَّ غَادَرَهَا
فَسُمِّيَتْ بِالْجُحْفَةِ بَعْدَ تَشَقُّقِ أَرْضِهَا
وَتَجَمُّعِ الْحِجَارَةِ فِيهَا، وَالظَّاهِرُ أَنَّهَا كَانَتْ
مَوْضِعاً لَاسْتِرَاحَةِ أَهْلِ الشَّامِ فِي تَرْحَالِهِمْ.
وَمِنْ النَّكْتِ مَا يَسْتَشْفِ مِنْ كَلَامِ مَوْلَانَا
صَاحِبِ الْمُنَاسِبَةِ، أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ ((اتَّقُوا
الْبِدْعَ، وَالزُّمُومَا الْمَهْيَعَةَ))^(٣) أَنَّهُ قَصْدُ بِالْمَهْيَعِ
مَوْضِعَ بَيْعَةِ الْمُسْلِمِينَ لَهُ بِالْخِلَافَةِ بِأَمْرِ
السَّمَاءِ؛ فَكَأَنَّ مَنْ يُلْزَمُهُ سَيْسِيرٌ فِي طَرِيقٍ
وَاسِعَةٍ مَنْبَسُطَةٍ، وَمَنْ لَا يُلْزَمُهُ سَيْسِيرٌ فِي
طَرِيقٍ ضَيِّقَةٍ وَعَرَةٍ.

١- معجم متن اللغة (باب الخاء): ٣٣٨ / ٢.

٢- نهج البلاغة: ٢٤٥.

٣- التناسب: ١٣.



المبحث الأول

الإعجاز التناسبي (الارتباطي)

توجيه الآيات المتكررة في القرآن الكريم، المتفقة بالشكل، أو المختلفة في بعض الأجزاء بالتقديم والتأخير، أو الزيادة؛ ورفع الإشكال الحاصل فيها من لدن غير المتبصرين ممن يعسر عليهم فهم هذا التعبير الجليل^(١). على حين بحث البقاعي، والسيوطي في تناسب السور القرآنية وآياتها، والغرض الذي سيقى له السورة، والنظر فيما يتطلبه هذا الغرض من المقدمات ومراتبها في القرب والبعد، ومناسبة أوائل السور لأواخرها، وما يستتبعه هذا من اللوازم، وهو يوصل السامع إلى وجه النظم فيما بينها، وتعلق بعضها ببعض، ووجه الحكمة فيه^(٢).

ولم يهمل المفسرون الحديث عن التناسب، فقد عرض له الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، والزنجشيري (ت ٥٣٨هـ)، والرازي (ت ٦٠٦هـ)، وغيرهم. ومن المحدثين برع فيه محمد رشيد رضا (ت ١٩٥٣م)، ومحمد عبد الله دراز (ت ١٩٥٨م)، ومحمد شلتوت (ت ١٩٦٦م)، وسيد قطب (ت ١٩٦٦م)، وابن عاشور (ت ١٩٧٣م) وغيرهم^(٣).

عجبا، يظهر الإعجاز في كل زمان بما يجهله أهله أو لا يقدرّون عليه، سبحانه، كيف يتم الانسجام بين أمور كثيرة مع الحفاظ على البيان وسمو الخطاب، إنه تدبير الخالق المبدع.

يعرف التناسب بأنه ((علم يهتم ببيان وجوه الترابط بين أجزاء الآيات القرآنية، أو بين مجموعة من الآيات التي تشكّل فيما بينها مقطعاً متجانساً ليمثّل موضوعاً واحداً، ويتّسع الأمر ليشمل العلاقات والروابط ما بين السور جميعاً، وهو ما يُعطي فهماً أشمل وأدق لآيات القرآن الكريم))^(٤).

ونظراً في تناسب الآيات الخطيب الإسكافي (ت ٤٢٠هـ)، وأحمد بن إبراهيم الغرناطي (ت ٧٠٨هـ)، والبقاعي (ت ٨٨٥هـ)، والسيوطي (ت ٩١١هـ)، فبحث الخطيب الإسكافي، ووالاه الغرناطي في

١- ينظر. درة التنزيل وغرة التأويل، تح: د. محمد مصطفى آيدين: مقدمة المؤلف، وملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه التشابه اللفظ من أي التنزيل، تح: د. محمود كامل أحمد: السفر الأول / مقدمة المؤلف: ٣.

٢- ينظر. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تح: عبد الرزاق غالب المهدي: مقدمة المؤلف، سورة الفاتحة: ١/ ١١، وأسرار ترتيب القرآن، تح: عبد القادر أحمد عطا: ٥٣.

٣- ينظر. التناسب: ١٩- ٣٤.

٤- سورة المائدة: الآيات ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨.



وما دام الأمر متعلقاً بآية من القرآن الكريم، فستكون العناية واجبة بكتب التفسير التي عرضت لسبب نزولها وما يتناسب معها من الآيات في المواضع الأخرى سواء أكانت في السورة نفسها مما يجاورها أم في السور الأخرى بارتباط معنوي ذي صلة بموضوع الآية أو من اختصت به.

يُلحظ الارتباط والتناسب مرّة في السورة نفسها، ومرّة أخرى في السور التي تجاورها، وهذا التناسب مرّة له صلة بالموضوع، ومرّة أخرى بمن وجب عليهم. وستبين ذلك إن شاء الله تعالى.

ففي ما يخصّ ارتباط هذه الآية بالسورة التي وردت فيها، فنجد أن السورة اسمها المائدة، وأمير المؤمنين (عليه السلام) قدم الله تعالى تنصيبه للمسلمين خليفة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله). وهذا التنصيب يمثل الهدية السماوية للبشر، وليس التقريب هنا من باب التشبيه والانطباق، وبالطبع هو خارج عن الحدود التشريعية، فأمر المؤمنين (عليهم السلام) أشرف من هذه الماديات، وإن كانت مرسلة من السماء على سبيل المعجزة.

ويلحظ الارتباط بالآيات المجاورة

لها، ما يسبقها وما يليها ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاَهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٦٥) وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكْمَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ (٦٦) يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٦٧) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٦٨)﴾^(١)، ربما ستقول إن الحديث هنا عن أهل الكتاب، فما الربط والمناسبة بين هذا والآية موضع البحث؟، الجواب عن ذلك: أن ما وقع على أهل الكتاب مشابه لما وقع للمسلمين، فهم لم يسمعوا كلام الله تعالى ولم يؤمنوا به وبرسوله وبما أمرهم به؛ لذلك تراهم بعيدين عن الخيرات ومنغمسين في الكفر. ويُلحظ ارتباط بالموضوع، وهو الولاية والإمامة، وهذا ملحوظ في الآيات الرابعة والخمسين، والخامسة والخمسين،



والسادسة والخمسين من السورة نفسها، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾^(١). والمخصوص في الآيات، من تصدق بالخاتم في أثناء الركوع، وأنه المخصوص بطاعة المسلمين؛ بوصفه صاحب الولاية الربانية الشرعية عليهم^(٢).

وفي ما يخص ارتباط الآية موضع البحث بالسور المجاورة، وهما سورتا النساء والأعراف، فيلاحظ صلتها بالآيات التي جات في موضعها من هاتين السورتين، فنجد التناسب كائنا في الآية ٦٧ من السورتين أو مجموع آيات متصلة بها؛ ففي سورة النساء يكمن الارتباط في الآيات ٦٦-٧٠. قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا

كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعْظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثِيثًا وَإِذَا لَا تَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا وَلَهْدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عِلِيمًا﴾^(٣). يلاحظ أن الحديث عن أهل الكتاب، وإن أفعالهم شابته أفعال المسلمين في عدم طاعة الله ورسوله باتباع ما جاء عنهما، ويلاحظ أن السياق اختار لفظة الفضل المتصل بالله تعالى كما جاء في سياق آية التصديق بالخاتم ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾.

وفي سورة الأعراف يكمن الارتباط والتناسب في الآيات ٦٦-٦٨. قال تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ابْلُغْكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾^(٤). والحديث متصل

١- ينظر. تفسير التبيان: ٣/ ٥٥٦-٥٦٦.

٢- سورة النساء: الآيات ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠.

٣- سورة الأعراف: ٦٦، ٦٧، ٦٨.

٤- سورة النساء: (٥٩).



قال محمد رشيد بن علي رضا القلموني الحسيني (ت ١٣٥٤هـ) متحدثا عن التلازم بين سورتي النساء والمائدة: ﴿أَنَّ هَاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ فِي التَّلَازُمِ وَالِاتِّحَادِ نَظِيرُ الْبَقَرَةِ وَآلِ عِمْرَانَ، فَتَأْنِكَ اتِّحَادُنَا فِي تَقْرِيرِ الْأُصُولِ مِنَ الْوَحْدَانِيَّةِ وَالنَّبُوَّةِ وَنَحْوَهُمَا، وَهَاتَانِ فِي تَقْرِيرِ الْفُرُوعِ الْحُكْمِيَّةِ، وَقَدْ خُتِمَتِ الْمَائِدَةُ بِالْمُنْتَهَى مِنَ الْبُعْثِ وَالْجُزَاءِ، فَكَأَنَّهَا سُورَةٌ وَاحِدَةٌ وَقَدْ اشْتَمَلَتْ عَلَى الْأَحْكَامِ مِنَ الْمُبْدَأِ إِلَى الْمُنْتَهَى﴾ (٣).

وهذا الاتحاد والارتباط بين السورتين يخص الأحكام التي اشتملتا عليها بحسب ما ذكر؛ ولننظر كيف يتحدث الدكتور محمد الذهبي (ت ١٣٩٨هـ) عن تفسيري الصافي للفيض الكاشاني (ت ١٠٩١هـ)، وفتح القدير للشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) في أن مؤلفيهما يربطان في نقل الروايات من أجل تفسير الآية ٦٧ من سورة المائدة (آية حادثة الغدير) بينها وبين ما جاء في سورة النساء في تخصيص الولاية بآل البيت عليهم السلام، أو ما جاء في آية التصديق بالخاتم في سورة المائدة في ما يخص نسبة الولاية لعلي بن أبي طالب، وبتهم المؤلفين

بأهل الكتاب، وكيف تحدوا الأنبياء والرسول ولم يطيعوهم في ما يبلغونه عن الله تعالى على الرغم من أنهم يحملون لهم النصيح الذي يؤدي بهم إلى خير الدنيا والآخرة. وهو مشابه لما مر على النبي في حادثة الغدير وما جرى بعد رحيله إلى الرفيق الأعلى، وحدث الانقلاب على أهل بيته من لدن أمته.

ويلحظ أيضا ورود آية طاعة ولي الأمر المكلف من الله تعالى بإدارة شؤون الدولة والمسلمين في الآية التاسعة والخمسين من سورة النساء في ما يخص الارتباط بموضوع آية حادثة الغدير، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (١). فالمخصوص بأولي الأمر في الآية هم آل محمد عليهم السلام، وليس أفضل من طاعة الله ورسوله وآل محمد من الأئمة المعصومين الميامين المطهرين (٢).

وقد لاحظ العلماء من قبل هذه المناسبات الكائنة في السورة وما يجاورها.

١- ينظر. تفسير البيان: ٣/ ٢٣٦.

٢- تفسير المنار: ٦/ ٩٦.

٣- ينظر. التفسير والمفسرون: ٢/ ١٢٦-١٢٨، ٢١٤.



به، ذكر الكفوي (ت ١٠٩٤ هـ): ((كل شيء امتدَّ فهو أسلوب، وكأنَّه (أفعل) من السَّلب، لأنَّه لا يخلو من المدِّ، ومنه شجر سلب: أي طویل، لأنَّه إذا أخذ ورقه وسعفه امتدَّ وطال وهو الفنُّ والطريقة والجمع أساليب))^(٤). ويظهر من التعريفين اللغوي والاصطلاحي أنَّه يعني الفن والطريقة انتقل بالمعنى من الحسيات العينية التي تكون بالمشاهدة إلى الحسيات الذوقية المتعلقة بالكلام. فلكل متكلم أسلوبه، أي طريقته الخاصة بالكلام.

وحديثاً صار الأسلوب علماً^(٥)، ويعني -في أبسط صورته- طريقة التعبير لدى غير المختصين، وبوصفه علماً صار يعني بـ((بيان الخصائص التي تميز كتابات أديب ما، أو تميز نوعاً من الأنواع الأدبية بما يشيع في هذه أو تلك من صيغ صرفية مخصوصة، أو انواع معينة من الجمل والتراكيب، أو مفردات يؤثرها صاحب النص الادبي))^(٦).

وذكر أن مصطلح الأسلوب ارتبط

في اتباع ما ضعف من الروايات^(١). وفي حقيقة الأمر من يرجع إلى التفسيرين في موضع الآيات المعنية بالولاية للإمام علي مرّة، أو الحديث عن ولاة الأمر من المسلمين، وهو أهل البيت عليهم السلام لا يجد شيئاً مما ذكر، وكأنَّه وضع يده على الربط والتناسب وهو ينتصر لمذهبه ولا يعلم أنه يضعف من رأيه وعقيدته في من يتولى^(٢).

المبحث الثاني

الإعجاز الأسلوبي

الأسلوب في اللغة: ((يُقَالُ لِلسَّطْرِ مِنَ النَّخِيلِ: أُسْلُوبٌ. وَكُلُّ طَرِيقٍ مَمْتَدٍّ، فَهُوَ أُسْلُوبٌ. قَالَ: وَالْأُسْلُوبُ الطَّرِيقُ، وَالْوَجْهُ، وَالْمَذْهَبُ؛ يُقَالُ: أَنْتُمْ فِي أُسْلُوبٍ سُوءٍ، وَيُجْمَعُ أُسَالِيبٌ. وَالْأُسْلُوبُ: الطَّرِيقُ تَأْخُذُ فِيهِ. وَالْأُسْلُوبُ، بِالضَّمِّ: الْفَنُّ؛ يُقَالُ: أَخَذَ فُلَانٌ فِي أُسَالِيبٍ مِنَ الْقَوْلِ أَيِ أَفَانِينَ مِنْهُ))^(٣).

وفي الاصطلاح يربط المعنى اللغوي

١- ينظر. تفسير الصافي: ٢/ ٥١٠-٧١، وفتح القدير: ٢/ ٦٩.

٢- لسان العرب (سلب): ١/ ٤٧٣.

٣- الكليات: ١/ ٨٢-٨٣.

٤- ينظر الأسلوبية والأسلوب، د. عبد السلام المسدي: ٥.

٥- الأسلوب والنحو دراسة تطبيقية في علاقة الخصائص الأسلوبية ببعض الظواهر النحوية، د. محمد عبد الله جبر: ٥-٦.

٦- ينظر. الأسلوبية والبيان العربي، د. محمد خفاجي، د. محمد السعدي، د. عبد العزيز شرف: ١٢، ١٥.



بمصطلح البلاغة، والأساليب بسيطة ومتوسطة وسامية، وهناك خصائص لأسلوب الشعر تختلف عن النثر، وفيهما ما هو حقيقة ومجاز، وهناك قدرة الأديب على الابتكار. وفي التحليل الأسلوبي يعتمد على ثلاثة عناصر هي: العنصر اللغوي وهو خاص باللغة، والعنصر النفعي وهو خاص بعناصر خارجة على اللغة، المؤلف، القارئ، الموقف التاريخي، وهدف الرسالة، والعنصر الجمالي الأدبي القائم على التأثير^(١).

ومعاني الكلام في عرف البلاغيين، وليس أصولها مختلف في عددها، قال ابن السيد البطليوسي (ت ٥٢١هـ): ((فأما معاني الكلام الذي يتركب من هذه الأصول، فإن المتقدمين والمتأخرين، قد اختلفوا في أقسامها، كم هي؟ فزعم قوم أنها لا تكاد تنحصر، ولم يتعرضوا لحصرها، وهو رأي النحويين البصريين من أهل زماننا. وزعم قوم أن الكلام كله قسمان: خبر، وغير خبر. وهذا صحيح، ولكن يحتاج كل واحد من هذين القسمين إلى تقسيم آخر. وزعم آخرون أنها عشرة: نداء، ومسألة، وأمر، وتشفع، وتعجب وقسم، وشرط، وشك، واستفهام.

وزعم آخرون أنها تسعة، وأسقطوا الاستفهام، لأنهم رأوه داخلاً في المسألة. وزعم قوم أنها ثمانية، وأسقطوا التشفع، لأنهم رأوا داخلاً في المسألة كدخول الاستفهام. وزعم قوم أنها سبعة وأسقطوا (الشك)؛ لأنه من قسم الخبر. وزعم آخرون أنها ستة، وأسقطوا الشرط، لأنهم رأوه من قسم الخبر. وكان أبو الحسن الأخفش يرى أنها ستة، وهي عنده: الخبر، والاستخبار والأمر، والنهي، والنداء، والتمني. وقال قوم هي خمسة: قول جازم، وهو خبر، وأمر، وتضرع، وطلب، ونداء. وقال جماعة من النحويين: الكلام أربعة: خبر، واستخبار، وطلب، ونداء. فجعلوا الأمر والنهي داخلين تحت الطلب، والتمني داخلاً تحت الخبر. وقال آخرون، وهم الذين حكى قولهم ابن قتيبة: أقسام الكلام أربعة: أمر، واستخبار، وخبر، ورغبة. وقال قوم: هي ثلاثة: أمر، واستخبار، وخبر، وجعلوا الرغبة داخلة في الأمر. والكلام في تحقيق هذه الأقوال وتبين الصحيح منها، له موضع غير هذا^(٢). ولعل أقربها، وهو المتداول اليوم في التطبيقات البلاغية المدرسية التعليمية وغيرها أن

١- الاقتضاب في معرفة أدب الكتاب: ١/ ٥٨-٥٩.

٢- ينظر. جواهر البلاغة: ٥٣.



معاني الكلام ينقسم على خبر وغير خبر، ويقصدون به الإنشاء^(١).

والكلام ((البليغ الرصين الجزل، والفصيح القريب السهل، والجائر الطلق الرسل، وتلك هي أقسام الكلام الفاضل المحمود، أمّا الكلام المهجين المذموم، فلا يوجد في القرآن الكريم منه شيء. فالقسم الأول: هو أعلى طبقات الكلام، وأرفعها. والقسم الثاني هو: أوسطه وأقصده. والقسم الثالث هو: أدناه وأقربه. وقد نالت بلاغة القرآن الكريم من كل قسم من هذه الأقسام قدراً، وأخذت من كل نوع شعبة فانتظم بامتزاجها نمط من الكلام يجمع بين صفتي الفخامة والعدوبة، وهما صفتان، كأن بينهما تضاد؛ لأنّ الجزالة والمتانة تعالجان نوعاً من الوعورة» ولكن العدوبة ناتجة عن السهولة، فاجتماع الصفتين - مع تباينهما - في نظم القرآن، فضيلة خص بها القرآن الكريم، سرها الله بلطيف قدرته، ليكون آية بينه لنبيه ﷺ ودلالة على صحة دعوته^(٢).

وفي ما يخص البحث، وكونه يختص

بالقرآن الكريم، وهذا النص المبارك الكريم جاء في أعلى صور البلاغة، بأسلوب رفيع، أعجب من عرفوا بالبلاغة والبيان واشتهروا بها، فلا بد من تحليله بحسب عناصر التحليل الأسلوبية الثلاثة التي ذكرت، وأولها العنصر اللغوي، وهو يقوم على معاني الكلام التي تنقسم على إنشاء وخبر، أو ما يُعرف اليوم بالأساليب الإنشائية والخبرية.

ذكر أبو جعفر الطوسي (ت ٤٦٠هـ) أنّ آية حادثة الغدير: ((فيها خطاب للنبي ﷺ وإيجاب عليه تبليغ ما أنزل إليه من ربه وتهديد له إن لم يفعل وأنه يجري مجرى إن لم يفعل ولم يبلغ رسالته. فإن قيل كيف يجوز ذلك؟ ولا يجوز أن نقول: إنّ لم تبلغ رسالته فما بلغتها لأن ذلك معلوم لا فائدة فيه!))^(٣). وذكر أبو علي الطبرسي (ت ٥٨٣هـ) أن قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ﴾: ((نداء تشریف وتعظيم))^(٤).

وذكر أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) في ما يخص الآية موضع البحث: ((هذا نداء بالصفة الشريفة، التي هي أشرف أوصاف الجنس الإنساني، وأمر بتبليغ ما

١- دلائل الإعجاز بين أبي سعيد السيرافي والجرجاني: ١/ ٣٤-٣٥.

٢- التبيان في تفسير القرآن: ٢/ ٥٨٨.

٣- مجمع البيان: ٣- ٤/ ٢٢٣.

٤- تفسير البحر المحيط: ٣/ ٥٣٨.



الإنشائي وتأخر الخبري بترتيب جميل جمع بين الغاية والتنظيم، والترهيب والتسلية. الأسلوب إنشائي وخبري في آن، ويحمل في طياته نداء متبطناً بأسلوب الأمر والشرط والنفى. ويبدأ بالترهيب وينتتم بالتسلية.

وفي ما يخصّ العنصر الثاني من عناصر تحليل الأسلوب، وهو العنصر النفعي الخارجي (المؤلف، القارئ، الموقف التاريخي، وهدف الرسالة)، فيلحظ إبداع مؤلفه، وهو الله تعالى، وعناية قارئه به كونه كلاماً ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾^(٣) زيادة على عظم ما فيه، الذي يجرنا للوقوف على المشهد التاريخي الذي نزلت بسببه الآية موضع البحث، فإنّ اجتماع الحشود الغفيرة من المسلمين في موضع كغدير خم لا يكون إلا لأمر مهم جداً، وهذا الأمر المهم جداً مرتبط بالهدف، وهو سبب نزول الآية المختص بالبيعة للإمام علي بن أبي أمير للمؤمنين وولياً لهم بعد رسول الله ﷺ.

وفي ما يخصّ العنصر الثالث من عناصر تحليل الأسلوب، وهو العنصر الأدبي الجمالي، ومعلوم أن كلام الله تعالى

أنزل إليه^(١). وفي ما يخص الشرط ذكر: ﴿وإن لم تفعل بتبليغ ما أنزل إليك، وظاهر هذا الجواب لا ينافي الشرط، إذ صار المعنى: وإن لم تفعل لم تفعل، والجواب لا بد أن يغاير الشرط حتى يترتب عليه﴾^(٢).

واضح عناية المفسرين -ممن عنوا بالجانب اللغوي- بالأساليب الواردة في هذه الآية المباركة، وقد وقفوا على الأساليب الإنشائية الواردة فيها فحسب؛ لأهميتها، وهي النداء (الخطاب) (يا أيها الرسول)، والخطاب بـ (يا أيها الرسول) مخصوص بسورة المائدة فحسب، وذلك في الآيتين الحادية والأربعين والسابعة والستين. والأمر (بلغ ما أنزل إليك من ربك) والشرط (وإن لم تفعل)، والنفى (فما بلغت رسالته -جواب الشرط-)، ولم يعنوا بالأساليب الإخبارية (والله يعصمك من الناس)، (إن الله لا يهدي القوم الكافرين)، وهو تأكيد من الله تعالى على أن هنالك من سيكفر بالتبليغ، وأنهم سيقون على عمايتهم وضلالتهم.

واللطيف في الآية أنها اشتملت على الأسلوبين الإنشائي والخبري، وتقدّم

١- ينظر. المصدر نفسه: ٥٣٩/٣.

٢- سورة فصلت: الآية ٤٢.

٣- الحدود في النحو، شهاب الدين الاندلسي: ٤٧٤/١.



ويسمى: «الجملة»، نحو: «زيدٌ أخوك»، و«قام بكرٌ»^(٣). أو «عبارة عن اللفظ المفيد فائدة يحسن السكوت عليها»^(٤).

ولأن الموضوع يتناول الإعجاز الجملي أو التركيبي في آية واحدة من سورة المائدة، فلا بد من معرفة آراء العلماء في قدر الكلام المعجز، وهذا الأمر يختلف فيه بين أن يكون النص القرآني كله برمته معجزاً، أو السورة منه سواء أكانت طويلة أم قصيرة، وقيل أمر يتعلق بقليله وكثيره^(٥).

واللافت للنظر في الآية موضع البحث أن كلماتها بلغت خمساً وعشرين كلمة منتظمة في تسع جمل، هي (يا أيها الرسول... بلغ... أنزل إليك..... وإن لم تفعل.... فما بلغت.... والله.... يعصمك.... إن الله..... لا يهدي)، فالآية قصيرة وفيها حشد من الجمل، وهي متداخلة بعضها ببعض في مواضع، فتلاحظ الجملة الفعلية جزءاً من الجملة الاسمية في ثلاثة مواضع.

ويرى فيها كثرة الجمل الفعلية، وهو دليل على حيويتها ونشاطها، واحتشدت

كله أدبي وجميل ولا يعلوه نص آخر أدبياً وجماً، ولعل أبرز مظاهر الأدب والجمال فيه تكمن في ما تعرف به البلاغة، وهو الإيجاز بقوله تعالى: {ما أنزل إليك من ربك}، وهو بعيد عن المجاز العقلي المفرد المرسل في علاقتي الكلية أو الجزئية كونه يقصد شيئاً بعينه لا كلاً يُراد منه الجزء ولا جزءاً يُراد منه الكل. ولا ننسى الجمع بين الترهيب والتسليّة بما يعرف بالافتتان من المحسنات البديعية المعنوية، وسهولة ألفاظه وانسجامها مع جزالتها بما يعرف بالانسجام أو السهولة من المحسنات البديعية اللفظية.

المبحث الثالث

الإعجاز التركيبي (الجملي)

الجملة في العربية يقصد بها ((ما تركّب من كلمتين فصاعداً، بشرط الإسناد، أفاد أم لم يفد))^(١). ومثلها التركيب، وهو ((ما تركب من كلمتين، فصاعداً، كزيد قائم))^(٢). ومثلها الكلام، فهو ((عبارة عن كلّ لفظٍ مستقلّ بنفسه، مُفيدٍ لمعناه،

١- حاشية الآجرومية، عبد الرحمن النجدي: ٨/١.

٢- شرح المفصل، ابن يعيش: ٧٢/١.

٣- شرح ابن عقيل: ١٤/١.

٤- ينظر. اعجاز القرآن للباقلاني ١/ ٢٥٥-٢٥٦، والبلغة إلى أصول اللغة: ٢٣١/١.

٥- ينظر. الذرية الخاتمة بحوث في الإعجاز العددي مع بعض التطبيقات: ٢٠-٢٦.



المبحث الرابع الإعجاز العددي

الإعجاز العددي لون جديد من ألوان الإعجاز القرآني، والعلماء والباحثون مع مرور الوقت وزيادة التفكير في كتاب الله تعالى تظهر لهم مفاتيح منه كانت منغلقة، تشعرك بالانبهار أمام نص كريم ومبارك ومقدس يدلّك يوماً يعد يوم على أنه معجز، وأنه ليس من وضع البشر بل {من لدن حكيم خبير}، وأن الباطل لا يأتيه {من بين يديه ولا من خلفه}، وهذا الأمر يجعل العالم والباحث المؤمنين يحثان الخطأ من أجل سبر أغوار هذا البحر الزاخر بالخير والكنوز.

والبحث في هذا النوع من الإعجاز يريك أنه تطوّر شيئاً فشيئاً من النظر في لفظة ما وربطها بعدد آيات السور القرآنية، ثم البحث في عدد مرات ورود الكلمة وما يقابلها، وبالطبع هذا الأمر كائن في الكلمات الالفة للنظر التي وردت في مواضع كثيرة، ثم تطور إلى حساب عدد حروف جملة ما كالبسملة وربط المجموع بحوادث ما تهم العالمين ثم تطوّر إلى متابعة العمليات الحسابية والكسور والنسب المئوية فيه، ثم تطوّر إلى النظر في الأعداد الواردة في آياته - وليس أرقام

الجميل الفعلية في الجزء الأول من الآية على حين اختتمت بالجميل الاسمية الدالة على الثبوت، وهذا واضح من قوله تعالى: ﴿وَاللّٰهُ يَعِصْمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّٰهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾، فعصمة الله تعالى للرسول، وعدم هدايته للكافرين أمر ثابت لا زعزعة فيه.

ولنتقل إلى الحشد الجملي في الآية على الرغم من قصرها، ولنلاحظ كيف أنه مبهر، فإن أطول آية في القرآن الكريم في سورة البقرة، وهي آية التداين أو الدين رقمها ٢٨٧، وعدد كلماتها ١٢٩ انتظمت في ٤٠ جملة. فلاحظ الفرق بين الآيتين:

آية حادثة الغدير ٢٥ كلمة في ٩ جمل
آية الدين ١٢٩ كلمة في ٤٠ جملة

وبحسب القسمة الرياضية بينهما نخلص إلى أنه ١٢٩ كلمة في آية الدين يمكن أن تكون ٤٧ جملة، قياساً إلى آية حادثة الغدير. فانظر إلى جمال التعبير والإيجاز ووضوح الغاية والهدف، وإن تعددت الجمل وتداخلت.





المدرس أن عدد حروف البسملة (٢١) وليس (١٩). وعمد السيد أيمن الموسوي العاملي إلى ما رآه، وذكر أن عدد حروف البسملة (٢٠) حرفاً من دون احتساب ألف الرحمن^(٢)، ورأى الدكتور حسن الشاعر^(٣) (أن عدد حروف البسملة (٢٢) حرفاً باحتساب همزة (اسم) في (بسم)؛ وباحتساب عدد حروف البسملة الخاطيء الذي بنيت عليها معجزة القرآن وتوقيت الساعة تنهدم النظرية برمتها^(٤))).^(٥)

ومن الباحثين من أشار إلى استعمال الكسور في آية المواريث ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا الشُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ الشُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلِكُمُ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِيَنَّ

الآيات - وربطها بعدد آيات السورة أو عدد كلمات الآية أو حروفها أو بأرقام الآيات السابقة أو اللاحقة.... كل هذا وما زال الخوض في هذا المجال قائماً. وقد ذكر المهندس جساس الذهبي الدراسات السابقة في هذا المجال^(٦):

١- في سلسلة رسائل النور (المكتوبات) عرض بديع الزمان سعيد النورسي (ت ١٣٩٧هـ) بعض الألفاظ القرآنية مقارنة مع عدد آيات السور التي ترد فيها هذه الألفاظ.

٢- دراسة عبد الرزاق نوفل في كتابه: (الإعجاز العددي للقرآن الكريم)، و(معجزة الأرقام والترقيم في القرآن الكريم).

٣- بحث في إعجاز العدد (١٩) اسمه (معجزة القرآن الكريم)، للدكتور رشاد خليفة، وهو قائم على حساب حروف البسملة، وبنى عليه رأيه في حساب موعد قيام الساعة. وقد ردّ رأيه وبيّن فساد جماعته، هم: الكاتب المصري الدكتور مصطفى محمود، والكاتب السوري محمد صدقي بك، وردّ عليه علاء الدين

١- ينظر. الميزان في الإعجاز العددي للقرآن: ١٠٠-١٠١.

٢- إعجاز العدد في القرآن الكريم: ٦٧٨-٦٧٩.

٣- سورة النساء: الآيتان ١١، ١٢.



حروف كلمة (علي بن أبي طالب).

ويلحظ أن آية التصديق بالخاتم، وهي الآية ٥٤ من سورة المائدة، وما يتبعها الآيتان ٥٥، ٥٦. لهما صلة بالآية ٦٧ موضع البحث، فكلمة علي بن أبي طالب، تتألف من ١٣ حرفاً، إذا زيدت على رقم آية التصديق بالخاتم ينتج ٦٧، وبعدها آيتان متعلقتان يمثلان قولنا: أمير المؤمنين.

وأن أحاد أرقام الآيات ٤، ٥، ٦، المتعلقة بالتصدق بالخاتم إذا جمعناها ينتج ١٣، وأن مجموع هذه أرقام هذه الآيات يساوي ١٦٣ يطرح منه عدد جمع رقم كل آية منها ٩١٥٤ ١٠١٥٥ ١١٥٦ ١١١٥٦١ يكون ١١١١٠٩ ٣٠١ يكون ١٦٣ ١٣٣١٣ ثم نطرح منه عدد آيات سورة المائدة وهو ١٢٠ يكون ١٣٣ ١٣٠ ١٢٠، وهو عدد حروف (علي بن أبي طالب)، ويردنا إلى حاصل جمع رقم آية حادثة الغدير (٦٧).

ويلحظ أن العملية الحسابية الغالبة هنا هي الجمع، وهو منطبق تماماً على الغاية من هذه الحادثة المرتبطة بالآية موضع البحث، وهي جمع المسلمين تحت لواء واحد يسوده الحق تظلمه راية:

بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرَّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمْنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ^(١)؛ وأن في القرآن الكريم إشارة إلى إجراء العمليات الحسابية، والنسب المئوية للوصول إلى النتائج، ويمكن لحظ الجمع في الآية الخامسة من سورة الكهف، والطرح في الآية السابعة عشرة من سورة العنكبوت، والضرب في الآية الحادية والستين بعد المائتين من سورة البقرة، والقسمة في الآية الخامسة والستين من سورة الأنفال، والنسبة في الآية السادسة والستين منها، وفي الآية الثالثة والعشرين من سورة التوبة^(٢).

يُلاحظ أن مجموع كلمات الآية ٦٧ من سورة المائدة، موضع البحث هو ٢٥ كلمة بقدر حروف العبارة المصوغة بشأنها (علي بن أبي طالب أمير المؤمنين) ٢٥=٢٥، هذا شيء، والشيء الآخر أن رقم الآية ٦٧، وحاصل جمع العددين يساوي ١٣ بقدر

١- العدد في القرآن الكريم، عايد محمد عبد الله: ١٩٣-١٩٤، ١٩٤-١٩٥.

٢- العدد في القرآن الكريم، عايد محمد عبد الله: ١٩٣-١٩٤، ١٩٤-١٩٥.



خاتمة

(لا إله إلا الله، محمد رسول الله)،
ويحمل الراية رجل كرّار غير فرّار، عرفته
ساحات الحروب بالبسالة والشجاعة
والعزيمة والصبر كما عرفته ساحات الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر، وردّ كيد من
يريد النيل من الإسلام والمسلمين بالعلم
والسيف والعبادة بأرقى صورها وتمثلاتها.
إنه (عليّ بن أبي طالب) عليه السلام.

في المبحث الثاني تبين أن الإعجاز
الأسلوبي متمثل بوجوه متعددة، فالقرآن
الكريم معجز بأسلوبه لا محالة، وظهرت
في الآية موضع البحث ألوان من
الأساليب اللغوية والبيانية والبديعية
زيادة على مطابقتها للخارج في ما يخص
المؤلف والقارئ والتاريخ والهدف. يزداد
على ذلك ما اتضح فيها من التنظيم
في استعمال الأساليب اللغوية، الابتداء
بالإنشاء ثم الخبر، وكيف أنها ابتدأت
بالترهيب واختتمت بالتسليّة لصاحب
الرسالة.

بعد الفراغ من كتابة البحث، يخلص
الباحث إلى عرض ما تمخض عنه من
نتائج، وهي:

في التمهيد اتضح معنى الإعجاز بدقّة
متناهية، ومعنى الإعجاز القرآني، ومعنى
ختم في المعجمات اللغوية.

في المبحث الرابع استطاع البحث إيجاد
إعجاز عددي في أكثر من موضع، مستعيناً
بحسابات كلمات الآية أو رقمها وعدد
آيات السورة الواردة فيها، واستطاع إيجاد
علائق بينها وبين الآيات القريبة منها
في الموضوع في السورة نفسها أو في سورة
النساء.

في المبحث الأول اتضح مقدار
التناسب والربط بين آية حادثة الغدير
والآيات المتجاورة في السورة نفسها أو في
السورتين المجاورتين، وهما سورتا النساء
والأعراف. وكيف أن التناسب كان مرّة
بالموضوع ومرّة أخرى بمن وجب عليهم
الأمر.



المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الإتقان في علوم القرآن، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ / ٩٧٤م.
- أسرار ترتيب القرآن في بطن كتاب يحمل اسم تناسب الآيات والسور القرآنية، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تح: عبد القادر أحمد عطا، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ١٩٨٦م.
- الأسلوب والنحو دراسة تطبيقية في علاقة الخصائص الأسلوبية ببعض الظواهر النحوية، د. محمد عبد الله جبر، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، الاسكندرية.
- الأسلوبية والأسلوب، د. عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، ط ٣.
- الأسلوبية والبيان العربي، د. محمد خفاجي، د. محمد السعدي، د. عبد العزيز شرف، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط ١، ١٩٩٢.
- الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، مناهج جامعة المدينة العالمية، الناشر: جامعة المدينة العالمية - ماليزيا.
- إعجاز القرآن، المؤلف: أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب (ت ٤٠٣هـ)، المحقق: السيد أحمد صقر، الناشر: دار المعارف - مصر، الطبعة: الخامسة، ١٩٩٧م.
- إعجاز القرآن، عبد الكريم الخطيب، ط ١، مطابع دار الكتاب العربي بمصر، ١٩٦٤م.
- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، المؤلف: مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (ت ١٣٥٦هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الثامنة - ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م.
- الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي (ت ٥٢١هـ)، المحقق: الأستاذ مصطفى السقا - الدكتور حامد عبد المجيد، الناشر: مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، عام النشر: ١٩٩٦ م.
- البلغة إلى أصول اللغة، المؤلف: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي (ت ١٣٠٧هـ)، المحقق: سهاد حمدان أحمد السامرائي ((رسالة ماجستير من كلية التربية للبنات - جامعة تكريت بإشراف الأستاذ الدكتور أحمد خطاب العمر))، الناشر: رسالة جامعية - جامعة تكريت.





- تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.
- التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تح: أحمد قصير حبيب العمالي، دار إحياء التراث العربي.
- تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق جماعة من الباحثين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٩٣.
- تفسير الصافي، المولى محسن الملقب بالفيض الكاشاني (ت ١٠٩١هـ)، منشورات مكتبة الصدر، طهران، ط ٣، ١٤١٥هـ.
- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، المؤلف: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن ملا علي خليفة القلموني الحسيني (ت ١٣٥٤هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠ م.
- التفسير والمفسرون، المؤلف: الدكتور محمد السيد حسين الذهبي (ت ١٣٩٨هـ)، الناشر:
- مكتبة وهبة، القاهرة.
- التناسب ودوره في الإعجاز القرآني، إقبال وافي نجم، رسالة ماجستير من كلية التربية للبنات / جامعة الكوفة، ٢٠٠٩.
- تهذيب اللغة، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور (ت ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١ م.
- جمهرة اللغة، المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت ٣٢١هـ)، المحقق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧ م.
- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، السيد أحمد الهاشمي ط ١٣، المكتبة التجارية الكبرى بمصر، ١٩٦٣.
- حاشية الآجرومية، المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي الحنبلي النجدي (ت ١٣٩٢هـ).
- الحدود في علم النحو، المؤلف: أحمد بن محمد بن محمد البجائي الأبدي، شهاب الدين الأندلسي (ت ٨٦٠هـ)، المحقق: نجاة حسن عبد الله نولي، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة،



الطبعة: العدد ١١٢ - السنة ٣٣ - ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م.

درة التنزيل وغرة التأويل،
أبو عبد الله محمد بن عبد الله
الأصبهاني المعروف بالخطيب
الإسكافي (ت ٤٢٠هـ)، تح: د. محمد
مصطفى آيدين، ط ١، جامعة أم
القرى، معهد البحوث العلمية،
مكة المكرمة، ٢٠٠١م.

دلائل الإعجاز بين أبي سعيد
السيرافي والجرجاني، المؤلف:
حسن بن إسماعيل بن حسن
بن عبد الرازق الجناحي
رئيس قسم البلاغة بجامعة
الأزهر (ت ١٤٢٩هـ)، الناشر: دار
الطباعة المحمدية القاهرة - مصر،
الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

الذرية الخاتمة بحوث في الإعجاز
العددي مع بعض التطبيقات،
المهندس جساس الذهبي، ط ٢،
نيزك للطباعة والنشر، بغداد -
العراق، ٢٠٠٨م.

شرح ابن عقيل على ألفية ابن
مالك، المؤلف: ابن عقيل، عبد الله
بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني
المصري (ت ٧٦٩هـ)، المحقق:
محمد محيي الدين عبد الحميد،
الناشر: دار التراث - القاهرة،
دار مصر للطباعة، سعيد جودة
السحار وشركاه، الطبعة: العشرون
١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

شرح المفصل، المؤلف: يعيش بن
علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد
بن علي، أبو البقاء، موفق الدين
الأسدي الموصللي، المعروف بابن
يعيش وبابن الصانع (ت ٦٤٣هـ)،
قدم له: الدكتور إميل بديع
يعقوب، الناشر: دار الكتب
العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة:
الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

شمس العلوم ودواء كلام العرب
من الكلوم، المؤلف: نشوان بن
سعيد الحميري اليمني (ت ٥٧٣هـ)،
المحقق: د حسين بن عبد الله
العمرى - مطهر بن علي الإرياني
- د يوسف محمد عبد الله، الناشر:
دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)،
دار الفكر (دمشق - سورية)، الطبعة
١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

الصباح تاج اللغة وصحاح
العربية، المؤلف: أبو نصر
إسماعيل بن حماد الجوهري
الفارابي (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد
عبد الغفور عطار، الناشر: دار
العلم للملايين - بيروت، الطبعة:
الرابعة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

العدد في القرآن الكريم، عايد
محمد عبد الله، رسالة ماجستير
بإشراف الأستاذ المساعد الدكتور
عبد الإله جويعد، نوقشت في كلية
الآداب في جامعة القادسية عام
٢٠٠٣م.

الغدير في الكتاب والسنة والأدب،



- كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.
- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، المؤلف: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت ١٠٩٤هـ)، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة بيروت.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.
- مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، العدد ٣٧، ٢٠١٦.
- مجمع البيان في تفسير القرآن، الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٨٣هـ)، تح: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- المجموع المغيـث في غريبي القرآن والحديث، المؤلف: محمد بن عمر بن أحمد بن عمر بن محمد الأصهباني المدني، أبو موسى (ت ٥٨١هـ)، المحقق: عبد الكريم العزباوي، الناشر: جامعة
- الشيخ عبد الحسين أحمد الأميني النجفي (ت ١٣٩٠هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٩٤ م.
- غريب الحديث، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، المحقق: الدكتور عبد المعطي أمين القلعجي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ - ١٩٨٥.
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية و الدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، تح: د. عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء.
- القاموس المحيط، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
- كتاب التعريفات، المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.



أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - مكة المكرمة، دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع، جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى.

● مشارق الأنوار على صحاح الآثار، المؤلف: عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن اليحصبي السبتي، أبو الفضل (ت ٥٤٤هـ)، دار النشر: المكتبة العتيقة ودار التراث.

● معجم ديوان الأدب، المؤلف: أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، (ت ٣٥٠هـ)، تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، مراجعة: دكتور إبراهيم أنيس، طبعة: مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، عام النشر: ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

● معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

● معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة)، المؤلف: أحمد رضا (عضو المجمع العلمي العربي بدمشق)، الناشر: دار مكتبة الحياة - بيروت، عام النشر: [١٣٧٧ - ١٣٨٠ هـ].

● ملاك التأويل القاطع بذوي

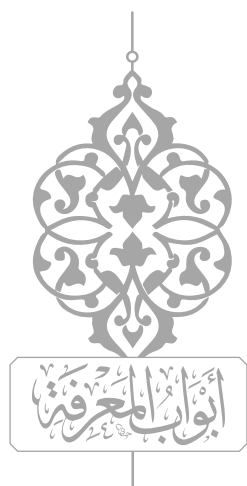
الإلحاد والتعطيل في توجيه المشابه اللفظ من أي التنزيل، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الأندلسي الغرناطي (٦٢٧-٧٠٨هـ)، تح: د. محمود كامل أحمد، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت.

● الميزان في الإعجاز العددي للقرآن، دراسة وتحقيق: السيد أيمن الموسوي العاملي، ط ١، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ٢٠٠١ م.

● نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت ٨٨٥هـ)، تح: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥ م.

● النهاية في غريب الحديث والأثر، المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

● هندسة القرآن، دراسة فكرية جديدة في تحليل النص، د. جمال البدري، الأوائل للنشر والتوزيع، سوريا، ط ١، ٢٠٠٣.





ملاحم من صفات
الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عند شعراء
الغدير في مدينة أصفهان
دراسة وصفية تحليلية

د. سمية حسنعليان



جامعة أصفهان، قسم اللغة العربية وآدابها



السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِينَ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ



الملخص:

الصفات العظيمة التي انماز بها عليه السلام.

وقد ظهر لديّ عن طريق البحث والتقصّي أن الشعراء الأصفهانيين قد سعوا بشكل دؤوب لعرض مناقب الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وفضائله في غديرياتهم، ولعلّ من أوضح المناقب التي تناولوها هي (العدالة - والشجاعة - والعلم - والأخلاق - والصبر)، وقد أشار أولئك الشعراء إلى الأفضلية التي سبق بها أمير المؤمنين عليه السلام غيره من بين كلّ أبناء الأمة الإسلامية، وقد اقتبس شعراء الغديريات في الأدب الفارسي مضامين تلك الأفضلية مما ورد في حق عليّ أمير المؤمنين عليه السلام من آيات بينات في القرآن الكريم، فضمّنوا بعض تلك الآيات المباركات في أشعارهم، أو أخذوا من مضامينها مادة تعينهم على كتابة قصائدهم، فضلاً عن أن الشعراء ضمّنوا قصائدهم الأحاديث النبوية الشريفة التي صدرت عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بحقه عليه السلام فأغنت تلك الآيات المباركات والأحاديث النبوية الشريفة شعرهم بمادة غنية عن حقائق فضائل ومناقب أمير المؤمنين عليّ عليه السلام.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم - الإمام علي عليه السلام - الغديريات - الشعراء - أصفهان - الفضائل - المناقب.

عني الأدباء الإيرانيون - الشعراء منهم والكتاب - بوصفهم مسلمين بالموضوعات الإسلامية بشكل كبير، حتى أصبح يمثل سمة واضحة في الأدب الفارسي لا يمكن أن نتغاضى عنها بوصفنا باحثين ومختصين سواء بالأدب الفارسي أم بالأدب العربي، ولعلّ من الأمور التي أولاهها الأدب الفارسي أهمية كبيرة قضية محورية في تاريخ الإسلام وهي ما عُرِفَت في المصادر التاريخية بـ (قضية الغدير) وما يتّصل بذلك اليوم المبارك من أحداث أو تداعيات على مستوى الأحداث التاريخية التي تلتها، وقد سعى الشعراء الفرس إلى كتابة قصائد خاصة عن ذلك اليوم اشتهرت عند الكتاب الإيرانيين بعنوان (الغديريات في الأدب الفارسي).

وقد سعيّت انسجماً مع تلك الغديريات إلى كتابة هذا البحث الذي استهدفُ عن طريقه دراسة ملامح من صفات الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في غديريات شعراء مدينة من مدن إيران، هي مدينة أصفهان مستعملة في كتابتي المنهج الوصفي - التحليلي؛ لأنّ القلم والبيان عاجزان أن يسطّرا كلّ صفات أمير المؤمنين، فاخترتُ ملامح من تلك





١- المقدمة:

العربية.

اشتملت الدراسة على الغديريات التي وردت في كتاب فارسي عنوانه (غديريه های شعر فارسي از قرن چهارم تا چهاردهم) [غديريات الشعر الفارسي من القرن الرابع إلى القرن الرابع عشر]، وقد اشتمل الكتاب على مجموعة قصائد شعرية لشعراء هم:

بابا أفضل الدين كاشاني (من القرن السابع)، مولانا كاشي، محمد حسن أفضل المتكلمين (من القرن الثامن)، سائل كاشاني (من القرن العاشر)، حكيم شفائي أصفهاني، شرف الدين حسن، ميرسند كاشاني، نجيب كاشاني، نور الدين محمد (من القرن الحادي عشر)، طيب أصفهاني، ميرزا عبد الباقي، عاشق أصفهاني، محمد الماسي أصفهاني، ميرزا محمد تقی شمس آبادي، هاتف أصفهاني، سيد احمد (من القرن الثاني عشر)، رشحه أصفهاني، محمد باقر، سروش أصفهاني، شمس الشعراء ميرزا محمد علي، شكيب أصفهاني، محمدرضا، شمس الأدباء، ميرزا سيد محمد أصفهاني، روشن اردستاني، ميرزا صادق، عنقاى أصفهاني، محمد حسين، صباى كاشاني، محمود خان ملك الشعراء، ميرزا حبيب أصفهاني،

بعد أن دخل الفرس الإسلام واعتنقوه رغبةً وطوعاً، عنواناً باللغة العربية بصفحتها لغة القرآن الكريم فضلاً عن عنايتهم بحوادث التأريخ الإسلامي ووقائعه، ولاسيما مايتعلق بزمان الرسول الأعظم عليه السلام أو عصر صدر الإسلام، ومن تلك الوقائع المهمة في تأريخ الإسلام قضية الولاية المتحققة لأمر المؤمنين الإمام علي عليه السلام في يوم الغدير المبارك يوم الثامن عشر من ذي الحجة.

وفضلاً عن الكم الكبير من القصائد العربية الكثيرة التي قيلت على لسان شعراء الفرس لتلك المناسبة وبذلك اليوم، فإن هناك كمّاً كبيراً يُعتدُّ به من القصائد البليغة باللغة الفارسية حول ذات الموضوع وتلك المناسبة العظيمة.

من هذا المنطلق استهدفت في هذا البحث دراسة ملاح من صفات أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام عند شعراء الغدير الإيرانيين، ولكن بسبب كثرة الغديريات الفارسية وتنوعها في العصور المختلفة فقد اقتصرنا في البحث على شعراء مدينة أصفهان؛ لأنني أصفهانية، وسأكون أولى من غيري في البحث بما يخص مدينتي (فأهل مكة أدري بشعابها) كما تقول الأمثال





صفی علیشاه، میرزا حسن آصفهانی (من القرن الثالث عشر)، صبوري كاشاني، محمد كاظم، فروغي آصفهانی، میرزا محمد حسین ذكاء الملك، طرب آصفهانی، ابو القاسم محمد نصیر، غمگین آصفهانی، محمد كاظم، یحیی مدرس آصفهانی، غروي آصفهانی، محمد حسین كمپانی، صغیر آصفهانی، محمد حسین (من القرن الرابع عشر)، گلزار آصفهانی، منشی كاشانی حسین علي، جلال الدین همایي، مكرم آصفهانی، محمد علي حبیب آبادي، نواي آصفهانی، جعفر نوابخش، مشفق كاشانی، عباس كي منش، اشتری آصفهانی، مرتضی (من القرن المعاصر).

إن كثرة هؤلاء الشعراء يدلّ على عناية الأصفهانيين طوال تأريخهم بموضوع الغدير وولائهم وحبهم للإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام.

وهناك دراسات سابقة تناولت ذات الموضوع أو ما يلامس توجهاته، إذ بحثت عن صورة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في أشعار بعض الشعراء، ولا تخلو الإشارة إلى بعضها من جدوى وفائدة، ومنها:

مقالة (سیماي امام علی عليه السلام در اشعار سید حمیری) [صوره الإمام علي عليه السلام في شعر السيد الحميري]. لعباس عرب

وشیرین سالم، مجلة لسان مبین، السنة ۳، الرقم ۸، ۱۳۹۱، ص ۱۹۸-۲۲۳.

مقالة (صورة الإمام علي عليه السلام في القصائد العلويات السبع لابن أبي الحديد المعتزلي). حسين عبد العال اللهبي، جامعة الكوفة، مهرجان الغدير العالمي الأول.

إلا أننا لم نحصل على دراسة وافية تعطي الموضوع حقه فيما يخص (الغديريات الأصفهانية).

وقبل أن نبدأ بالبحث يجدر بنا أن نُعرج على بعض الشخصيات والمصطلحات لنلقي عليها بعض الضوء زيادة في الفائدة المتوخاة من البحث.

أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام: لا تتسع هذه السطور القليلة للتعريف بشخصية أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، الذي شغل الدنيا بحميد صفاته المتميزة وبكلامه الزاهر، فعلي عليه السلام كان يُكنّى: أبا الحسن، وأبا الحسين، وأبا تراب، أمّا ألقابه: فأهمها وأوسعها على الإطلاق أمير المؤمنين، والمرضى، والوصي، وحيدر، ويعسوب المؤمنين، ويعسوب الدين. ولد عليه السلام

سنة ۳۰ بعد عام الفيل في اليوم الثالث عشر من رجب في يوم الجمعة في بيت الله





الحرام، وعاش بمكة عشرة سنوات، مع النبي ﷺ، قبل بعثته مترعراً في كنفه، وأقام بمكة مع رسول الله ﷺ ثلاث عشرة سنة بعد البعثة المباركة، ثم هاجر إلى المدينة المنورة فأقام بها مع النبي ﷺ عشر سنين، وأقام بعد أن مضى رسول الله ﷺ ثلاثون سنة.

أصفهان: مدينة الجمال والفن والإبداع، تقع في مركز إيران، وتعدّ مدينة العجائب وفيها معالم أثرية جميلة، وهناك مثل شهر في الفارسية يقول: (أصفهان نصف جهان) [أصفهان نصف العالم (الدنيا) فكان من زار مدينة أصفهان زار نصف العالم، وقد كانت المدينة منذ العصور الإسلامية المتقدمة مركزاً مهماً للأدب العربي، إذ كانت حاضرة من حواضر العلم والثقافة، وكان علماءها يعنون به قديماً وحديثاً، من أشهر علمائها المعنيين بالأدب العربي: رُسْتَه بن أبي الأبيض الاصبهاني، وأحمد بن علوية الكاتب الاصبهاني، والصاحب إسماعيل بن عبّاد، والطغرايي، وعماد الدين الكاتب

زفر ودادش خواهد گریخت ظلم وستم
وقال شاعر آخر وهو يصف عدل
أمير المؤمنين علي عليه السلام مشبهاً إياه بعدالة
رسول الله ﷺ مذكراً في الشطر الثاني من

الأصفهاني، وأبو الفرج الأصفهاني وغيرهم من الأدباء والشعراء كثيرون لا مجال هنا لعددهم وحصرهم.

٢- ملاح من صفات الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام في الغديريات الأصفهانية:

تضمّن الغديريات الأصفهانية بعض ملاح صفات أمير المؤمنين عليه السلام التي رسمها أولئك الشعراء في غديرياتهم، وانمازت تلك الملاح والصفات بعدة معالم، وكان أهم تلك المعالم يتجلى في مناقبه وفضائله عليه السلام وهي كما يأتي:

٢-١- علي عليه السلام العادل:

أشار الشعراء الفرس إلى عدالة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ونورد هنا نماذج لما أوردوه في قصائدهم:

قال الشاعر غمگين الأصفهاني أن
الظلم يفر من عدل الإمام عليه السلام؛ لذا فإن
أمور العالم ستنتظم إذا طبقت معالم عدالته
على الأرض:

جهان ز عدلش خواهد گرفت نظم ونسق
البيت بتصدقه بخاتمه للسائل في أثناء
الركوع فقال:



خسرو عادل عدیل ختم رسولان

آن که نگین داد در رکوع به سائل

۲-۲- علیؑ الشجاع:

لا شکَّ في شجاعة الإمام أمير المؤمنين عليؑ، فهو الذي اشترك في كل الغزوات والحروب مع خاتم النبيين محمدؐ، ما خلا غزوة تبوك بأمر من رسول الله ﷺ (البلاذري، ۱۹۷۴ م، ۲: ۹۲)، وأبلى في كل

تلك الغزوات بلاءً حسناً، وقد أسهبت المصادر التاريخية في شجاعته النادرة، ومن أظهر مواقفه الشجاعة في الحروب، ومن ذلك موقفه ﷺ في غزوة خيبر الشهيرة، وقد صور الشعراء الإمام ﷺ بصورة أسد يهجم على العدو والكفار فيهمهم:

چنان کز صولت شیر خدا کفار در میدان
وقال شاعر آخر مشيراً إلى أن عليؑ حلماً وهبه الله إياه، ولولا ذلك الحلم

چنان کز حمله ضرغام دین ابطال در پیدا
لقتل كثير من برق سيفه حتى لم يبق على الأرض أحد:

عیان در آتش رمح تو ثعبان‌های برق افشان
اگر حلم خداوندي نیاویزد به بازویست
ز برق ذو الفقارت خرمن هستي چنان سوزد

نهان از آب شمشیر تو دریا‌های طوفان را
چو یازی دست تیغ و تازی بر صف اعدا
که جانداري نگردد تا قیامت در جهان پیدا

في البيت الأول من هذه الأبيات إشارة إلى معجزة النبي موسىؑ، فكما أن موسىؑ كان يستعمل عصا تتحول إلى ثعبان كبير يلتقم الكفار، فسيفُ عليؑ كان كثعبان لا يُبقي أحداً من الكفار أمامه في الحروب.

وقد أنشد سروش الأصفهاني، فأشار إلى حروب الإمام ﷺ وشهرته في شجاعته بين أهل السماء فضلاً عن أهل الأرض قائلاً:

مرد آحاد مبارز صفین امیر بدر

شهره در آسمان‌ها صیت شجاعتش





٢-٣- علي عليه السلام الشفيع يوم الحساب:

الأصفهانيون هذا الموضوع في غديرياتهم
راجين أن تنالهم هذه الشفاعة يوم الحشر:

بدون أي شك فإن الشفاعة ثابتة للنبي
عليه السلام وآله الأطهار عليهم السلام وقد ذكر الشعراء

امام وپیشوا و مقتدا و شافع و مولا
محبان تو را از دود آتش غره غرا

تو و اولاد انجاد كرام تست هاتف را
نپندارم كه فردای قیامت تیره گون گردد

فضلاً عن كونه شفيع المجرمين يوم
الحساب:

وقال شاعر آخر عاداً الإمام علي عليه السلام
السبب الرئيس لإيجاد العالم وخلقه،

عليست شافع جرم و گناه عالميان (٢٤٥)

عليست باعث بنياد عالم امكان

في الغزوات والحروب للدفاع عن الدين
الإسلامي.

٢-٤- علي عليه السلام الجواد السخي:

وقد عني الشعراء بهذا الجانب من
شخصية الإمام عليه السلام ومدحوه لجوده
وسخائه، ومن الجدير بالذكر أن الشعراء
قالوا في البحر أنه مظهر الجود والسخاء
والكرم، لكن الشاعر الفارسي مولانا
كاشي في غديريته أقر بأن البحر يأخذ
سخاءه من الإمام عليه السلام:

كان الإمام عليه السلام يتصدق كثيراً، وهذه
الكثرة في البذل كانت تعكس صورة
صادقة عن الإمام عليه السلام وسخائه، إلا أن
التدقيق في سيرته العطرة تكشف لنا
هذا البذل كان بصورة أكثر عمقاً، إذ
كان عليه السلام أسخى من الغيث على الأمة
التي عايشها، ولعل من أبرز مظاهر
جوده أيضاً بطولاته والبلاء الذي أبلاه

روز بازار سخايت يا أمير المؤمنين
از دل دریا عطایت یا أمير المؤمنين

خازنان كان و دریا كيسه ها بردوختند
بس كه لعل اندر دل كان خاك بر سر می كشد

الكائنات محتاجة لعطاء أمير المؤمنين عليه السلام

وذكر الشاعر مشتاق ناييني أن كل



وجوده فقال:

جمله محتاج عطایت یا امیر المؤمنین

جنت و دوزخ زمین و آسمان خورشید و ماه

منها، بأن ليس له ملجأ إلا عتبة أمير
المؤمنين علي عليه السلام ويأوى إليها ويلتجأ لها:

۲- ۵- علي عليه السلام ملجأ الناس ومأواهم:

قال عاشق أصفهاني بعد أن ذكر جور
الأيام عليه ومصائب الدهر التي قاسى

نیست جای دیگر از بهر پناهم دل پذیر

چرخ با من دشمن و جز آستان بو تراب

هو باب رحمة الله ويد الله ومنه تطلب
الرحمة:

۲- ۶- علي عليه السلام باب الرحمة الإلهية:

ذكر الشاعر سروش أصفهاني أن عليا

بر بنده مداح بود جاي ترحم

اي دست خداوند جهان اي در رحمت

كيمياء تبدل القلوب إلى ذهب خالص،
وأن هذا الحب هو الذي يهب الإنسان
القدرة والسعادة في الدنيا والآخرة:

۲- ۷- حب علي عليه السلام كيمياء يجلي القلوب
الصداء:

اعترف سروش بأن حب الإمام علي عليه السلام

حب علي به هر دو جهان طرفه كيمياءست

خواهي توانگري دو جهان حب او گزين

القيامة، ويرى الشاعر أن المحب إذا خاف
لم يتق الله:

وأن محب علي عليه السلام لن يخاف يوم

با حب علي چه بیم رستاخیز است

ساقی دگر این چه تقوی و پرهیز است

فحبه عليه السلام ميزان الفلاح، وكأن اسم علي
عليه السلام مفتاح باب النجاة والفلاح كما قال
ميرزا حسن الأصفهاني:





سودی ندهد به هیچ کس علم و صلاح
از نام علي به دست آور مفتاح

بي مهر علی که هست میزان فلاح
تا باب نجات بر تو گردد مفتوح

۸-۲- علي عليه السلام محط أصنام الكعبة:

قال الشاعر الفارسي الأصفهاني مشيراً
إلى أن الدين قوي على يد علي عليه السلام،
وأن الأصنام اللات والعزى وغيرها قد
كُسرت على يده فتخلصت الكعبة من
رجسها:

روى ابن شهر آشوب في مناقبه فقال:
استنابه عليه السلام يوم الفتح في أمر عظيم، فإنه عليه السلام
وقف حتى صعد على كتفه عليه السلام وتعلق
بسطح الكعبة فصعد، وكان يقلع الأصنام
بحيث تهتز لها حيطان البيت، ثم رمى بها
فتكسرت (البحراني، ١٤١٧هـ، ٢: ٤٤٢).

شکست از بازویت مقدار لات و عزت عزا

شد از دست قوي دين خدا آيين پیغمبر

وقال الآخر:

تا فرو ریخت از حرم اصنام

آنکه که گشتي سوار کتف نبی

المشركون بالدار، أن ينام على فراشه، وقال
له: اتشح ببردي الحضرمي الأخضر، فإنه
لا يخلص إليك منهم مكروه، إن شاء الله
تعالى ففعل ذلك، فأوحى الله إلى جبريل
وميكائيل: إني آخيت بينكما، وجعلت عمر
أحدكما أطول من عمر الآخر، فأيكما يؤثر
صاحبه بالحياة؟ فاختر كلاهما الحياة،
فأوحى الله عز وجل إليهما: أفلا كنتم مثل
علي بن أبي طالب؟ آخيت بينه وبين نبي
محمد عليه السلام، فبات على فراشه يجرسه، يفديه
بنفسه، ويؤثره بالحياة، اهبطا إلى الأرض

۹-۲- مبيت علي عليه السلام مكان النبي صلى الله عليه وآله ليلة الهجرة:

اشتهرت هذه الواقعة بليلة المبيت إذ
(روى ابن الأثير في أسد الغابة بإسناده
إلى الأستاذ أبي إسحاق، أحمد بن إبراهيم
الثعلبي المفسر، قال: رأيت في بعض
الكتب، أن رسول الله صلى الله عليه وآله، لما أراد الهجرة،
خلف علي بن أبي طالب بمكة لقضاء
ديونه، ورد الودائع التي كانت عنده،
وأمره ليلة خروجه إلى الغار، وقد أحاط





واحفظاه من عدوه، فنزلاً، فكان جبریل عند رأس علي، وميكائیل عند رجلیه، وجبریل ینادی: بخ بخ، من مثلك یا ابن أبي طالب، یا هـی الله عز وجل به الملائكة، فأنزل الله عز وجل علی رسوله، وهو متوجه إلى المدينة فی شأن علي: (وَمِنْ

النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ) [البقرة ۲: ۲۰۷] (ابن الأثیر، د.ت، ۴: ۱۰۳)، وقد جعل الشعراء هذه الحادثة نصب أعینهم فی بیان فضائل الإمام (علیه السلام)، إذ قال طبیب الأصفهانی:

آن که خفتی به خوابگاه رسول در شب هجرت رسول انام

وذكر رشحه الأصفهانی أن الذي نام علی فراش النبي (صلى الله عليه وآله) وجعل نفسه معرضة لخطر الموت لحفظه ولحفظ دين

آن کس که به شب خفت به جای احمد زید که نشاندهش به جا روز غدیر

۲- ۱۰- لا یسع لامرئ وصف علی (علیه السلام):
اعترف كثير من شعراء أصفهان في غدیرياتهم بعدم قدرتهم علی وصف الإمام (علیه السلام) والتعريف به وبمناقبه وفضائله، ورأوا أن الإمام (علیه السلام) أعلى وأرفع شأنًا وقدراً من أن یوصف فی أبيات من الشعر تسعها فضائله الواسعة، ومن نماذج تلك الاعترافات ما يأتي:

من و اندیشه مدح تو باد از این هوس شرمم چسان پرد مگس جایی که ریزد بال و پر عنقا

إذ شبّه الشاعر نفسه بذبذب أراد أن يطير في الفضاء الذي يطير العنقاء فيه في كناية عن أمير المؤمنين (علیه السلام).

أو قول مولانا كاشي:

خاطر همچون مني شوریده خاطر چون کند وصف قدر کبریایت یا امیر المؤمنین (۸۱)



٢- ١١- علي عليه السلام العالم:

من الصفات المهمة لأمر المؤمنين علي عليه السلام العلم، وهي إحدى الصفات التي وصفها به رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد بين أمير المؤمنين عليه السلام صفته تلك وبيان مدى

علمه في الكثير من أحاديثه، فقد قال عليه السلام في خطبة له مشهورة: (سلوني قبل أن تفقدوني) (نهج البلاغة، الخطبة ١٨٩) وأشار كثير من الشعراء إلى علم الإمام عليه السلام مضمنين أبياتهم قوله عليه السلام هذا:

از سلوني حديث چون گفـتي

گـرد جهـل از جهانيان رفتي (١٤٥)

إذ قال الشاعر أن الإمام عليه السلام بقوله سلوني كأنه يُذهب غبار الجهل عن

العالمين.

وقال شاعر آخر عن ذات الحديث:

بر منبر سلوني و بر تخت لو كشف

بنشسته ونهاد به سر تاج إنماست (٢١٩)

وقول الشاعر (لو كشف) فيه إشارة إلى ما قاله الإمام عليه السلام في بيان ما عنده من العلم: (لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقينا) (الأمدي، ١٣٦٦، ١١٩).

لقد خصَّ الله أمير المؤمنين عليه السلام بفضيلة من دون كلِّ العالمين، وهي فضيلة ولادته في جوف الكعبة، قال شاعر أصفهاني ذاكراً هذه المنقبة في مدح الإمام عليه السلام:

٢- ١٢- علي عليه السلام وليد الكعبة:

كعبه ولادتكد هـيـدر اسـت

كـرد خليل از قبل اين بناش (٢٢٠)

٢- ١٣- علي عليه السلام كفؤ الزهراء عليه السلام:

من مناقب الإمام علي عليه السلام أنه صهر الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وزوج ابنته فاطمة الزهراء عليه السلام

وقد ذكر الشعراء هذا الموضوع في غديرياتهم. إذ أنشد روشن اردستاني:

شوهـر زهـرا أبو السـبطين بن عم رسول

رهـبر جـبريل دست حق علي مرتضى (٢٤٢)



وقد ورد عن جعفر بن نعيم الشاذاني عن أحمد بن إدريس عن ابن هاشم عن علي بن معبد عن الحسين بن خالد عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عن أبيه عن آبائه عن علي عليه السلام قال: قال لي رسول الله ﷺ يا علي لقد عاتبني رجال من قريش في أمر فاطمة وقالوا: خطبناها إليك فمنعنا وزوجت علينا فقلت لهم:

والله ما أنا منعتكم وزوجته، بل الله منعكم وزوجه، فهبط علي جبرئيل فقال: يا محمد إن الله جل جلاله يقول: لو لم أخلق عليا لما كان لفاطمة ابتك كفو على وجه الأرض آدم فمن دونه (الشيخ الصدوق، ١٣٧٨ هـ، ١: ٢٢٥).

وقد أنشد الشاعر الفارسي قائلاً:

با ز مـهـره مهاجر و انصار سر سر
گر م رتضی نبود در این عرصه مستقر (٢٤٣)

روز زفاف فاطمه فرمود مصطفی
کز ما سوی نبود کسی همسر بتول

لشعراء أصفهان عن طريق غديراتهم:

٣- الدراسة الفنيّة للغديرات الأصفهانيّة:

في هذا القسم من البحث سنشير إلى ومضات أسلوبية للغديرات الأصفهانيّة، ومن ذلك ما يأتي:

٣-١- الاقتباس من القرآن الكريم:

دأب الشعراء منذ عصر صدر الإسلام ونزول القرآن الكريم، على اقتباس الآيات القرآنيّة واستعمالها شواهد في قصائدهم؛ لإغناء النصوص الشعرية التي كتبوها، ولم ينحصر الأمر على الشعراء العرب بل عني الشعراء الفرس بذلك طوال القرون الماضية، فمنذ دخولهم الإسلام انصهروا فيه، وفيما يلي بعض الاقتباسات القرآنيّة

آية (التبليغ) وآية (أكمال الدين):
نقصد بآية التبليغ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة ٥: ٦٧]، وعلى أساس نزول هذا النص الإلهي أوقف النبي ﷺ الحجيج بعد حجة الوداع وعرف الإمام عليه السلام ولياً للمسلمين من بعده بأمر الله تعالى، أما آية إكمال الدين فيقصد به قوله تعالى: (الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) [المائدة ٥: ٣]، وهو





بد (واقعة الغدير) فكتبوا في ذلك شعراً،
اقتبسوا من المفاهيم القرآنية التي وردت
في الآيتين الكريمتين وضمنوها شعرهم،
كما في الأبيات الآتية التي أشارت بصورة
واضحة إلى آية التبليغ:

جانـب مصطفـى به خم غدير
امر ما را كنـون مكن تأخير
بنشان جای خویشـتن به سریر (۲۹۴)

الدين واتمام النعمة فقال:

روز کمال دین خداوند داور است
شد وصـی نبی امروز ولی یزدان

عنان السماء، وعلى حد وصف الشعراء
الفرس أنه أوصل المسلمين إلى (نجم
عيوق) وهو نجم بعيد جداً كناية عن
البعد والرفعة فقال:

بربنـدگان تمام کرد نعمتش
اسلام سود بر سر عیوق رایتش

رَاكِعُونَ ﴿[المائدة ۵: ۵۵]، وقد روي: (أنَّ
هذه الآية نزلت على أمير المؤمنين عليٍّ
عليه السلام عندما تصدَّق على السائل في مسجد

النص الذي أكمل به الله تعالى دينه على
المؤمنين وأتم نعمته عليهم باختصاص
أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام بولاية المؤمنين
والمسلمين خلفاً لرسول الله ﷺ، أخذ
الشعراء الأصفهانيون من هذا النصّ
القرآني وهذه الواقعة التاريخية المسماة

آمد امروز جبریل امیــــن
کای تو بر جمله ما ســــو اسرور
دست حیدر بگير و از ســــر قدر

وقال شاعر آخر مشيراً إلى آية إكمال

امروز عید ملست اسلامیان بود
نعمت امروز به مخلوق جهان گشت تمام

وفي هذا البيت إشارة واضحة إلى آية
إكمال الدين المتمثل بد (عيد الغدير)،
وللمضامين نفسها التي وصفت يوم
الغدير بأنه كان رحمة من الله تعالى على
عباده رفع به شأن الإسلام والمسلمين إلى

امروز کـردگار بـود روز رحمتش
امروز دین وداد کمالـی تمام یافت

آية (الولاية): والمقصود بها قوله تعالى
﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا
الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ





رسول الله ﷺ (وهو في حال الركوع)
(الحسكاني، ١٤١١هـ، ١: ٢١٢). وقد
اقتبس الشعراء الأصفهانيون من مضامين
هذه الآية الكريمة وضمونها قصائدهم

انطلاقاً من أنها منقبة من مناقب الإمام
أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وفي ذلك يقول أحد
الشعراء:

از إِنَّمَا وَلِيكُمُ اللهُ نُوشِثَتْهُ اَنَد
وقال شاعر آخر:

برهان لا تناهي وجودش بر آفتاب (١٤٣)

يکي از فضل او غدير خم است
وفي نفس المضمون قال گلزار

دیگری إِنَّمَا وَلِيكُمُ است (١٤٥)
الأصفهاني:

خسرو عادل عدیل ختم رسولان

آن که نگین داد در رکوع به سائل (٤١٣)

آية (هل أتى): والمقصود بهذه الآية
قوله تعالى ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ
حِينَ مِنَ الدَّهْرِ...﴾ إلى قوله تعالى:
﴿وَيَطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا
وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ
مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان ٧٦:
١-٩]، والمعروف تاريخياً وعن طريق كتب
التفسير وكتب أسباب النزول أن الآيات
الكريمات في أواخر سورة الإنسان نزلت
بشأن الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وزوجه
الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام
(السيوطي، ١٩٩٣م، ٦: ٢٩٩)، إذ يقول
النص التاريخي: إن الحسن والحسين عليهما السلام

مرضا ونذر الإمام والسيدة فاطمة عليها السلام
أن يصوما توسلاً بالله لشفائهما، ثم أنهما
صاما وعندما حان وقت الإفطار تكرر
الموقف لثلاث ليال، إذ دخل عليهم في
الليلة الأولى مسكين وفي الليلة الثانية يتيم
وفي الثالثة أسير فأطعموهم، ومكث آل
بيت النبوة ثلاثة أيام لم يذوقوا فيها إلا
الماء، فأنزل الله تعالى فيهم ذلك الشرط
من سورة الإنسان: (أنظر ابن الأثير،
د.ت، ٥: ٥٣٠)

قال شاعر أصفهاني مضمناً ماورد في
تلك الآية شعره برهاناً على فضل الإمام



عليه السلام مذكرا بمناقبه:

بر كمالات او بود برهان

حجت هل أتى على الإنسان (١٤٥)

وفضيلة كبرى لأمر المؤمنين علي عليه السلام،
وقد أخذ الشعراء الأصفهانيون من هذه
الآية مضمونها وأدخلوه في أشعارهم،
فمثلا يقول الشاعر شمس الأصفهاني:
إن الذين فضلوا الخلفاء على الإمام عليه السلام
هم جهلة في واقع الأمر، وغافلون لأنهم
فضلوا شخصا على النبي صلى الله عليه وآله؛ لأن عليا
عليه السلام بمنطوق تلك الآية هو نفس النبي
صلى الله عليه وآله:

آية (المباهلة): والمقصود بهذه الآية
قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ
مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ
أَبْنَاءَنَا وَابْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا
وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى
الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران ٣: ٦١]، وقصة
المباهلة مشهورة في كتب التاريخ والتفسير،
إذ أجمع المفسرون أن المقصود بـ(أنفسنا)
الإمام علي عليه السلام، الذي صار بمنطوق هذه
الآية نفس النبي صلى الله عليه وآله، وهي منقبة عظيمة

خارجي را برتر از نفس پیمبر داشتن (٢٣٨)

عاقلان داندند این معنی که نا زیبا بود

[١٧: ٨١]

قال الشاعر:

آية (جاء الحق وزهق الباطل): والآية
هي قوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ
الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء

که نوبت (زَهَقَ الْبَاطِلُ) است و (جَاءَ الْحَقُّ)

نوشت بر در و دیوار کلك قدرت حق

تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة
٢: ٣١] وفي ذلك يقول الشاعر:

آية (كرمنا) و (علم الأسماء): والمقصود
بهما الآيتين الكريمتين قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ
كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء ١٧: ٧٠]، وقوله

هم تو مخصوص (عَلَّمَ الْأَسْمَاءَ) (١٤٥)

هم تو مخصوص لطف (كَرَّمْنَا)





۲-۳- تضمین الحديث الشريف:

قال رسول الله ﷺ: (يا علي أنت مني
بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي
بعدي) (المجلسي، ۱۴۰۳هـ، ۳۹: ۶۲).
فقال الشاعر في ذلك:

نذكر -هنا- بعض النماذج التي
ضمّن فيها الشعراء الأصفهانيون الحديث
الشريف في شعرهم؛ لبيان مناقب الإمام
أمير المؤمنين عليّ عليه السلام:

حديث (المنزلة):

مولای مؤمنان شد و هارون امتش (۲۱۷)

سپرد مصطفی در دین را به مرتضی

وقال شاعر آخر في المضمون نفسه:

آن کوه به جمله خلق دلیل است ورهبراست
(المجلسي، ۱۴۰۳هـ، ۳۹: ۱۹۳).

هارونش خواند و داد مر او را خلیفتی
حديث (علي قسيم النار والجنة):

وقال الشاعر هاتف في بيان هذه
الحقيقة:

قال النبي الأكرم ﷺ: (... تأمر
بشيعتك إلى الجنة و بأعدائك إلى النار،
فأنت قسيم الجنة وأنت قسيم النار)

قوام مذهب و ملت نظام الدين والدنيا

ولي حضرت عزت قسيم دوزخ و جنت

يعلمون يقيناً أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قسيم
النار والجنة، وفي هذا المفهوم قال شعراً:

وقال في موضع آخر متعجباً من أن
يفكر محبو أمير المؤمنين عليه السلام في النار، وهم

غلامان تو را اندیشه دوزخ بود؟ حاشا (۱۹۹)

قسیم دوزخ و جنت تویی در عرصه محشر

حديث (لحمك لحمي):

لحمي، ودمك من دمي، وروحك من
روحي، وسريرتك سريرتي، وعلايتك

قال النبي الأكرم ﷺ: (لحمك من





علانيته (المجلسي، ١٤٠٣هـ، ٢٣: ١٢٦). فقال:

أخذ الشاعر من مضمون هذا الحديث

هر كس حديث لحمك لحمي شنيده است دانسد على به رتبه يكي با پيمبر است

حديث (علي مع الحق والحق معه):

الله بن يزيد يعني الخطمي عن صلة بن زفر أنه أدخل رأسه تحت الثوب بعدما سجد على حذيفة قال فقال له: إن هذه الفتنة قد وقعت فما تأمرني؟ قال: إذا أنت فرغت من دفني فشد على راحلتك والحق بعلي عليه السلام فإنه على الحق والحق لا يفارقه»

(الطوسي، ١٤١٤هـ، ٢٨٨).

قال الشاعر:

قال الرسول الأكرم عليه السلام: (علي مع الحق والحق معه) (المجلسي، ١٤٠٣هـ، ٣٨: ٣٤)، وروي أيضاً عن الشيخ في أماليه قوله: (أخبرنا جماعة عن أبي الفضل قال: حدثنا محمد بن جعفر بن محمد بن رباح الأشجعي قال: حدثنا عباد بن يعقوب الأسدي قال: أخبرنا علي بن هشام بن البريد عن أبيه عن إسماعيل بن رجاء الزبيدي عن موسى بن عبد

حق با تو بوده است و تو با حق رسول گفت اين رازير به مهر كه اينك بود سمر (٢٤٣)

حديث (مدينة العلم): (٢٠١).

قال الشاعر:

قال رسول الله عليه السلام: (أنا مدينة العلم وعلي بابها) (المجلسي، ١٤٠٣هـ، ٤٠:

جز بر پي علي نبري ره به شهر علم كاو سوى شهر علم تو را شهره پيشواست

والشاعر يريد أن يقول -هنا- إن الإمام عليه السلام قائد يهدي الناس ويقودهم نحو مدينة العلم؛ لأنه بابها الذي لا بد لمن يريد دخول المدينة الولوج منها إلى تلك المدينة:



وفي المضمون نفسه قال شاعر آخر:

او شهر علم بود و تویی باب شهر علم

حدیث (الخلق):

أصل الحديث هو نقل رسول الله ﷺ
لعليّ عليه السلام عن حديث قدسي: (لولاك (ما)
لما خلقت الافلاك ولولا علي لما خلقتك

نیز این حدیث گشته از آن شاه مشتهر (۲۴۳)

ولولا فاطمه لما خلقتكما (المجلسي،
۱۴۰۳ هـ، ۵۷: ۱۹۹)، وكثيراً ما ركّز
شعراء أصفهان في هذا الحديث القدسي في
غديرياتهم ومن ذلك قول الشاعر:

مکمل شد به تاج لا فتی و افسر لولا (۱۹۶)

نوم العدم (أي قبل خلق الله تعالى لأدم عليه السلام)
وقال الشاعر عنقاي الأصفهاني مضمناً
الحديث:

رخ از خواب عدم ناشسته بود که فرق تو

وفي البيت إشارة واضحة إلى أفضلية
الإمام عليّ عليه السلام على نبي الله آدم عليه السلام، إذ
بيّن الشاعر أنّ علياً كان مكلّلاً بالمناقب
والفضائل من قبل أن يستيقظ آدم عليه السلام من

علیست شوهر زهرا و معنی لولاک

علیست مصدر ایجاد و خلقت افلاک

من الجمیل جداً في شعر الشعراء
الأصفهانيين أنهم ختموا غديرياتهم
بأبيات شعريّة جميلة ملائمة للموضوع،
ننقل هنا نماذج منها:

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ الشاعر
سائل الكاشاني وهو من شعراء القرن
العاشر له رسالة قيمة جمعت بين دفتيها
أربعين حديثاً عن النبي ﷺ في فضل
الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام قام بترجمتها
إلى الفارسيّة.

قال مولانا كاشي في آخر غديريته
معترفاً بأنّه لا يمكن لأحد مدح عليّ عليه السلام
فيعطيه حقه في المدح:

۳-۳- الخواتم الجميلة للغديريات:

آفرینش بر نتابد بار مقدار ترا (۸۲)

فهم انساني چه داند عزت کار ترا





ووازن الشاعر هاتف بين فئة المحبين لعلي عليه السلام وأعدائه:

محبان تو را روشن ز رويت ديدہ حق بين حسودان تو را بي بهرہ زان رخ ديدہ اعمى

أو أن يقدم الشاعر مكرم طلباً إلى الإمام عليه السلام في أن يحل عُقده إذ لا ملجأ له غير الإمام عليه السلام فيقول:

مكرم به جز از کوی تواش نیست پناهي خواهد کنیش عقده لا ينحل دل حل

أو يذكر الشعراء فضائل لعلي عليه السلام كما فعل مشفق الكاشاني الذي قال: وحسناته في البيت الأخير من قصائدهم

تابش خورشيد ز بام عليست سكه توحيد به نام عليست

فهو يريد أن يقول إنَّ العادة قد جرت في أن يُضرب اسم الأشخاص على المسكوكات ومسكوكة التوحيد مضروبة ومقرونة باسم أمير المؤمنين علي عليه السلام، والشاعر هنا يريد إثبات حقيقة أنَّ من لم يؤمن بعلي عليه السلام فلم يؤمن بالله تعالى. ومن هذا المنطلق استعملوا التشبيهات الجميلة في أشعارهم، فالتشبيه (حياته وجماله وبخاصة التمثيل منه لا تتأتى إلا من جودة الصياغة اللغوية بحسن اللفظ أو معناه وتناسقه الدلالي ففيهما تبرز صنعة الفنان وحذقه وعبقريته) (وهبة، ١٩٩٦م، ٢٩).

٣- ٤ - المحسنات البيانية والبديعية:

ونذكر في أدناه نماذج من هذه التشبيهات:

وصف الشاعر رشحه الأصفهاني الإمام عليه السلام بالبحر العظيم وشبهه به:

إنَّ للمحسنات البيانية والبديعية وظيفة مهمّة في زيادة جمال الشعر وروعته، فضلاً عن زيادة المعنى الإيحائي، وقد وظّف شعراء أصفهان في غديراتهم هذه المحسنات؛ لإثبات المعاني التي هم بصدد بيانها وتوضيحها في أذهان المخاطبين،





بحر است علی و دیگران کم ز غدیر شد قدر علی بلند از حی قدیر

و شبه شاعر آخر شجاعة الإمام عليّ
في الحروب بشمس سطعت على العالم،

در بدر و خندق آنچه علی کرد بهر دین چون آفتاب در همه عالم مشهر است

و شبه الشاعر نفسه وجه الإمام عليّ
بمصباح يهتدي به الناس في الظلمة، وأن

حیدر که روی اوست که مصباح ظلمت است حیدر که تیغ اوست که مفتاح خیر است

و شبه شاعر آخر ولاية عليّ بيبحر عميق، وعلى العاشق أن يحصل على

خواهی اگر آوری به کف گوهر عشق در بحر ولایت علی شو سباح (۲۶۰)

وربط الشاعر بين الوجود والدين وبين الإمام عليّ، وشبهها على الترتيب بالبحر والسفينة والربان، والمهم أن يقود الربان السفينة في هذا اليم وأن على الناس اتباع الإمام عليّ للوصول إلى ساحل النجاة بفضل ربان السفينة:

هستی یم و دین کشتی و حیدر ملاح زین و رطه بود و رای ملاح فلاح

و شبه الشاعر المشتاقين لمحبة الإمام عليّ بأم ترضع ابنها، وكما أن الابن مدين للإمام عليّ مدين له:

هر که شد از دایه مهر همایونش رضیع بایدش صد منت از آئین مادر داشتن

و شبه الشاعر جلال الدين همایي الإمام عليّ بسحابة للرحمة قائلاً:





تشنه کامانیم ای ابر کرامت خوش بیار تا گلولی خشک ما از آب رحمت تر کنی

واستعمل الشعراء المحسنات البديعة في شعرهم، ولم يكن هذا الاستعمال تلاعباً لفظياً، كما يحلو لبعضهم أن يسميه بهذا العنوان، بل كان زينة وحلية للنص، معززاً للمعنى الشعري:

استعمل الشعراء التضاد في أشعارهم؛

هزبر سالب غالب علي بن ابي طالب امام مشرق و مغرب امير يثرب و بطحا

ويساعد التضاد القارئ للمقارنة بين الحالين المتضادين، فمثلاً قال الشاعر موازناً بين محبي علي عليه السلام وأعدائه، مشيراً إلى أن أعين الفئة الأولى قريرة لما يرون في وجه علي عليه السلام، في حين أن العمى أصاب الفئة الثانية:

محبان توراروشن ز رويت ديده حق بين حسودان تورابي بهره زان رخ ديده اعمى

وحتى العالم المتقدم في العمر (العجوز) يُصبح شاباً من شدة الفرح الذي يصيبه من عيد الغدير:

حبذا عيد غدیر آمد با بخت جوان شد از این مژده جانبخش جوان پیر جهان

ومن المحسنات الأخرى حسن التعليل، ومن نماذجه تعليل الشاعر إنها انحنت تعظيماً للإمام عليه السلام:

شیر خدا امیر عرب کز ره شرف پشت سپهر از پی تعظیم او خم است

وهناك شاعر آخر يعلّل ظاهرة الشفق في الطبيعة فيقول إن الشفق قد أحمر من



کثرة دماء الکفار التي جرت على يد الإمام عليه السلام في الحروب:

زرزماگهت اگر موج خون نخورده به چرخ نشسته تا بر زانو چـرا فلک به شفق

إنَّ المتأمل في غديريات شعراء أصفهان يجد كثرة استعمالهم لألفاظ الطبيعة في شعرهم، وكأنهم يشاركون الطبيعة في فرحهم بيوم الغدير المبارك ويصفون الطبيعة بجمالها ورياضها الغناء وسماؤها الأزرق الجميل على أنها ازدانت بذلك الفرح لما جرى في يوم الغدير الأغر، قال الشاعر روشن اردستاني:

رساند باد صبـبا مژده بهار امروز
هوا بساط زمرد فکند در صحـرا
سحاب بر سر اطفال بوستان بارد
به کام اهل سعادت دمید گل از شاخ

ز توبه توبه نموده هزار بار امروز
بیا که وقت نشاط است و روزگار امروز
به جای قطره همـی در شاهوار امروز
به چشم اهل شقاوت خلید خار امروز

وصفَ الشاعرُ الطبيعةَ في يوم الغدير المبارك بقوله: إن ربح الصبا بشرت بقدم الربيع وأن الجو بسط فراش الزمرد في الصحراء والوقت يزدان بالطرب والنشاط، في وقت يهطل الغيث من السحاب بغزارة على الرياض الجميلة، وفي هذا المطول بركة، وكأن الذي يهبط على الأرض ليس إلّا درر متلألئة، وأن زهرة السعادة التي طلعت على الأغصان يجوها أهل السعادة والنجاة من محبي الإمام علي عليه السلام، وعلى خلاف من ذلك فإن الأشواك قد نبتت في عيون أهل الشقاء وهم أعداء أمير المؤمنين عليه السلام، واستطاع الشاعر أن يصل إلى غرضه باستعمال

تشبيهات جميلة ولغة سهلة لا غرابة فيها ولا تعقيد، ومع أن الاقتباس والتضمين هما من أنواع المحسنات البديعية إلا أننا ذكرناهما على حدة؛ لأهميتهما في مثل هذه القصائد (الغديريات) إذ يذكرهما الشاعر ويستند إليهما لإثبات ما يريد بيانه وإيصاله إلى ذهنية المخاطب بسهولة ويسر.





الخاتمة:

رصد البحثُ مباحثَ أسلوبية هذه
الغديريات منها: اقتباس الآيات الكريمة
القرآنية - تضمين الأحاديث النبوية
الشريفة - الخواتيم الجميلة لقصائدهم
- استخدام المحسنات البيانية والبديعية
كالتشبيه والتضاد لإغناء شعرهم لأن
ذلك مما يزداد به الشعر روعةً وجمالاً.

بعد أن انتهينا من البحث - بحمد الله
وشكره - وما حصلنا عليه إثر القراءة
المتأنية لغديريات شعراء أصفهان من
أجل استخراج ملاح من صفات أمير
المؤمنين عليه السلام من تلك الغديريات فإننا
نجمال ما توصلنا إليه بالآتي:

وصف الشعراء الأصفهانيون الإمام
أمير المؤمنين علي عليه السلام ليصلوا ولو بصورة
ضمنية لبيان بعض من ملاح مناقبه
وفضائله، ليثبتوا عن طريقها أفضلية الإمام
عليه السلام على غيره، وأن من غصبوا حقه عليه السلام
ظلمة مستكبرون.

أشار الشعراء في غديرياتهم إلى أهم
فضائل الإمام عليه السلام هي: العدالة والشجاعة
والجود والسخاء والعلم، وأنه عليه السلام كان باب
رحمة الله، وأن حبه كيمياء، وفضائله أكثر
من أن تعد وتُحصى، ومباهاة الله تعالى
ملائكته بعلي عليه السلام ليلة مبيته في فراش النبي
صلى الله عليه وآله وما إلى ذلك من المناقب والفضائل
التي شكلت الملاح العامة لصفات
الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

كانت لغة الغديريات سهلة، تضمنتها
كثير من ألفاظ الطبيعة، وكأن الشعراء
شاركوا الطبيعة في فرحهم بيوم الغدير.





قائمة المصادر والمراجع

بكر. (١٩٩٣م). الدر المنثور.
بيروت: دار الفكر.

• الشيخ الصدوق، محمد بن علي.
(١٣٧٨ هـ). عيون أخبار الرضا
عليه السلام. قم: منشورات الشريف
الرضي.

• الطوسي، محمد بن الحسن.
(١٤١٤ هـ). أمالي الطوسي.
تحقيق قسم الدراسات الإسلامية،
مؤسسة البعثة. قم: دار الثقافة.

• المجلسي، محمد باقر، (١٤٠٣ هـ)،
بحار الأنوار، دارالعارف-بيروت
• وهبة، مراد. (١٩٩٦م). قصة
علم الجمال. القاهرة: دار الثقافة
الجديدة.

• إن خير ما ابتدئ به القرآن الكريم

• أمير المؤمنين، علي بن أبي طالب،
نهج البلاغة

• ابن الأثير، عز الدين. (د.ت).
أسد الغابة في معرفة الصحابة.
تحقيق وتعليق الشيخ علي محمد
عوض معوض والشيخ عادل
أحمد عبد الموجود. بيروت: دار
الكتب العلمية.

• الآمدي، عبد الواحد. (١٣٦٦ هـ).
غرر الحكم ودرر الكلم. قم:
انتشارات مكتب الإعلام
الإسلامي.

• البحراني، سيد هاشم. (١٤١٧ هـ).
البرهان في تفسير القرآن. قم:
انتشارات دار التفسير.

• البلاذري، أحمد بن يحيى.
(١٩٧٤م). أنساب الأشراف.
بيروت: منشورات مؤسسة
الأعلمي للمطبوعات.

• الحسكاني، (١٤١١ هـ). شواهد
التنزيل. تهران: مؤسسة الطبع
والنشر - ارشاد الاسلامي.

• السيوطي، عبد الرحمن بن أبي





قصديّة النص في خطبة الغدير للنبي محمد ﷺ

دراسة وصفية تحليلية

أ.د. فضيلة عبوسي محسن العامري



كلية الفقه - جامعة الكوفة





المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين

تُمثّل الخطبة نصّاً إسلامياً فضلاً عن كونه نصّاً تشريعياً يحمل في طياته ومناسباته كثيراً من الحقائق الدينية التي تتعلّق بالعتيدة والشرعية، ومما يؤكد ذلك هو سياق المقام الذي أقيمت فيه الخطبة، وسياق الموقف، وسياق الحال، فقد تجمعت هذه السياقات كلها بدءاً من زمان الخطبة في ١٨ ذي الحجة، والمقام غدير خم، وسياق الحال في أثناء حجة الوداع، وهذا ما يجعل قصديّة النص في هذه الخطبة تفوق عناصر القصديّة في النصوص المتعارف عليها من العناصر اللغويّة للنص والتأثير في المتلقي؛ لكننا وجدنا أن القصديّة في الخطبة قد تنوعت بين العناصر اللغويّة للنص، وبين قدرة المتكلم في إيضاح المراد من النص، ومن ثم التأثير المباشر في جموع المتلقين، وقدرة المتكلم في لفت انتباه السامعين عبر اختيار الزمان والمكان المناسبين، وهذا يعزّز الاختيار الربّاني للمتكلّم في تنفيذ ما جاء به الله تعالى من النصوص التي

تتعلّق بتبليغ ما أنزله الله تعالى في حقّ الإمام علي عليه السلام، ولمعرفة تلك القصديّة جاء البحث بعنوان (قصديّة النص في خطبة الغدير للنبي محمد ﷺ، فكانت مشكلة البحث تتعلّق بقصديّة الخطبة، وفرضية البحث تناولت عناصر القصديّة في خطبة الغدير، والمنهج المعتمد هو المنهج التحليلي الوصفي، وخطة البحث تتألف من: مقدّمة وتمهيد تضمن مفهوم القصديّة في اللغة والاصطلاح، ومبحثين: تناول الأول خطبة الغدير في روايات أهل البيت عليه السلام، وتطرّق المبحث الآخر إلى قصديّة النص في خطبة الغدير، ومن ثم جاءت الخاتمة لبيان أهم النتائج التي توصلت إليها.



التمهيد:

مفهوم القصديّة في اللغة والاصطلاح

القصديّة في اللغة تعني الاستقامة من الفعل قَصَدَ يَقْصِدُ قَصِداً، فهو قاصِدٌ، وقول تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَذَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ سورة النحل/ ٩؛ أي على الله تبيين الطريق المستقيم والدعاء إليه بالحجج والبراهين الواضحة، ومنها جائر أي ومنها طريق غي قاصد، وطريق قاصد: سهل مستقيم، وسَفَرٌ قاصدٌ: سهل قريب، وفي التنزيل العزيز: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضاً قَرِيباً وَسَفَرًا قَاصِداً لَاتَّبَعُوكَ﴾ سورة التوبة من الآية ٤٢؛ أي قريباً هيناً، وقيل: قاصداً أي ذا قصد^(١).

وأما في المعجمات الحديثة^(٢) فقد وردت القصديّة دالة على معانٍ هي:

اسم مؤنث منسوب إلى قَصَد: حاسبه على أعماله القصديّة.

الحكم على المتّهم مرتبط بقصديّة سلوكه.

القصديّة: (علوم النفس) صفة لمواقف نفسيّة موجّهة، مكيفّة وفُقّ مستقبل قريب أو مباشر، وقيل هي تخضير فعل أو حال ضميريّة بقصد أو عن عمد.

ويظهر من التعريفات اللغويّة أنّ القصديّة تتعلّق بقدرة المتكلم وإرادته في تحقيق فعل ما، وهي تقترن بالعمدية أحياناً، وهذا المعنى ليس ببعيد عن معيار القصديّة الذي وصف بأنه ((من الدراسات الحديثة المتطوّرة من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص، وتحليل الخطاب. الذي يُعنى بالطرق والأدوات التي يستغلها المؤلّف لتحقيق الغايات المقصديّة))^(٣)، وأمّا في الاصطلاح فهي: ((مجموعة من العناصر التي يمتلكها المتكلم من لغة وثقافة وسياق ومنطق لإيصال الفكرة إلى المتلقين بأسلوب سهل وواضح))^(٤).

ويظهر مما تقدّم أن المعنى اللغوي والاصطلاحي يلتقيان في بيان قدرة

١- ينظر: مجمع البيان، الطبرسي: ٥٠/٥

٢- ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر: ٦٥ مادة (قصد)

٣- ينظر: القصديّة في اللغة العربية بين الدراسات القديمة والحديثة، رنا ماجد الجبوري، الجامعة المستنصرية/ بحث منشور/ كلية العلوم الاسلامية، العدد ٦٤، ٢٠٢٠

٤- آفاق في القصديّة، صباح علي السليمان، مقال منشور في الانترنت بتاريخ ٢٠٢١م- ١٤٤٢هـ موقع الألوكة.



المبحث الأول

الغدير في القرآن الكريم وفي روايات أهل البيت عليهم السلام

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ سورة المائدة/ ٦٧

جاء في تفسير القمي^(١) في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾، أنها نزلت في علي، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ قال: ((نزلت هذه الآية في منصرف رسول الله ﷺ من حجة الوداع، وحج رسول الله ﷺ حجة الوداع لتمام عشر حجج من مقدمه المدينة، فكان من قوله بمنى أن حمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أيها الناس اسمعوا قولي واعقلوه

عني، فلأي لا أدري لا القاكم بعد عامي هذا، ثم قال هل تعلمون أي يوم أعظم حرمة؟ قال الناس هذا اليوم، قال فأبي شهر؟ قال الناس هذا، قال وأي بلد أعظم حرمة؟ قالوا بلدنا هذا، قال فإنّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، إلى يوم تلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، ألا هل بلغت أيها الناس؟ قالوا نعم، قال اللهم اشهد، ثم قال: ألا وكل مأثره أو بدعة كانت في الجاهلية أو دم أو مال فهو تحت قدمي هاتين، ليس أحد أكرم من أحد إلا بالتقوى، ألا هل بلغت؟ قالوا نعم؟ قال اللهم اشهد، ثم قال: ألا وكل ربا كان في الجاهلية فهو موضوع))^(٢)

وقال الطبرسي في قوله تعالى «يا أيها الرسول»: ((وهذا نداء تشریف و تعظيم «بلغ» أي أوصل إليهم))^(٣)

نقل العلامة الطباطبائي^(٤) عن المناقب الفاخرة، للسيد الرضي رحمه الله عن محمد بن إسحاق، عن أبي جعفر، عن أبيه عن جدّه قال: لما انصرف رسول الله ﷺ من حجة الوداع نزل أرضاً يقال

١- تفسير القمي، القمي: ٩/ ١٣

٢- بحار الأنوار، المجلسي: ٧٣/ ٣٤٩

٣- تفسير مجمع البيان - الطبرسي: ٣/ ٣٤٣

٤- الميزان، العلامة الطباطبائي: ٥/ ١١٢



بغدير خم.

وجاء عن عبدالله بن عطاء قال: كنت جالساً مع أبي جعفر عليه السلام (فرأيت ابناً لعبد الله بن سلام جالساً في ناحية، فقلت لأبي جعفر: زعموا أن أبا هذا الذي عنده علم من الكتاب. قال: لا ذلك علي بن أبي طالب أمير المؤمنين قال: أوحى إلى رسول الله ﷺ: قل للناس من كنت مولاه فعلي مولاه، فما بلغ بذلك وخاف الناس أوحى إليه: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ سورة المائدة/ ٦٧ فأخذ بيد علي بن أبي طالب عليه السلام. يوم غدیر وقال: من كنت مولاه فعلي مولاه^(١).

وعن الإمام الباقر عليه السلام أنها الولاية - في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ سورة المائدة/ ٦٧ هي الولاية^(٢).

ويقول ناصر مكارم الشيرازي^(٣) إن هذه الآية نفساً خاصاً يميزها عما قبلها

له: ضوجان، فنزلت هذه الآية: «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس» فلما نزلت عصمته من الناس نادى: الصلاة جامعة فاجتمع الناس إليه، وقال: من أولى منكم بأنفسكم: فضجّوا بأجمعهم فقالوا: الله ورسوله، فأخذ بيد علي بن أبي طالب، وقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله؛ لأنّه مني وأنا منه، وهو مني بمنزلة هارون من موسى، إلاّ أنّه لا نبي بعدي، وكانت آخر فريضة فرضها الله تعالى على أمّة محمد، ثم أنزل الله تعالى على نبيه: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ سورة المائدة/ ٣. قال أبو جعفر: فقبلوا من رسول الله ﷺ كلّ ما أمرهم الله من الفرائض في الصلاة والصوم والزكاة والحج، وصدّقوه على ذلك. قال ابن إسحاق: قلت لأبي جعفر: ما كان ذلك؟ قال لتسع عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة عشرة عند منصرفه من حجة الوداع، وكان بين ذلك وبين النبي ﷺ مائة يوم وكان سمع رسول الله

١- تفسير فرات الكوفي، الكوفي: ٨ / ١٧

٢- موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ، الريشهري: ٣ / ٢٢٥

٣- الأمثل، مكارم الشيرازي: ٤ / ٨٢



وعَما بعدها من آيات، إنها تتوجه بالخطاب إلى رسول الله ﷺ وحده وتبين له واجبة، فهي تبدأ بمخاطبة الرسول: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾ وتأمّره بكل جلاء ووضوح أن ﴿بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾، ثم لكي يكون التوكيد أشد وأقوى - تحذره وتقول: ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾. ثم تطمئن الآية الرسول ﷺ - وكأن أمراً يقلقه - وتطلب منه أن يهدي من روعه وأن لا يخشى الناس: فيقول له: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾، وأن اختيار الخليفة مرحلة انتهاء الرسالة.

ومما روي عن الإمام الباقر عليه السلام: ((لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ، - قال - : فأخذ رسول الله ﷺ بيد علي فقال: يا أيُّها الناس، إنّه لم يكن نبيّ من الأنبياء ممّن كان قبلي إلّا وقد عمّر ثمّ دعاه الله فأجابه، وأوشك أن أدعى فأجيب، وأنا مسؤول وأنتم مسؤولون، فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنّك قد بلّغت، ونصحت، وأديت ما عليك؛ فجزاك الله أفضل ما جزى المرسلين. فقال: اللهمّ اشهد. ثمّ قال: يا معشر المسلمين، ليبلغ الشاهد الغائب:

أوصي من آمن بي وصدّقني بولاية عليّ، ألا إنّ ولاية عليّ ولايتي وولايتي، ولاية ربّي، ولا يدري عهداً عهداً إليّ ربّي وأمرني أن أبلّغكموه. ثمّ قال: هل سمعتم - ثلاث مرّات يقولها - ؟ فقال قائل: قد سمعنا يا رسول الله))^(١) ويظهر مما تقدم أن ماجاء في القرآن الكريم وروايات أهل البيت عليه السلام في حديث الغدير يؤكد أنّ هذه الآية من سورة المائدة نزلت في مناسبة دينيّة عامّة، هي حجّة الوداع، وفي يوم موعود وهو اليوم الثامن عشر من ذي الحجة، وفي مكان مشهود هو غدير خم حيث اجتمع الناس في ذلك المكان من كل حذب وصوب، وأن ماجاء به النبي ﷺ كانت آخر فريضة فرضها الله تعالى على أمة محمد بجعل الولاية من بعده لعلي بن أبي طالب عليه السلام، ثم أنزل الله تعالى على نبيه: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ سورة المائدة/ ٣، وقد ألقى النبي محمد ﷺ خطبة في ذاك اليوم عُرفت بخطبة الغدير في بعض المصادر، وسُمّي ذلك اليوم بعيد الغدير؛ نسبةً إلى المكان غدير خم ولفرحة المسلمين في ذلك اليوم بولاية علي بن أبي طالب كما صرح ذلك أمام الأَشْهاد من كل حذب وصوب، وأمام القاضي

بالقدرة والبرهان؛ ولعلّ الذي نراه هو البدء ببيان قدرة الله تعالى وسلطانه؛ لأنّه في معرض الحديث عن ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام، فجاء الافتتاح عن القدرة والمالك لله تعالى، وبيان الحمد لله تعالى وحده القادر في قوله ﷺ: ((الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَا فِي تَوْحِيدِهِ وَدَنَا فِي تَفَرُّدِهِ وَجَلَّ فِي سُلْطَانِهِ وَعَظُمَ فِي أَرْكَانِهِ، وَأَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا وَهُوَ فِي مَكَانِهِ، وَقَهَرَ جَمِيعَ الْخَلْقِ بِقُدْرَتِهِ وَبُرْهَانِهِ))، ونلاحظ أنّ الصفات جاءت مسبوقة بالأفعال التي تدلّ عليه تعالى (علا، وتفرّد، ودنا، وجلّ، وعظم، وأحاط، وقهر)، كلّها أفعال جاءت بصيغة الماضي مع مراعاة التقابل الدلالي بين الأفعال في التركيبين الفعليين الذي يدلّ على استمرارية الصفات من الزمن الماضي إلى قيام الساعة (علا في توحّده) و(دنا في تفرّد)، فهو عالٍ في الحدة، لا إله إلّا هو الحيّ القيوم، ودنا في تفرّده، أي أنّه تعالى قريب من عباده، فهو أقرب إليهم من حبل الوريد، كما قال الله تعالى: ﴿فَهُوَ أَقْرَبُ إِلَيْهِمْ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾، فهو قريب من عباده؛ فجاء السياق الدلالي مبيّنًا علّة الجمع بين العلو والدنو في آن، ثم جاءت الأفعال متوالية في بيان

والداني، وألقى ﷺ خطبة؛ وفي تلك الخطبة قصيدة ستظهر في المبحث الثاني من الدراسة.

المبحث الثاني

قصيدة النص في خطبة الغدير

لا بدّ من الإشارة إلى أنّ المصدر المعتمد في نقل الخطبة كاملة هو كتاب الاحتجاج للطبرسي^(١)؛ حتى لا نكرّر الإشارة إلى المصدر عند تحليل قصيدة النص في الخطبة، والتعرّف على الأدوات اللغويّة والأساليب التي تُحقّق التأثير في المتلقي، وتحقّق الاتساق والانسجام في الخطبة، وعلى النحو الآتي:

حسن الافتتاح وهو ((أن يكون الحسن فيه راجعاً إلى المبتدأ به، إمّا بالافتتاح بالحمد لله كما في بعض المكاتبات؛ لأنّ النفوس تتشوق إلى الثناء على الله تعالى أو بالسلام الذي جعله الشارع مفتح الخطاب أو نحو ذلك))^(٢)، وجاء حسن الافتتاح في الخطبة بحمد الله تعالى ثم تعقيب ذلك في صفات الله تعالى، وبيان قدرته وعظمته، وتفرّده بالسلطة، والإحاطة بكلّ شيء بالعلم وقهر عباده





قدرة الله تعالى متعدية بحرف الجر إلا الفعل (قهر) جاء متعدياً بنفسه إلى مفعوله (جميع) وهولفظ يدلّ على تأكيد العموم^(١)؛ لبيان قدرته المباشرة في قهر جميع العباد بالموت؛ فالله تعالى هو يحيي ويموت، وهو حي لا يموت في قوله ﷺ: ((... وَقَهَرَ جَمِيعَ الْخَلْقِ بِقُدْرَتِهِ وَبُرْهَانِهِ،))) التركيب الاسمي في بيان صفات الله تعالى بصيغة اسم المفعول والفاعل والصفة المشبهة، وصيغة مبالغة^(٢) في قوله ﷺ: ((حَمِيداً لَمْ يَزَلْ، مَحْمُوداً لَا يَزَالُ وَمَجِيداً لَا يَزُولُ، وَمُبْدِئاً وَمُعِيداً وَكُلُّ أَمْرٍ إِلَيْهِ يَعُودُ. بَارِئُ الْمُسْمُوكَاتِ وَدَاحِي الْمَذْخَوَاتِ وَجَبَّارُ الْأَرْضِينَ وَالسَّمَاوَاتِ، قُدُّوسٌ سُبُّوحٌ، رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ، مُتَفَضِّلٌ عَلَى جَمِيعٍ مِّنْ بَرَأءِهِ، مُتَطَوِّلٌ عَلَى جَمِيعٍ مِّنْ أَنْشَاءهِ.))

التركيب الفعلي في بيان صفات الله تعالى مرة بصيغة الإثبات، ومرة بصيغة النفي بـ (ليس) لنفي المثلية عنه؛ لأنك ((إذا قلت: ليس زيد قائماً الآن أو غداً أدت ذلك المعنى الذي في يكون فلما كانت تدل على ما يدل عليه المضارع

استغني عن المضارع فيها ولذلك لم تبين بناء الأفعال التي هي من بنات الياء مثل باع وبات))^(٣)، وجاء النفي بها في قوله ﷺ: ((يَلْحَظُ كُلُّ عَيْنٍ وَالْعُيُونُ لَا تَرَاهُ. كَرِيمٌ حَلِيمٌ ذُو أَنَاةٍ، قَدْ وَسَّعَ كُلُّ شَيْءٍ رَحْمَتَهُ وَمَنْ عَلَيْهِمْ بِنِعْمَتِهِ. لَا يَعْجَلُ بِانْتِقَامِهِ، وَلَا يُبَادِرُ إِلَيْهِمْ بِمَا اسْتَحَقُّوا مِنْ عَذَابِهِ. قَدْ فَهِمَ السَّرَائِرَ وَعَلِمَ الضَّاهِرَ، وَلَمْ تَخَفْ عَلَيْهِ الْمَكُونَاتُ وَلَا اشْتَبَهَتْ عَلَيْهِ الْخَفِيَّاتُ. لَهُ الْأَحَاطَةُ بِكُلِّ شَيْءٍ وَالْغَلْبَةُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَالْقُوَّةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ وَالْقُدْرَةُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَلَيْسَ مِثْلُهُ شَيْءٌ.))

الاعتباس والتضمن؛ هو ((أن يضمن الكلام شيئاً من القرآن أو الحديث لا على أنه منه))^(٤) من النص القرآني في قوله ﷺ: ((وَهُوَ مُنْشِئُ الشَّيْءِ حِينَ لَا شَيْءَ، دَائِمٌ حَيٌّ وَقَائِمٌ بِالْقِسْطِ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. جَلَّ عَنْ أَنْ تُدْرِكَهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ. لَا يَلْحَقُ أَحَدٌ وَصْفَهُ مِنْ مُعَايَنَةٍ، وَلَا يَجِدُ أَحَدٌ كَيْفَ هُوَ مِنْ سِرٍّ وَعَلَانِيَةٍ، إِلَّا بِمَا دَلَّ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى نَفْسِهِ)) ففيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ

١- ينظر: اللمع في العربية، ابن جني: ٨٤

٢- ينظر: شرح الرضي على الكافية، الاستراباذي: ١٣٩٨/١

٣- الأصول في النحو، ابن السراج: ٨٣/١

٤- الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني: ١٢٩



الْأَبْصَارَ صَوُّهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ سورة
الأنعام/ ١٠٣.

العدول ((ليتيم حسن البيان))^(١)
في وصف الذات الإلهية إلى المتكلم
(أشهد)، ومن ثم بيان صفات الله تعالى
بصيغة الجمل المركبة التي تبدأ باسم
الموصول (الذي)؛ لفت انتباه السامعين
والحاضرين والمتلقين للأمر الذي سيبلغه
النبي محمد ﷺ إليهم في قوله ﷺ:
((...أَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي مَلَأَ الدَّهْرَ قُدْسَهُ،
وَالَّذِي يَغْشَى الْأَبْدَانُورَهُ، وَالَّذِي يُنْفِذُ
أَمْرَهُ بِلا مُشَاوَرَةٍ مُشِيرٍ، وَلَا مَعَهُ شَرِيكٌ
فِي تَقْدِيرِهِ، وَلَا يُعَاوَنُ فِي تَذْبِيرِهِ. صَوَّرَ مَا
ابْتَدَعَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ، وَخَلَقَ مَا خَلَقَ بِلا
مَعُونَةٍ مِنْ أَحَدٍ وَلَا تَكْلُفٍ وَلَا أَحْتِيَالٍ.
أَنْشَأَهَا فَكَانَتْ، وَبَرَأَهَا فَبَانَتْ. فَهُوَ اللَّهُ
الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمُتَّقِنُ الصَّنِيعَةَ، الْحَسَنُ
الصَّنِيعَةُ، الْعَدْلُ الَّذِي لَا يُجَوِّرُ، وَالْأَكْرَمُ
الَّذِي تَرْجِعُ إِلَيْهِ الْأُمُورُ)).

التضمين من القرآن الكريم في بيان
صفات الله تعالى في خلق الليل والنهار،
وبوصفه الأحد الفرد الصمد في قوله ﷺ:
((وَأَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي تَوَاضَعَ كُلُّ شَيْءٍ
لِعَظَمَتِهِ، وَذَلَّ كُلُّ شَيْءٍ لِعِزَّتِهِ، وَاسْتَسَلَّمَ
كُلُّ شَيْءٍ لِقُدْرَتِهِ، وَخَضَعَ كُلُّ شَيْءٍ لِهَيْبَتِهِ.

مَلِكُ الْأُمَلَاكِ وَمُفَلِّكُ الْأَفْلَاكِ وَمُسَخِّرُ
الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، كُلُّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى،
يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ
عَلَى اللَّيْلِ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا. قَاصِمٌ كُلَّ جَبَّارٍ
عَنِيدٍ، وَمُهْلِكٌ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ. لَمْ يَكُنْ
لَهُ ضِدٌّ وَلَا مَعَهُ نِدٌّ، أَحَدٌ صَمَدٌ لَمْ يَلِدْ
وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ. إِلَهٌ وَاحِدٌ
وَرَبُّ مَا جَدُّ، يَشَاءُ فَيَمُضِي، وَيُرِيدُ فَيَقْضِي،
وَيَعْلَمُ فَيَحْصِي، وَيُمِيتُ وَيُحْيِي، وَيَقْضِرُ
وَيُغْنِي، وَيُضْحِكُ وَيُبْكِي، وَيَذْنِي وَيُقْصِي،
وَيَمْنَعُ وَيُعْطِي، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ،
بِيَدِهِ الْخَبِيرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. يُوَلِّجُ
اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ،
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ. مُسْتَجِيبُ
الدُّعَاءِ وَمُجْزِلُ الْعَطَاءِ، مُحْصِي الْأَنْفَاسِ
وَرَبُّ الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ؛ الَّذِي لَا يُشْكِلُ عَلَيْهِ
شَيْءٌ، وَلَا يُضْجِرُهُ صُرَاخُ الْمُسْتَصْرِخِينَ، وَلَا
يُزِمُّهُ الْحَاخُ الْمَلْحِينَ. الْعَاصِمُ لِلصَّالِحِينَ،
وَالْمَوْفِقُ لِلْمُفْلِحِينَ، وَمَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ وَرَبُّ
الْعَالَمِينَ؛ الَّذِي اسْتَحَقَّ مِنْ كُلِّ مَنْ خَلَقَ
أَنْ يَشْكُرَهُ وَيَحْمَدَهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ.

وبعد بيان صفات الله تعالى جاء
الحمد الكثير والشكر الدائم لله تعالى في
السَّراءِ والصَّراءِ، وفي الشَّدةِ والرخاءِ،
والإيمان بملائكته وكتبه ورسله، والطاعة
والاستسلام لقضاء الله تعالى، رغبةً في



اللهُ الْكَافِي الْكَرِيمُ)).

التصريح بالنص القرآني الموحى إليه في قوله ﷺ مسبقاً بالبسملة: ((فَأَوْحَى إِلَيَّ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ - فِي عَلِيٍّ، يَعْنِي فِي الْخِلَافَةِ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ)).

النداء المباشر لعامة الناس بقوله: ﷺ (معاشر الناس) المحذوف فيه أداة النداء، ولعل السر في ذلك؛ أَنَّهُمْ قَرِيبُونَ مِنْهُ، فَلَا حَاجَةَ إِلَى وَاسِطَةٍ لِنَدَائِهِمْ بَعْدَ الْمَقْدَمَاتِ الَّتِي سَبَقَتْ الْآيَةَ الشَّرِيفَةَ إِذْ قَالَ ﷺ: ((مَعَاشِرَ النَّاسِ، مَا قَصَّرْتُ فِي تَبْلِيغِ مَا أُنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيَّ))

التصريح ببيان سبب نزول الآية في قوله ﷺ بأنها في حق علي عليه السلام بأنه الخليفة والوصي، وقبل ذلك هو أخ له بقوله ﷺ (أخي)، والتصريح بلفظ الملائكة (جبرائيل) هو من أوحى إليه غير مرة، وقد بلغت (مراراً ثلاثاً) بالتسليم لأمر ربه؛ لبيان هذا الأمر العظيم أمام الجميع بقوله (كل أبيض وأسود)، ومن ثم بيان منزلة علي بن أبي طالب منه، وأنه الإمام من بعده؛ معللاً ذلك بشاهد قرآني يبين منزلته ﷺ من

الطاعة وخوفاً من العقوبة، في قوله ﷺ: ((...أَحْمَدُهُ كَثِيراً وَأَشْكُرُهُ دَائِماً عَلَى السَّرَّاءِ وَالصَّرَّاءِ وَالشَّدَّةِ وَالرَّخَاءِ، وَأَوْمِنُ بِهِ وَبِمَلَأَيْكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ. أَسْمَعُ لَأَمْرِهِ وَأُطِيعُ وَأُبَادِرُ إِلَى كُلِّ مَا يَرْضَاهُ وَأَسْتَسْلِمُ لِمَا قَضَاهُ، رَغْبَةً فِي طَاعَتِهِ وَخَوْفاً مِنْ عِقُوبَتِهِ)).

التصريح يشهادة لا إله الا الله، والإقرار لله تعالى بالعبودية، والشهادة له بالربوبية، وتنفيذ ما يوحى إليه، وما يؤمر به من عند الله تعالى في قوله ﷺ: ((لَأَنَّهُ اللَّهُ الَّذِي لَا يُؤْمَنُ مَكْرُهُ وَلَا يُخَافُ جَوْرُهُ. وَأَقْرَبُ لَهُ عَلَى نَفْسِي بِالْعُبُودِيَّةِ، وَأَشْهَدُ لَهُ بِالرَّبُوبِيَّةِ، وَأُؤَدِّي مَا أَوْحَى بِهِ إِلَيَّ، حَذْراً مِنْ أَنْ لَا أَفْعَلَ فَتَحِلَّ بِي مِنْهُ قَارِعَةٌ لَا يَدْفَعُهَا عَنِّي أَحَدٌ وَإِنْ عَظُمَتْ حِيلَتُهُ وَصَفَتْ خُلَّتُهُ)).

تكرار الشهادة بوحداية الله تعالى، وبيان ما أعلمه الله تعالى بحق علي بن أبي طالب عليه السلام؛ نلاحظ التصريح باسمه قبل الشروع بمضمون الآية الكريمة حتى يلفت النظر، ويشد الذهن، ويشير الانتباه إلى محتوى الآية الكريمة التي أعلم بتبليغها في قوله ﷺ: ((...؛ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ. لِأَنَّهُ قَدْ أَعْلَمَنِي أَنِّي إِنْ لَمْ أَبْلُغْ مَا أُنْزَلَ إِلَيَّ فِي حَقِّ عَلِيٍّ فَمَا بَلَّغْتُ رِسَالَتَهُ، وَقَدْ ضَمِنَ لِي تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْعِصْمَةَ مِنَ النَّاسِ وَهُوَ





النبي ﷺ كمنزلة هارون من موسى ﷺ إلا أنه لانبى بعده، ثم جاء التصريح بالنص القرآني الذي يصرح بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام مع بيان الدوال على صفاتهم من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة راعياً، في قوله ﷺ مسبق الكلام كله بالفعل الذي يدل على التوضيح (أبين) وضمير المتكلم المفرد (أنا) الدال على التخصيص في قوله ﷺ: ((وَأَنَا أُبَيِّنُ لَكُمْ سَبَبَ هَذِهِ الْآيَةِ: إِنَّ جَبْرَائِيلَ هَبَطَ إِلَيَّ مِرَاراً ثَلَاثاً يَأْمُرُنِي عَنِ السَّلَامِ رَبِّي - وَهُوَ السَّلَامُ - أَنْ أَقُومَ فِي هَذَا الْمُسْهَدِ فَأُعَلِّمَ كُلَّ أَبْيَضٍ وَأَسْوَدٍ: أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ أَخِي وَوَصِيِّي وَخَلِيفَتِي عَلَى أُمَّتِي وَالْأَمَامُ مِنْ بَعْدِي، الَّذِي مَحَلُّهُ مِنِّي مَحَلُّ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي، وَهُوَ وَلِيُّكُمْ بَعْدَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ. وَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَيَّ بِذَلِكَ آيَةً مِنْ كِتَابِهِ هِيَ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ سورة المائدة/ ٥٤، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ الَّذِي أَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَهُوَ رَاكِعٌ يُرِيدُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كُلِّ (حال))

العدول)) عن صيغة من الألفاظ إلى

صيغة أخرى لا يكون إلا لنوع خصوصية اقتضت ذلك وهو لا يتوخاه في كلامه إلا العارف برموز الفصاحة والبلاغة))^(١)، وفي الخطاب من المتكلم إلى السؤال الصريح؛ ولكن أي سؤال؟ أنه سؤال الرسول ﷺ للملك جبرائيل في اعفائه عن تبليغ تلك الرسالة العظيمة في قوله ﷺ ((وَسَأَلْتُ جَبْرَائِيلَ أَنْ يَسْتَعْفِيَ لِي السَّلَامَ عَنْ تَبْلِيغِ ذَلِكَ إِلَيْكُمْ)) - تعليل طلب الإعفاء عن التبليغ مسبقاً بالنداء البعيد (أيها الناس)؛ ثم جاء حرف الجر (اللام) الذي يفيد التعليل في قوله ﷺ: ((أَيُّهَا النَّاسُ - لِعِلْمِي بِقَلَّةِ الْمُتَّقِينَ وَكَثْرَةِ الْمُنَافِقِينَ وَإِذْغَالِ اللَّائِمِينَ وَحِيلِ الْمُسْتَهْزِئِينَ بِالْإِسْلَامِ، الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ بِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ بِالْأَسْتِثْمِ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ، وَيَحْسَبُونَهُ هِيناً وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ، وَكَثْرَةَ أَذَاهُمْ لِي غَيْرَ مَرَّةٍ، حَتَّى سَمُّونِي أَذْناً وَرَعَمُوا أَنِّي كَذَلِكَ لِكَثْرَةِ مُلَازِمَتِهِ إِيَّايَ وَإِقْبَالِي عَلَيْهِ وَهَوَاهُ وَقَبُولِهِ مِنِّي، حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي ذَلِكَ: (وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ، قُلْ أُذُنٌ - عَلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ أُذُنٌ - خَيْرٌ لَكُمْ، يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ هُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ). وَلَوْ شِئْتُ أَنْ



أَسْمَى الْقَائِلِينَ بِذَلِكَ بِأَسْمَائِهِمْ لَسِمَتْ، وَأَنْ أَوْمِئَ إِلَيْهِمْ بِأَعْيَانِهِمْ لِأَوْمَأْتُ، وَأَنْ أَدَّلَ عَلَيْهِمْ لَدَلْتُ، وَلَكِنِّي وَاللَّهُ فِي أُمُورِهِمْ قَدْ تَكَرَّمْتُ. وَكُلُّ ذَلِكَ لَا يَرْضَى اللَّهُ مِنِّي إِلَّا أَنْ أَبْلُغَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيَّ فِي حَقِّ عَلِيٍّ، (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ - فِي حَقِّ عَلِيٍّ - وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ)).

التصريح بفعل الأمر الذي يدل على الوجوب ((للعناية بتوكيده في نفوسهم))^(١) في قوله ﷺ: ((فَاعْلَمُوا مَعَاشِرَ النَّاسِ ذَلِكَ فِيهِ وَافْهَمُوهُ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ قَدْ نَصَبَهُ لَكُمْ وَلِيًّا وَإِمَامًا فَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَى الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَعَلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَعَلَى الْبَادِي وَالْحَاضِرِ، وَعَلَى الْعَجَمِيِّ وَالْعَرَبِيِّ، وَالْحُرِّ وَالْمَمْلُوكِ وَالصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ، وَعَلَى الْأَبْيَضِ وَالْأَسْوَدِ، وَعَلَى كُلِّ مُوَحَّدٍ مَاضٍ حُكْمُهُ، جَازٍ قَوْلُهُ، نَافِذُ أَمْرُهُ، مُلْعُونٌ مَنْ خَالَفَهُ، مَرْحُومٌ مَنْ تَبِعَهُ وَصَدَّقَهُ، فَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِمَنْ سَمِعَ مِنْهُ وَأَطَاعَ لَهُ. مَعَاشِرَ النَّاسِ، إِنَّهُ آخِرُ مَقَامٍ أَقْوَمُهُ فِي هَذَا الْمُسْهَدِ، فَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَانْقَادُوا لِأَمْرِ اللَّهِ رَبِّكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ مَوْلَاكُمْ وَإِهْكُمُ، ثُمَّ

مِنْ دُونِهِ رَسُولُهُ وَنَبِيُّهُ الْمُخَاطَبُ لَكُمْ، ثُمَّ مِنْ بَعْدِي عَلِيٌّ وَلِيُّكُمْ وَإِمَامُكُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ رَبِّكُمْ، ثُمَّ الْأَمَامَةُ فِي ذُرِّيَّتِي مِنْ وَلَدِهِ إِلَى يَوْمٍ تَلْقَوْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ. لَا حَلَالَ إِلَّا مَا أَحَلَّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَهُمْ، وَلَا حَرَامَ إِلَّا مَا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَسُولُهُ وَهُمْ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَرَّفَنِي الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ وَأَنَا أَفْضَيْتُ بِمَا عَلَّمَنِي رَبِّي مِنْ كِتَابِهِ وَحَلَالِهِ وَحَرَامِهِ (إِلَيْهِ)).

تكرار الخطاب بالنداء (معاشر الناس) ((ليتوكّد القول للسامع))^(٢)، والمعاشر جمع معشر ((والمعشر: كل جماعة أمرهم واحد. المسلمون معشر، والمشركون معشر، والإنس معشر، والجن معشر وجمعه: معاشِر))^(٣) في قوله ﷺ: بَأَنَّ الإمام علي عليه السلام هو الإمام المبين الذي ورد ذكره في النص القرآني: ((مَعَاشِرَ النَّاسِ، فَضَلُّوهُ. مَا مِنْ عِلْمٍ إِلَّا وَقَدْ أَحْصَاهُ اللَّهُ فِيَّ، وَكُلُّ عِلْمٍ عُلِمْتُ فَقَدْ أَحْصَيْتُهُ فِي إِمَامِ الْمُتَّقِينَ، وَمَا مِنْ عِلْمٍ إِلَّا وَقَدْ عَلَّمْتُهُ عَلِيًّا، وَهُوَ الْإِمَامُ الْمُبِينُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي سُورَةِ يَس: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ سورة يس/ ١٢.

تكرار النداء (معاشر الناس) مع

١- المثل السائر، ابن الأثير: ١٢/٢

٢- كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري: ٦٠

٣- العين، الخليل: ٥٧/١ مادة (عشر).



فيحق عليه العذاب، مستدلاً بنص من القرآن الكريم يبين ذلك في قوله ﷺ: ((مَعَاشِرَ النَّاسِ، إِنَّهُ إِمَامٌ مِّنَ اللَّهِ، وَلَنْ يَتُوبَ اللَّهُ عَلَى أَحَدٍ أَنْكَرَ وَلَا يَتَّهِ وَلَنْ يَغْفِرَ لَهُ، حَتَّىٰ عَلَى اللَّهِ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ بِمَنْ خَالَفَ أَمْرَهُ وَأَنْ يُعَذِّبَهُ عَذَابًا نَّكَرًا أَبَدَ الْأَبَادِ وَدَهَرَ الدُّهُورِ. فَاحْذَرُوا أَنْ تُخَالِفُوهُ، فَتَضْلُوا نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ))، ففيه إشارة إلى قوله تعالى ﴿فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ سورة البقرة/ ٢٤.

تكرار النداء مع القسم للتأكيد على منزلة الرسول ﷺ بأن الله تعالى بشر به السابقين من الأنبياء والمرسلين باستعمال ضمير المتكلم (بي)، وهو خاتم النبيين والمرسلين والحجة على جميع الخلق في السماوات والأرض، وهذا دليل قطعي على عدم الشك في ما أخبرهم به من ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، والشاك في ذلك أو في واحد من الأئمة فهو في النار في قوله ﷺ: ((مَعَاشِرَ النَّاسِ، بِي - وَاللَّهِ - بَشَّرَ الْأَوَّلُونَ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ، وَأَنَا - وَاللَّهِ - خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَالْحُجَّةُ عَلَى جَمِيعِ الْمَخْلُوقِينَ مِنْ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ

أسلوب النهي بـ (لا) الناهية فهي ((حرف، يجزم الفعل المضارع، ويخلصه للاستقبال))^(١) في النهي عن الضلالة والاستتكاف عن ولايته في قوله ﷺ: ((مَعَاشِرَ النَّاسِ، لَا تَضِلُّوا عَنْهُ وَلَا تَنْفَرُوا مِنْهُ، وَلَا تَسْتَنْكِفُوا عَنْ وَلَا يَتَّهِ، فَهُوَ الَّذِي يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَيَعْمَلُ بِهِ، وَيُزْهِقُ الْبَاطِلَ وَيَنْهَى عَنْهُ، وَلَا تَأْخُذْهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَّائِمٌ. أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، لَمْ يَسْبِقْهُ إِلَى الْإِيمَانِ بِي أَحَدٌ، وَالَّذِي فَدَى رَسُولَ اللَّهِ بِنَفْسِهِ، وَالَّذِي كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا أَحَدٌ يَعْبُدُ اللَّهَ مَعَ رَسُولِهِ مِنَ الرِّجَالِ غَيْرُهُ. أَوَّلَ النَّاسِ صَلَاةً وَأَوَّلَ مَنْ عَبَدَ اللَّهَ مَعِيَ. أَمَرْتُهُ عَنِ اللَّهِ أَنْ يَنَامَ فِي مَضْجَعِي، فَفَعَلَ فَادِيَا لِي بِنَفْسِهِ)).

تكرار النداء بـ (مَعَاشِرَ النَّاسِ) مع الأمر بتفضيله لأن الله تعالى فضله، والقبول به فالله تعالى نصبه في قوله ﷺ: ((عَاشِرَ النَّاسِ، فَضَّلُوهُ فَقَدْ فَضَّلَهُ اللَّهُ، وَأَقْبَلُوهُ فَقَدْ نَصَبَهُ اللَّهُ)).

تكرار النداء بـ (مَعَاشِرَ النَّاسِ)، مع استعمال الجمل الاسمية التي تدل على الثبوت والعموم^(٢) في بيان إمامة علي عليه السلام بأنه من الله، ومن يخالف أمر الله تعالى

١- الجنى الداني، المرادي: ٥٠

٢- ينظر: المثل والتعبير الاصطلاحي، علاء الحمزاوي: ٥



وَالْأَرْضِينَ. فَمَنْ شَكَ فِي ذَلِكَ فَقَدْ كَفَرَ
كُفَرَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى، وَمَنْ شَكَ فِي شَيْءٍ
مِنْ قَوْلِي هَذَا فَقَدْ شَكَ فِي كُلِّ مَا أَنْزَلَ
إِلَيَّ، وَمَنْ شَكَ فِي وَاحِدٍ مِنَ الْأُتَمَّةِ فَقَدْ
شَكَ فِي الْكُلِّ مِنْهُمْ، وَالشَّاكُ فِينَا فِي النَّارِ،
مَعَاشِرَ النَّاسِ، حَبَانِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِهَذِهِ
الْفَضِيلَةِ مَنَّا مِنْهُ عَلَيَّ وَإِحْسَانًا مِنْهُ إِلَيَّ وَلَا
إِلَهَ إِلَّا هُوَ، أَلَا لَهُ الْحَمْدُ مِنِّي أَبَدَ الْأَبْدِينَ
وَدَهْرَ الدَّاهِرِينَ وَعَلَى كُلِّ حَالٍ)).

الاقْتِبَاسُ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ لِبَيَانِ
صِفَاتِ عَلِيٍّ (ع) فِي الْقُرْآنِ بِأَنَّهُ جَنْبُ اللَّهِ
تَعَالَى، التَّفْرِيطُ بِهِ حَسْرَةٌ لِفِي النَّفْسِ
الْإِنْسَانِيَّةِ مَعَ تَكَرُّرِ النَّدَاءِ مَعَاشِرَ النَّاسِ
لِلتَّوَكُّيدِ بِقَوْلِهِ (ع): ((إِنَّهُ جَنْبُ اللَّهِ الَّذِي
ذَكَرَ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ، فَقَالَ تَعَالَى مُخْبِرًا
عَمَّنْ يُخَالِفُهُ: (أَنْ تَقُولَ نَفْسُ يَا حَسْرَتَا
عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ) وَهُوَ مُقْتَبَسٌ
مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسُ يَا حَسْرَتَا
عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمَنْ
السَّاحِرِينَ﴾ سُوْرَةُ الزَّمَرِ / ٥٦.

الدَّعْوَةُ إِلَى تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَمَعْرِفَةِ
مَحْكَمِهِ وَمُتَشَابِهِهِ، ثُمَّ جَاءَ التَّوَكُّيدُ بِالْقِسْمِ
بِلَفْظِ الْجَلَالَةِ (اللَّهُ) بِأَنْ لَا يَبِينُ زَوَاجِرُهُ،
وَيُوضَّحُ تَفْسِيرُ إِلَّا عَلِيٍّ (ع) الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ
بِجُمْلَةِ صَلَةِ الْمَوْصُولِ الَّتِي تَحْكِي وَتَصَوِّرُ
بِيعَةَ الْغَدِيرِ بِالْحَرَكَاتِ لَا بِالْأَلْفَاظِ فَقَطْ
مِنَ الْأَخْذِ بِيَدِهِ وَالْمَصْعَدِ إِلَيْهِ، الرَّافِعِ

تَكَرُّرِ النَّدَاءِ مَعَ الْأَمْرِ بِتَفْضِيلِ عَلِيٍّ (ع)؛
فَهُوَ أَفْضَلُ النَّاسِ بَعْدَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ (ص)،
وَمِنْ عَادَاهُ وَلَمْ يَقْبَلْ بَوْلَايَتَهُ فَعَلِيهِ اللَّعْنَةُ
وَالْغَضَبُ كَمَا جَاءَ ذَلِكَ عَلَى لِسَانِ
جَبْرَائِيلَ؛ فَالْقَضِيَّةُ سَمَاوِيَّةٌ بِأَمْرِ الْبَارِي
عَزَّ وَجَلَّ فِي تَنْصِيبِ الْإِمَامِ عَلِيٍّ (ع)، وَفِي
مُخَالَفَتِهِ تَزَلُّ أَفْدَامُهُمْ بَعْدَ الثَّبُوتِ عَلَى
الْوِلَايَةِ، وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ فِي قَوْلِهِ:
((مَعَاشِرَ النَّاسِ، فَضَلُّوا عَلَيًّا فَإِنَّهُ أَفْضَلُ
النَّاسِ بَعْدِي مَنْ ذَكَرَ وَأُنْثِيَ مَا أَنْزَلَ
اللَّهُ الرِّزْقَ وَبَقِيَ الْخَلْقُ. مَلْعُونٌ مَلْعُونٌ،
مَغْضُوبٌ مَغْضُوبٌ مَنْ رَدَّ عَلَيَّ قَوْلِي هَذَا
وَلَمْ يُؤَافِقْهُ. أَلَا إِنَّ جَبْرَائِيلَ خَبَّرَنِي عَنِ اللَّهِ
تَعَالَى بِذَلِكَ وَيَقُولُ: «مَنْ عَادَى عَلِيًّا وَلَمْ
يَتَوَلَّهِ فَعَلَيْهِ لَعْنَتِي وَغَضَبِي»، ﴿وَلْتَنْظُرْ
نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ سُوْرَةُ
الْحَشْرِ مِنَ الْآيَةِ ١٨، وَقَوْلِهِ (ع): ((أَنْ
تُخَالِفُوهُ فَتَزَلَّ قَدَمُ بَعْدُ ثُبُوتِهَا إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ



بيده، وفوق ذلك يأتي التصريح بالعلم من الرسول ﷺ بمكانته عند الله تعالى وعند الرسول ﷺ بالإخوة والوصية، وعند الناس بالولاية التي أنزلها الله تعالى بصريح الاسم علي بن أبي طالب ﷺ، وتكرار صريح الاسم (علي) للفت الانتباه بتخصيص الولاية في شخصه الكريم ﷺ في قوله ﷺ: ((مَعَاشِرَ النَّاسِ، تَدَبَّرُوا الْقُرْآنَ وَافْهَمُوا آيَاتِهِ، وَانْظُرُوا إِلَى مُحْكَمَاتِهِ وَلَا تَتَّبِعُوا مِثْلَ شَأْنِهِ، فَوَاللَّهِ لَنْ يُبَيِّنَ لَكُمْ زَوَاجِرَهُ وَلَنْ يُوضِّحَ لَكُمْ تَفْسِيرَهُ إِلَّا الَّذِي أَنَا آخِذٌ بِيَدِهِ وَمُضْعِدُهُ إِلَيَّ وَشَائِلُ بَعْضِهِ وَرَافِعُهُ بِيَدِي وَمُعْلِمُكُمْ: أَنَّ مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا عَلِيٌّ مَوْلَاهُ، وَهُوَ عَلِيٌّ بَنُ أَبِي طَالِبٍ أَخِي وَوَصِيِّي، وَمَوْلَاؤُهُ مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْزَلَهَا عَلَيَّ)).

المشهد التمثيلي الحسي في تأكيد ولاية أمير المؤمنين ﷺ من حيث إجراء الحركات التي تعكس مكانة علي ﷺ من رسول الله ﷺ تطبيقاً على مرأى ومسمع الجميع من حيث ضرب العضد بالعضد، ورفع يد علي ﷺ وبسطها إلى السماء، حتى صارت رجله مع ركبة رسول الله ﷺ، ثم جسّد المشهد بالعبرة الصريحة التي تنصّ على ولاية علي ﷺ، ومكانته عند الله تعالى ورسوله بعد الحوار مع الناس وتوجيه الخطاب بـ (أيها الناس) بدلاً من (معاشر الناس) في تأكيد الولاية والالتزام بها، والنصرة له، والدعاء بـ (اللهم) في ولاية الله تعالى لمن والاه، وعداوة من عاداه؛ فأَيّ منزلة عظيمة تلك التي خصّ بها

التصريح بأن عليّاً والطيبين من صلبه هم الثقل الأصغر والقرآن الكريم هو الثقل الأكبر، ولن يفترقا حتى يردا الحوض مع الرسول ﷺ في قوله: ((مَعَاشِرَ النَّاسِ، إِنَّ عَلِيّاً وَالطَّيِّبِينَ مِنْ وُلْدِي مِنْ صُلْبِهِ هُمُ الثَّقَلُ الْأَصْغَرُ، وَالْقُرْآنُ الثَّقَلُ الْأَكْبَرُ، فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مُنْبِئٌ عَنِ صَاحِبِهِ وَمُؤَافِقٌ لَهُ، لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ.

التكرار باستعمال أداة الاستفتاح (ألا)

التكرار باستعمال أداة الاستفتاح (ألا)



علي ﷺ كما جاء ذكره: ((ثم ضرب بيده إلى عضد علي ﷺ فرفعه، وكان أمير المؤمنين ﷺ منذ أول ما صعد رسول الله ﷺ منبره على درجة دون مقامه مُتِيماً عن وجه رسول الله ﷺ كأنهما في مقام واحد. فرفعه رسول الله ﷺ بيده وبسطهما إلى السماء وشال علياً ﷺ حتى صارت رجله مع ركبة رسول الله ﷺ، ثم قال: أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ أَوْلَى بِكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ؟ قالوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ. فَقَالَ: أَلَا فَمَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا عَلِيٌّ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ وَأَنْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ)).

التأكيد باستعمال اسم الإشارة (هذا) ((زيادة الدلالة على المقصود من اختصاص المذكورين قبله))^(١) مع النداء لتوجيه انتباه السامعين والحاضرين إلى أن المقصود بالولاية علي ﷺ فهو المخصوص بهذه المكانة عند الرسول ﷺ؛ معززاً ذلك بتكرار ضمير المتكلم في (أخي، ووصي، وواعي علمي، وخليفتي) في قوله ﷺ: ((مَعَاشِرَ النَّاسِ، هَذَا عَلِيٌّ أَخِي وَوَصِيِّي وَوَاعِي عِلْمِي، وَخَلِيفَتِي فِي أُمْتِي عَلَى مَنْ آمَنَ بِي وَعَلَى تَفْسِيرِ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالِدَّاعِي إِلَيْهِ وَالْعَامِلُ بِمَا يَرْضَاهُ

وَالْمُحَارِبُ لِأَعْدَائِهِ وَالْمُوَالِي عَلَى طَاعَتِهِ وَالنَّاهِي عَنِ مَعْصِيَتِهِ)).

استعمال التوكيد بـ (إن)^(٢) واسمها وخبرها في بيان مكانة علي ﷺ عند الله بأنَّه الخليفة والأمير والهادي، والمقاتل بأمر الله تعالى، ومما زاد التوكيد استعمال النص القرآني في تأكيد القول في إكمال الدين وإتمام النعمة، وأن الدين عند الله تعالى الإسلام، والإسلام هو التسليم لأمر الله تعالى، والعمل به، ومن يتبع غيره فلن يقبل منه وهو من الخاسرين في قوله ﷺ: ((إِنَّهُ خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْإِمَامُ الْهَادِي مِنَ اللَّهِ، وَقَاتِلُ النَّكْثِينَ وَالْقَاسِطِينَ وَالْمَارِقِينَ بِأَمْرِ اللَّهِ. يَقُولُ اللَّهُ: (مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ). بِأَمْرِكَ يَا رَبِّ أَقُولُ: اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ وَأَنْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ وَالْعَنَ مَنْ أَنْكَرَهُ وَاغْضِبْ عَلَى مَنْ جَحَدَ حَقَّهُ. اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَنْزَلْتَ الْآيَةَ فِي عَلِيٍّ وَلِيِّكَ عِنْدَ تَبْيِينِ ذَلِكَ وَنَصْبِكَ إِيَّاهُ هَذَا الْيَوْمَ: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِيناً)، وَقُلْتُ: (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ)، وَقُلْتُ: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ

١- الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني: ٤٥.

٢- ينظر: الجنى الداني، المرادي: ٦٦.



مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿سورة آل عمران/ ٨٥.

تكرار النداء مع حذف حرف النداء (يا) لنداء البعيد فيجوز نداء القريب بما للبعيد تأكيداً^(١) في قوله: (معاشر الناس)، والمعاشر جموع الناس المختلفة في هويتها وتوجهها وأفكارها وهو يفصل الحديث عن إكمال الدين بإمامة علي عليه السلام ومن يقوم بعده إلى يوم القيامة ومن يعرض عنهم حبطت أعمالهم، وهو اقتباس من النص القرآني في قوله ﷺ: ((مَعَاشِرَ النَّاسِ، إِنَّمَا أَكْمَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ دِينَكُمْ بِإِمَامَتِهِ. فَمَنْ لَمْ يَأْتَمَّ بِهِ وَيَمْنُ يَقُومُ مَقَامَهُ مِنْ وَلَدِي مَنْ صُلِبَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَالْعَرْضِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ)، (لا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ))، جاء تذييل هذه الفقرة فيه باقتباس جزئي من القرآن الكريم فيه إشارة إلى قوله تعالى ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ سورة آل عمران/ ٢٢، وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ سورة البقرة/ ٨٦

التصريح باسم الإمام علي عليه السلام

والإشارة باسم الإشارة لزيادة التخصيص عليه من دون غيره، ومصحوب ذلك بنداء (معاشر الناس)، ومن ثم استعمال اسم التفضيل المضاف إلى ضمير الجمع (كم) وهم المفضل عليه والمفضل إليه ياء المتكلم في (لي، بي، إلي، وإلي)؛ لبيان شدة قربه من النبي محمد ﷺ، وبيان فضله على الآخرين، ومما يعزز ذلك مكانته في القرآن الكريم، فقد استشهد الرسول ﷺ بعدد من آيات القرآن الكريم التي نزلت في حق علي عليه السلام في سورة الإنسان، قوله ﷺ: ((مَعَاشِرَ النَّاسِ، هَذَا عَلِيٌّ، أَنْصَرُكُمْ لِي وَأَحَقُّكُمْ بِي وَأَقْرَبُكُمْ إِلَيَّ وَأَعَزُّكُمْ عَلَيَّ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَأَنَا عَنْهُ رَاضِيَانِ. وَمَا نَزَلَتْ آيَةٌ رَضِيَ فِي الْقُرْآنِ إِلَّا فِيهِ، وَلَا خَاطَبَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَّا بَدَأَ بِهِ، وَلَا نَزَلَتْ آيَةٌ مَدَحَ فِي الْقُرْآنِ إِلَّا فِيهِ، وَلَا شَهِدَ اللَّهُ بِالْجَنَّةِ فِي ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ إِلَّا لَهُ، وَلَا أَنْزَلَهَا فِي سِوَاهُ وَلَا مَدَحَ بِهَا غَيْرُهُ))، وهو مقتبس من قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ سورة الإنسان/ ١.

بيان مكانة الإمام علي عليه السلام عند الله تعالى في التصريح بأوصافه بعد النداء بـ (معاشر الناس)، وهنا جاء التخصيص بالضمير (هو) ويمثل المرجعية القبلية لما



ذكر من التصريح السابق بحق علي عليه السلام، فهو الناصر لدين الله، وهو التقي والنقي والهادي، ومن ثم العدول في الخطاب من المخاطب إلى الغائب ومن ثم العودة إلى المخاطب (نبيكم ووصيكم...) في قوله عليه السلام: ((مَعَاشِرَ النَّاسِ، هُوَ نَاصِرُ دِينِ اللَّهِ وَالْمُجَادِلُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، وَهُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ الْهَادِي الْمُهْدِي. نَبِيكُمْ خَيْرُ نَبِيٍّ وَوَصِيِّكُمْ خَيْرُ وَصِيٍّ وَبَنُوهُ خَيْرُ الْأَوْصِيَاءِ))

بيان الفرق بين النبي صلى الله عليه وآله وغيره من الأنبياء، فهو ذريته من أمير المؤمنين عليه السلام وهنا صرح عليه السلام بوصفه أميراً للمؤمنين، وغيره ذريتهم من صلبهم حتى لا يخفى على الآخرين مكانته، وحتى لا يحتج الآخر بالذرية من صلبه في قوله عليه السلام: ((مَعَاشِرَ النَّاسِ، ذُرِّيَّةُ كُلِّ نَبِيٍّ مِنْ صُلْبِهِ، وَذُرِّيَّتِي مِنْ صُلْبِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ)).

تكرار الخطاب بـ (معاشر الناس) في كشف ماتخفيه بعض الصدور من الحسد لأمر المؤمنين عليه السلام، وهذا الحسد تزل بها أقدامهم كما أخرج إبليس آدم عليه السلام من الجنة حسداً وهبط إلى الأرض وهو صفوة الله، ثم يقول عليه السلام هذا حال آدم عليه السلام فكيف أنتم البشر ومنكم أعداء الله فكأنما يوحى عليه السلام بسرعة زلتهم لوجود

الأعداء لأمر المؤمنين عليه السلام بينهم، ومن ثم جاء النهي بـ (لا) الناهية الجازمة التي تدل على الوجوب مع الفعل المضارع الذي يدل على التجدد والحدوث مما يوحى بتجدد العداوة والبغضاء والحسد لأمر المؤمنين عليه السلام في كل زمان ومكان في قوله عليه السلام: ((مَعَاشِرَ النَّاسِ، إِنَّ إِبْلِيسَ أَخْرَجَ آدَمَ مِنَ الْجَنَّةِ بِالْحَسَدِ، فَلَا تُحْسِدُوهُ فَتُخْبِطَ أَعْمَالُكُمْ وَتَنْزِلَ أَقْدَامُكُمْ، فَإِنَّ آدَمَ أَهْبَطَ إِلَى الْأَرْضِ بِخَطِيئَةٍ وَاحِدَةٍ، وَهُوَ صَفْوَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكَيْفَ بِكُمْ وَأَنْتُمْ أَنْتُمْ وَمِنْكُمْ أَعْدَاءُ اللَّهِ.)).

استعمال أسلوب القصر بـ (لا) والفعل المضارع الذي يدل على التجدد والحدوث، و (الا) للتهويل على السامع^(١) في بيان سمات من يبغض علياً عليه السلام بالتصريح باسمه عليه السلام لعلي عليه السلام، واستعمال الضمير (الهاء) الذي يُسمّى بالمرجعية القبلية مع التصريح باسمه في الوفاء والإخلاص مسبقاً بأداة الاستفتاح (ألا) (إن) التي تفيد التوكيد مع الضمير الذي يمثل المرجعية بالعودة إلى علي عليه السلام في قوله عليه السلام: ((أَلَا وَإِنَّهُ لَا يُبْغِضُ عَلِيًّا إِلَّا شَقِيٌّ، وَلَا يُوَالِي عَلِيًّا إِلَّا تَقِيٌّ، وَلَا يُؤْمِنُ بِهِ إِلَّا مُؤْمِنٌ مُخْلِصٌ. وَفِي عَلِيٍّ)).



تكرار النداء بـ (مَعَاشِرَ النَّاسِ) في التحذير من إنكار إمامة علي عليه السلام بالاقتباس من القرآن الكريم بآية تأمر بالتقوى، مُفْتَتِحَةٌ بفعل الأمر الذي يدلّ على الوجوب في قوله ﷺ: ((مَعَاشِرَ النَّاسِ، اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ))، وهذا اقتباس جزئي من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ آل عمران/ ١٠٢.

تكرار النداء بـ (مَعَاشِرَ النَّاسِ) مع الاقتباس من القرآن الكريم التي تدلّ على الوجوب بفعل الأمر الذي يدلّ على وجوب الإيمان بالله ورسوله والنور الذي يوحى به إلى علي عليه السلام وذريته، ولم يصرح باسمه ولكن اعتمد ﷺ التلميح إليهم، تاركاً كل امرئ أن يعمل بما يكنه ويجده في القلب من الحب والبغض لعلي عليه السلام، مع التذكير بأصحاب السبب وتلك قصة مذكورة في القرآن الكريم، وهم اليهود الذين خالفوا أوامر الله تعالى بأن اصطادوا يوم السبت الذي حرّم عليهم الصيد فيه، وفي ذلك دلالة إيجابية إلى معرفة المنكرين لعلي عليه السلام بأسمائهم وأنسابهم، ولكنه أمر بالصفح عنهم، في قوله ﷺ: ((مَعَاشِرَ النَّاسِ، (آمِنُوا بِاللَّهِ

التوكيد باستعمال القسم الصريح بلفظ الجلالة (الله) ^(١) في تأكيد السور القرآنية التي أنزلت في حق علي عليه السلام في سورة العصر مسبوقه بالبسملة في قوله ﷺ: فهو المستثنى من الخسران فهو الراضي بالحق والصبر: ((وَاللَّهُ، نَزَلَتْ سُورَةُ الْعَصْرِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، ﴿وَالْعَصْرِ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ سورة العصر/ ١-٢ إِلَّا عَلَى الَّذِي آمَنَ وَرَضِيَ بِالْحَقِّ وَالصَّبْرِ))، وفي الخطبة إشارة ودلالة إيجابية إلى قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ سورة العصر/ ٣

الاقتباس الجزئي من القرآن الكريم لتأكيد التبليغ الذي أمره الله تعالى به في حق علي عليه السلام، مقدّماً شهادة الله تعالى عليهم، وماعليه إلا البلاغ في قوله ﷺ: ((مَعَاشِرَ النَّاسِ، قَدْ اسْتَشْهَدْتُ اللَّهَ وَبَلَّغْتُكُمْ رِسَالَتِي وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ))، ففيه اقتباس جزئي من قوله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ سورة



وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ مِنْ قَبْلُ أَنْ نَطْمَسَ وُجُوهًا فَنَرَدَّهَا عَلَى أَذْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ). بِالله ما عَنِ بِهِذِهِ الْآيَةِ إِلَّا قَوْمًا مِنْ أَصْحَابِي أَعْرِفُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَنْسَابِهِمْ، وَقَدْ أَمَرْتُ بِالصَّفْحِ عَنْهُمْ. فَلْيَعْمَلْ كُلُّ امْرِئٍ عَلَى مَا يَجِدُ لِعَلِيٍّ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْحُبِّ وَالْبُغْضِ)).

تكرار الخطاب بـ (معاشر الناس) في تفصيل معنى النور الذي ورد ذكره سابقاً فهو من الله إلى نبيه، بقوله (يَا) للتخصيص، ومن ثم التصريح بانتقال النور إلى علي عليه السلام باسمه وإلى نسله إلى القائم المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف)، فهو الذي يأخذ بالثأر لله تعالى وأهل البيت عليه السلام، فهم حجة الله تعالى على المخافيت والمعاندين والظالمين والغاصبين من جميع العالمين، في قوله عليه السلام: ((مَعَاشِرَ النَّاسِ، النُّورُ مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَسْلُوكٌ فِيَّ، ثُمَّ فِي عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، ثُمَّ فِي النَّسْلِ مِنْهُ إِلَى الْقَائِمِ الْمُهْدِيِّ الَّذِي يَأْخُذُ بِحَقِّ اللَّهِ وَبِكُلِّ حَقٍّ هُوَ لَنَا، لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ جَعَلَنَا حِجَّةً عَلَى الْمُقْصِرِينَ وَالْمُعَانِدِينَ وَالْمُخَالِفِينَ وَالْخَائِنِينَ وَالْأَثْمِينَ وَالظَّالِمِينَ وَالْغَاصِبِينَ مِنْ جَمِيعِ الْعَالَمِينَ)).

تكرار النداء بـ (معاشر الناس) مع التصريح بفعل الإنذار والتوكيد بـ (أَنْ)

واسمها ضمير المتكلم وخبرها الجملة الفعلية المبدوءة بفعل الإنذار والتضمين من القرآن الكريم بآية تشير إلى عدم رجوعهم وتقهرهم عن الولاية لعلي عليه السلام بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فَإِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُوا اللَّهَ شَيْئًا، وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ يَجَازِي الشَّاكِرِينَ، وَعَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ الْمَوْصُوفُ بِالصَّبْرِ وَالشُّكْرِ بِالْآيَةِ الْكَرِيمَةِ الَّتِي وَرَدَتْ فِي أَثْنَاءِ قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ((مَعَاشِرَ النَّاسِ، أُنْذِرُكُمْ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِي الرُّسُلُ، أَفَإِنْ مِتُّ أَوْ قُتِلْتُ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ؟ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ الصَّابِرِينَ. أَلَا وَإِنْ عَلِيًّا هُوَ الْمَوْصُوفُ بِالصَّبْرِ وَالشُّكْرِ، ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ وَوُلْدِي مِنْ صُلْبِهِ)). وفي هذا الجزء من الخطبة تضمين لقوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ؛ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ؟ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ سورة آل عمران/ ١٤٤

التذييل بآي من القرآن الكريم، وتكرار النداء مع أسلوب النهي عن المن بالاسلام واتباع إمامة علي عليه السلام في قوله عليه السلام: ((مَعَاشِرَ النَّاسِ، لَا تَمُتُوا عَلَيَّ بِإِسْلَامِكُمْ، بَلْ لَا تَمُتُوا عَلَى اللَّهِ فَيُخِطَ عَمَلُكُمْ وَيَسْخَطَ عَلَيْكُمْ وَيَتَلَيَّكُمْ بِشَوَاطِ



مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٍ، ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَبِالْمُرْصَادِ﴾
سورة الفجر / (١٤)).

التحذير من الوقائع التي تقع بعد وفاة النبي محمد ﷺ بأن هناك أمة تدعو إلى النار، فالله ورسوله بريئان منهم، وهم في أسفل درك من الجحيم مع أنصارهم وأشياعهم وهذا تضمن من القرآن الكريم ﴿وَلَيْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾، في قوله ﷺ: (مَعَاشِرَ النَّاسِ، إِنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ بَعْدِي أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ. مَعَاشِرَ النَّاسِ، إِنَّ اللَّهَ وَأَنَا بَرِيئَانِ مِنْهُمْ. مَعَاشِرَ النَّاسِ، إِنْهُمْ وَأَنْصَارُهُمْ وَأَتْبَاعُهُمْ وَأَشْيَاعُهُمْ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَيْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ. أَلَا إِنَّهُمْ أَصْحَابُ الصَّحِيفَةِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ فِي صَحِيفَتِهِ!! قال: فذهب على الناس - إلا شذمة منهم - أمر الصحيفة)).
فالآية مقتبسة من قوله تعالى: ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ سورة الزمر / ٧٢

تكرار النداء بـ (مَعَاشِرَ النَّاسِ) مع التأكيد على التصريح بالإمامة بأنها وراثية في عقب النبي محمد ﷺ إلى يوم القيامة، وقد أدى ما عليه من التبليغ في قوله ﷺ: (مَعَاشِرَ النَّاسِ، إِنِّي أَدْعُهَا إِمَامَةً وَوِرَاثَةً فِي عَقْبِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَقَدْ بَلَغْتُ مَا أُمِرْتُ

بِتَبْلِيغِهِ حُجَّةَ عَلَى كُلِّ حَاضِرٍ وَغَائِبٍ، وَعَلَى كُلِّ أَحَدٍ بِمَنْ شَهِدَ أَوْ لَمْ يَشْهَدْ، وَلِدًا أَوْ لَمْ يُولَدْ، فَلْيُبَلِّغِ الْحَاضِرُ الْغَائِبَ وَالْوَالِدُ الْوَلَدَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَسَيَجْعَلُونَ الْإِمَامَةَ بَعْدِي مُلْكًا وَاغْتِصَابًا، أَلَا لَعَنَ اللَّهُ الْغَاصِبِينَ الْمُغْتَصِبِينَ، وَعِنْدَهَا سَيَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ مَنْ يَفْرُغُ، وَيُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظُ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ))، وفيه اقتباس جزئي يشير إلى قوله تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾ سورة الرحمن / ٣١، وقوله تعالى: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظُ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ﴾ سورة الرحمن / ٣٥.

علّة تشريع الإمامة في قوله ﷺ، وأن من ينكر الإمامة ويكذبها يكون مهلكاً في الدنيا قبل يوم القيامة، مع التأكيد على الإمامة في صلب علي عليه السلام حتى الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف)، وهذا وعد الله الصادق في قوله ﷺ: ((مَعَاشِرَ النَّاسِ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرِكُمْ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ، وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ. مَعَاشِرَ النَّاسِ، إِنَّهُ مَا مِنْ قَرِيَةٍ إِلَّا وَاللَّهُ مُهْلِكُهَا بِتَكْذِيبِهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمُكَلِّمُهَا الْإِمَامَ الْمُهْدِيَّ وَاللَّهُ مُصَدِّقُ وَعْدِهِ)).



التخويف والتحذير عن إنكار ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام عبر سرد قصص إهلاك الأولين المضلين وكذا الآخرين بواسطة تكرار النداء بـ (معاشر الناس)، والاقتراس الكلي من القرآن الكريم مع التصريح بلفظ الجلالة الله في قوله: ((مَعَاشِرَ النَّاسِ، قَدْ ضَلَّ قَبْلَكُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ، وَاللَّهُ لَقَدْ أَهْلَكَ الْأَوَّلِينَ، وَهُوَ مُهْلِكُ الْآخِرِينَ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ، ثُمَّ نَبِّئَهُمُ الْآخِرِينَ، كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ، وَيُلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ سورة المرسلات / ١٦-١٩..

تكرار النداء بـ (معاشر الناس) في بيان أن أمره ونهيه عليه السلام من الله وأنه عليه السلام أمر ونهى علياً عليه السلام، فيجب امتثال الأوامر والنواهي التي تصدر عنه عليه السلام، ونهى عليه السلام عن التفرقة، وفي طاعته عليه السلام، والاستماع إليه عليه السلام يحقق السلامة والهداية والرشاد في قوله عليه السلام: ((مَعَاشِرَ النَّاسِ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَمَرَنِي وَنَهَانِي، وَقَدْ أَمَرْتُ عَلِيًّا وَنَهَيْتُهُ بِأَمْرِهِ. فَعَلِمُ الْأَمْرَ وَالنَّهْيَ لَدَيْهِ، فَاسْمَعُوا لِأَمْرِهِ تَسْلِمُوا وَأَطِيعُوا تَهْتَدُوا وَانْتَهُوا لِنَهْيِهِ تَرْشُدُوا، وَصِيرُوا إِلَى مُرَادِهِ وَلَا تَتَفَرَّقْ بِكُمْ السَّبِيلُ عَنْ سَبِيلِهِ))، ونلاحظ تكرار التذييل من النص القرآني في كل فقرة من فقرات الخطبة، وهنا جاءت الإشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا

فَاتَّبِعُونِي وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ سورة الأنعام / ١٥٣

التصريح أن الصراط المستقيم علي بن أبي طالب عليه السلام والأئمة من صلبه، في سورة الحمد مع البسملة في قوله عليه السلام، وأنها أنزلت في النبي صلى الله عليه وآله وفي علي عليه السلام، فهم أولياء الله وهم حزب الله الغالبون، وأن أعداء الله هم السفهاء: ((مَعَاشِرَ النَّاسِ، أَنَا صِرَاطُ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمُ الَّذِي أَمَرَكُمْ بِاتِّبَاعِهِ، ثُمَّ عَلِيٌّ مِنْ بَعْدِي، ثُمَّ وَلَدِي مِنْ صُلْبِهِ أئمة الهدى، يَهْدُونَ إِلَى الْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ.)) (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ، إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ، اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) سورة الفاتحة / ١-٧، فِي نَزَلَتْ وَفِيهِمْ وَاللَّهُ نَزَلَتْ، وَهُمْ عَمَتْ، وَإِيَّاهُمْ خَصَّتْ، أُولَئِكَ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ. أَلَا إِنَّ أَعْدَاءَهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ الْغَاوُونَ إِخْوَانُ الشَّيَاطِينِ، يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا.))، وجاء التذييل فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ



يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ
غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ
وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١﴾ سورة الأنعام.

الاقْتِبَاسُ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي بَيَانِ
سَمَاتِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ مِنَ الْإِيمَانِ وَالتَّسْلِيمِ
وَالْهُدَايَةِ، وَهُمْ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ
وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ فِي قَوْلِهِ ﷺ: ((أَلَا إِنَّ
أَوْلِيَاءَهُمُ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ، فَقَالَ
عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ
عَشِيرَتَهُمْ، أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ
وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ
اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ سورة
المجادلة/ ٢٢. أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَهُمُ الْمُؤْمِنُونَ
الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ:
﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ
أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ سورة
الأنعام ٨٢. أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَهُمُ الَّذِينَ آمَنُوا
وَلَمْ يَزْتَابُوا. أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَهُمُ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ
الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ آمِنِينَ، تَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ
بِالتَّسْلِيمِ يَقُولُونَ: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ
فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ سورة الزمر/ ٧٣.
أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَهُمْ، هُمُ الْجَنَّةُ يُرْزَقُونَ فِيهَا

بِغَيْرِ حِسَابٍ)) وَالْآيَةُ الْآخِرَةُ مُقْتَبَسَةٌ
مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا
يُجْزِيهِ إِلَّا مِثْلَهَا بِمَا عَمِلَ صَالِحًا مَنْ
ذَكَرَ أَوْ أَنْشَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ
الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ سورة
غافر/ ٤٠.

الاقْتِبَاسُ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي بَيَانِ
سَمَاتِ أَعْدَاءِ اللَّهِ وَكَيْفِ يَدْخُلُونَ النَّارَ،
وَبَيَانِ حَالِهِمْ فِي اللَّعْنِ بَعْضُهُمْ لِبَعْضِهِمْ،
وَأَنَّهُمْ فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ فِي قَوْلِهِ ﷺ:
((أَلَا إِنَّ أَعْدَاءَهُمُ الَّذِينَ يَصَلُّونَ سَعِيرًا.
أَلَا إِنَّ أَعْدَاءَهُمُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ لِحَنَّهُمْ
شَهيقًا وَهِيَ تَفُورُ وَيَرُونَ لَهَا زَفِيرًا. أَلَا
إِنَّ أَعْدَاءَهُمُ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿كُلَّمَا
دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا آذَرُكُوا
فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرِيَهُمْ لِأُولِيهِمْ رَبَّنَا
هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَأَتْنَاهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ
النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾
سورة الأعراف/ ٣٨. أَلَا إِنَّ أَعْدَاءَهُمُ الَّذِينَ
قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كُلَّمَا أَلْقَى فِيهَا فَوْجٌ
سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ، قَالُوا بَلَى قَدْ
جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ
شَيْءٍ، إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ، وَقَالُوا لَوْ
كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ
السَّعِيرِ فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ
السَّعِيرِ﴾ سورة الملك/ ٨-١١. وَقَوْلِهِ ﷺ:
((أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَهُمُ الَّذِينَ يُخْشَوْنَ رَبَّهُمْ



بِالْغَيْبِ، هُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ)) فيه اقتباس جزئي لبيان من هم مخصوصون بالولاية في يوم الغدير من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ، هُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ سورة الملك/ ١٢.

الترغيب في اتباع ولاية علي عليه السلام عن طريق تكرار الخطاب بـ (معاشر الناس)، وعقد التقابل بين السعير والأجر الكبير، فشتان الفارق بينهما، والأجر الكبير يكون باتباع النذير عليه السلام، والبشير علي عليه السلام، وأن عدوهما مذموم وملعون من الله تعالى في قوله عليه السلام: ((مَعَاشِرَ النَّاسِ، شَتَانُ مَا بَيْنَ السَّعِيرِ وَالْأَجْرِ الْكَبِيرِ. مَعَاشِرَ النَّاسِ، عَدُونَا مَنْ ذَمَّهُ اللَّهُ وَلَعَنَهُ، وَوَلَيْنَا كُلُّ مَنْ مَدَحَهُ اللَّهُ وَأَحَبَّهُ. مَعَاشِرَ النَّاسِ، أَلَا وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ وَعَلِيُّ الْبَشِيرُ))

التوكيد بـ (إن) مسبق بالنداء في التصريح بميزات النبي صلى الله عليه وآله والوصي علي عليه السلام باسمه متلازمين معاً في الترتيب بقوله (إني) مكررة في كل عبارة تكشف عن مكانتهما عند الله تعالى بأنه صلى الله عليه وآله المنذر والرسول والنبي، وعلي الهادي والوصي والإمام، والأئمة يخرجون من صلب علي عليه السلام وهو والدهم، في قوله: (مَعَاشِرَ النَّاسِ، أَلَا وَإِنِّي مُنْذِرٌ وَعَلِيٌّ هَادٍ. مَعَاشِرَ النَّاسِ، إِنِّي نَبِيٌّ وَعَلِيٌّ وَصِيٌّ. مَعَاشِرَ النَّاسِ، أَلَا وَإِنِّي

رَسُولٌ وَعَلِيٌّ الْأَمَامُ وَالْوَصِيُّ مِنْ بَعْدِي، وَالْأئِمَّةُ مِنْ بَعْدِهِ وَلَدُهُ. أَلَا وَإِنِّي وَالِدُهُمْ وَهُمْ يَخْرُجُونَ مِنْ صُلْبِهِ)).

التصريح بخاتم الأئمة وهو القائم المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) بأنه (منا)، وجاء التعبير مُسنداً إلى ضمير المتكلم (نا)، وضمير الجمع للمتكلمين فيه إشارة إلى الأئمة من صلب علي عليه السلام والمهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) منهم، وبيان مكانة المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) في سماته التي جاءت بصيغة اسم الفاعل: (خاتم الأئمة، والمتقم، والناصر، والمدرک لشار أولياء الله) في قوله عليه السلام: ((أَلَا إِنَّ خَاتَمَ الْأَئِمَّةِ مِنَّا الْقَائِمَ الْمُهْدِيَّ. أَلَا إِنَّهُ الظَّاهِرُ عَلَى الدِّينِ. أَلَا إِنَّهُ الْمُتَّقِمُ مِنَ الظَّالِمِينَ. أَلَا إِنَّهُ فَاتِحُ الْخُصُوفِ وَهَادِمُهَا. أَلَا إِنَّهُ غَالِبُ كُلِّ قَبِيلَةٍ مِنْ أَهْلِ الشُّرْكِ وَهَادِيهَا. أَلَا إِنَّهُ الْمُدْرِكُ بِكُلِّ ثَارٍ لِأَوْلِيَاءِ اللَّهِ، أَلَا إِنَّهُ النَّاصِرُ لِدِينِ اللَّهِ)).

التصريح بسمات الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) باستعمال أسلوب التوكيد بـ (إن) واسمها الضمير وخبرها مسبقة بأداة الاستفتاح (ألا) التي تفيد العرض والتحضيض على الانتباه لما يعلن من أمر مهم يحث



من باب التحذير لهم بعدم نكث البيعة، ومن ينكث يضر نفسه، ومن يوف بعهد الله فله أجر عظيم في قوله ﷺ: ((مَعَاشِرَ النَّاسِ، إِنِّي قَدْ بَيَّنْتُ لَكُمْ وَأَفْهَمْتُكُمْ، وَهَذَا عَلَيَّ يُفْهِمُكُمْ بَعْدِي. أَلَا وَإِنِّي عِنْدَ انْقِضَاءِ خُطْبَتِي أَدْعُوكُمْ إِلَى مُصَافَقَتِي عَلَى بَيْعَتِهِ وَالْإِقْرَارِ بِهِ، ثُمَّ مُصَافَقَتِهِ بَعْدِي. أَلَا وَإِنِّي قَدْ بَايَعْتُ اللَّهَ وَعَلَيَّ قَدْ بَايَعَنِي، وَأَنَا آخِذُكُمْ بِالْبَيْعَةِ لَهُ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ، يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ. فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ، وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَسْئُوتِهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ سورة الفتح / ١٠

التشريع في بيان العبادات وكان في أولها الحج والعمرة مع الاستشهاد بالنص القرآني الذي يؤيد ذلك في قوله ﷺ: ((مَعَاشِرَ النَّاسِ، إِنَّ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ، ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ سورة البقرة / ١٥٨.

تكرار الخطاب بـ (معاشر الناس) مع فعل الأمر الصريح بالحج (حجوا)، وأن الوقوف في عرفة فيه غفران الذنوب واستئناف العمل في قوله ﷺ: ((مَعَاشِرَ

على الالتفات إليه في قوله ﷺ: ((أَلَا إِنَّهُ الْغَرَافُ مِنْ بَحْرٍ عَمِيقٍ. أَلَا إِنَّهُ يَسْمُ كُلُّ ذِي فَضْلٍ بِفَضْلِهِ وَكُلُّ ذِي جَهْلٍ بِجَهْلِهِ. أَلَا إِنَّهُ خَيْرَةُ اللَّهِ وَمُخْتَارُهُ. أَلَا إِنَّهُ وَارِثُ كُلِّ عِلْمٍ وَالْمُحِيطُ بِكُلِّ فَهْمٍ. أَلَا إِنَّهُ الْمُخْبِرُ عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالْمُشِيدُ لِأَمْرِ آيَاتِهِ. أَلَا إِنَّهُ الرَّشِيدُ السَّيِّدُ. أَلَا إِنَّهُ الْمَفُوضُ إِلَيْهِ. أَلَا إِنَّهُ قَدْ بَشَّرَ بِهِ مَنْ سَلَفَ مِنَ الْقُرُونِ بَيْنَ يَدَيْهِ. أَلَا إِنَّهُ الْبَاقِي حُجَّةً وَلَا حُجَّةً بَعْدَهُ وَلَا حَقٌّ إِلَّا مَعَهُ وَلَا نُورٌ إِلَّا عِنْدَهُ. أَلَا إِنَّهُ لَا غَالِبَ لَهُ وَلَا مَنْصُورَ عَلَيْهِ. أَلَا وَإِنَّهُ وَلِيُّ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ، وَحَكْمُهُ فِي خَلْقِهِ، وَأَمِينُهُ فِي سِرِّهِ وَعَلَانِيَتِهِ)).

الدعوة إلى مصافقته، والمصافحة من الفعل صَفَقَ ((الْصَفَقُ: الضَرْبُ الَّذِي يُسْمَعُ لَهُ صَوْتٌ، وَكَذَلِكَ التَّصْفِيقُ. يُقَالُ: صَفَقْتُهُ الرِّيحَ وَصَفَّقْتُهُ. وَالتَّصْفِيقُ بِالْيَدِ: التَّصْوِيتُ بِهِمَا، وَصَفَقْتُ لَهُ بِالْبَيْعِ وَالبَيْعَةُ صَفَقًا، أَي ضَرَبْتُ يَدِي عَلَى يَدِهِ))^(١)؛ وجاءت دعوة الرسول ﷺ إلى مصافحة علي عليه السلام أي بيعته ﷺ والإقرار به بعد انقضاء الخطبة والتوضيح والإفهام للسامعين حتى لا تبقى حجة للمخالفين، وتأكيد ذلك بنص قرآني يصرح بأن البيعة لعلي عليه السلام تعني بيعه النبي ﷺ، والنبي ﷺ هو بايع الله عز وجل، وهذا



النَّاسِ، حِجُّوا الْبَيْتَ، فَمَا وَرَدَهُ أَهْلُ بَيْتٍ إِلَّا اسْتَغْنَوْا وَأُبْشِرُوا، وَلَا تَخْلَفُوا عَنْهُ إِلَّا بُشِّرُوا وَافْتَقَرُوا. مَعَاشِرَ النَّاسِ، مَا وَقَفَ بِالْمَوْقِفِ مُؤْمِنٌ إِلَّا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا سَلَفَ مِنْ ذَنْبِهِ إِلَى وَقْتِهِ ذَلِكَ، فَإِذَا انْقَضَتْ حَجَّتُهُ اسْتَأْنَفَ عَمَلَهُ))

تكرار الخطاب بـ (معاشر الناس) في بيان حال الحجاج في أن نفقاتهم مخلفة، ومعاونون، ومأجورون من الله تعالى في قوله ﷺ: ((مَعَاشِرَ النَّاسِ، الْحُجَّاجُ مُعَانُونَ وَنَفَقَاتُهُمْ مُخْلَفَةٌ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ.))، وجاء القول مذيلاً باقتباس من قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ سورة هود/ ١١٥.

تكرار الأمر بالحج مع التفقه بالدين، والعودة من مشاهدته بالتوبة والإقلاع عن المعاصي في قوله ﷺ: ((مَعَاشِرَ النَّاسِ، حِجُّوا الْبَيْتَ بِكَمَالِ الدِّينِ وَالتَّفَقُّهِ، وَلَا تَنْصَرِفُوا عَنِ الْمَشَاهِدِ إِلَّا بِتَوْبَةٍ وَإِقْلَاعٍ.))

تكرار الخطاب بـ (معاشر الناس) مع الأمر بفعل الأمر الذي يدل على الوجوب في قيام الصلاة وإيتاء الزكاة في قوله ﷺ: ((مَعَاشِرَ النَّاسِ، أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ، والتأكيد في الرجوع إلى علي

عليه السلام عندما يُشكل أمر عليهم من تقصير أو نسيان فهو نصبه الله تعالى (لكم) بعد النبي في قوله ﷺ: ((كَمَا أَمَرَكُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنْ طَالَ عَلَيْكُمُ الْأَمَدُ فَقَصِّرْتُمْ أَوْ نَسِيتُمْ فَعَلِيٍّ وَلِيَّكُمْ وَمُبَيِّنٌ لَكُمْ؛ الَّذِي نَصَبَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَكُمْ بَعْدِي أَمِينَ خَلَقَهُ.))

تكرار التوكيد بـ (إن) واسمها الضمير الذي يعود على علي عليه السلام وخبرها (حرف الجر والضمير) (مَنِّي) الذي يعود على النبي ﷺ، ومن ثم يأتي دور الأئمة عليهم السلام من بعده في التبيين والتوضيح للآخرين عما يسألون عنه في قوله ﷺ: ((إِنَّهُ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، وَهُوَ وَمَنْ يُخْلَفُ مِنْ ذُرِّيَّتِي يُخْبِرُونَكُمْ بِمَا تَسْأَلُونَ عَنْهُ وَيُبَيِّنُونَ لَكُمْ مَا لَا تَعْلَمُونَ.))

التذكير بالحلال والحرام، وأنه عليه السلام يأمر بالحلال وينهى عن الحرام، وأن الله تعالى أمر بأخذ البيعة لعلي أمير المؤمنين، وأوصياء من بعده خاتمهم المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف)، ووصفهم بالقائمة وخاتمها المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) في قوله ﷺ: ((أَلَا إِنَّ الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ أُحْصِيَهُمَا وَأَعْرِفَهُمَا فَأَمُرُ بِالْحَلَالِ وَأَنْهِيَ عَنِ الْحَرَامِ فِي مَقَامٍ وَاحِدٍ، فَأَمَرْتُ أَنْ أَخَذَ الْبَيْعَةَ مِنْكُمْ



وَالصَّفَقَةَ لَكُمْ بِقَبُولِ مَا جِئْتُ بِهِ عَنِ اللَّهِ
عَزَّ وَجَلَّ فِي عَلِيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْأَوْصِيَاءِ
مِنْ بَعْدِهِ الَّذِينَ هُمْ مِنِّي وَمِنْهُ إِمَامَةٌ
فِيهِمْ قَائِمَةٌ، خَاتَمُهَا الْمُهْدِيُّ إِلَى يَوْمٍ يَلْقَى
اللَّهُ الَّذِي يُقَدِّرُ وَيَقْضِي.))

تكرار الخطاب بـ (معاشر الناس)
واستعمال لفظ العموم والشمول (كل) ^(١)
في التأكيد على الحلال والنهي عن الحرام،
في إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر وهو أمر من
الله ومن الرسول ومن الإمام المعصوم في
قوله ﷺ: ((مَعَاشِرَ النَّاسِ، وَكُلُّ حَالٍ
ذَلَّلْتُكُمْ عَلَيْهِ وَكُلُّ حَرَامٍ نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَإِنِّي
لَمْ أَرْجِعْ عَنْ ذَلِكَ وَلَمْ أَبَدِّلْ. أَلَا فَادْكُرُوا
ذَلِكَ وَاحْفَظُوهُ وَتَوَاصَوْا بِهِ، وَلَا تُبَدِّلُوهُ
وَلَا تَغَيِّرُوهُ. أَلَا وَإِنِّي أَجِدُّ الْقَوْلَ: أَلَا
فَاقِمُوا الصَّلَاةَ وَأَتُوا الزَّكَاةَ وَأَمُرُوا
بِالمَعْرُوفِ وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ. أَلَا وَإِنَّ رَأْسَ
الْأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ أَنْ تَنْتَهُوا إِلَى قَوْلِي وَتُبَلِّغُوهُ
مَنْ لَمْ يَخْضَرْ وَتَأْمُرُوهُ بِقَبُولِهِ عَنِّي وَتَنْهَوْهُ
عَنْ مُخَالَفَتِهِ، فَإِنَّهُ أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ
وَمِنِّي. وَلَا أَمْرَ بِمَعْرُوفٍ وَلَا نَهْيٍ عَنْ
مُنْكَرٍ إِلَّا مَعَ إِمَامٍ مَعْصُومٍ.))

الاقتراب من القرآن الكريم في
التأكيد على أن الأئمة من ولد علي ﷺ في

قوله ﷺ: ((مَعَاشِرَ النَّاسِ، الْقُرْآنُ يُعَرِّفُكُمْ
أَنَّ الْأَئِمَّةَ مِنْ بَعْدِهِ وَوَلَدُهُ، وَعَرَفْتُكُمْ أَنَّهُمْ
مِنِّي وَمِنْهُ، حَيْثُ يَقُولُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ:
﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ سورة
الزخرف/ ٢٨، وَقُلْتُ: «لَنْ تَضِلُّوا مَا إِن
تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا»)).

الأمر بالتقوى بأسلوب التكرار
الذي يفيد الإغراء، والتحذير من زلزلة
الساعة بفعل الأمر الذي يدل على
الوجوب مع الاستشهاد بالنص القرآني
في قوله ﷺ: ((مَعَاشِرَ النَّاسِ، التَّقْوَى،
التَّقْوَى، وَاحْذَرُوا السَّاعَةَ كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ
وَجَلَّ: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾
سورة الحج/ ١.

التذكير بالموت والمعاد والحساب
والثواب والعقاب بفعل الأمر (اذكروا)
الذي يدل على الوجوب في قوله ﷺ:
((اذْكُرُوا الْمَمَاتَ وَالْمُعَادَ وَالْحِسَابَ
وَالْمُوزَانَ وَالْمُحَاسَبَةَ بَيْنَ يَدَيِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
وَالثَّوَابَ وَالْعِقَابَ. فَمَنْ جَاءَ بِالحَسَنَةِ
أُثِيبَ عَلَيْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَيْسَ لَهُ
فِي الْجَنَانِ نَصِيبٌ)).

تكرار أخذ الإقرار بالبيعة من
الجميع لعلي ﷺ، ولما جاء من بعده من



الأئمة من صلبه في قوله ﷺ: ((مَعَاشِرِ النَّاسِ، إِنَّكُمْ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُصَافِقُونِي بِكَفِّ وَاحِدٍ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ، وَقَدْ أَمَرَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ أَخْذَ مِنْ أَلْسِنَتِكُمُ الْإِقْرَارَ بِمَا عَقَدْتُ لِعَلِيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَمِنْ جَاءَ بَعْدَهُ مِنَ الْأَئِمَّةِ مِنِّي وَمِنْهُ، عَلَى مَا أَعْلَمْتُكُمْ أَنَّ ذُرِّيَّتِي مِنْ صُلْبِهِ)).

الأمر المباشر والصريح بفعل الأمر الذي يدلّ على الوجوب في أخذ الإقرار الجماعي من ألسنتهم، وإقرارهم بالسمع والطاعة لما بلغوا به من إمامة علي أمير المؤمنين ومن وُلِدَ من صلبه من الأئمة في قوله ﷺ: ((فَقُولُوا بِأَجْمَعِكُمْ: «إِنَّا سَامِعُونَ مُطِيعُونَ رَاضُونَ مُتَقَادُونَ لِمَا بَلَغَتْ عَنْ رَبِّنَا وَرَبِّكَ فِي أَمْرِ إِمَامِنَا عَلِيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ وُلِدَ مِنْ صُلْبِهِ مِنَ الْأَئِمَّةِ. تُبَايِعُكَ عَلَى ذَلِكَ بِقُلُوبِنَا وَأَنْفُسِنَا وَأَلْسِنَتِنَا وَأَيْدِينَا. عَلَى ذَلِكَ نَحْيِي وَعَلَيْهِ نَمُوتُ وَعَلَيْهِ نُبْعَثُ. وَلَا نُغَيِّرُ وَلَا نُبَدِّلُ، وَلَا نَشْكُ وَلَا نَجْحَدُ وَلَا نَرْتَابُ، وَلَا نَرْجِعُ عَنِ الْعَهْدِ وَلَا نَنْقُضُ الْمِيثَاقَ. وَعَظَّمْنَا بَوْعَظِ اللَّهِ فِي عَلِيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْأَئِمَّةِ الَّذِينَ ذَكَرْتَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ مِنْ وُلْدِهِ بَعْدَهُ، الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنَ وَمَنْ نَصَبَهُ اللَّهُ بَعْدَهُمَا. فَالْعَهْدُ وَالْمِيثَاقُ هُمْ مَا خُودُنَا، مِنْ قُلُوبِنَا وَأَنْفُسِنَا وَأَلْسِنَتِنَا وَصَمَائِرِنَا وَأَيْدِينَا.

مَنْ أَدْرَكَهَا بِيَدِهِ وَإِلَّا فَقَدْ أَقَرَّ بِلسَانِهِ، وَلَا نَبْتَغِي بِذَلِكَ بَدَلًا وَلَا يَرَى اللَّهُ مِنْ أَنْفُسِنَا حَوْلًا. نَحْنُ نُؤَدِّي ذَلِكَ عَنْكَ الدَّانِي وَالْقَاصِي مِنْ أَوْلَادِنَا وَأَهَالِينَا، وَنُشْهَدُ اللَّهَ بِذَلِكَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا وَأَنْتَ عَلَيْنَا بِهِ شَهِيدٌ)).

تكرار الخطاب بـ (معاشر الناس) والاستفهام بـ (ما) في التحذير من عدم الإقرار بالبيعة في القلب واللسان والتأكيد على ذلك بأي من القرآن الكريم في بيان ثواب الهداية والضلال، وأن الله تعالى عالم بكل ما تخفيه النفوس في قوله ﷺ: ((مَعَاشِرِ النَّاسِ، مَا تَقُولُونَ؟ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ كُلَّ صَوْتٍ وَخَافِيَةٍ كُلِّ نَفْسٍ، ﴿فَمَنْ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ سورة الزمر من الآية ٤١، وَمَنْ بَايَعَ فَإِنَّا يُبَايِعُ اللَّهُ، ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ سورة الفتح / ١٠.

تكرار الخطاب بـ (معاشر الناس)، وفعل الأمر الصريح الدالّ على وجوب البيعة لله تعالى وللنبي محمد ﷺ ولعلي والحسن والحسين والأئمة منهم في الدنيا والآخرة، والتحذير من نكث البيعة، والوفاء بالعهد الذي فيه أجر عظيم عند الله تعالى، وتذييل ذلك بأي من القرآن الكريم في قوله ﷺ: ((مَعَاشِرِ



النَّاسَ، فَبَايَعُوا اللَّهَ وَبَايَعُونِي وَبَايَعُوا عَلِيًّا
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَالْأَئِمَّةَ
مِنْهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ كَلِمَةً بَاقِيَةً، يُهْلِكُ
اللَّهُ مَنْ عَدَرَ وَيَرْحِمُ مَنْ وَفَى. ﴿فَمَنْ نَكَثَ
فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ
عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ سورة
الفتح/ ١٠.

بيان من هم الفائزون في جنات النعيم
في قوله ﷺ: ((مَعَاشِرَ النَّاسِ، مَنْ يُطِيعِ
اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَعَلِيًّا وَالْأَئِمَّةَ الَّذِينَ ذَكَرْتُهُمْ
فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا. مَعَاشِرَ النَّاسِ،
السَّابِقُونَ إِلَى مُبَايَعَتِهِ وَمُؤَلَاتِهِ وَالتَّسْلِيمِ
عَلَيْهِ بِأَمْرِ الْمُؤْمِنِينَ أُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ
فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ. مَعَاشِرَ النَّاسِ، قُولُوا
مَا يَرْضَى اللَّهُ بِهِ عَنْكُمْ مِنَ الْقَوْلِ، فَإِنْ
تَكْفَرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَلَنْ
يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا))، وفيه اقتباس جزئي من
قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ
وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾
سورة ابراهيم/ ٨

حسن الختام ((وهذا النوع الذي
يجب على الناظم والناثر أن يجعله خاتمة
لكلامهما مع أنها لا بد أن يحسن فيه غاية
الإحسان فإنه آخر ما يبقى في الأسماع
وربما حفظ من دون سائر الكلام في
غالب الأحوال فلا يحسن السكوت على
غيره))^(١)، وجاء حسن الختام بالحمد لله
و بالدعاء للمؤمنين بالغفران بـ (اللهم)
لما أذاه ﷺ وأمر به، والغضب على
الجاحدين الكافرين، ومن ثم جاء الحمد

تكرار الخطاب بـ (معاشر الناس) مع
الأمر الصريح بالتسليم بأمره به النبي ﷺ
من القول السابق، والتسليم لعلي عليه السلام
بأمر المؤمنين، وإعلان السمع والطاعة،
وطلب الغفران، وحمد الله تعالى على
الهداية في قوله ﷺ: ((مَعَاشِرَ النَّاسِ،
قُولُوا الَّذِي قُلْتُ لَكُمْ وَسَلَّمُوا عَلَى عَلِيٍّ
بِأَمْرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَقُولُوا: (سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا
غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ)، وَقُولُوا:
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا
لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ
رُسُلٌ رَبَّنَا بِالْحَقِّ﴾ سورة الأعراف/ ٤٣.

التذكير بفضائل علي بن أبي طالب عليه السلام
وأنها وردت في القرآن الكريم وهي كثيرة
لا تُحصى في مقام واحد في قوله ﷺ:
((مَعَاشِرَ النَّاسِ، إِنَّ فَضَائِلَ عَلِيٍّ بِنِ
أَبِي طَالِبٍ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ - وَقَدْ
أَنْزَلَهَا فِي الْقُرْآنِ - أَكْثَرُ مِنْ أَنْ أُحْصِيَهَا



لله رب العالمين في قوله ﷺ: ((اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِمُؤْمِنِينَ بِمَا أَدْبَيْتُ وَأَمَرْتُ وَاغْضَبَ عَلَى الْجَاهِلِينَ الْكَافِرِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)).

الخاتمة ونتائج البحث

١. بدأت الخطبة بحمد الله تعالى وختمت بحمده تعالى، ومما انمازت به الخطبة هي التذليل بالنص القرآني في كل فقرة منها، فضلاً على ذلك نجد الاقتباس الكلي والجزئي في كل فقرة منه، وفي ذلك قصديّة واضحة تُشير إلى حقّ علي عليه السلام في الخلافة والوصيّة التي خصّها الله تعالى في محكم كتابه، مما يوحى للمتلقي بوثاقة ما طرح كّله في استناد الأدلة إلى النص القرآني.

٢. وجدنا أنّ قصديّة النص قد تحقّقت في الخطبة من حيث استعمال الأساليب والعناصر اللغويّة المختلفة لتحقيق الغاية التي يريدها المخاطب وهو النبي محمد ﷺ بدءاً بحمد الله تعالى وذكر صفات الله من الوحداية والربوبية، ومن ثم بيان قدرة الله تعالى في الخلق

والتكوين.

٣. تنوعت عناصر القصديّة في الخطبة، فقد جمعت بين النداء والأمر والتوكيد والإشارة والإغراء والتحذير.

٤. الاقتباس الكلي من القرآن الكريم، ومن ذلك سورة الحمد مع البسملة، والاقتباس الجزئي بذكر آي من القرآن الكريم.

٥. التوضيح والتبيين لبعض المفردات القرآنيّة التي تتعلّق بوجوب التمسك بعلي عليه السلام والأئمة من ولده عليه السلام فهم الصراط المستقيم، وأن الإمامة في صلب علي عليه السلام، والممتدة إلى الإمام القائم المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف).

٦. التكرار الذي يفيد التوكيد ويشدّ الانتباه ولا سيما قوله ﷺ: (معاشر الناس).

٧. حسن الترتيب والتدرج في إيصال ماقصود بيانه إلى المتلقين من حيث العبادات والمعاملات من الحجّ والصلاة والزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتقوى، وعدم نكث البيعة.





أبي طالب ﷺ في القرآن الكريم،
مما لا يُبقي حجةً لمنكر في بيعته،
وبيان من هم الفائزون.

١١. تنوعت أساليب القصيدة في
الخطبة، فهي لم تقتصر على
العناصر اللغوية فحسب، بل
شملت المشاهد الحسية من
أخذ الرسول ﷺ بيد علي ﷺ
ورفعها إلى السماء، فضلاً على
ذلك الأفعال القولية والإنجازية
والتأثيرية التي وردت في الخطبة.

٨. الترغيب في أخذ البيعة، وأنها
أمر من الله تعالى واجب العمل
به قولاً وفعلاً، والتأكيد غير
مرة على التصريح باسم علي بن
أبي طالب ﷺ، والحسن والحسين
والائمة ﷺ، حتى لا تبقى حجة
لهم لإنكار البيعة له ﷺ.

٩. الاقتباس والتضمين من القرآن
الكريم في كل ماورد من أمر يجب
العمل به أو تركه من حلال أو
حرام.

١٠. ذكر فضائل أمير المؤمنين علي بن



المصادر والمراجع

الوفاء، بيروت - لبنان، ١٤٠٤هـ.

• تبيين القرآن: السيد محمد الشيرازي، ط٣، دار العلوم، بيروت، لبنان، ٢٠٠٣م.

• تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن: عبد العظيم بن أبي الاصبع العدواني البغدادي، تقديم وتحقيق: الدكتور حفني محمد شرف، الناشر: لجنة إحياء التراث الاسلامي.

• تفسير فرات الكوفي: فرات بن ابراهيم الكوفي، تحقيق: محمد الكاظم، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

• تفسير القمي: علي بن ابراهيم القمي، تحقيق وتصحيح: السيد طيب الموسوي الجزائري، ط٣، ١٤٠٤هـ.

• الجنى الداني في حروف المعاني: حسن بن قاسم المرادي (ت ٧٤٩هـ)، تحقيق: فخر الدين قباوة و أ. محمد نديم فاضل، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

• خزانة الادب وغاية الأرب: تقي الدين أبو بكر علي بن عبد الله

• القرآن الكريم

• آفاق في القصيدة: صباح علي السليمان، مقال منشور في الانترنت بتاريخ ٢٠٢١م - ١٤٤٢هـ موقع الألوكة.

• الاحتجاج على أهل اللجاج: الطبرسي، مشهد، مرتضى، ١٤٠٣هـ

• الأصول في النحو: أبو بكر بن السراج البغدادي (ت ٣١٦هـ)، تح: د. عبد الحسين الفتلي، ط٣، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٨م.

• الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ط١، مدرسة الامام علي بن ابي طالب (ع)، ١٤٢٦هـ.

• الإيضاح في علوم البلاغة: الخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـ)، ط٤، دار احياء علوم الدين، بيروت، ١٩٩٨م.

• بحار الأنوار: العلامة محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ)، مؤسسة





شرح وتعليق: محمد حسين شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

● العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. ابراهيم السامرائي، ط١، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٨٨م.

● القصيدة في اللغة العربية بين الدراسات القديمة والحديثة، رنا ماجد الجبوري، الجامعة المستنصرية/ بث منشور/ كلية العلوم الاسلامية، العدد ٦٤، ٢٠٢٠.

● كتاب الصناعتين: أبو هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم، بيروت، ١٤١٩هـ.

● اللمع في العربية: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي النحوي (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق: فائز فارس، الناشر: دار الكتب الثقافية، الكويت، ١٩٧٢.

● المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر، لضياء الدين ابن الاثير

الحموي الأزراي، (ت ٨٣٧هـ) تحقيق: عصام شعيثو، ط١، الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٧م.

● شرح الاشموني: أبو الحسن نور الدين علي بن محمد بن عيسى (ت ٩٠٠هـ)، قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه: حسن حمد، إشراف: د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠١٠م.

● شرح الرضي على كافية ابن الحاجب: الرضي الاستراباذي (ت ٦٨٨ هـ)، وضع هوامشه: د. اميل يعقوب، ط١، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت- لبنان، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

● الصّحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: د. إميل بديع يعقوب، ود. محمد نبيل طريف، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩.

● صبح الأعشى في صناعة الإنشاء: أحمد بن علي القلقشندي (٨٢١هـ)،



● المقتضب: ابو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة، ط ٢، القاهرة، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

● موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام): محمد الريشهري، تحقيق: السيد محمد كاظم الطباطبائي، والسيد محمود الطباطبائي نـزاد، ط ٢، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

● الميزان في تفسير القرآن: السيد محمد حسين الطباطبائي، ط ١، مؤسسة الأعلمي، ١٩٩٧م.

(ت ٦٣٧هـ)، تحقيق: دكتور احمد الحوفي والدكتور بدوي طبانة، مصر ١٩٦٠-١٩٦٢م

● المثل والتعبير الاصطلاحي في التراث العربي: د. علاء حمزاوي

● مجمع البيان في تفسير القرآن: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، وقف على تصحيحه وتحقيقه والتعليق عليه: هاشم الرسولي المحلّاتي، ط ١، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت-لبنان، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

● معجم اللغة العربية المعاصرة: أحمد مختار عمر، ط ١، القاهرة، ٢٠٠٨م - ١٤٢٩هـ.





حديث الغدير التاريخ والآفاق

أ.د. رحيم خريط



جامعة الكوفة



السَّلامُ عَلَى مَنْ رُدَّتْ لَهُ الشَّمْسُ



ملخص البحث

يتناول هذا البحث حادثة تعدد من أهم القضايا التي شغلت المسلمين، ويبدو أنها كانت سبباً رئيساً من الأسباب التي أحدثت خلافات «مفصلية» في التاريخ الإسلامي؛ تلك هي «حادثة الغدير». وهذه الحادثة هي حديث قاله النبي الكريم ﷺ في أواخر حياته الشريفة عقب حجة الوداع في اليوم الثامن عشر، إذ كان يروم الانصراف إلى المدينة وقد أوقف الحجيج عند مفترق الطرق بالقرب من الجحفة عند غدير «خم». وقد نُقل هذا الحديث بألفاظ مختلفة قد تطول وقد تقصر، إلا أن الثابت أن الرسول الكريم ﷺ قاله.

ويكتسب حديث الغدير أهمية قصوى؛ لأنه صدر عن رسول الله ﷺ وبالتحديد عند اكتمال نزول القرآن الكريم. وقد انقسم المسلمون على قسمين - بشكل عام - قسم يقف عنده مطولاً ويناقشه ويعده حجة على الناس بعد رسول الله ﷺ ويكون مآل المسلمين إلى الإمام عليّ فإليه يرجعون في أمورهم كافة - السياسية والدينية - وهو إمام مفترض ومعصوم ولا يجوز الحيدة عنه، وهذا ثابت عند الطائفة الشيعية.

والقسم الأكبر من المسلمين لا يذهبون هذا المذهب ولا يقرّون به، وإن كانوا يروون الحديث - بأقلّ الألفاظ أحياناً - إلا أنهم يعدّونه من باب المحبة لآل البيت الأطهار، ولا يقولون بعصمة الإمام عليّ ولا بحجته على المسلمين كافة بعد رسول الله ﷺ؛ بل يقولون: إن مصلحة المسلمين اقتضت تولية أبي بكر ومن بعده عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان، وهذا رأي الصحابة الأوائل. فهم منعوا عليّاً من الخلافة لمصلحة المسلمين أولاً؛ ولأنّ الإمام لا يصلح للأمور السياسية.

وعلى هذا وعلى غيره صار الخلاف وأخذ بالاتساع تدريجياً إلى أن وصل الأمر إلى حدّ الكره؛ الأمر الذي اضطرّ المسلمين من كلا القسمين إلى القطيعة والشك. ويعدّ الخلاف المذهبي أخطر ما يهدّد اللحمة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفكرية وغيرها.

لهذا شخّص البحث تلك الظاهرة وقدم الحلول في شأنها، ومن جملتها أن يحكم على هذه الحادثة على أنها من ضمن التاريخ وأن يتأخى المسلمون فيما بينهم. فالضرر الذي يلحق بهم يكون كبيراً عند الخلاف ولا يكونون المستفيدين منه. وإذا كان هناك من يستفيد فلا شك





أن يكون ذلك المتربّص بهم والدّاعي إلى فرقتهم. وينبغي أن نأخذ الإمام علياً عليه السلام أسوة صالحة؛ فقد أجمع المسلمون على سابقته في الإسلام وما قدّم من توضيحات جسام في خدمة الإسلام والمسلمين وقد عرفه المسلمون عابداً زاهداً غير طلاب لدنيا عادلاً مشفقاً على الرعيّة محاسباً عمّاله وولاته - في أثناء خلافته - وأن يكون مدخلاً عظيماً لتوحيد الأمة.

حديث الغدير - التاريخ والآفاق

أولاً: التاريخ

يُعدّ حديث الغدير من الأحاديث الجدليّة التي شغلت العلماء والدّارسين كثيراً. فقد قاله رسول الله ﷺ في أواخر رسالته بعد حجّة الوداع. فعند انصراف الحجيج إلى أهلهم في يوم الثامن عشر من ذي الحجّة وكان ﷺ عائداً إلى المدينة في غدير «خم» بالقرب من الجحفة. وستجد أسماء متقاربة لهذا الحديث؛ فسمّي بـ«حادثة الغدير» وبـ«واقعة الغدير» وبـ«بيعة الغدير» وبـ«بعيد الغدير» وبـ«يوم الغدير» استناداً إلى نقل الحديث، واستناداً إلى «اتجاه» الناقل. فحادثة: تعني الحدوث؛ فالرسول ﷺ نزل عليه

الوحي فأوقف النَّاس. وواقعة تعني: أنّها وقعت فأصبحت تاريخيّة. وبيعة تعني: أنّها أصبحت بيعة؛ لأنّ المسلمين بايعوا الإمام علياً على إثرها. وعيد بمعنى: أنّها أصبحت عيداً للمسلمين، إذ يحتفل الشيعة بها إلى اليوم؛ كونها حسمت النزاع فيمن يتولّى خلافة رسول الله ﷺ بنصّ من الرسول الكريم ﷺ بنفسه؛ كونه أعلن ذلك صراحة أو بنصّ إلهي من القرآن الكريم ببلغه النبيّ الكريم ﷺ. وهذا النصّ الإلهي يؤمن به الشيعة تحديداً. ويوم الغدير تعني: أنّها حدثت في يوم واحد جرياً على عادة العرب في «أيامها». وقد أحاطت أمور جدليّة بهذا الحديث، فمن العلماء من ذهب إلى أنّ هذا الحديث ملزم للمسلمين باتخاذ الإمام علياً عليه السلام أميراً للمؤمنين بعد رسول الله ﷺ حتّى لا يذهبون مذاهب شتّى؛ والإمام بهذا الحديث يكون شرعاً إماماً لهم؛ لأنّ الحديث صدر من رسول الله ﷺ أمام جموع من المسلمين وقد سمعوه بنصّ واضح لا غموض فيه.

نصّ الحديث: روى الإمام أحمد بن حنبل: قال عبد الله بن أحمد: حدّثني حجاج بن الشاعر حدّثنا شبانة حدّثني نعيم بن حكيم حدّثني أبو مريم ورجل من جلساء عليّ عن عليّ: أنّ النبي -



عليّ ﷺ بحدود سبعين ألف حاج، والباقون من مكّة والطائف وبقية أمصار المسلمين، ونجد من المؤرخين من يصل بالحاشرين إلى مائتي ألف حاج، وطلب منهم رسول الله ﷺ أن يبلغوا من لم يكن حاضراً آنذاك، وحدثت هذه الحادثة في السنة العاشرة من الهجرة، وهي آخر سنة لرسول الله ﷺ التي حجّ فيها حجّته الوحيدة والأخيرة - علماً أنّه ﷺ اعتمر أربع عمرات في عمره الشريف - ومن المهم أن أذكر هنا أن الرسول الأعظم ﷺ قد خطب ثلاثاً من الخطب العجيبة في حجّته هذه منها خطبة حجة الوداع التي ودّع فيها المسلمين بقوله ﷺ: لعليّ لا ألقاكم بعد عامي هذا.

وإذ يصل الرسول الكريم ﷺ مشارف مكّة قادماً من المدينة المنورة التحق به الإمام عليّ قادماً من اليمن رحّب به النبي قائلاً: ارجع الى جماعتك واتّ بهم، وفعلاً رجع الإمام عليّ ﷺ وقدم مع المسلمين الذين جاؤوا معه من اليمن، وبعد أن أنهى الرسول الكريم ﷺ المناسك قفل راجعاً إلى المدينة المنورة وفي اليوم الثامن عشر، وحين تصل وفود الحجاج إلى مفترق الطرق، وكان هذا اليوم شديد

ﷺ - قال يوم غدیر خمّ: ((من كنت مولاه فعليّ مولاه)) قال: فزاد الناس بعدُ: ((وال من والاه وعاد من عاداه))^(١). وهذه رواية الامام أحمد بن حنبل؛ ورواها بهذا الشكل مرّة أخرى: ((حدثنا يونس بن أرقم حدثنا يزيد بن أبي زياد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: شهدت عليّاً في الرّحبة ينشد الناس: أنشد الله من سمع رسول الله - ﷺ - يقول يوم غدیر خمّ: «من كنت مولاه فعليّ مولاه» لما قام فشهد؟ قال عبد الرحمن. فقام اثنا عشر بدرياً، كأني أنظر إلى أحدهم، فقالوا: نشهد أنا سمعنا رسول الله - ﷺ - يقول يوم غدیر خمّ: «ألسْتُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجي أمهاتهم؟» فقلنا: بلى يا رسول الله، قال: «فمن كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه»^(٢) وهذا النصّ قد أورده الإمام أحمد بن حنبل وهو معروفٌ بتحرّجه في رواية الحديث والتّثبت من صحّته. قاله النبي الكريم ﷺ بحضور مائة وعشرين ألف من المسلمين الذين حضروا مع رسول الله ﷺ منهم من جاء معه من المدينة وهم يقدرّون بسبعين ألف حاج ومنهم من جاء من اليمن مع الإمام

١- مسند الإمام أحمد بن حنبل: ٢ / ١٤١. ورقم الحديث: ١٣١٠.

٢- مسند الإمام أحمد بن حنبل: ٢ / ٢٣.



الحرّ نزل الوحي على رسول الله ﷺ بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصُمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(١). لقد اختلف المفسرون من المسلمين في تفسير هذه الآية، فمفسرو الشيعة ينصّون على أنها نزلت في علي بن أبي طالب ﷺ صراحة فهي تأمر النبي ﷺ أن يبلغ المسلمين بخلافة عليّ ﷺ بعده وتسليمه كلّ صلاحيات النبي ﷺ والأنبياء ﷺ من دون مواربة ولا تأويل. فمع أنّ الآية لا تذكر اسم «علي» صراحة إلا أنّ ما قام به النبي ﷺ من حديث الغدير يبيّن ذلك بوضوح لا لبس فيه ولا غموض، فقد نقل الطباطبائي: عن أبي صالح، عن ابن عباس وجابر بن عبد الله قالوا: أمر الله تعالى نبيه محمداً ﷺ أن ينصب علياً علماً في الناس ليخبرهم بولايته فتخوف رسول الله ﷺ أن يقولوا: خابى ابن عمه وأن يطعنوا في ذلك عليه. قال فأوحى الله إليه هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصُمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ فقام رسول الله ﷺ بولايته يوم غدير خم. وفيه عن حنان بن سدير، عن أبيه عن أبي جعفر ﷺ قال: لما نزل جبرئيل

على عهد رسول الله ﷺ في حجة الوداع بإعلان أمر علي بن أبي طالب ﷺ «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك» إلى آخر الآية. قال: فمكث النبي ﷺ ثلاثاً حتى أتى الجحفة فلم يأخذ بيده فرقاً من الناس. فلما نزل الجحفة يوم غدير في مكان يقال له «مهيعة» فنادى الصلاة جامعة، فاجتمع الناس فقال النبي ﷺ: من أولى بكم من أنفسكم؟ فجهروا فقالوا: الله ورسوله ثم قال لهم الثانية، فقالوا: الله ورسوله، ثم قال لهم الثالثة، فقالوا: الله ورسوله. فأخذ بيد علي ﷺ فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله فإنه منى وأنا منه، وهو منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي. وفيه عن أبي الجارود، عن أبي جعفر ﷺ قال: لما أنزل الله على نبيه ﷺ: «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين» قال: فأخذ رسول الله ﷺ بيد علي ﷺ فقال: يا أيها الناس إنه لم يكن نبي من الأنبياء ممن كان من قبلي؟ إلا وقد عمر ثم دعاه فأجابه، وأوشك أن أدعى فأجيب، وأنا مسؤول



وأنتم مسؤولون فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت ونصحت وأدبت ما عليك فجزاك الله أفضل ما جزى المرسلين، فقال: اللهم اشهد. ثم قال: يا معشر المسلمين ليبلغ الشاهد الغائب أوصي من آمن بي وصدقني بولاية علي، ألا إن ولاية علي ولايتي عهداً عهداً إليّ ربّي وأمرني أن أبلغكموه، ثم قال: هل سمعتم؟ - ثلاث مرات يقولها - فقال قائل: قد سمعنا يا رسول الله. وفي البصائر بإسناده عن الفضيل بن يسار عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته» قال: هي الولاية^(١).

وهنا نكتة ينبغي التوقف عندها تتعلق برسول الله ﷺ وبالتبليغ، فالرسول ﷺ لا يخاف من أحد وقد بلغ القرآن بأمانة منقطعة النظر حتى في الأمور التي تعلّقت بعتابه عليه السلام شخصياً؛ فلذلك ترى الإمام الباقر قال: «فمكث النبي»، وهذه عبارة دقيقة تخصّ تقدير الأمور في إعلان النبي أمراً من الأمور، فعلى سبيل المثال:

لما نزلت الآية الكريمة: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(٢). قد أمر رسول الله ﷺ علياً عليه السلام أن يحضر وليمة لبنى هاشم يبلغهم أمر الله تعالى، ولما عملت الولاية وأراد رسول الله ﷺ أن يكلمهم قاطعه أبو لهب وانفضّ الجميع. طلب رسول الله ﷺ من علي عليه السلام إعادة الكرة^(٣). وكذلك يُخبرنا القرآن الكريم، ويُخبرنا المؤرّخون من كتاب السيرة وغيرهم أنّ الوحي حينما دهم رسول الله ﷺ في غار حراء بقوله: اقرأ ثم نزلت الآيات: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾^(٤). رجع إلى أهله وهو يقول: زملوني و: دثروني، فنزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَرْمَلُ فَمِ الْيَلِ إِلَّا قَلِيلٌ نَصَفَهُ أَوْ أَنْقَضَ مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾^(٥). ونزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ فَمِ الْيَلِ وَأَنْذِرْ وَرَبُّكَ فَكَبِيرٌ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾^(٦). وهذا يعني أنّه ﷺ بتزمله وبدثاره قد تباطأ حتى جاءه الوحي مرة

١- تفسير الميزان: ٦ / ٥٣ - ٥٤.

٢- سورة الشعراء: ٢١٤.

٣- ظ: تاريخ الرسل والملوك: ٢ / ٣١٩ - ٣٢٠.

٤- سورة العلق: ١ - ٥.

٥- سورة الزمل: ١ - ٥.

٦- سورة المدثر: ١ - ٧.



أخرى يريد منه النشاط والعمل بالنبوة ويمبادأة الناس^(١). فالنبي ﷺ يعرف كيف يبلغ ما ينزل عليه من القرآن الكريم في الوقت الملائم.

وذهب أكثر المسلمين إلى أن قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(٢). يُفسر بغير التفسير الذي ذهب إليه فرق الشيعة. ولا يُلزمون المسلمين بولاية الإمام علي عليه السلام ولا بخلافته، ويقولون: إن حادثة الغدير تعني المحبة لآل البيت ﷺ فهي موالة معنوية لا تتعداها إلى الحكم السياسي، يقول الواحدي: ((يا أيها الرسول بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ)) أي: لا تراقب أحداً ولا تترك شيئاً مما أنزل إليك خوفاً من أن ينالك مكروه بَلِّغْ الجميع مجاهراً به ((وإن لم تفعل فما بلغت رسالته)) إن كتبت آية مما أنزلت إليك لم تبلغ رسالتي يعني: إنه إن ترك بلاغ البعض كان كمن لم يبلغ ((والله يعصمك من الناس)) أن ينالوك بسوء قال المفسرون: كان النبي ﷺ يشفق

على نفسه غائلة اليهود والكفار وكان لا يُجاهرهم بعيب دينهم وسب آلهتهم فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ فقال: يا رب كيف أصنع وأنا واحد أخاف أن يجتمعوا عليّ؟ فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ لا يرشد من كَذَبَكَ^(٣)..

والواحدي وغيره من المفسرين الذين لم يذكر أسماءهم، لم يذكروا حديث الغدير لا من بعيد ولا من قريب! وتحذث عن «خوف» النبي ﷺ من غائلة اليهود، ونحن نعلم أن نزول هذه الآية في السنة العاشرة من الهجرة وهي من أواخر ما نزل من القرآن الكريم على رسول الله ﷺ ونحن نعلم أن رسول الله ﷺ تمكّن من اليهود وبطش فيهم، وحادثه بني قريظة معروفة، وتمكّن من الكافرين والمنافقين أيضاً، ونحن نعلم أيضاً أن رسول الله ﷺ لم يخف من أحد في بداية الدعوة فكيف يخاف ومعه هذا الجمع الهائل من الصحابة! وننقل من المفسرين الآخرين

١- ظ صحيح البخاري: ٦ / ١٦١ طبعة السلطانية. ونقل فيها قول رسول الله ﷺ قول النبي: فقلت دثروني وصبوا عليّ ماء بارداً وظ: التحرير والتنوير: ٢٩ / ٢٥٧.

٢- سورة المائدة: ٦٧.

٣- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١ / ٣٢٨ - ٣٢٩.



ما يوافق ما قاله الواحدي، فقد قال البغوي: قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾، روي عن مسروق قال: قالت عائشة رضي الله عنها: من حدثك أن محمداً ﷺ كتم شيئاً مما أنزل الله فقد كذب، وهو يقول: يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك الآية، وروي عن الحسن: أن الله تعالى لما بعث رسوله ضاق ذرعاً وعرف أن من الناس من يكذبه، فنزلت هذه الآية، وقيل: نزلت في عيب اليهود، وذلك أن النبي ﷺ دعاهم إلى الإسلام، فقالوا: أسلمنا قبلك وجعلوا يستهزئون به، فيقولون له: تريد أن نتخذك حناناً كما اتخذت النصراني عيسى حناناً، فلما رأى النبي ﷺ ذلك سكت فنزلت هذه الآية، وأمره أن يقول لهم: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾^(١). وقيل: بلغ ما أنزل إليك من الرجم والقصاص، نزلت في قصة اليهود، وقيل: نزلت في أمر زينب بنت جحش ونكاحها، وقيل: نزلت في الجهاد، وذلك أن المنافقين كرهوه كما قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ

وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾^(٢)، وكرهه بعض المؤمنين قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾^(٣)، فكان النبي ﷺ يمسك في بعض الأحيان عن الحث على الجهاد لما يعلم من كراهة بعضهم، فأنزل الله هذه الآية. قوله تعالى: ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾، قرأ أهل المدينة والشام وأبو بكر ويعقوب رسالاته على الجمع والباقون رسالته على التوحيد، ومعنى الآية: إن لم تبلغ الجميع وتركت بعضه، فما بلغت شيئاً، أي: جرمك في ترك تبليغ البعض كجرمك في ترك تبليغ الكل كقوله: ﴿تُؤْمِنُ بَعْضُ وَتُكْفِرُ بَعْضٌ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾^(٤)، أخبر أن كفرهم بالبعض محبط للإيعاب بالبعض، وقيل: بلغ ما أنزل إليك، أي: أظهر تبليغه كقوله: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾^(٥)، وإن لم تفعل فإن لم تظهر تبليغه فما بلغت رسالته، أمره بتبليغ ما أنزل إليه مجاهراً محتسباً صابراً، غير خائف، فإن أخفيت

١- سورة المائدة: ٦٨.

٢- سورة محمد: ٥.

٣- سورة النساء: ٧٧.

٤- سورة النساء: ١٥٠ - ١٥١.

٥- سورة الحجر: ٩٤.



ثلاثاً»، ولم يعاقبه وجلس، وروى محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الأعرابي سل سيفه، وقال: من يمنعك مني يا محمد؟ قال: «الله»، فرعدت يد الأعرابي وسقط السيف من يده وجعل يضرب برأسه الشجرة حتى انتثر دماغه، فأنزل الله تعالى هذه الآية، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا إسماعيل بن خليل أخبرنا علي بن مسهر أنا يحيى بن سعيد أنا عبد الله بن عامر بن ربيعة قال: سمعت عائشة رضي الله عنها تقول: كان النبي ﷺ سهر فلما قدم المدينة قال: ليت رجلاً صالحاً من أصحابي يجرسني الليلة إذا سمعنا صوت سلاح، فقال: من هذا؟ قال: أنا سعد بن أبي وقاص جئت لأحرسك ونام النبي ﷺ، وقال عبد الله بن شقيق عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يجرس حتى نزلت هذه الآية: والله يعصمك من الناس، فأخرج رسول الله ﷺ رأسه من القبة فقال لهم: «أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله سبحانه وتعالى»^(١). قال رسول الله ﷺ لعلي في حجة الوداع: «... من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد

منه شيئاً لخوف يلحقك فما بلغت رسالته، ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾، يحفظك ويمنعك من الناس، فإن قيل: أليس قد شج رأسه وكسرت رباعيته وأوذي بضروب من الأذى؟ قيل: معناه يعصمك من القتل فلا يصلون إلى قتلك، وقيل: نزلت هذه الآية بعد ما شج رأسه، لأن سورة المائدة من آخر ما نزل من القرآن. وقيل: والله يخلصك بالعصمة من بين الناس، لأن النبي ﷺ معصوم، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا أبو اليمان أنا شعيب عن الزهري أنا سنان بن أبي سنان الدؤلي وأبو سلمة بن عبد الرحمن أن جابر بن عبد الله أخبرهما أنه غزا مع رسول الله ﷺ قبل نجد، فلما قفل رسول الله ﷺ، قفل معه فأدركتهم القائلة في واد كثير العضاة، فنزل رسول الله ﷺ وتفرق الناس يستظلون بالشجر، فنزل رسول الله ﷺ تحت شجرة وعلق بها سيفه ونمنا نومة، فإذا رسول الله ﷺ يدعونا وإذا عنده أعرابي، فقال: «إن هذا اخترط سيفي وأنا نائم، فاستيقظت وهو في يده صلتا، فقال: من يمنعك مني؟ فقلت: الله



من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيثما دار، اللهم هل بلغت». ومع هذا يقول سبط بن الجوزي مؤرخاً حادثة الغدير وسمّاها «قصة»: ((اتفق علماء أهل السير على أنّ قصة الغدير كانت بعد رجوع النبي ﷺ من حجة الوداع في الثامن عشر من ذي الحجة جمع الصحابة وكانوا مائة وعشرين ألفاً وقال: من كنت مولاه فعلي مولاه... الحديث.

نصّ ﷺ على ذلك بصريح العبارة دون التلويح والإشارة. وذكر أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره بإسناده أن النبي ﷺ لما قال ذلك طار في الأقطار وشاع في البلاد والأمصا، فبلغ ذلك الحرث بن النعمان الفهري فأتاه على ناقة فأنافها على باب المسجد ثم عقلها، وجاء فدخل المسجد فجثا بين يدي رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، إنك أمرتنا أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله فقبلنا منك ذلك... ثم لم ترض بهذا حتى رفعت بضبعي ابن عمك وفضلته على الناس، وقلت من كنت مولاه فعلي مولاه، فهذا شيء منك أو من الله، فقال رسول الله ﷺ وقد احمرت عيناه، والله الذي لا إله إلا هو إنه من الله

وليس مني، قالها ثلاثاً))^(١).

وقد ذكر سبط ابن الجوزي - وهو من المتأخرين - أنّ علماء السير اتفقوا على أنّ هذه الحادثة قد انتشرت ولم تكن خاصة. ويقول مسلم في صحيحه: ((وعن زيد بن أرقم قال: قام رسول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً بهاء يدعى «خُثَّاء» بين مكة والمدينة فحمد الله ووعظ وذكّر، ثم قال: أما بعد ألا أيها الناس فإنّنا أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله... ثم قال وأهل بيتي))^(٢) ولهذا يقول ابن حجر كما تقدّم - «إنّ حديث الغدير صحيح لا مريّة فيه، ولا يلتفت لمن قدح في صحّته ولا لمن ردّه». وأخرج الحافظ النسائي في الخصائص: عن زيد بن أرقم قال: لما رجع النبي ﷺ من حجة الوداع ونزل غدير خم أمر بدوحات فقممن ثم قال: كأني دعيت فأجبت وإني تارك فيكم الثقلين، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تحلفوني فيهما، فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض... ثم قال: إنّ الله مولاي وأنا وليّ كلّ مؤمن: ثم أخذ بيد عليّ (رض) فقال: من كنت وليّه، فهذا وليّه، اللهم وال من والاه

١- تذكرة الخواص: ٣٠-٣١.

٢- صحيح مسلم برقم: ١٧٧.



وأخرج ابن المغازلي الشافعي حديث الغدير بطرق كثيرة، فتارة عن زيد بن أرقم، وأخرى عن أبي هريرة، وثالثة عن أبي سعيد الخدري وتارة عن علي بن أبي طالب، وعمر بن الخطاب، وابن مسعود وبريدة، وجابر بن عبد الله، وغير هؤلاء. ((فعن زيد بن أرقم «أقبل نبي الله من مكة في حجة الوداع حتى نزل ﷺ بغدير الجحفة بين مكة والمدينة فأمر بالدوحات فقم ما تحتهن من شوك ثم نادى: الصلاة جامعة، فخرجنا إلى رسول الله ﷺ في يوم شديد الحر، وإنّ منّا لمن يضع رداءه على رأسه وبعضه على قدميه من شدة الرمضاء... إلى قوله: ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب ﷺ فرفعها ثم قال: من كنت مولاه فهذا مولاه، ومن كنت وليه فهذا وليه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه. قالها ثلاثاً»^(١)..

ومن الذين أسهبوا في ذكر الحديث الشريف وأولوه أهمية قصوى الشيخ الأميني. وقد أشار إلى جملة من العلماء الذين رووا الحديث وقد سمى هذا الحديث بـ «واقعة الغدير» وقد تحدّث عن هذه الواقعة بالتمهيد لها ابتداءً من

وعاد من عاداه... فقلت لزيد: سمعته من رسول الله ﷺ قال: نعم، وإنّه ما كان في الدوحات أحداً إلّا ورآه بعينه وسمعه بأذنيه^(٢).

وفي ذخائر العقبى للمحب الطبري، عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: ((كنّا عند النبي ﷺ في سفر فزلنا بغدير خم، فنودي فينا، الصلاة جامعة، وكسح لرسول الله ﷺ تحت شجرة فصلّى الظهر وأخذ بيد عليّ، وقال: اللهم من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه. قال: فلقبه عمر بعد ذلك، فقال: «هنيئاً لك يا بن أبي طالب أصبحت وأمست مولى كلّ مؤمن ومؤمنة» أخرجه أحمد في مسنده، وأخرجه في المناقب من حديث عمر وزاد بعد قوله وعاد من عاداه وانصر من نصره وأحب من أحبه. قال شعبة أو قال وابغض من بغضه وعن زيد بن أرقم قال: استشهد علي بن أبي طالب الناس، فقال أنشد الله رجلاً سمع النبي ﷺ يقول: «من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه فقام ستة عشر رجلاً فشهدوا»^(٣).

١- الخصائص: ٣٩-٤١.

٢- ذخائر العقبى: ٦٧.

٣- المناقب: ٢٩-٣٦.



انطلاق رسول الله ﷺ وأهل بيته مع عدد كبير من المسلمين - مع حصول مرض الجدري أو الحصبة آنذاك في المدينة المنورة - وقد عدّ الأماكن التي مرّ بها رسول الله ﷺ ثم صلّى النبيّ الكريم بالمسلمين، ولما انصرف من صلاته قام خطيباً وسط القوم على أكتاف الإبل وأسمع الجميع، رافعاً عقيرته، فقال: ((الحمد لله نعمده ونستعينه ونؤمّن به ونتوكل عليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا الذي لا هادي لمن أضلّ ولا مضلّ لمن هدى، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأنّ محمداً عبده ورسوله. أمّا بعد: أيها الناس قد نبأني اللطيف الخبير: أنّه لم يعمّر نبيّ إلا مثل نصف عمر الذي قبله. وإني أوشك أن أدعى فأجيب، وإني مسؤول، وأنتم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون؟ قالوا نشهد أنّك قد بلغتَ ونصحتَ وجهدتَ، فجزاك الله خيراً، قال أستم تشهدون أن لا إله إلا الله، وأنّ محمداً عبده ورسوله، وأنّ جنته حقّ، وأنّ الموت حقّ، وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث من في القبور؟ قالوا بلى نشهد بذلك. قال: اللهم اشهد، ثمّ قال: أيها الناس ألا تسمعون؟ قالوا: نعم. قال: فإني فرط على الحوض، وأنتم واردون عليّ الحوض، وإنّ عرضة ما بين صنعاء وبصرى، فيه أقذاح عدد

النجوم من فضّة، فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين. فنادى منادٍ: وما الثقلان يا رسول الله؟ قال: الثقل الأكبر كتاب الله طرف بيد الله عزّ وجلّ وطرف بأيديكم، فتمسّكوا به لا تضلّوا، والآخر الأصغر عترتي، وإنّ اللطيف الخبير نبأني أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، فسألت ذلك لهما ربّي، فلا تقدّموهما فتهلكوا، ولا تقصّروا عنهما فتهلكوا. ثمّ أخذ بيد عليّ فرفعها حتّى رؤي بياض أباطهما وعرفه القوم أجمعون، فقال: أيها الناس من أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: إنّ الله مولاي، وأنا أولى بهم من أنفسهم فمن كنت مولاه فعليّ مولاه، يقوله ثلاث مرات - وفي لفظ أحمد إمام الحنابلة: أربع - ثمّ قال: اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وأحب من أحبه، وابغض من أبغضه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار، ألا فليبلغ الشاهد الغائب. ثمّ لم يفرقوا حتّى نزل أمين وحي الله بقوله: اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي «الآية» فقال رسول الله ﷺ الله أكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضا الرب برسالتني، والولاية لعلي من بعدي. ثمّ طفق القوم يهتّون أمير المؤمنين - صلوات الله عليه - وممن هنأه



- في مقدم الصحابة - الشيخان أبو بكر وعمر كل يقول: بخ بخ لك يا ابن أبي طالب أصبحت وأمست مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة. وقال ابن عباس: وجبت - والله - في أعناق القوم^(١)

والملاحظ على نص حديث الغدير الاختلاف في الألفاظ بين مصدر وآخر على عادة كتب الحديث؛ ولكن نصاً بهذه الخطورة ينبغي التورع في نقله؛ لأنه صدر عن رسول الله ﷺ ويخصّ أمراً في غاية الخطورة، وربما يكون سبباً في تفريق المسلمين.

وهناك أمرٌ ينبغي التنبيه إليه وهو سؤال النبي ﷺ المسلمين: أيها الناس من أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. وهذا لا يعقل، فالمسلمون يعلمون بالآية الكريمة: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَّعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾^(٢).

فكيف يجيبون: الله ورسوله أعلم؟

وينبغي الالتفات أيضاً إلى قضية مهمة تتعلق بأمانة النبي ﷺ وهي اختياره للإمام عليّ عليه السلام ليوكل إليه أمام المسلمين ما قاله ﷺ فلا يتعلق الأمر بكون الإمام عليّ ابن عمه ﷺ بل لأنه يستحق هذه المكانة؛ لتضحياته الكبيرة وملازمته رسول الله ﷺ ساعات العسرة التي مرّ بها طوال حياة رسول الله ﷺ. فللرسول أبناء عمّ آخرون؛ لكنّه لم يقل لهم هذا القول أو غيره - على افتراض ترك ما يراه الشيعة من تنصيب إلهي -. وقد فسّر المفسّرون قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾^(٣)

بحديث نزول العذاب على النعمان بن الحارث الفهري الذي رواه الهروي وأبو بكر الموصلي والثعلبي والقرطبي في تفسيره وغيرهم من أن هذا الرجل جاء بعد أن نصب عليّاً عليه السلام يوم الغدير فقال: أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنتك رسول الله ففعلناء، وأمرتنا بالجهاد والحج والصلاة والزكاة والصوم فقبلناها منك، ثم لم ترض حتى نصبت هذا الغلام وفي رواية حتى رفعت بضبع ابن عمك وفضلته علينا، فقلت: من كنت مولاه فهذا علي مولاه، فهذا شيء منك أو أمر

١- موسوعة الغدير في الكتاب والسنة: ١ / ٣٥ - ٣٦. وآثرت أن أنقل نصّ الأميني - على طوله - لأهميته، فلم يشر الأميني إلى مصدره.

٢- سورة الأحزاب: ٦.

٣- سورة المعارج: ١.



وهو النضر بن الحارث حيث قال: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم فنزل سؤاله، وقتل يوم بدر صبراً هو وعقبة ابن أبي معيط: لم يقتل صبراً غيرهما: قاله ابن عباس ومجاهد. وقيل: إن السائل هنا هو الحارث بن النعمان الفهري. وذلك أنه لما بلغه قول النبي ﷺ في علي رضي الله عنه: «من كنت مولاه فعلي مولاه» ركب ناقته فجاء حتى أناخ راحلته بالأبطح ثم قال: يا محمد، أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله فقبلناه منك، وأن نصلي خمسا فقبلناه منك، ونزكي أموالنا فقبلناه منك، وأن نصوم شهر رمضان في كل عام فقبلناه منك، وأن نحج فقبلناه منك، ثم لم ترض بهذا حتى فضلت ابن عمك علينا! أفهذا شيء منك أم من الله؟! فقال النبي ﷺ: «والله الذي لا إله إلا هو ما هو إلا من الله». ولَّى الحارث وهو يقول: اللهم إن كان ما يقول محمد حقاً فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم. فوالله ما وصل إلى ناقته حتى رماه الله بحجر فوقه على دماغه فخرج من دبره فقتله؛ فنزلت: سأل سائل بعذاب واقع الآية. وقيل: إن السائل هنا أبو جهل وهو القائل لذلك،

من عند الله؟ قال: والله الذي لا إله إلا هو، إن هذا من الله. قال: فولى الحارث بن النعمان يريد راحلته وهو يقول: ((اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم)) فما استتم كلامه حتى رماه الله بحجر سقط على هامته وخرج من دبره فقتله، فأنزل الله تعالى هذه الآية ((سأل سائل))^(١).

ومن الذين ذكرهم الحاج حسين الشاكري على أنهم رووا الحديث القرطبي، فقد قال: وقوله تعالى: ﴿سأل سائل بعذاب واقع قرأ نافع وابن عامر﴾ «سأل سائل» بغير همزة. الباقون بالهمز. فمن همز فهو من السؤال. والباء يجوز أن تكون زائدة، ويجوز أن تكون بمعنى عن. والسؤال بمعنى الدعاء: أي دعا داع بعذاب: عن ابن عباس وغيره. يقال: دعا على فلان بالويل، ودعا عليه بالعذاب. ويقال: دعوت زيدا: أي التمسست إحضاره. أي التمس ملتمس عذابا للكافرين؛ وهو واقع بهم لا محالة يوم القيامة. وعلى هذا فالباء زائدة؛ كقوله تعالى: تثبت بالدهن، وقوله: وهزي إليك بجذع النخلة فهي تأكيد. أي سأل سائل عذابا واقعا. للكافرين أي على الكافرين.



قاله الربيع. وقيل: إنه قول جماعة من كفار قريش. وقيل: هو نوح عليه السلام سأل العذاب على الكافرين. وقيل: هو رسول الله صلى الله عليه وآله أي دعا عليه السلام بالعقاب وطلب أن يوقعه الله بالكفار: وهو واقع بهم لا محالة^(١) فهو يتحدث عن هذه الحادثة يوم بدر ووالد المذكور قتله الإمام علي عليه السلام صبراً يوم بدر بأمر من رسول الله صلى الله عليه وآله. ولم يذكر العلماء الآية ((سأل سائل)) هي آخر ما نزل من القرآن الكريم أو بعد ((اليوم أكملت لكم دينكم)). بل قالوا أقوالاً:

القول الأول: إن آخر آية نزلت هي آية الربا، وهي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٢)، روى ذلك البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما.

القول الثاني: إن آخر آية نزلت آية: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾^(٣)، رواه النسائي عن ابن عباس وسعيد بن جبير.

القول الثالث: إن آخر آية نزلت

آية الدين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَخْشَ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ يَمْنَنَ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٤). فقد روي عن سعيد بن المسيب أنه بلغه أن أحدث القرآن عهداً بالعرش آية الدين. وقد جمع بين هذه الروايات الثلاث بأن هذه الآيات نزلت دفعة واحدة كترتيبها في المصحف، فروى كل

١- تفسير القرطبي: ١٨ / ٢٥٦.

٢- سورة البقرة: ٢٧٨.

٣- سورة البقرة: ٢٨١.

٤- سورة البقرة: ٢٨٢.



واحد بعض ما نزل بأنه آخر ما نزل.

القول الرابع: إن آخر آية نزلت قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(١). وهنالك أقوال أخرى منها آية الكلاله، كما روى ذلك الشيخان عن البراء بن عازب رضي الله عنهما.

ثانياً: الآفاق:

وينبغي الإشارة - هنا - إلى أن حادثة الغدير من القضايا التي شغلت المسلمين كثيراً. وهي من الأهمية بمكان بحيث أخذت دهوراً طويلاً، وهي إلى الآن لم تنته بعد. وقد كان اختلاف المسلمين فيها يتخذ جوانب عديدة، منها ما يتعلق بالجانب الديني، فالشيعة تعتقد أن الإمام علياً هو خليفة المسلمين بنص إلهي؛ وعليه كان الرسول الكريم ﷺ مبلغاً هذا الأمر مثلما بلغ آيات القرآن الكريم؛ في حين تذهب أغلبية المسلمين إلى أن آية التبليغ المذكورة لم تنزل في هذا التاريخ، بل نزلت قبل ذلك بكثير وهي تخص اليهود ولا تخص الإمام علياً عليه السلام لا من بعيد ولا من قريب، وسواء أكان اعتقاد الشيعة صحيحاً أم لا، وسواء أكان اعتقاد المسلمين الآخرين صحيحاً أم لا؛ لا

ينبغي أن تكون هذه الواقعة سبباً لتفريق المسلمين؛ بل يجب أن تكون لتوحيدهم والالتفاف حول بعضهم بعضاً. فالحديث قاله رسول الله ﷺ حتى لو اخذنا أقله «من كنت مولاه فعلي مولاه» فهو ينبئ عن مكانة الإمام علي عليه السلام في الإسلام.

والأمر قد مرّ عليه أكثر من ألف وأربعمائة سنة فقد أصبح تاريخاً، ويحق للمسلمين الأخذ به أو النظرة إليه نظرة الموالاة بمعنى المحبة لآل بيت النبوة المطهرين ﷺ؛ وينبغي أن تبقى الخلافات في الكتب العلمية ولا تصل إلى العوام من الناس الذين لا يعرفون ما ينفعهم ولا يضرهم بحيث تتحول القضية إلى القتل والعياذ بالله.

ولا سيما أن هذه الحادثة قد ذكرها كبار المفسرين والمؤرخين من المسلمين بمختلف المذاهب الفقهية؛ فليس بمندوحة عن المؤلف ((أن يذكرها بسيطة عندما يسرد تاريخ أمة كبيرة كهذه أو يشفعها بما يرتئيه حول القضية من غمزة في الدلالة، إن كان مزيج نفسه النزول على حكم العاطفة، وما هنالك من نعرات طائفته، على حين أنه لا يتسنّى له غمز في سندها، فإن ما ناء به نبي الإسلام يوم



الغدير من الدعوة إلى مفاد حديثه لم يخلف فيه اثنان، وإن اختلفوا في مؤداه؛ لأغراض وشوائب غير خافية على النابه البصير^(١).

مما حدا بالشيخ الأميني أن يطالب بالموضوعية بقوله: ((فواجب الباحث أن يسبر هذا الغور متجرداً عن النعرات الطائفية، غير متحيز إلى فئة، متزحزحاً عن عوامل الحب والبغض، ونصب عينيه مقياساً من أصول مسلمة، يقابل به صفحة التاريخ، فإن طالته أو قصرت عنه رفضها، وإن قابلته مقابلة المثل بالمثل اعتمد عليها))^(٢) وتكمن أهمية الغدير في الزمن الذي حدثت فيه تلك الحادثة في السنة العاشرة للهجرة واضطر النبي ﷺ أن يوقف الحجيج تحت ((رمضاء الحجاز في حرارة الهجير منادياً القوافل قبل فوات الأوان أن لا يفترق فيهم أحد ويعجل المتأخر منهم فإن في الأمر خسر عظيم لا يقبل التأخير ولا يحتمل التهاون. نعم في الأمر مستقبل الأمة إلى قيام يوم الدين، بل في الأمر حصاد الماضي وحياة الحاضر ومستقبل الآتي))^(٣) فهو زمن

حاسم من حياة الرسول الكريم ﷺ يعدّ عن بعض المسلمين استمراراً لمنهج النبوة، فعلياً ﷺ خير من يمثل هذا المنهج ويستطيع المحافظة عليه ((وإن ما أعلن يوم الغدير الأكبر، يوم الثامن عشر من ذي الحجة، من العام العاشر للهجرة ما هو إلا استمراراً لعهد الله. وتأكيداً لاكتمال الرسالة بالولاية. ومواصلة نهج الأنبياء والرسلى))^(٤).

ومن الجدير بالذكر أن الحاج أحمد مصري قد أشار إلى أن «حادثة الغدير» ليس بها حاجة إلى «سند»؛ لعلو مضمونها، فعلو المضمون كافٍ في الاطمئنان بصدورها عن أئمة البيان و((كفاية علو المضامين؛ فإنه لو قال أحمد ممن لا حظ له في ذوق مضامين الرواية وإنه لم يحصل له الاطمئنان بصدورها عن أئمة البيان. بحجة أن علو المضمون المفيد للاطمئنان ليس له ضابطة. فإننا عمدنا إلى تحصيل التواتر اللفظي كما سترى أو المعنوي لكل مقطع من مقاطع الخطبة وعلى الأقل إلى الإتيان بشواهد من روايات معتبرة لكل مقطع من مقاطعها أو لأغلب مقاطعها.

١- موسوعة الغدير في الكتاب والسنة والأدب: ١ / ٢٦. ثم ذكر طائفة من العلماء الذين ذكروا هذا الحديث.

٢- موسوعة الغدير في الكتاب والسنة والأدب: ١ / ٢٣ - ٢٤.

٣- الغدير: ١٠١.

٤- م. ن: ١٠٣.



ومن ثمّ نصب غير محتاجين إلى ذكر السند أصلاً، ثمّ إنّ الحليّ في كتابه «اليقين» قال عند ذكر الخطبة: نرويه برجالهم - أي رجال أهل السنّة ليكون حجّة عليهم - الذين ينقلون لهم ما ينقلونه من حرامهم وحلالهم والمدرك فيما نذكره عليهم. وذكر السند ثم ذكر الخطبة بكاملها. وهذا الكلام يجدر التوقّف عنده لم يحو من دلالات وملازمات عند المنصف المتأمل^(١) فتأتي أهميّة هذا الكلام؛ للمحافظة على هذه الخطبة في هذه المناسبة؛ لأنّ كتب المسلمين من المذاهب الأربعة يشكّكون في «سند» هذه الخطبة الخاصّة بتولية الإمام عليّ عليه السلام مع أنّهم يروونها بألفاظ مختلفة، ولا يُنكرون حديث رسول الله ﷺ في فضل الإمام عليّ وأمانته وعدله. ويعتقد باحثون أنّ علماء السنّة إنّما يذكرون الأمور بشكل غامض ويقولون: إنّ رسول الله ﷺ بيّن في هذه الخطبة أشياء؛ لكنّهم لا يذكرون تلك الأشياء ((مع أنّهم يشيرون إلى عظمتها وأهمّيّتها وذكر من فضل عليّ وأمانته وعدله وقربه إليه ما أراح به ما

كان في نفوس كثير من الناس منه... وقد اعتنى بأمر هذا الحديث أبو جعفر محمد بن جرير الطبري صاحب التفسير والتاريخ فجمع فيه مجلدين أورد فيهما طرقه وألفاظه... وكذلك الحافظ الكبير أبو القاسم بن عساكر أورد أحاديث كثيرة في هذه الخطبة... سبحانه الله كيف يوصف قول رسول الله ﷺ بأنّه عظيم وأنّه أراح فيه كثيراً من الشبهات ولم يحرصوا على كتابته وبيانه للأئمّة؛ بل ما ذكروه من مقاطع تلك الخطبة عمد ابن كثير وغيره إلى تأويله بأمور واهية لا تخفى على ذي بصيرة^(٢).

ولو نقل الحاج أحمد مصري ما قاله ابن كثير لكان أجدي بالمعرفة؛ حتّى يطّلع القارئ على الحقائق من مصادرها الأصليّة. وحينما رجعت إلى تفسير ابن كثير المعروف بـ«تفسير القرآن العظيم» وجدته قد نقل الحديث ونقله في البداية والنهاية أيضاً^(٣).

وقد انعكست هذه الحادثة على بعض المسلمين وألقت بظلالها على الآخرين،

١- م. ن: ١١٠، وظ: ١٠٨.

٢- الغدير: ١١١. ومع أنّ ابن قتيبة لم ينقل حديث الغدير؛ لكنّه نقل ما دار من أحداث في اثناء وفاة الرسول الكريم ﷺ وما استشهد به أمير المؤمنين عليّ وما له من مناقب جعلت أبا بكر يعترف بها، ظ؟ الإمامة والسياسة: ١ / ١٥ وما بعدها.

٣- تفسير القرآن العظيم: ٤ / ، والبداية والنهاية: ٥: ٢٢٩.



يوضح ذلك ما جاء من خبر بعض رجال الأنصار، ومنهم أبو أيوب الأنصاري فقد روي «عن يحيى بن آدم (ثقة) عن رياح الحارث قال: جاء رهط إلى علي بالرحبة، فقالوا: السلام عليك يا مولانا. فقال: كيف أكون مولاكم، وأنتم قوم عرب؟، قالوا: سمعنا رسول الله يقول يوم غدير خم: من كنت مولاه فهذا مولاه. قال رياح: فلما مضوا اتبعتهم فسألت من هؤلاء؟ قالوا: نفر من الأنصار فيهم أبو أيوب الأنصاري». ذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة المجلد الرابع ص ٣٤٠ وعلق عليه (قلت: وهذا إسناد جيد رجاله ثقات)، وكذا علق عليه محقق كتاب فضائل الصحابة وصي الله بن محمد عباس بقوله (إسناده صحيح^(١)) وأورد الحافظ الثقة إبراهيم بنديزيل: ((حدثنا يحيى بن سليمان الجعفي (وهو ثقة من رجال البخاري كما قال الألباني في الإرواء ج ٤ ص ١٩٤)، قال: حدثنا ابن فضيل (ثقة محتج به في الصحيحين كما قال للألباني في الصحيحة ج ٢ ص ٨٩)، قال: حدثنا الحسن بن الحكم النخعي (ثقة)، عن رباح بن الحارث النخعي (ثقة)، قال: كنت جالسا عند علي رضي الله عنه، إذ

قدم عليه قوم متلثمون، فقالوا: السلام عليك يا مولانا، فقال لهم: أو لستم قوماً عرباً! قالوا: بلى، ولكننا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم غدير خم: من كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله. قال: فلقد رأيت علياً رضي الله عنه ضحك حتى بدت نواجذه، ثم قال: اشهدوا. ثم إن القوم مضوا إلى رحالهم فتبعتهم، فقلت لرجل منهم: من القوم؟ قالوا: نحن رهط من الأنصار، وذاك - يعنون رجلاً منهم - أبو أيوب صاحب منزل رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: فأتيته فصافحته. "أقول: أمّا متنه فلا يحتاج إلى بيان. أما سنده، فالإنصاف أن الألباني وإن وثق (يحيى بن سليمان) إلا أن ابن حجر في التقريب قال عنه في التقريب (صدوق يخطئ)، ولا منافاة بين الأمرين، فنترك تقييم هذه الكلمة (صدوق يخطئ) لأستاذ هذا الفن وهو نفس ناصر الدين الألباني إذ قال في تمام المنة ص ٢٠٣: قوله (صدوق يخطئ) ليس نصّاً في تضعيفه للراوي به، فإننا نعرف بالممارسة والتتبع أنّه - ابن حجر - كثيراً ما يحسن حديث من قال فيه مثل هذه الكلمة". فاتضح

١- من فضائل الصحابة: ٢ / ٧٠٧ برقم: ٩٦٧. وظ: السلام عليك يا أمير المؤمنين، مقال على شبكة المعلومات الدولية.



النعث (مولانا) الذي تضمن إقرارهم على أنفسهم بأنهم موالي وعبيد له مع أن هذا النعث لا يصدر إلا من عبد حبشي غير عربي فكيف يصدر منكم وأنت من العرب.

فقالوا: إن هذه المولية ثبتت لك في غدير خم عندما قال رسول الله ﷺ (من كنت مولاه فهذا علي مولاه) فهذه الكلمة (مولانا) وإن كانت لا تصدر إلا من العبد لسيده الأولى به من نفسه، ولكنها لك في الحقيقة لأننا صرنا لك في غدير خم كما كنا لرسول الله ﷺ بمنزلة العبيد والموالي، أي أنت أولى بنا من أنفسنا كما كان النبي ﷺ أولى بنا من أنفسنا بمفاد قوله تعالى «النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ»^(٢) وبعد أن استدرجهم الإمام ﷺ بسؤاله وذكروا له السبب، توصل الإمام علي ﷺ لبغيته من استدرجهم فقال لمن حوله اشهدوا على اعتراف هؤلاء الصحابة بأي أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم كما كان رسول الله ﷺ كذلك، بمفاد حديث الغدير^(٣) فهذه الأصدقاء تثبت بما لا يقبل الشك أن واقعة الغدير قد وقعت فعلاً وتثبت أن المسلمين - أو بعضهم - قد عرفوا فعلاً أن

إلى هنا أن الحديث حسن الإسناد محتجبه بلا ريب، وهو حكم الألباني على حديث آخر ذكره في الصحيحة ورقمه ١٨٧٨ وكل رجاله ثقات ما عدا (يحيى بن سليمان) فحسن الألباني الحديث وقال: قلت: وهذا إسناد حسن. رجاله ثقات رجال البخاري، إلا أنهم تكلموا في حفظ ابن سليمان. «فالحديث حجة بلا ريب»^(١).

وحينما يسلّم وفد من الأنصار على الإمام عليّ بهذا التسليم يعني معرفتهم بالحديث وبذيوعه وهم من المدينة، ويُستغرب أن لا يعرف الإمام ذلك إذ يقول لهم: أنا مولاكم وأنتم عرب؟ فالأقرب أنه ﷺ أراد تثبيت الفكرة لدى الآخرين الذين حضروا مجلسه عند مجيء الأنصار ((أمّا دلالة الحديث فواضحة، هذا أبو أيوب الأنصاري وبعض الأنصار من الصحابة سلموا على أمير المؤمنين ﷺ بولايته عليهم، وعندما سمع الإمام ﷺ قولهم الذي تناساه كثير من الناس ضحك رويحي فدهاه، فانتهازها فرصة ليذكر ويؤكد لمن حوله مقامه من المؤمنين، فاستدرج الإمام علي ﷺ هؤلاء نفر من الأنصار بسؤاله ضاحكا عن هذا علة إطلاق هذا

١- وقعة صفين: ١٦٥-١٦٦.

٢- سورة الأحزاب: ٦.

٣- السلام عليك يا أمير المؤمنين: مقال على شبكة المعلومات الدوليّة.



الإمام علي صار مولاهم - كما أن رسول الله ﷺ مولاهم

والقضية - من دون شك - تحمل الاحترام لشخص الإمام علي وحفظ مكانته وتضحياته للإسلام ولرسوله الكريم ﷺ وتوجه المسلمين إلى تلك الشخصية الأمانة المهيأة لقيادة الأمة والأخذ بيدها إلى ما يرضي الله والمحافظة على عزتها وكرامتها. وقبل أي شيء ذكر اسم الإمام علي ﷺ على لسان رسول الله ﷺ يعني الشيء الكثير، فرسول الله ﷺ لا يذكر مثل هذه الأشياء العظيمة التي تخص مصير الأمة في سنته الأخيرة من عمره الشريف اعتباطاً أو مجاملة أو محابة لقريبه وصهره، فرسول الله أعمام وله أبناء عمومة وله أقارب، لكنه خصّ علياً ﷺ لفرداته ومكنته وعدالته فضلاً عن المزايا الأخرى التي تمتع بها ﷺ. وفي الحقيقة أن ما قيل عن عدم كفاءته بالسياسة وهي فكرة روج لها معاوية والأمويون تحديداً فلا يعتد بها؛ لأن السياسة المقصودة - هنا - المكر والخديعة و«فن» الممكن مثلما نرى اليوم، وهذه الأمور برمتها بعيدة كل البعد عن شخصية عظيمة واضحة صادقة وهي شخصية علي ﷺ فليس به حاجة للخداع وغيره ما دام

على سنة رسول الله ﷺ ويهتدي بهديه. ومن أحسن ما قيل في هذا الاختلاف قول من قال: هذه الأقوال ليس فيها شيء مرفوع إلى النبي ﷺ، ويجوز أن يكون قاله قائله بضرب من الاجتهاد وغلبة الظن، ويحتمل أن كلاً منهم أخبر عن آخر ما سمعه من النبي ﷺ في اليوم الذي مات فيه أو قبل مرضه بقليل، ويحتمل أيضاً أن تنزل هذه الآية التي هي آخر آية تلاها الرسول ﷺ مع آيات نزلت معها، فيؤمر برسم ما نزل معها بعد رسم تلك، فيظن أنه آخر ما نزل في الترتيب والله أعلم^(١).

والواقع أن الخليفة الثاني برّر ذات مرة اتّهامه للنبي (بأنه قد غلبه الوجد) بأنه لم يكن يرى مصلحة في استخلاف النبي للإمام علي.. فقد جاء في شرح ابن أبي الحديد: روى أحمد ابن أبي طاهر صاحب كتاب تاريخ بغداد مسنداً عن ابن عباس قال: دخلت على عمر في أول خلافته وقد ألقى له صاع من تمر على خصفة، فدعاني إلى الأكل فأكلت ثمرة واحدة، وأقبل يأكل حتى أتى عليه، ثم شرب من جرّ كان عنده واستلقى على مرفقة له وطفق يحمد الله يكرر ذلك، ثم قال: من أين جئت يا عبد الله؟ قلت: من المسجد. قال: كيف



خلفت ابن عمك - فظننته يعني عبد الله بن جعفر - قلت: خلفته يلعب مع أتراب له. قال: لم أعن ذلك، إنما عنيت عظيمكم أهل البيت، قلت: خلفته يمتح بالقرب على نخيلات من فلان وهو يقرأ القرآن. قال: يا عبد الله عليّ دماء البدن إن كتمتنيها، هل بقي في نفسه شيء من أمر الخلافة؟ قلت: نعم. قال: أيزعم أن رسول الله نص عليه؟ قلت: نعم، وأزيدك أني سألت أبي عمّا يدّعيه فقال: صدق. فقال عمر: لقد كان من رسول الله في أمره ذرو من قول لا يثبت به حجة ولا يقطع عذراً، ولقد كان يرجع في أمره وقتاً ما، ولقد اراد في مرضه أن يصرح باسمه فمنع من ذلك إشفافاً وحيطة على الإسلام. لا ورب هذه البنية لا تجتمع عليه قريش أبداً، ولو وليها لانتقضت عليه العرب من أقطارها. فعلم رسول الله أني علمت ما في نفسه فأمسك وأبى الله إلا إمضاء ما حتم^(١).

ومما يؤخذ من هذه الروايات أن قضية بيعة الغدير نُظر إليها من زوايا مختلفة، ففي النظرة الأولى نجد الصحابة يُهنئون الإمام علي عليه السلام بأنّه مولى كلّ مؤمن ومؤمنة ومنهم كبار الصحابة كأبي بكر وعمر بن

الخطّاب، ثم نرى عمر ينقلب على ذلك ويطلب من الامام عليّ المبايعة، فقال للإمام عليّ: ((إنّك لست متروكاً حتى تباع))^(٢)، وفي النظرة الثانية ترى عمر يقول: قد غلبه الوجد وإِنَّه ليهجر، وفي النظرة الثالثة يتوجّس خيفة من الإمام عليّ ويسأل إن كان في نفسه شيء من أمر الخلافة أم لا؟ ويحمل المسؤولية بقوله هو الذي منع رسول الله ﷺ من كتابة شيء في «أمر الخلافة» كما ظنّ باحثون؛ لأنهم لا يستطيعون القطع بأنّ النبي ﷺ أراد أن يوحي لعليّ باسمه صراحة، معتمدين على المنع، والدليل على هذا أنّ الرواة من المسلمين حفظوا اثنتين من وصايا النبي ﷺ و«نسوا» الثالثة. وفي النظرة الرابعة كيف تسنّى لعمر بن الخطّاب أن يعرف أنّ العرب تنتفض على الإمام عليّ إن ولي الأمر؟.

والسؤال الذي ينبغي أن يطرح: لم لا يريد المسلمون تولية الإمام عليّ ما دام الرسول الكريم ﷺ قد قال ما قال في الغدير؟ وهل يتحمّلون مخالفة الرسول في أواخر حياته مع أنّهم أطاعوه في بداية الدعوة وما تلاها، وتحملوا ما تحمّلوا في سبيل نشر الدين الحنيف؟. وقد أجابوا

١- الإمام علي: ٢٤.

٢- الامامة والسياسة: ١ / ١٥. قال هذا بعد كلام للإمام يبين فيه أحقيته بالخلافة.



بالطاعة عند سماعهم كلام الرسول الكريم ﷺ. ممّا حدا ببعض علماء الشيعة القول: ((واعتقادنا فيمن جحد إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والأئمة من بعده عليه السلام أنه كمن جحد نبوة جميع الأنبياء، واعتقادنا فيمن أقر بأمر المؤمنين وأنكر واحداً ممن بعده من الأئمة أنه بمنزلة من أقر بجميع الأنبياء وأنكر نبوة نبينا محمد ﷺ))، وينقل حديثاً منسوباً إلى الإمام الصادق أنه قال: «المنكر لآخرنا كالمنكر لأولنا». وينسب أيضاً إلى النبي ﷺ أنه قال: الأئمة من بعدي اثنا عشر؛ أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وآخرهم القائم، طاعتهم طاعتي ومعصيتهم معصيتي، من أنكر واحداً منهم فقد أنكرني^(١) والأمر موجود عند علماء الشيعة المحدثين كالسيد الخوئي رحمه الله وهو أكبر فقيه لدى الشيعة، والسيد السيستاني وهو على قيد الحياة ومرجع الطائفة الشيعة الأعلى في موقعيها «الإلكترونيين».

أما عند السنة فالأمر يختلف، فلم يتفقوا على دلالة واحدة، فعند

ويرون «إجمالاً» في نصّ حديث الرسول الكريم ﷺ ما يفيد «الولاية» المعنوية وما يندرج تحتها من حبّ لآل البيت عليه السلام وهم يقولون «من منا من لا يحبّ آل البيت، فالشافعي قال شعراً:

١- رسالة الاعتقادات: ١٠٣. وظ: بحار النوار: ٢٧ / ٦١ - ٦٢. وروى المفيد والحلي وغيرهما من كبار علماء الشيعة مثل هذا.

٢- ظ: قراءة في كتاب فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام لمحمد بن جرير الطبري، مقال على شبكة المعلومات الدولية، روى فيها كثيراً مما يتعلق بحادثة الغدير.



يَا آلَ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ حُبُّكُمْ
فَرَضَ مِنَ اللَّهِ فِي الْقُرْآنِ أَنْزَلَهُ
يَكْفِيكُمْ مِنْ عَظِيمِ الْفَخْرِ أَنْكُمْ
مَنْ لَمْ يُصَلِّ عَلَيْكُمْ لَا صَلَاةَ لَهُ^(١)

أما ما يعتقد به الشيعة من أن نصّ الولاية هو تنصيب إلهي نزل من القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(٢) فهي لا تخص الإمام عليّ عليه السلام ولم تذكر اسمه صراحة، وتحدث فيها المفسرون الكبار كالقرطبي وغيره في أنها نزلت باليهود حين كان الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم يخشى من التبليغ العلني، فنزلت هذه الآية تحته عليه السلام بالإبلاغ وبأن الله تعالى حاميه وعاصمه من الناس وهي تعود إلى زمن قبل زمن السنة العاشرة من الهجرة التي حدثت فيها بيعة الغدير.

ومن يراجع كتب التفسير يجد هذا واضحاً جلياً. لكن الحديث يذكر فضل عليّ عليه السلام وسابقتها في الإسلام وبأنه مولى المسلمين احتراماً له وتكريماً على ما بذله من جهود عظيمة في الدفاع عن الإسلام

وعن شخص الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ولا تعني بأي حال ولايته السياسية في الحكم. وفي الحقيقة أنهم ذهبوا إلى أكثر من ذلك في أن علياً عليه السلام كان لا يُجيد السياسة، وقد ذكرت هذا في البحث أثناء البحث؛ لكنني أضيف إلى أن الباحثين يخلطون المصطلحات في أحيان كثيرة، فحين «يقارنون» الإمام عليّ بمعاوية يقولون هذا القول، وهذا أمرٌ خطير ينبغي أن يلتفت إليه المسلمون والمؤرخون، إذ لا تصحّ المقارنة -هنا- أصلاً، فالإمام عليّ من أهل البيت، وهو الإمام الأول والمقدم على بقية أهل البيت، فهو أفضل من سيّدة نساء العالمين عليه السلام مع أنها أفضل من الإمامين الحسنين عليه السلام معاً، فلا يوجد أحد يتقدم عليّ عليه السلام في فضله هذا.

وبقية الصحابة هم أصحاب المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وهم على العين والرأس؛ لكنهم لا يتقدمون على الإمام عليّ في شيء، وهذه سيرتهم تثبت احترامهم الكبير لشخص الإمام -من دون موارد- فهم غير مضطرين لها لكنهم يعلمون من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تقدمتهم له، وفي الحقيقة تروي كتب السنة هذا حتى أنها روت

١- ديوان الشافعي: ١٢٠.

٢- سورة المائدة: ٦٧.





حادثة الغدير ونص رسول الله ﷺ على الإمام عليٍّ كاملاً فقد نقلها أئمة الحديث ومؤرخو السنة النبوية قاطبة وما قاله الخليفةان، أبو بكر وعمر في تهئة الإمام عليٍّ وبأنه أصبح مولى كل مؤمن ومؤمنة على أيها من مناقب الصحابة وتألفهم وبأن لا خلاف بينهم، بل كانت المحبة والاحترام هي التي تجمعهم.

وكلنا يعلم كم كان الإمام عليٍّ يأتي إلى دار الخلافة زمن الخليفة عمر بن الخطاب ويحل المشاكل التي تواجهه الخلافة، وكان الإمام يشير على الخليفة بما يخدم المصلحة العامة للمسلمين، وكان الخليفة يأخذ برأي عليٍّ ﷺ دون بقية الصحابة في أمور الأموال وغيرها. والخليفة يقدم له الاحترام بأقوال مأثورة وردت عنه من مثل: أطال الله بقاءك يا أبا الحسن و: قضية ولا أبا حسن لها وغيرها من القوال التي تنم عن احترام الخلافة لشخصه الكريم ﷺ وحرصه على مقومات الدولة. وهذا يندرج في محبة المسلمين - عموماً - لبيت رسول الله ﷺ وهم الثقل الثاني بعد القرآن الكريم. ومع هذا فنتائج هذا الحديث لم تكن

- كما أرادها رسول الله ﷺ - ومع أنه لم يطلب اجراً بمقابل رسالته إلا محبة أهل بيته، إذ قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُشِرُّ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجراً إِلَّا الْمُوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾^(١) وقع المسلمون في إشكال في التعامل مع أهل البيت ﷺ فلم يحفظ الحكام قرابة رسول الله ﷺ ولا سيما الأمويون منهم.

وما وصل به الحال مع أهل البيت ﷺ معروف متداول. فقام الأمويون يفضلون أنفسهم على بيت النبوة ابتداءً من معاوية فقد أظهر معاداته لهم وبخسهم حقهم بطرق مختلفة وأساليب ملتوية. وبما أن التاريخ مرّ وانتهى فينبغي أن لا يقف المسلمون امام هذه الحوادث لا يستطيعون تخطيها، بل يجب عليهم أن يحتكموا إلى كتاب الله وسنة رسوله الكريم ﷺ في أي نزاع وأن لا يتصرفوا بأي شيء خارج حده القرآن لهم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

١- سورة الشورى: ٢٣. مع أن الطبري فسّر القرابة بأنها تلك التي بين رسول الله ﷺ وبين قريش. ظ: تفسير الطبري: ٤٨٦.



الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿١﴾
فحفظ الرسالة المحمدية واجب شرعي لا
يصح التضحية بها من اجل الخلاف غير
العلمي ومن اجل التعصب الذي يذهب
بوحدة المسلمين، فلا يفيد أحد من هذا
الخلاف غير أعداء المسلمين.

بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ
النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ
آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ وإن لم يحصل
التآلف فعلى المسلمين أن يتركوا الخلاف
إلى العلماء وأن يُجَنَّبَ عامّة الناس منه لئلا
تقع الفتنة التي لا تبقي ولا تذر -والعياذ
بالله-

والسؤال الآخر الذي ينبغي أن يُطرح
أيضاً: لم يختلف المسلمون الآن في حادثة
تاريخية قد مضت عليها قرون، فالمسلمون
الأوائل قدّموا ثلاثة من الصحابة على
الإمام علي في خلافة المصطفى الكريم ﷺ
ثم بُويع بالخلافة بعد حصار عثمان بن
عقّان الذي انتهى بمقتله، فـ «المنطق»
يقول: إن تقارب المسلمين وتآلفهم أهم
بكثير من الخلاف الذي يريده أعداء
الإسلام، وقد أجهّد النبي ﷺ نفسه في
سبيل هذا الهدف وجاء الأمر الإلهي
الذي ينسجم مع دعوة النبي ﷺ والهدف
من بعثته الشريفة بقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا
اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ
رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (٢)
وقوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا
وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ
كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ

١- سورة النساء: ٥٩.

٢- سورة الأنفال: ٤٦.

٣- سورة آل عمران: ١٠٣.



الخاتمة

أيوب صاحب جوار منزل رسول الله ﷺ يسلمون على الامام عليّ بـ «مولانا».

لم يذكر النبي ﷺ حديثاً خصّ أحداً من المسلمين الآخرين سوى عليّ؛ الأمر الذي يدعو على أخذ كلامه من دون مناقشة أو تأويل.

يبدو أنّ المهاجرين باغتوا الأنصار في أمر الخلافة؛ لذا قالوا للسيدة فاطمة ﷺ لو طرح ابن عمك الأمر لباعناه.

ينبغي ترك الخلافات المترتبة من تاريخ بعيد؛ فهي من دون شك توقع الكره وتورث القطيعة بين المسلمين؛ الأمر الذي يتوجب تركه على ذمة التاريخ.

فسّر عمر بن الخطاب - في حديث له مع ابن عباس - أنّ كلام النبي ﷺ في شأن عليّ ﷺ هو «ذرو من قول لا يثبت له حجة».

اعتمد الصحابة الكبار على تأويل أحاديث الرسول الكريم ﷺ في شأن الإمام عليّ ﷺ على أنّه لا توجب استخلافه.

إذا عرفنا «تأويل» الصحابة لأحاديث المصطفى الكريم ﷺ في عليّ ﷺ فمن باب أوضح ندرك «سهولة» إبعاد أولاده وأحفاده عن سدة الحكم.

إنّ الله تعالى أمر المسلمين بمودة أهل البيت ﷺ وهم بهذا يحملون تركة عظيمة يُسألون عنها، ولا سيّما الحكّام الذين لم يراعوا حرمة الرسول الكريم ﷺ.

وقع حديث الغدير فعلاً وقد تكون قد حصلت عليه زيادة؛ لكنّه موجود نقلته كتب كثيرة منها كتب الصحاح. وهو يثبت منزلة الإمام عليّ ﷺ الكبيرة.

إنّ إشارة النبي ﷺ في يوم الغدير إلى شخصيّة الإمام عليّ ﷺ وذكره بالاسم من لدن الرسول الكريم ﷺ تضع الأمة بمسؤولية كبيرة؛ فالنبي ﷺ لا يجامل أحداً من أقاربه، ولا سيّما لديه أقارب آخرين وهم أعمام النبي ﷺ والعم أقرب من ابن العم.

إنّ عدم ذكر اسم الامام عليّ ﷺ صراحة هو الذي دفع المسلمين من غير الشيعة إلى عدم الاعتراف بأحقّيّته بالخلافة؛ فلجأوا تأويل حديث الغدير بتأويلات المحبّة وما يقاربها.

إنّ ما دار في السقيفة واحتجاج أبي بكر بالأحقّيّة على الأنصار هو الركون إلى المنطق؛ فاضطر الإمام عليّ إلى الاحتجاج على أبي بكر وعمر بسابقتها في الإسلام وأحقّيّته في أمر الخلافة.

إنّ رجالاً من الأنصار - منهم أبو





المصادر والمراجع

محمد الطاهر بن محمد بن محمد
الطاهر بن عاشور التونسي، الدار
التونسية للنشر-تونس، ١٩٨٤م.

تذكرة خواص الامة بذكر
خصائص الائمة، سبط ابن
الجوزي، تقديم السيد محمد
صادق بحر العلوم، منشورات
الشريف الرضي، قم، ايران،
١٤١٨ هـ.

تفسير الطبري = جامع البيان
عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر،
محمد بن جرير الطبري، توزيع:
دار التربية والتراث - مكة المكرمة
طبعة: بدون تاريخ نشر صورها
محمود شاكر.

تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء
إسماعيل بن عمر بن كثير
الدمشقي، تحقيق محمد حسين
شمس الدين، دار الكتب العلمية،
منشورات محمد علي بيضون -
بيروت، الطبعة الأولى-١٤١٩ هـ.

الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد
الله، محمد بن أحمد الأنصاري
القرطبي، تحقيق أحمد البردوني
وإبراهيم أطفيش، دار الكتب
المصرية - القاهرة، الطبعة الثانية،
١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.

ديوان الشافعي، تحقيق د. محمد

● القرآن الكريم.

● الاعتقادات ورسالة في حل
حديث مذكور في العلل والعيون،
محمد باقر المجلسي، تحقيق مهدي
الرجائي، أصفهان، الكعبة الأولى،
١٤٠٩ ق.

● الإمامة والسياسة، أبو محمد عبد
الله بن مسلم، دار الكتب العلميّة،
بيروت - لبنان، ١٩٧١ م.

● الإمام علي عليه السلام أمير المؤمنين
الشخصية الاسلامية الخالدة.
عبد السلام كاظم الجعفري. دار
الغدير. قم المقدسة. ط١٤٣٤ هـ.

● بحار الانوار، محمد باقر
المجلسي، منشورات وزارة الارشاد
الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٣٦٥
هـ.

● البداية والنهاية، ابن كثير، مطبعة
السعادة، مصر، ١٩٣٢ م.

● تاريخ الرسل والملوك، ابن جرير
الطبري، دار الكتب العلمية،
بيروت، ط ١ ١٤٠٥ هـ.

● التحرير والتنوير «تحرير المعنى
السديد وتنوير العقل الجديد
من تفسير الكتاب المجيد».





عبد السلام عبد الشافي محمد، دار
الكتب العلمية - بيروت، الطبعة
الأولى، ١٤٢٢ هـ.

● معالم التنزيل في تفسير القرآن =
تفسير البغوي، أبو محمد الحسين
بن مسعود بن محمد بن الفراء
البغوي الشافعي، تحقيق عبد
الرزاق المهدي، دار إحياء التراث
العربي - بيروت، الطبعة الأولى،
١٤٢٠ هـ.

● مسند الإمام أحمد بن حنبل،
أحمد بن حنبل الشيباني، المحقق
شعيب الرناؤوط وآخرون،
مؤسسة الرسالة.

● موسوعة الغدير في الكتاب
والسنة، عبد الحسين الأميني،
موسوعة الأعلمي للطبوعات،
١٩٧٧ م.

● الميزان في تفسير القرآن، محمد
حسين الطباطبائي، منشورات
مؤسسة الاعلمي، بيروت -
لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٧ م.

● وقعة صفين، نصر بن مزاحم
المنقري، تحقيق عبد السلام
هارون، المؤسسة العربية الحديثة،
القاهرة، ١٣٨٢ هـ.

عبد المنعم خفاجي، القاهرة،
الطبعة الثانية، ١٩٨٥ م.

● صحيح البخاري، أبو عبد الله
محمد بن إسماعيل البخاري،
صورها بعنايته د. محمد زهير
الناصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ.

● صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج
القشيري النيسابوري، تحقيق محمد
فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث
العربي، بيروت، ط ١٤٢٣ هـ.

● فضائل الامام علي، محمد جواد
مغنية، منشورات مكتبة الحياة،
بيروت، ١٩٦٢ م.

● فضائل الصحابة، أبو عبد الله
أحمد بن محمد بن حنبل بن
هلال بن أسد الشيباني، تحقيق
د. وصي الله محمد عباس، مؤسسة
الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى،
١٤٠٣ - ١٩٨٣ م.

● علي في الكتاب والسنة، الحاج
حسين الشاكري، دار المؤرخ
العربي، بيروت - لبنان، ١٤١٨
هـ.

● المحرر الوجيز في تفسير الكتاب
العزيز، أبو محمد عبد الحق بن
غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن
عطية الأندلسي المحاربي، تحقيق



بيعة الغدير وأثرها في وحدة الأمة

دراسة بين التأصيل والتأويل

م.د. حوراء مهدي عبد الصاحب
جامعة الكوفة - مركز دراسات الكوفة



د. إلهام حمد عيسى
جامعة الكوفة - مركز دراسات الكوفة



السَّلامُ عَلَى النَّبِ الْكَبِيرِ

ملخص:

واقعة الغدير واقعة تاريخية مهمة، مثّلت خلاصة الرسالة السماوية التي جاء بها النبي الأكرم محمد ﷺ، وهي الامتداد الطبيعي لمرحلة ما بعد وفاته ﷺ، وقعت في يوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة بالسنة العاشرة للهجرة النبوية، إذ اجتمعت الحشود الجماهيرية الكبيرة التي سلّمت وأمنت وبايعت أن ماجاء به نبيها هو الحق المبين من العلي القدير، لكن حب الدنيا والرياسة والحكم جعل بعض القوم يعلن حال الانقلاب على الشريعة الربّانية والصدود عن وصية رسولهم الكريم ﷺ لتبقى أمة الإسلام تكابد الانتكاس والتشتت وتقع فريسة القهر والاستبداد على مرّ الدهور.

وفي هذا اليوم أعلن النبي محمد أنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام هو خليفته ووصيه بعد وفاته. وأعلن النبي قائلاً: «من كنت مولاه فعلي مولاه»، مما يعني أن عليّاً هو مولى كلّ من كان مولاه النبي.

وتأتي أهمية البحث في إعلان النبي ﷺ عن بيعة الغدير؛ ليبين ويؤكد ويحدّد خليفته من بعده ووريثه وحافظ سرّه، ويعدّ دليلاً على تعيين علي بن أبي طالب خليفة وإماماً من بعده ﷺ، لكن الواقعة

لثقلها السياسي والديني؛ ولاختلاف نفوس القوم أصبحت عبر الأيام مصدراً للنزاعات والتأويلات بين الفرق المختلفة في الإسلام، وقد أثرت في تشكيل الطوائف والمذاهب الإسلامية والتفسيرات المختلفة للسلطة والوراثة في الإسلام، لكن من جانب آخر كان لها أثر في توحيد هذه الأمة ولمّ شملها؛ لذلك جاء بحشنا هذا ليبين هذه الإشكاليات بين من أولها وأصل لها، وتحت المحور الثاني: (توظيف حادثة الغدير في وحدة الأمة).

فجاء البحث على تمهيد ومبحثين وهو كالآتي:

التمهيد: الشواهد القرآنية في بيعة الغدير.

المبحث الأول: واقعة الغدير بين التأصيل والتأويل.

المبحث الثاني: أثر بيعة الغدير في وحدة الأمة.

ثم ختمنا البحث بأهمّ ما توصّلت له الدراسة، واعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع المعتبرة.

نرجو أن نكون قد وفقنا في إعطاء صورة موجزة عن الموضوع، وأن ننال شفاعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام



التمهيد

الشواهد القرآنية في بيعة الغدير

لبيعة الغدير أهمية كبرى بالنسبة للإسلام، أو للأمة جمعاء، إذ جاءت الكلمة الإلهية صريحة بتولي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام خلافة المسلمين، وقد يتبادر سؤال إلى أذهاننا: ما الآيات المباركة التي دلّت أو نزلت في يوم الغدير الأغر؟، وكانت دليلاً على حق تولي سيدنا الإمام علي عليه السلام الخلافة، منه قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١).

وعلى مدى قرون وعلما الإسلام يكتبون في تفسير آية إكمال الدين، وبمن

نزلت، وأحداث ذلك اليوم، وإذا أنعمنا النظر في الآية المباركة نلاحظ أنها ابتدأت بلفظة (اليوم) وهنا تأكيد وتنبيه وتوجيه بأن هذا اليوم العظيم سيتم فيه تولي إمام معصوم طاهر وهو علي بن أبي طالب عليه السلام الخلافة، وكذلك تولي أمر المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فضلاً عن أن لفظة (اليوم) جاءت محلاة بالألف واللام لتشير إلى أهمية ذلك اليوم.

وتأتي أهمية ذلك اليوم بأهمية صاحبه، صاحبه الذي سئل عنه الخليل بن أحمد الفراهيدي، فقال: (ماذا أقول في رجل أخفى أعداؤه فضائله حسداً، وأخفاها محبوه خوفاً، وظهر بين ذين وذين ما ملأ الخافقين!)، والذي قال فيه أحمد بن حنبل: (ما جاء في أحد من الصحابة من الفضائل ما جاء في علي بن أبي طالب)^(٢).

فصاحب هذا اليوم له شأن كبير عند الله تعالى؛ لذلك خصّه بيوم عظيم وهو يوم الغدير، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(٣).

١- المائدة: ٣.

٢- الطوسي، تهذيب الاحكام: ٤/ ٣٠٥، الصدوق، ثواب الاعمال / ٧٤.

٣- المائدة: ٦٧.



مقامات الإمام علي عليه السلام، وقد تعجبت، ذاك هو علي بن أبي طالب عليه السلام الإمام المظلوم، الذي يحق له عندما سمع شخصاً تحت منبره يقول: إني مظلوم، أن يقول له: إنك ظلمت مرة، لكنني ظلمت عدد المدر والحصي!

السلام عليك يا أول المظلومين^(٢).

جاءت الآية المباركة مخاطبةً الرسول الأعظم ﷺ بأمر رباني حاسم، وهذا الحسم الذي خاطب الله تعالى به رسوله الأكرم ﷺ يتضمن الشدة والقوة، على الرغم من أن خطابات الله سبحانه أرق وأحن، نلاحظ أنه قال: (إذا لم تبلغ فما بلغت رسالات ربك؟!).

يقول له ذلك إن هذا اليوم مفصلي في تبليغ الرسالة، والعمل الذي ستقوم به، به يكمل الدين، وبدونه يبقى ناقصاً وتضيع فائدة جهودك في تبليغه.

فهذه الحكمة الإلهية الربانية القرآنية، تمثلت بإكمال الدين بعالم رباني ليس له مثيل، فالإمام عليه السلام هو القرآن الناطق، القادر على تطبيق العدالة للبشرية جمعاء.

أليس هو نور الله الأنور، وضيأؤه الأزهر^(١) وهناك فرق بين النور والضيأء كالفرق بين نور الشمس والقمر، فالشمس مضيئة والقمر منير؛ لأنه يعكس نورها بنسبة بسيطة، والشمس المضيئة هنا رسول الله ﷺ، ونورها الجلي علي عليه السلام! لكن ما معنى الأنور؟ وما معنى الأزهر؟

هنا يحق للملائكة أن تتعجب من

١- تهذيب الاحكام: ٤/ ٣٠٥، ثواب الاعمال / ٧٤.

٢- ظ: المناقب، ابن شهر اشوب: ١/ ٣٨٢.



المبحث الأول

حادثة الغدير بين التأصيل والتأويل

درجت الطبيعة الإنسانية على الاقتداء بمن يجسد الفضيلة والمبادئ، فكان لا بد لها من نماذج حية تعمل في تطبيقها وتعبئة القوى البشرية ودفعها للحركة والعمل، فكان رسول الله ﷺ، ذلك القدوة التي ذكرها الله في كتابه العزيز: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾^(١) ثم يأتي أثر الأئمة في تفعيل تلك القيم لتستمر في عطاءها الوجودي، وإلا بقيت على عمى الجاهلية والضلالة.

تتضح أهمية الإمامة في بعدها المعنوي فضلاً عن بعدها الاجتماعي في صلاح الناس والأخذ بأيديهم في ذات الطريق التي دعا إليها الرسول الكريم ﷺ في توجيه الإنسان إلى الطريق الصحيح، وإرشاده إلى أهمية القوى الكامنة فيه، وقدرته على تسخير الأشياء لخدمته، قال الله تعالى: ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً﴾^(٢)، ﴿سخر لكم ما في السماوات وما في الأرض﴾^(٣).

لما كانت الإمامة أصلاً من أصول الدين، فهي من الأمور التوقيفية التي يحددها الله تعالى حالها حال النبوة، انطلاقاً من أنها الامتداد الشرعي لها، فهي تبقى خارج الاختيار البشري؛ لارتباطها بأمر الدنيا والآخرة؛ لذلك فهي تخضع لشروط تنسجم مع هذا الشأن والمتضمنة الأخلاق الحميدة الفاضلة والفعاليات المتكاملة؛ لذلك من البدهي أن تكون النفس البشرية عاجزة عن إدراك كنه تلك الشخصية المتوازنة فهي بطبيعة الحال تخضع لعوامل نفسية شائكة تحول بينها وبين مصلحة العامة، لكن تلك الشروط حددها الله تعالى في كتابه العزيز وعلى لسان نبيه الكريم وهي أكثر من تحصى في مكان واحد: ﴿ولقد اخترناهم على علم على العالمين﴾^(٤).

وتأتي أهمية الغدير كونها من الوقائع التاريخية في مصير الأمة الإسلامية، بل أنها من أهم الحقائق الثابتة التي كثر الجدل حولها وتفسير مجرياتها، وقد ترتب علينا استحضار هذا المشهد التعبوي بإرادة ربانية وخطاب نبوي توجيهي نحو صلاح

١- سورة الأحزاب: ٢١.

٢- سورة البقرة: ٢٩.

٣- سورة الحاثية: ١٣.

٤- سورة الدخان: ٣٢.





مستقبل الأجيال، ورسم طريق الاستقامة لضمان الحياة الكريمة والمحافظة على الأمة من التفرق والتمزق وتضمينها الوئام والانسجام، لذلك فتلازم الواقعة بما جرى فيها من معطيات مادية وروحية يبدو واضحاً جلياً بين الرسالة المحمدية واستمراريتها لغرض بقاء القيم والمبادئ والأصول الهادفة لرعاية المسلمين.

إن مسألة التنصيب والاستخلاف هي مسألة عقلية ومنطقية وضرورة يستوجبها صيانة العقيدة والشرعية من الانحراف والتلاعب بعد رحيل النبي ﷺ إلى جانب استمرار دعوة الناس إلى الإيمان بالله وتوحيده وعبادته والاعتراف بنبوة محمد ﷺ، فكانت الدعوات الممنهجة التي اتبعتها رسول الله ﷺ في غير مكان رعاية لتلك المهمة وإشادة بكفاءة أمير المؤمنين علي عليه السلام في تفويضه خلفاً ووصياً في إدارة الأمور الدنيوية والأخروية.

وأشار رسول الله ﷺ في مواضع عدة، وقال في موارد شتى ومنذ الأيام الأولى لدعوته لتكون دلالات وتمهيدا

على الولاية والخلافة من بعده، وعلى المسلمين إطاعته والانقياد له، ولم يكن الأمر من الغموض حتى لا يفهمه البعض، بل كان من الوضوح حتى أيقنه الجميع عن طريق ردودهم وتعليقاتهم على أمير المؤمنين عليه السلام، وتُعطي انطباعات واضحة أنه وزيره وخليفته، مشيراً في قوله ﷺ في حديث الدار: «إنك خليفتي ووزير»^(١) كذلك حديث المنزلة بعدما خلفه على المدينة في غزوة تبوك «يا علي أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»^(٢)، وأشار في كونه المصلح لشؤون المسلمين في قوله ﷺ: «أنت تبين لأمتي ما اختلفوا فيه بعدي»^(٣)، وغيرها من الأحاديث التي جاءت من الوضوح على ولايته وتخصيصه من باقي المسلمين والشواهد كثيرة ذكرها المؤرخون والمحدثون والمفسرون في كتبهم تجعله رجل المرحلة ومتمماً للرسالة بعد رسول الله ﷺ، وهذا ما أكدّه سعد بن أبي وقاص حين أمره معاوية بن أبي سفيان بسبّ أبي تراب عليه السلام فردّ عليه قائلاً: أما ما ذكرت ثلاثاً قالهن رسول الله ﷺ

١- ابن عساکر، أبو القاسم علي بن الحسين (٥٧١هـ)، تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمري، دار الفكر، (لا. م - ١٩٩٥ م)، ٤٢ / ٥٦.

٢- ابن عساکر، تاريخ دمشق، ٤٢ / ٩٨.

٣- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (٧٤٨هـ)، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة، (بيروت - ١٩٦٣ م)، ٢ / ٣٢٨.



والفرصة كانت وما زالت مؤاتيه لممارسة حق الاجتهاد والاستدلال وابداء الرأي والنظر على أساس من الاحترام المتبادل والموضوعية مع المحافظة على الوحدة الإسلامية لملء الفراغات المعرفية ومحاولة علاج إشكالات مسائلها وتطوير ابحاثها بمزيد من الاهتمام والتعمق الذي ينصب في صالح الأمة.

وواقعة الغدير مشهد تاريخي له إيقاع عميق لا بد من ثبوته في أذهان المسلمين؛ لأنّ الواقعة لم تكن حادثة عابرة مجردة من الحثيات الملزمة لحياة الناس، بل كان به من الأبعاد الاجتماعية والسياسية والدينية الشيء الكثير، وهذا ما شهدناها بعد مقتل الخليفة الثالث وتسابق الناس على البيعة وكأنّها استفاقت بعد الغفلة، وعاد إلى الذاكرة خطاب النبي ﷺ، ولا بدّ لهذا الكلام من رسوخه في ذاكرة الأجيال عبر الأزمان، مع مجريات الحدث من تأكيد وتوضيح معالم دلالاته بقرائن تبين مراده وتكشف معانيه الذي رافقته، فمن الغريب أن يمر مرور الكرام من دون الوقوف عليه واستنطاقه، علماً أنّ الحديث لم تنكره الصحابة، فضلاً عن ذلك فإنّ

فلن أسبّه لأن يكون فيّ واحدة منهم أحب إليّ من حُمر النعم، وذكر له حديث المنزلة الآنف الذكر، وقد يفرض السؤال نفسه على معرفة الصحابة الجليلة بمقام الإمام لكن واقعهم يقول التخلي والافراط في جفاء الإمام ﷺ وغياب المساندة في الظروف العصيبة التي مرت في فترة خلافته وانعكاسها على تشييت الأمة ويبدو من كلام بن ابي وقاص الحسد والغيرة والثارات القديمة^(١) جعلهم يؤلون الأحاديث ويتخيلون أو يتصورون أنهم في مقام الإمام عن طريق ما قدموه من إنجازات على مستوى الفتوحات، فأعمالهم تضاهي ما أنجزه أمير المؤمنين في بدايات الدعوة، بل خيل لهم أنهم أعلى شرفاً لمن ينظر له من الجانب المادي.

ولما كان البحث يدور حول أهمية حادثة الغدير، فينبغي القول إنّّه من الأحاديث المتواترة عند الجميع على اختلاف مذاهبهم التي اكدت وبيّنت النص على الإمام علي ﷺ، بل امتاز بكثرة إسناده من الصحابة والتابعين، وقد يختلف آخرون في فهم هذه النصوص ودلالاتها في ضوء قواعد معينة لكل منطلقات دراسة الحديث،

١- وضح الإمام حقد ابن ابي وقاص عن طريق خطبته الشقشقية في قوله: «... وطرط إذ طاروا، فصغى رجل منهم لضغنه..» إشارة منه إلى سعد بن ابي وقاص. عبده، محمد، شرح نهج البلاغة، مؤسسة التاريخ العربي، (بيروت - د.ت)، ١/ ٣٧.



الخلافة بعد الإمام علي كانت للإمام الحسن عليه السلام هي دليل يؤكد ما سبق، إذن ما الذي جعل المدينة تأخذ وضع الخذلان آنذاك من الإمام ولا سيما وأن موضع غدِير خم^(١) أو «يوم الجحفة^(٢)» - كما ورد في بعض الأحاديث - من المواقع الإسلامية التي شهدت غير موقف من مواقف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد لُخصت في أئمتها:

وقوع الموضع في طريق الهجرة النبوية، أي كان طريقاً سالكاً.

كان طريق عودة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من حجة الوداع.

قيام بيعة الغدير «عهد الولاية».

والأبعاد هذه في مسيرة التاريخ الإسلامي تجعل الموقع معروفاً، وزاده شهرة حادثة تنصيب الإمام عليه السلام^(٣).

كانت الأحاديث الكثيرة التي أدلى بها

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تمهيداً لهم لقبول الإرادة الربانية وتقبل القيادة الحكيمة بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم والإقرار على خلافته، فكان منها حديث الثقلين الذي أخرجه الترمذي وكذلك النسائي عن ابن الطفيل عن زيد بن الأرقم: «..إني تارك فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله.. وعترتي أهل بيتي.. لن يفرقا حتى يردا علي الحوض كأصبعي هاتين..»^(٤)، ليفيدنا أن هاتين النعمتين: الكتاب والسنة المستودعة عند أهل البيت عليهم السلام، ما أن تمسكنا بهم لن نتيه في مهاوي الضياع والضلالة، ولأن الكتاب العزيز معصوم من الخطأ: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾^(٥)، فقد تكفل الله عز وجل بحفظه ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٦) لتبقى له عصمته فيعطي الغاية التي من أجلها

١- ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، (بيروت - ١٩٩٧م)، ٢ / ٣٨٩.

٢- عن زيد بن الأرقم حيث قال: «أقبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع حتى نزل بغدير الجحفة بين مكة والمدينة...» ينظر: الأميني، الغدير، (بيروت - د.ت)، ١ / ٣٦.

٣- الفضلي، عبد الهادي أغدير حَمَّ دراسة تاريخية وتحقيق ميداني، شبكة كتب الشيعة، دائرة معارف العلامة الفضلي، (لا.م - ٢٠٠٩م)، ١٣ - ١٤.

٤- الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك (ت ٢٧٩هـ)، سنن الترمذي، تحقيق: أحمد شاکر، مصطفى البابي الحلبي، (مصر - ١٩٧٥م)، ٥ / ٦٦٣، ح ٣٧٨٨؛ النسائي، أبو عبد الرحمن بن شعيب (ت ٣٠٣هـ)، السنن الكبرى، تحقيق: حسن عبد المنعم الشلبي، مؤسسة الرسالة، (بيروت - ٢٠٠١م)، ٧ / ٣١٠، ح ٨٠٩٢.

٥- سورة فصلت: ٤٢.

٦- سورة الحجر: ٩.



فيما أحببتهم وكرهتهم» فأنزل الله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾^(٤).

وورد في الإرشاد أن رسول الله ﷺ قبل خروجه من المدينة المنورة راسل الإمام وكان قد وجهه إلى اليمن وأمره أن يوافيه لمكة ويخبره بالتوجه مع جيش الإسلام ومن يطمح من أهل اليمن بالاشتراك في مراسم الحج^(٥)، فواصل الإمام مسيره قاصداً مكة ليحج معه وبصحبه الحلل التي اخذها من أهل نجران، سبق الإمام الجيش ليلتقي بالنبي ﷺ على مشارف مكة واستبشر بلقائه وقال له بم أهلت؟ فقال له يا رسول الله ﷺ: إنك لم تكتب إلي باهلالك ولا عرفته فعقدت نيتي بنيتك، وقلت إهلال كإهلال نبيك وسقت معي من البدن اربعا وثلاثين، فقال رسول الله ﷺ: الله اكبر وانا سقت معي ست وستين

نزل، وكذلك عصمة المسلمين المتمسكين به، ولما نص القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(١) فتلك دلالة واضحة إنّ الوحي معصوم لأنه من الله تعالى فلا بد إذن ان تكون السنة معصومة لأنها القائلة عنه^(٢).

وعن عطية السعدي، سألت حذيفة بن اليمان عن إقامة النبي ﷺ عليا يوم الغدير كيف كان، فقال: «أن الله أنزل على نبيه ﷺ في المدينة المنورة قوله تعالى: ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين﴾^(٣).

فقالوا: «يا رسول الله: ما هذه الولاية التي أنتم بها أحقّ منا بأنفسنا؟»

فقال ﷺ: «السمع والطاعة فيما أحببتهم وكرهتهم، فقلنا: سمعنا وأطعنا

١- سورة النجم: ٣-٤.

٢- الفضلي، غدير خم، ٥٠-٥١.

٣- سورة الأحزاب: ٦.

٤- سورة المائدة: ٧.

٥- يروى أن أهل اليمن قد دخلوا إلى الإسلام لكن بقيت بعض القبائل ومنها قبيلة همدان لم تدخل حظيرة الإسلام، فكان من رسول الله ﷺ أن بعث خالد بن الوليد إليها يدعوها إلى الإسلام وبقي حوالي ستة أشهر لم يستجيبوا لدعوته ويبدو انه كان عاجزا على استعمال القوة معهم لجرأتهم عليه فما كان من رسول الله ﷺ إلا وبعث عليا عليه السلام وأمر خالد بن الوليد أن ينضم إلى سريته ويكون تحت إمرته، أنجز الإمام المهمة واستكمل ما بقي من فتح بلاد اليمن منها بالقناعة والحجة وبعضها بالحرب كل ذلك في مدة قياسية تحسب لقيادته الحكيمة وبلاغته الكبيرة. للمزيد ينظر: الشيخ المفيد، الارشاد، ٦٦-٦٧.



فأنت شريك في حجي ومناسكي وهدبي فأقم على إحرامك وعد إلى جيشك وعجل به حتى نجتمع بمكة»^(١).

فدخل موكب النبي ﷺ مكة المكرمة تحف به الألوفا التي قدّرت على مائة ألف أو يزيدون فرحين مغبطين بهذا اللقاء الإيماني الذي لم يشهد تاريخ العرب مثيلاً له من قبل لأنه لقاء جمع عرب الجزيرة من جميع جهاتها تحت راية واحدة وبهدف واحد، ويبدو أن رسول الله ﷺ قد سبق وأعلن أنه عامه الأخير من عمره الشريف وهذا ما اثار حماس المسلمين ليحجوا معه ويتشفّوا بصحبته ويمشوا في قافلته وهم يرددون هتاف الرسالة ودعاء التلبية «لييك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك...»^(٢).

فكان رسول الله ﷺ قد خطب في هذه السنة أكثر من مرّة لبيّن للمسلمين أحكام الإسلام في الحج وغيره وضرورة الالتزام بها، ثم أشار إلى مصيره المحتوم

قائلاً: «لا ألقاكم بعد عامي هذا.. أن جبرائيل كان يعرض علي القرآن في كل عام مرة، وفي هذه السنة عرضه عليّ مرتين، وفي رحلة الحج نزل جبرائيل ﷺ فقال يا محمد أن الله يقرؤك السلام ويقول: «انصب عليا علماً للناس، فبكي النبي ﷺ حتى اخضلت لحيته وقال: يا جبرائيل إن قومي حديثو عهد بالجاهلية، وفيهم تنافس وفخر، ضربتهم على الدين طوعاً وكرهاً حتى انقادوا إلي، فكيف إذا حملت على رقابهم غيري.. ومتى أفعل هذا يقولوا فعل بأبن عمه»^(٣).

وكان ذلك التراجع والتردد في التبليغ لما كان من بطولات الإمام في المعارك المصيرية والتي قضت من دون شكّ قتل صناديد العرب ورؤسائهم وهذا جعلهم يتحاملون على الإمام ويكونون له كل ضغينة لاسيما وأن العرب يحملون مسألة الثارات محملاً عظيماً ولا يهدؤون إلا بالاقتصاص من قاتلهم وقد تصيب حتى الأجيال اللاحقة وهذا ما حصل لأهل

١- الشيخ المفيد، محمد بن محمد بن النعمان العكبري (ت ٤١٣هـ)، الارشاد، ط ٥، مؤسسة النبراس، (النجف الاشرف - ٢٠٠١م)، ٦٦-٦٧.

٢- الحسن، هاشم معروف، سيرة الأئمة الاثني عشر، ط ٧، منشورات الإمام الرضا ﷺ، (بيروت - د.ت)، ١/ ٢٤٥.

٣- الاسكافي، ابي جعفر محمد بن عبد الله المعتزلي (ت ٢٤٠هـ)، المعيار والموازنة في فضائل أمير المؤمنين ﷺ، تحقيق: محمد باقر المحمودي، (بلا.م - ١٩٨١م)، ١٠٩؛ البحراني، السيد هاشم بن السيد سليمان (١١٠٧هـ)، كشف المهم في طريق خبر غدير خم، تحقيق: مرتضى الشير الحسني الموسوي، ط ٢، مكتبة المعاجز للدراسات والتحقيقات الإسلامية، ٦٤-٦٨.



بيت النبوة على مر التاريخ، وتتضح المراجعة في التبليغ على لسان نبي الله موسى ﷺ في قوله تعالى: ﴿إني قتلت منهم نفساً فأخاف أن يقتلون﴾^(١)، هذا في حال قتل نفس واحدة فكيف بأمر المؤمنين وقتل ما قتل من زعماء قبائل قريش كل واحد منهم يحتمل المراجعة والتأخير في إظهار الشرف العظيم بولاية علي فكان شقيقاً عليهم من هذا الامتحان^(٢)، ويظهر هذا واضحاً في قول عثمان بن عفان لأمر المؤمنين: «ما ذنبي غذا لم يجبك قريش، وقد قتلت منهم سبعين رجلاً كان وجوههم سيوف الذهب».

وتأخر رسول الله ﷺ في التبليغ سائلاً جبرئيل ﷺ أن يسأل ربه العصمة من الناس فأتاه جبرئيل ﷺ في مسجد الخيف فأمره بأن يعهد عهده ويقيم علياً إماماً للناس يهتدون به، ولم يأت به بالعصمة من الله جل جلاله بالذي أراد حتى بلغ كراع الغميم بين مكة والمدينة، فأتاه جبرئيل وأمره بالذي أتاه فيه من قبل الله ولم يأت به بالعصمة، فقال: جبرئيل إني أخشى قومي أن يكذبوني ولا يقبلوا قولي في علي ﷺ [فسأل جبرئيل كما سأل بنزول آية

العصمة فأخبره ذلك] فرحل فلما بلغ غدير خم قبل الجحفة بثلاثة أميال أتاه جبرئيل ﷺ على خمس ساعات مضت من النهار بالزجر والانتهاز والعصمة من الناس فقال: يا محمد إن الله فأنزل الله تعالى: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس﴾^(٣)، على خطورة ما واجه رسول الله ﷺ من أذى المشركين وتحمله أعباء الرسالة على عظمتها وثقلها فما هو هذا الأمر الذي لم يبلغه وإذا لم يبلغ ما بلغ رسالته ويظهر أن الأمر كان من الخطورة بحيث احتاج إلى عصمة الله تعالى له والتكليف بتلك الشدة وذلك الإصرار الإلهي.

وفي طريقه من مكة إلى المدينة واصل الركب النبوي بعد انصرافه من حجة الوداع المسير ونزل في الجحفة وفي رمضاء الهجير: وقبل أن تتفرق الجموع المحتشدة كل إلى وجهة موطنه وبواديته، لأن الموضع كان مفترق الطرق المؤدية إلى المدينة المنورة وقبل وصوله إلى الغدير نزل جبرائيل بلقب «أمر المؤمنين» وأمر النبي ﷺ الصحابة بالتسليم عليه بالإمارة وبذلك

١- القصص: ٣٣.

٢- البحراني: ٦٩.

٣- المائدة: ٦٧.



يكون قد أخذ منهم الإقرار بإمرته ﷺ مقدماً^(١).

والنبي ﷺ إماما بين شجرتين من تلکم السمرات الخمس الذي غدا اليهن فصلی الظهر تحتهن^(٥).

وأمر النبي ﷺ - بعد صدور الأمر الإلهي - علياً بجمع من تبعه ولحقه ومن تخلف، فلما اجتمع الناس إليه أقام بغدير خم وهو ماء بين مكة والمدينة^(٢)، وذلك في ضحى اليوم الثامن عشر من ذي الحجة وكان رسول الله يرتجف خشوعاً وهو يقول: «.. لأمضين في أمر الله، فأنا يتهموني ويكذبوني فهو أهون علي من أن يعاقبني العقوبة الموجعة في الدنيا والآخرة»^(٣)، وبعد أن نزلت جموع القبائل منازلها وأخذت الأقوام أماكنها، ورغم تفاوت القوم في إيمانهم لكنهم أضحوا متلهفين بانتظار خطبة النبي الأكرم ﷺ.

ففي حديث زيد بن الأرقم: «أمر بالدوحات فقممن - أي كنسن - ما تحتهن من شوك ثم نادى: «الصلاة الجامعة»^(٤)، وبعد أن اصطفت الجموع للصلاة قام

وأكدت مواقف وأقوال الأئمة عليهم السلام على حادثة الغدير وعدّها قضية عقدية مهمة

١- المجلسي، بحار الأنوار، ٥١/٦.

٢- ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٤٢، ص ١١٤.

٣- الاميني، عبد الحسين أحمد، الغدير، ط ٤، دار الكتاب العربي، (بيروت - ١٩٧٧ م)، ٣٣/١.

٤- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي أكرم الشيباني الجزري (ت ٦٣٠ هـ)، الكامل في التاريخ، دار صادر، (بيروت - ١٩٦٥)، ١٥٥/٩.

٥- الاميني، الغدير، ٤٤/١.

٦- ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد الشيباني (ت ٢٤١ هـ)، مسند أحمد بن حنبل، تحقيق: أحمد محمود شاکر، دار الحديث، القاهرة - ١٩٩٥ م، ١٨/٢، ح ٩٤٩؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٤٢، ص ١١٤.

٧- المجلسي، بحار الأنوار، ٣٨٨/٢١.



زياد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: «سمعت علياً عليه السلام ينشد الناس بالرحبة: من سمع النبي صلى الله عليه وآله يقول: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، فقام اثنا عشر بديراً فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول ذلك»^(٤).

فروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «بني الإسلام على خمس: الصلاة، الصوم، الزكاة، الحج، والولاية، ولم ينأد بشيء مثل ما نودي بالولاية يوم الغدير، ثم أضاف عليه السلام في نقل آخر، فأخذ الناس بأربع وتركوا هذه - ويقصد الولاية -»^(٥).

وحاول كثير دحض تلك الحادثة، إما بإنكار وجود أمير المؤمنين في تلك الواقعة، أو التشكيك بالحديث أو بمن نقله^(٦) أو تضعيف ذيله ويفتي بكذبه في حين فسرها بعضهم على الرغم من

في الإسلام، فلجأوا إلى الاستدلال به على الإمامة الحقّة، وتثبيت قواعد الحكومة الإسلاميّة بعد النبي صلى الله عليه وآله، وعملوا على تمجيد كأكبر أعياد المسلمين^(١) بعد عيد الفطر والأضحى وحثّهم على تجليله ثم إحيائه والابتهاج به كذكرى عطرة إيمانية وتجديد ذكره في كل عام وعلى مر العصور، وهذا ما أكده وأقره الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ليعطي أهمية هذا اليوم بوصفه عيداً لعامة المسلمين؛ لأن فيه تمام الدين في محاوره بينه وبين اليهودي الذي قال له: عندكم آية لو كانت فينا لاتخذناها عيداً، قال ما هي قال: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم أتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾^(٢) قال: هي عيد نزلت في يوم عرفة في يوم الجمعة^(٣).

وورد حديث الغدير متواتراً عن أمير المؤمنين عليه السلام، بسنده عن يزيد بن أبي

١- الشيبيري، محمد جواد، تراثنا، غدير خم، نشرة فصلية تصدرها مؤسسة أهل البيت عليه السلام لإحياء التراث، بيروت، العدد الرابع (٢١)، السنة الخامسة / شوال ١٤١٠ هـ، ١٥.

٢- المائدة: ٣.

٣- البخاري، صحيح البخاري، ١ / ١٨.

٤- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (٤٦٣ هـ)، تاريخ بغداد، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، (بيروت - ٢٠٠٢ م)، ١٦ / ٣٤٨.

٥- الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق (٣٢٩ هـ)، الأصول في الكافي، الكتب الإسلاميّة (طهران - ١٣٨٣ هـ)، ٢ / ٢٨.

٦- ادعى وابن تيمية: «لم يذكره الثقات من المحدثين وعلى اعتبار ان دعا النبي مجاب وهذا الدعاء ليس بمجيب كون الناس في عهد الإمام كانوا على ثلاثة أصناف. تقي الدين أبو العباس أحمد (ت ٧٢٨ هـ)، منهاج السنة النبويّة في نقض كلام الشيعة القدرية، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة



اعترافهم بصحة الحديث لكثرة تواتره أن المقصود هو محبة وموالة الإمام وأهل بيته أو مناصرتهم أو الاتباع والقرب منهم^(١) ولم يقصد الخلافة والإمامة من بعده انطلاقاً من أن الكلمة يُتمل منها الاشتراك اللفظي في المعنى مع أن الذي يعين المعنى باستعمال القرينة، فاختلفوا في دلالة على الإمامة ووجه الاستدلال ان عبارة (مولي) تفيد الأولى استناداً إلى قوله تعالى ﴿مَأْوَاكُم النار هي مولاكم﴾^(٢) في حين يرى بعضهم: «أن المحبة والمناصرة خارجان عن مفاد اللفظ وهما غير مختص بالإمام وإنما هو شرع بين جميع المسلمين إذن فما وجه تخصيصه والاهتمام به.. وإن أريد ما ذكره فهي مخصوصة له تربو عن درجة الرعية كوجوب المتابعة وامثال الأوامر.. وهو معنى الحجية والامامة لا سيما بعد مقارنتها بقوله ﷺ: من كنت مولاه والتفكيك بينهما في سياق

واحد إبطال للكلام...^(٣)، في حين فسرها أبو حيان عن طريق قول الله تعالى: ﴿ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المتوكلون﴾^(٤) وقيل: «مالكنا وسيدنا فلهذا يتصرف كيف يشاء ويجب الرضا بما يصدر من جهته.. وعليه الذي قالوه معنى وليس بتفسير»^(٥).

فاتفق المؤرخون وعلماء الحديث أن حادثة الغدير كانت بعد رجوع النبي الأكرم ﷺ من مكة في الثامن عشر من ذي الحجة وكان معه من المسلمين ممن يسكن حول المدينة ومكة ما يقدر بمائة وعشرين، وشهدوا معه حجة الوداع وسمعوا منه الحديث^(٦).

و«هذا الاحتجاج لا يطابق المشهور فكثرة طرق الحديث ما يُطمئن إلى صحته بل هو متواتر عند أصحابنا وكذلك نص عليه جمع من علماء السنة لا يسع

الإمام محمد بن سعود الإسلامية، (السعودية - ١٩٨٦م)، ٥٥ / ٧.

١- الهيثمي، أحمد بن محمد بن علي السعدي (ت ٩٧٤ هـ)، الصواعق المحرقة على أهل الرافض والضلالات والزندقية، تحقيق: عبد الرحمن بن عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، (لبنان - ١٩٩٧م)، ج ١، ص ١٠٨.

٢- الحديد: ١٥.

٣- للمزيد ينظر: سبط بن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن (ت ٦٥٤ هـ)، تذكرة الخواص في خصائص الأئمة، (لهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية - بلا.ت)، ٣١؛ الاميني، الغدير، ١ / ٤٥٢.

٤- التوبة: الآية ٥١.

٥- أبو حيان، محمد بن يوسف (ت ٦٥٤ هـ)، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر (بيروت - ١٤٢٥ هـ)، ٤٣٣ / ٥.

٦- سبط بن الجوزي، تذكرة الخواص، ٢٨.



وبتعبير مختلفة، يروي الفخر الرازي في نفحات الأزهار زاعماً «ان الشيعة يزعمون أن رسول الله ﷺ قال هذا الكلام بغدير خم في منصرفه من الحج ولم يكن علي مع النبي ﷺ في ذلك الوقت فإنه كان في اليمن»^(٦)، وخبره هذا ينافي ما جاءت به الأحاديث الصحيحة لديهم وتحقق في كتب التواريخ المعتبرة فضلاً عن الآثار المشهورة الثابتة^(٧).

وأما التأويل الثاني هو التشكيك في الخبر وصحة حديثه وذلك في قولهم: «أما دعواهم العلم الضروري بصحته فهي مكابرة، لأننا نعلم أنه ليس العلم بصحته كالعلم بوجود محمد ﷺ وغزواته مع الكفار وفتح مكة وغيره ذلك من المتواترات، بل العلم بصحة الأحاديث الواردة في فضائل الصحابة أقوى من

إلى حصرهم، رواه الجهم الغفير عن الجهم الغفير ولا عبرة لمن حاول تضعيفه ممن لا إطلاع له في هذا العلم وصح عن جماعة ممن يحصل القع بخبرهم»^(١)، فقد «رواه أحمد بن حنبل من أربعين طريقاً، والطبري من نيف وسبعين.. وابن عقدة من مائة وخمس، وأبو سعيد السجستاني من مائة وعشرين... وغيرهم من أحصى إن له مائة وخمسين طريقاً...»^(٢) ونقله الحاكم النيسابوري بعدة طرق^(٣) وابن حجر العسقلاني قائلاً: «.. كثير من اسانيدھا صحاح وحسان»^(٤).

وبلغت أسانيد حادثة الغدير في كتب السنة فوق حد التواتر ليلبغ درجة اليقين وقد أحصى السيد موسى الصدر^(٥) رواة الغدير وأكدوا على صحته ورغم اعترافهم بوقوعه لكن تأويلهم جاء بصور مختلفة

- ١- ابن الجزري، أبي الخير محمد بن محمد شمس الدين، أسني المطالب في مناقب سيدنا علي بن ابي طالب، تحقيق: محمد هادي الاميني، مكتبة الإمام أمير المؤمنين، (أصفهان - بلا. ت)، ٤٨.
- ٢- للمزيد ينظر: الاميني، الغدير، ١ / ٢٠ - ٢١.
- ٣- الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٤٠٥ هـ)، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية (بيروت - ١٩٩٠ م)، ٣ / ١٠٩.
- ٤- ابن حجر العسقلاني (٨٥٢ هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، (بيروت - ١٣٧٩ هـ)، ٧ / ٦١.
- ٥- محاضرات القاها السيد موسى الصدر بمناسبة عيد الغدير في مركز الإمام موسى الصدر للابحاث والدراسات في سلسلة محاضرات موسومة بـ (غدير خم والاقتداء بعلي عليه السلام).
- ٦- الفخر الرازي، نفحات الأزهار وخلاصة عقبات الانوار، ٦ / ١٢٣.
- ٧- عن أنس بن مالك في صحيح البخاري أنه قال: «قدم علي رضي الله عنه علي النبي ﷺ من اليمن فقال بما أهللت قال بما أهل به النبي ﷺ فقال لولا أن معي المهدي لا حللت»، البخاري، صحيح البخاري، ٢ / ١٤٩؛ أما الهيتمي في الصواعق المحرقة فقال: «ولا التفات لمن قدح في صحته، ولا لمن رده بأن علياً كان في اليمن، لثبوت رجوعه منها وإدراكه الحج مع النبي ﷺ»، ١ / ١٠٧ - ١١٠.



لمسؤولون» وهنا يكون السؤال: ما هذا الأمر الذي يُسأل عنه رسول الله ﷺ عن تبليغه للناس وتُسأل عنه الأُمَّة في طاعتها له، ثم بعد إبلاغهم الأمر الإلهي يأمرهم ليلبغ الشاهد منهم الغائب.

العلم بصحة هذا الحديث، مع أنهم يقدحون بها، وإذا كان ذلك فكيف يمكنهم القطع بصحة هذا الحديث؟^(١)، في حين ذكر التفتازاني: «منع تواتر الخبر من مكابرات الشيعة، كيف وقد قدح في صحته كثير من أهل الحديث.. ويضيف لم ينقله المحققون أمثال البخاري ومسلم»^(٢).

ويرى علماؤنا الأعلام أن الله جل وعلا إذا فرض أمراً لا يجعل له مقدّمات وهذا ما نجده في حال أركان الإسلام، فهي نزلت مباشرة بفرضها على الناس، لكن الأمر يختلف في حادثة الغدير التي سبقت بترتيبات وتهيئة للنفوس ودلالات واضحة يدرك العارف أن إكمال الدين وتمام النعمة تمت بولاية الإمام علي عليه السلام، وذلك أن إلحاح النبي ﷺ بتنفيذ أمره على إرجاع من تقدم من المسلمين وإلحاق من تخلف ثم أوقفهم في تلك الصحراء التي تتلظى ناراً من شدة الحر ليتقوا منها بشياهم وعلى غير كلاً ولا ماء، فبعد أن نعى نفسه إليهم قائلاً: «يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب، وإني مسؤول وإنكم

١- الفخر الرازي، نهاية العقول في دراية الأصول، تحقيق: سعيد عبد الليف فودة، دار الذخائر، (بيروت - ٢٠١٥)، ٦٠٦.

٢- التفتازاني، سعد الدين مسعود بن عمر (ت ٧٩٣هـ)، المراصد على شرح المقاصد، دار الكتب العلمية، (بيروت - ٢٠٠١م)، ٢٧٢.



المبحث الثاني

أثر بيعة الغدير في وحدة الأمة

لغدير خم أهمية كبرى في وحدة الأمة الإسلامية وثباتها، فقد كان لها أثرها في توحيد صفوف المسلمين، وعلى الرغم من التناقضات التي حصلت في ذلك الوقت بشأن من يتولّى الخلافة بعد الرسول الأعظم ﷺ، إلا أن هذا اليوم يعد يوماً للإنسانية جمعاء، يوم الرحمة والألفة والمودة، لذلك كان عيد الله تعالى الأكبر والأعظم، فقال رسول الله ﷺ مخاطباً بُريدة بن الحصيب الأسلمي: ألسنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قلت: بلى يا رسول الله، فقال ﷺ: ((من كنت مولاه فعليّ مولاه))^(١).

ومن يدرس تاريخ يوم لغدير والحدث العظيم الذي وقع فيه سرعان ما يكتشف أن تخطيطاً إلهياً كان وراء هذا الحدث العظيم بدأ من اليوم الأول للدعوة النبويّة واكتمل في يوم الغدير الأغر الذي هو يوم إكمال الدين وتمام النعمة. عن أبي الفضل شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي، المتوفى سنة ١٢٧٠ هجرية، عن ابن عباس، قال: نزلت

الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ...﴾ في علي، إذ أمر الله سبحانه أن يخبر الناس بولايته، فتخوّف رسول الله ﷺ أن يقولوا حابى ابن عمه وأن يطعنوا في ذلك عليه، فأوحى الله تعالى إليه، فقام بولايته يوم غدير خم، وأخذ بيده، فقال رسول الله ﷺ: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه و عاد من عاداه»^(٢). وما أن أتمّ النبي صلى الله عليه وآله ما أمره الله عزّ وجلّ به حتى نزلت الآية المباركة: ﴿...الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا...﴾.

ويعد يوم الغدير ميثاقاً للوحدة الإسلامية، إذ تنطوي واقعة الغدير بعنوانها ميثاق هذه الأمة ودستورها على أهمية كبيرة، فقد شكلت مفصلاً تاريخياً مهماً في تاريخ الفكر الإسلامي، وأسس لمرحلة جديدة أكدت على الوحدة الإسلامية وتحريم كل ما من شأنه بث الفرقة بين المسلمين.

لذلك يعد يوم عيد الغدير هو يوم وحدة الأمة الإسلامية، فالإمام علي عليه السلام

١- لابن حنبل، فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، ٨٣: وما بعدها.

٢- الألوسي، روح المعالي، ٢/ ٢٨٢.



أطر وقوانين وسياسة خاصة، تنقذها من الضياع والهلاك.

إن العيد الواقعي، هو عيد الكمال الإنساني وعيد الأمة الموحدة. وكما يجسد هذا اليوم مظاهر الوحدة الإسلامية؛ فإنه في الوقت نفسه يغيظ اليهود والكفار لأنه لم يخصهم وخصّ المسلمين به، وفي هذه الظروف والمحن التي تمر بها الأمة الإسلامية، وهذا الأمر مرسوم رباني كلف به الرسول ﷺ للتبليغ وإتمام الرسالة الإلهية التي خص بها من دون غيره من الأنبياء.

قال حسان بن ثابت^(١):

بخم وأسمع بالرسول مناديا
فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا
ولم تلق منا في الولاية عاصيا:
رضيتك من بعدي إماما وهاديا
فكونوا له أتباع صدق مواليا
وكن للذي عادا عليا معاديا

الذي تربى في بيت النبوة وترعرع في أحضان النبي الأعظم ﷺ، لم يكن همه سوى سعادة الأمة الإسلامية ووحدة المسلمين والعمل بتوجيهات وأوامر القرآن الكريم في الاعتصام بحبل الله والاجتناب عن الفرقة والخلاف.

فكيف ذاك وهو صاحب القبة البيضاء، وأمام العدالة والبلاغة والفصاحة، سليل النبوة والفخر، فأماننا علي ﷺ فخر للبشرية جمعاء.

إذ إن مفهوم الغدير في حد ذاته هو بيان القيادة والمصلحة العامة للمسلمين بعد الرسول الأكرم ﷺ، وشديد الأمة وهدايتها إلى الطريق المستقيم، يضمن لها

يناديهم يوم الغدير نبيهم
فقال: فمن مولاكم ونيكم؟
إلهك مولانا وأنت نبينا
فقال له: قم يا علي؟ فإنني
فمن كنت مولاه فهذا وليه
هناك دعا اللههم؟ والوليه



الخاتمة

بدأت مخاوف رسول الله ﷺ من قريش واضحة عن طريق تأخير الخطبة التي تشير إلى ولاية الإمام ليين لنا مدى حجم قريش في المجتمع آنذاك حتى بعد انكسارها، وتجلي أكثر وضوحاً في اختيار الخلفاء فيما بعد ثم ترسخ لتفسح المجال لعودة الطبقة والعنصرية لتكون جزءاً لا يتجزأ من المجتمع الإسلامي.

بعد هذه الرحلة التي أردنا أن ننال بها شفاعته الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام توصلنا إلى ما يأتي:

ليوم الغدير أهمية كبرى في إكمال الدين القويم، فهو بداية عهد جديد لما جاء به الرسول الأكرم ﷺ.

هناك تأويلات كثيرة لبعض الألفاظ التي جاءت في الآية القرآنية، والأحاديث النبوية التي تضمنت ذكر هذه الواقعة، تذهب بعيداً عن المعنى الحقيقي لهذه الواقعة العظيمة.

في هذا اليوم تم ترسيخ القوانين والأنظمة والدستور الإلهي، الذي يضمن للإنسانية جمعاء حقوقها.

لواقعة الغدير أهمية كبرى في وحدة الأمة الإسلامية، على الرغم من اختلاف الرأي في نصّها.

على الرغم من تعرض الحادثة على طول الخط لمنع التدوين وحظر النقل ومحاوله تغييبها، لكنها بقيت تمثل التراث بمؤلفاته الضخمة التي عبرت بصدق عن معالم دلالته بإيراد نصّه الكامل المحفوظ بقرائن تبين مراده وتكشف أبعاد معانيه.





حديثُ الولاية عند أهل الولاية

م. د. عذراء حسن راضي العزاوي



جامعة واسط - كلية التربية للعلوم الإنسانية







الملخص:

يُعدُّ حديثُ الولاية في غديرِ خمٍّ من أقوى الأدلّة التي تنصُّ على أحقيّة الإمام عليٍّ عليه السلام بالخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو حديثٌ مشهور وثابت ومعلوم عند المسلمين كافّة، إلّا ما شدّد ونكر، وتباعد عن الحقِّ وقُهر، فقد أورده النبيُّ في يوم معروف أمام عشرات الألوف من الناس، عربيّة وأعجميّة، وهذا بذكر الروايات المثبّته في كتب العامّة والخاصّة، وهو حديثٌ فيه سرٌّ جلال الله تعالى، ومحوره الإمامة والزّعامة؛ لكي لا تُترك الأُمّة سُدى بعد وفاة المصطفى صلى الله عليه وآله، فواقعة الغدير من أهم الوقائع الإسلاميّة؛ لما فيها من ترسيم وتثبيت لمحاوَر هذا الدّين المجيد، ولأهميتها في تركيز الدّعائم والأهداف الرّساليّة، لكونها منطلقاً من آيات الإكمال والتبليغ في القرآن الكريم، فهي بلا شك بمنأى عن الشّك، والقدح والتّزوير التّحريف، فهي ميثاقُ ربانيّ، وتبليغٌ إنسانيّ، من خاتم الأنبياء الذي عنده علم الأولين والآخرين، والذي يقع على عاتقه حفظ هذا الدّين، فما كان عليه إلّا التبليغ، وحاله كحال المُمسك تردده في إبلاغ أمرٍ اعتادت رواسب الجاهليّة التّشكيك فيه؛ لاستحواذ الشّيطان عليها، لكنّه قطع معاذيرهم، وأسقط أهواءهم

المتهاكّة على الحكم، المُشبعة لرغباتهم الدّنيويّة، إذ صدح بالأمر الرّبانيّ، المخالف لنفوسهم وما تحمله من هوى، ولمعرفته بما يفيض من صدورهم من العداوة والبغضاء، على آل رسول الله صلى الله عليه وآله، إذ ختم الولاية لعليٍّ عليه السلام بختم الألوهيّة والنّبوة، وهذا ما لا ينكره إلّا منافق لا يؤمن بالله ورسوله. وفي هذا البحث أسلّط الضّوء على هذا التّبليغ، وعلى ما رووه أهل البيت «صلوات ربي وسلامه عليهم» فيما يخصّ هذا اليوم وتنصيب عليٍّ عليه السلام أميراً للمؤمنين فيه.



Abstract:

The hadeeth of guardianship in Ghadir Khumm is one of the strongest evidences that states that Imam Ali, peace be upon him, is entitled to the caliphate after the Messenger of God, may God's prayers and peace be upon him and his family. He had mentioned it on a well-known day in front of tens of thousands of people, Arab and non-Arab, and this is by mentioning the narrations proven in public and private books. In order not to leave the nation in vain after the death of the Chosen One, "may God bless him and his family and grant him peace", the event of Ghadir is one of the most important Islamic events; Because of its demarcation and fixation of the axes of this glorious religion, and because of its importance in concentrating the pillars and missionary goals, because it is based on the verses of completion and communication in the Holy Qur'an, as it is undoubtedly free from doubt, slander, forgery and distortion, as it is a divine covenant, and a human message, from the Seal of the Prophets who has it. The knowledge of the first and the last, and it is upon him to preserve this religion, so he had nothing but to convey it, and his

condition is like the case of the person holding his hesitation in informing something about which the pre-Islamic deposits used to cast doubt on him; Because Satan possessed them, but he cut off their excuses, and brought down their shabby whims on the ruling, which satisfied their worldly desires, as he proclaimed the divine command, which is contrary to their souls and what they bear of whims, and because of his knowledge of what overflows from their chests of enmity and hatred, against the family of the Messenger of God, "may God bless him and his family and grant him peace." As he sealed the mandate of Ali "peace be upon him" with the seal of divinity and prophecy, and this is what only a hypocrite who does not believe in God and His Messenger denies. In this research, I will shed light on this notification, and on what the Ahl al-Bayt narrated, "my Lord's prayers and peace be upon them," regarding this day and the appointment of Ali "peace be upon him" as the leader of the believers on it





بسم الله الرحمن الرحيم

الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، أَبِي الْقَاسِمِ مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ، وَسَلَامٍ عَلَى آلِ يَسَّ، عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ.

السَّلَامُ عَلَى حَامِلِ أَخْلَاقِ الْأَنْبِيَاءِ، وَصِفَاتِ الْأَصْفِيَاءِ، الَّذِي قَالَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى آدَمَ فِي عِلْمِهِ، وَإِلَى نُوحٍ فِي تَقْوَاهُ، وَإِلَى إِبْرَاهِيمَ فِي حِلْمِهِ، وَإِلَى مُوسَى فِي هَيْبَتِهِ، وَإِلَى عِيسَى فِي عِبَادَتِهِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى عَلِيٍّ))^(١).

السَّلَامُ عَلَى الْمُتَّقَى الْمُخْتَارِ عَوْنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَخِيهِ، وَوَزِيرِهِ، أُولِ الْقَوْمِ إِسْلَامًا، وَأَكْثَرِهِمْ إِيْمَانًا، وَأَشْجَعِ فِرْسَانِهِمْ إِقْدَامًا، الْكَرَّارِ غَيْرِ الْفَرَّارِ، سَيِّدِ الْأَوْصِيَاءِ، أَغْنَى الْأَغْنِيَاءِ نَفْسًا، نَصِيرِ الْفُقَرَاءِ قَوْلًا وَفِعْلًا، تَلْمِيزِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، الْعَالَمِ بِظَاهِرِ الْقُرْآنِ وَبَاطِنِهِ، صَاحِبِ اللَّيَاقَةِ وَالْكَمَالِ وَالْفَضْلِ، وَالتَّمْيِيزِ وَوَفُورِ الْعَقْلِ، بِالْدَّلَائِلِ وَالْبَرَاهِينِ، نَفْسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَحَامِلِ لُؤَاءِ تَابِعِيهِ.

وبعد:

يُعَدُّ حَدِيثُ الْوَلَايَةِ فِي غَدِيرِ خَمٍّ مِنْ أَقْوَى الْأَدْلَةِ الَّتِي تَنْصُرُ عَلَى أَحَقِّيَّةِ

الإمام علي عليه السلام بالخلافة بعد رسول الله ﷺ وهو حديث مشهور وثابت ومعلوم عند المسلمين كافة، إلا ما شذَّ ونكر، وتباعد عن الحقِّ وقُهر، فقد ذكره النبي ﷺ في يوم معروف أمام عشرات الألوف من الناس، عربيَّة وأعجميَّة، وهذا بذكر الروايات المثبتة في كتب العامة والخاصة، وهو حديث فيه سرٌّ جلال الله تعالى، ومحوره الإمامة والزَّعامة؛ لكي لا تُترك الأئمة سُدى بعد وفاة المصطفى ﷺ، فواقعة الغدير من أهم الوقائع الإسلاميَّة؛ لما فيها من ترسيم وتثبيت لمحاوَر هذا الدِّين المجيد، ولأهميتها في تركيز الدعائم والأهداف الرِّساليَّة، لكونها منطلقاً من آيات الإكمال والتبليغ في القرآن الكريم، فهي بلا شك بمنأى عن الشُّك، والقَدَح والتَّزْوِير والتَّحْرِيف، فهي ميثاق ربانيّ، وتبليغ إنسانيّ، من خاتم الأنبياء الذي عنده علم الأولين والآخرين، والذي يقع على عاتقه حفظ هذا الدِّين، فما كان عليه إلَّا التبليغ، وحاله كحال المُسك تردده في إبلاغ أمرٍ اعتادت رواسب الجاهليَّة التشكيك فيه؛ لاستحواذ الشَّيطان عليها، لكنَّه قطع معاذيرهم، وأسقط أهواءهم

١- المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال: ٣٤٤، والشَّيعة والسَّنة: ٧٤، وفُضائل الخلفاء للأصبهاني: ٥٩، ومناقب أمير المؤمنين علي لابن المغازلي: ٢٨١.



المتهاكة على الحكم، المشبعة لرغباتهم الدنيوية، إذ صدح بالأمر الرباني، المخالف لنفوسهم وما تحمله من هوى، ولمعرفته بما يفيض من صدورهم من العداوة والبغضاء، على آل رسول الله ﷺ، إذ ختم الولاية لعليٍّ ﷺ بختم الألوهية والنبوة، وهذا ما لا ينكره إلا منافق لا يؤمن بالله ورسوله.

والغدير واقعة ليست عابرة أو سطحية، بل هي إحدى الوقائع التي لها شأن في التاريخ الإسلامي، بل هي الأكبر عمقاً في مجرى الرسالة الإسلامية، والأكثر تأثيراً في سير خطها الطويل، المؤسسة للحكومة الإسلامية، المؤيدة من الله تعالى؛ لأن مسألة الغدير تتعلق بجوهر الرسالة السماوية، وتكملة الانجازات النبوية التبليغية، ففيها تمام الرسالة وكمال الدين^(١).

فهي لم تكن خطوة تزعم خارجي من الرسول ﷺ للإمام عليٍّ ﷺ، بل مسألة حجة تقام على البشرية؛ لكي تحيا الناس، أو تهلك عن حجة وبيّنة^(٢).

قال تعالى في سورة المائدة وهي آخر ما نزل من القرآن: ﴿الْيَوْمَ يَبْسُ الدِّينَ

كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعَمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٣).

إن آية الإكمال والإتمام هذه قد نزلت في مناسبة معروفة، وهي واقعة الغدير وهي واقعة متفق عليها سنة وشيعة من المؤرخين والمفسرين، وحادثة مشهورة تعرض لها علماء الكلام كثيراً، إذ عرض الشيخ الأميني ت (١٣٩٠ هـ) «رحمه الله» في موسوعته (الغدير في الكتاب والسنة والأدب) طرق ثبوت حديث الغدير في روايات السنة، وقد أنهى الرواة لذلك في طرقهم من الصحابة إلى مائة وعشرة، ومن التابعين إلى اثنين وثمانين، وأنهى رواته من علماء السنة، ومؤلفيهم طبقة بعد طبقة إلى ثلاثمائة وستين، موثقاً ذلك بالمصادر^(٤).

وقبل الخوض في هذه الآية المباركة لابد من الوقوف قليلاً عند معنى الكمال والتمام، والفرق بينهما. الكمال اسم لاجتماع أبعاد الموصوف به، ولهذا قال

١- يُنظر: الغدير والتأسيس لحكومة الإمام عليٍّ ﷺ في فكر المستشرقين (بحث): ٩٤.

٢- يُنظر: شرح خطبة الصديقة فاطمة الزهراء: ٦٥.

٣- سورة المائدة: آية ٣.

٤- يُنظر: موسوعة الغدير: ١/ ١٦١-٢٠٠، وفي رحاب العقيدة: ١/ ٢٣٢.



المتكلمون: العقل كمال علوم ضروريات يميز بها القبيح من الحسن، يُريدون اجتماع علوم، ولا يقال تمام علوم؛ لأن التمام اسم للجزء والبعض الذي يتم به الموصوف بأنه تام. ولهذا يقال: تمام البيت ولا يقال كمال البيت، ويقولون: البيت بكماله، أي: باجماعه، والبيت بتمامه، أي: بقافته^(١). وقد خاض الدكتور (فاضل السامرائي) في هذا الموضوع، عندما سئل في لقاء متلفز عن الفرق بين التمام والكمال، قائلاً: ((التمام نقيض النقص، والكمال هي الحالة المثلى تحديداً، وليس مجرد الاكتمال فقط أو سد النقص. الكمال تمام وزيادة. مثال: الإنسان إذا ولد تاماً. كل شخص له عينان يبصر بهما، ورجلان وفم. هذا تمام بغض النظر عن الكمال. هو تام من حيث الأعضاء، كل عضو يؤدي وظيفته هذا تمام وليس كمالاً؟ الكمال قد يكون واسع العينين، أحور، هذا شيء آخر، وهذا غير التمام. إذن الكمال هي الحالة المثلى والتمام نقيض النقص. النعمة يمكن أن يزيد عليها؛ لأن النعم لا تُحصى (وإن تعدوا نعمة الله لا تُحصوها) سورة إبراهيم: آية ٣٤. أما الكمال لا يزيد عليه، لأنه الحالة المثلى، والتمام يزيد عليه

الكمال (اليوم أكملت لكم دينكم) الدين لا يزيد عليه وهو الحال المثلى، لا يزيد عليه لا في سنة ولا غيرها، وضح كل شيء: السنن، والفروض. النعمة تزداد والكمال لا يزيد عليه فقال: (اليوم أكملت لكم دينكم)؛ لأن الدين لا يزيد عليه، وهذه هي الحالة المثلى. أما النعمة يزداد عليها، ولذلك في القرآن الكريم لم يستعمل مع النعمة إلا التمام لم يستعمل الكمال أبداً في جميع القرآن ﴿كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ سورة النحل: آية ٨١. و﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾ سورة الفتح: آية ٢، و﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ سورة المائدة: آية ٦، لأن النعم لا تنتهي ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾ يعطيك ما تحتاج من النعم ويسد حاجتك يتمها عليك، ولو أراد أن يزيدك فوق حاجتك لزدك. لذلك قال كمال الدين وتمام النعمة. كمال الدين لا يزيد عليه. أما النعمة يزداد عليها. إذن الكمال تمام وزيادة، وهي الحالة المثلى ولا يزداد عليها ولهذا من صفات الله تعالى الكمال ﴿الكمال لله وحده﴾^(٢).

في المقطع الكلامي السابق لهذا الإبلاغ في هذه الآية الكريمة أوامر إلهية بتحريم كثير من الأطعمة، فهي آية تشريع منتهية

١- يُنظر: الفروق اللغوية للعسكري: ٢٦٣.

٢- الكلام نُقل من لقاء تلفزيوني، برنامج (لمسات بيانية) على قناة الشارقة الفضائية



بتنصيبٍ على إكمال الدين، وإتمام النعمة، وهذا أمر بالغ الأهمية لا مجال لاقتطاعه، فالأوامر متناغمة في التأكيد على إكمال الدين وإلزام الناس بها، ولأن أحكامها الإلزامية يقع عاقبتها على إمام الأمة في حفظ الشريعة من الضلال والتحريف، وهذا ما يتوجب الإعلان عنه بذهاب سنن الجاهلية الغبراء، وإعفاء آثار الشرك، ويتم ذلك عن طريق إكمال الدين بإبلاغ أحكام الشريعة السمحاء، وصولاً إلى تحقيق يأس الكفار من هذا الدين العظيم بتنصيب الحافظ له، والمبين لحقائقه ودقائقه، والأمين على شرائعه، والعالم بمعاني قرآنه، والعارف بناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، والمُسدد والمُؤيد، المعصوم الذي لا يُخطئ، فيكون تحقق اليأس بعد وفاة رسول الله ﷺ، بتحريف هذا الدين أو التلاعب بأحكامه وإلقاء الشبهات حول حقائقه^(١).

الإمامة: هي الرئاسة والقيادة، أي: رئاسة عامة في أمور الدنيا والدين نيابة عن النبي ﷺ، وهي امتدادٌ مباشرٌ للنبوة لا تقبل الانفصال، فالإمام يمثل النبي بكلِّ مقوماته باستثناء تلقي الوحي، فمفهوم الإمامة يستوعب المرجعية الفكرية، والزعامة السياسية، والقيادة الدينية، والإمامة مقام رفيع ودليل ذلك أن الله «عزَّ وجل» بَسَّرَ إبراهيم بالإمامة بعد أن كان نبياً بقوله: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^(٢) فهي عهدٌ واختيارٌ إلهيٌّ لا انتخابٌ بشريٌّ^(٣). فالإمام هو المتقنى والمقتدى من البشر، لكلِّ البشر في تطبيق الأحكام السماوية^(٤). والإمامة هي استمرار نور النبوة؛ لحفظ الرسالة عن الإفراط والتفريط، فيها يكون بيان الحقيقة وبسطها على وجه الأرض، وإقامة العدل، وتطبيق كبريات الأمور على صُغرياتها، وهي من الواجبات المُجسدة لقانون الحق والعدل على وجه الأرض، فالنبوة عرض الحقائق لإنارة الطريق كقانون أساس يروي جميع أحاديث الكمال، لكن تغيير

عند سماع أو قراءة كلام عن تنصيب الإمام الحافظ لأوامر الله بعد رسول الله ﷺ، يستوقفنا التفكير والتأمل عن معنى الإمام؟ ماذا تعني الإمامة؟

١- يُنظر: الصحيح من سيرة الإمام علي: ٧/ ٢٤٢.

٢- سورة البقرة: آية ١٢٤.

٣- يُنظر: موسوعة الغدير: ١/ ٩١-١٠١.

٤- يُنظر: ليالي بيشاور: ١٤٩.



حضارة البشريّة، لتصبح عين الإسلام والسلام يتوقف على الإمامة في تأريخها الطويل^(١).

في السّنة العاشرة من الهجرة أعلن الرسول ﷺ، عزمه لحجّ بيت الله الحرام، وخطب خطبته المشهورة على جبل الرّحمة، التي حملت جميع القيم الإنسانيّة والدينيّة، وعندما قضى حجّه، وصار بغدير خمّ، وذلك يوم الثامن عشر من ذي الحِجّة، أمره الله تعالى بإظهار أمر عليّ عليه السلام، فخطب ﷺ في النّاس وأخبرهم أنّ جبرائيل (عليه السلام) هبط إليه ثلاث مرّات يأمره عن الله تعالى بنصب عليّ إماماً وولياً للنّاس إلى أن قال وسألتُ جبرائيل أن يستعفي لي عن تبليغ ذلك إليكم؛ لعلمي بقلّة المتقين، وكثرة المنافقين، وإدغال الآثمين، وختل المستهزئين بالإسلام، الذين وصفهم الله في كتابه بأنهم يَقُولُونَ بِالْأَسْمَاءِ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ، وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ، وكثرة آذاهم لي في غير موطن حتّى سموني أذنًا، وزعموا أنّي كذلك؛ لكثرة ملازمته إياي، وإقبالي عليه، حتّى أنزل الله عز وجل في ذلك قرآنًا ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾، إلى أن قال: ولو شئتُ

أَنْ أَسْمِيَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ لَسَمَّيْتُ، وَأَنْ أُوْمِي إِلَيْهِمْ بِأَعْيَانِهِمْ لَأُوْمَأْتُ، وَأَنْ أَدُلُّ عَلَيْهِمْ لَفَعَلْتُ، وَلَكِنِّي وَاللّهِ فِي أُمُورِهِمْ تَكْرَمْتُ، وَكُلُّ ذَلِكَ لَا يَرْضِي اللَّهَ مِنِّي، إِلَّا أَنْ أُبْلَغَ مَا أُنْزِلَ إِلَيَّ فِي عَلِيٍّ، فَاعْلَمُوا مَعَاشِرَ النَّاسِ أَنَّ اللَّهَ قَدْ نَصَّبَهُ لَكُمْ وَلِيًّا، وَإِمَامًا، مَفْتَرَضًا طَاعَتَهُ عَلَى الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَعَلَى الْبَادِيِّ وَالْحَاضِرِ، وَعَلَى الْأَعْجَمِيِّ وَالْعَرَبِيِّ، وَعَلَى الْخُرِّ وَالْمَمْلُوكِ، وَعَلَى الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ، وَعَلَى الْأَبْيَضِ وَالْأَسْوَدِ، وَعَلَى كُلِّ مُوَحِّدٍ، مَاضٍ حُكْمُهُ، جَائِزُ قَوْلُهُ، نَافِذُ أَمْرِهِ، مَلْعُونٌ مَنْ خَالَفَهُ، مَرْحُومٌ مَنْ تَبِعَهُ، وَمَنْ صَدَّقَهُ فَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِمَنْ سَمِعَ مِنْهُ وَأَطَاعَ لَهُ، ثُمَّ الْإِمَامَةُ فِي ذَرِّيَّتِي مَنْ وَلَدَهُ إِلَى يَوْمٍ تَلْقَوْنَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، مَعَاشِرَ النَّاسِ: مَا مِنْ عِلْمٍ إِلَّا وَقَدْ أَحْصَاهُ اللَّهُ فِيَّ، وَكُلَّ عِلْمٍ عُلِّمْتُ فَقَدْ أَحْصَيْتُهُ فِي إِمَامِ الْمُتَّقِينَ، وَمَا مِنْ عِلْمٍ إِلَّا عُلِّمْتُهُ عَلِيًّا، وَهُوَ الْإِمَامُ الْمُبِينُ، لَا تَضَلُّوا عَنْهُ، وَلَا تَنْفَرُوا مِنْهُ، وَلَا تَسْتَكْفُوا مِنْ وَلَايَتِهِ، فَاحْذَرُوا أَنْ تُخَالَفُوهُ فَتُضَلُّوا نَارًا وَقُودَهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أَعَدَّتْ لِلْكَافِرِينَ^(٢).

وروي عن عمر بن الخطاب أنّه قال: عندما كنتُ حاضراً في غدير خمّ، كان في

١- يُنظر: شرح خطبة الصّديقة: ٦١-٦٨.

٢- ينظر: الاحتجاج: ١/ ١٤٢-١٤٥، والصّحيح من سيرة الامام علي: ٧/ ١٣٠.



جنبني شاب حسن الوجه، طيب الريح، قال لي: يا عمر، لقد عقد رسول الله ﷺ عقداً لا يحلّه إلا منافق. قال عمر: فقلت يا رسول الله إنك حيث قلت في عليّ، كان في جنبني شاب حسن الوجه، طيب الريح، قال لي: يا عمر، لقد عقد رسول الله ﷺ عقداً لا يحلّه إلا منافق. فأخذ رسول الله ﷺ بيدي، فقال: يا عمر، إنه ليس من ولد آدم، لكنّه جبرائيل، أراد أن يؤكد عليكم ما قلته في عليّ^(١).

وروي عن النبي ﷺ أنّه قال لعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: يا عليّ، لا يحبك إلا من طابت ولادته، ولا يبغضك إلا من خبثت ولادته، ولا يواليك إلا مؤمن، ولا يعاديك إلا كافر. فقام إليه عبدالله بن مسعود، فقال: يا رسول الله، فقد عرفنا علامة خبث الولادة والكافر في حياتك ببغض علي وعداوته، فما علامة خبث الولادة والكافر بعدك إذا أظهر الاسلام بلسانه وأخفى مكنون سريره؟ فقال رسول الله ﷺ: يا بن مسعود، إن عليّ بن أبي طالب إمامكم بعدي، وخليفتي عليكم، فإذا مضى فالحسن، ثمّ الحسين، ابناي إمامكم

بعده، وخليفتي عليكم، ثمّ تسعة من ولد الحسين واحداً بعد واحد، أئمتكم وخلفائي عليكم، تاسعهم قائم أمّتي، يملأها قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً، لا يجهم إلا من طابت ولادته، ولا يبغضهم إلا من خبثت ولادته، ولا يواليهم إلا مؤمن، ولا يعاديهم إلا كافر، من أنكر واحداً منهم فقد أنكرني، ومن أنكرني فقد أنكر الله «عز وجل»، فوعزة ربي ما أنا متكلّف، ولا أنا ناطق عن الهوى في عليّ والأئمة من ولده، اللهم وال من والى خلفائي وأئمة أمّتي من بعدي، وعاد من عاداهم، وأنصر من نصرهم، وأخذل من خذلهم، ولا تُخل الأرض من قائم منهم بحجتك، إمّا ظاهر مشهور أو خائف مغمور، لئلا يطل دينك وحجتك وبيناتك، والسلام على من أتبع الهدى^(٢).

ومن الأحاديث الواردة في مسند أحمد أنّه ﷺ أخذ بيد عليّ رضي الله عنه بعد أن جمع الناس للصلاة بغدير، يقال له غدير خمّ - بضم الخاء المعجمة وتشديد الميم -، قال: ((ألستم تعلمون أي أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟)) قالوا: بلى، قال: ((اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال

١- ينظر: الاحتجاج: ١/ ١٦١، وليالي بيشاور: ٤٢١، والصحيح من سيرة الإمام علي: ٣٠٨/٧.

٢- يُنظر: الاحتجاج: ١/ ١٦٩-١٧٠،



من والاه وعادٍ من عاداه^(١)). وفي رواية أخرى أَنَّهُ ﷺ قَالَ: ((أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ قَدْ نَبَّأَنِي اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ أَنَّهُ لَمْ يَعْمَرْ نَبِيٌّ إِلَّا نَصَفَ عَمْرَ الَّذِي يَلِيهِ مِنْ قَبْلِهِ، وَإِنِّي لَأُظَنُّ أَنِّي يُوشِكُ أَنْ أَدْعَى فَأُجِيبَ، وَإِنِّي مَسْؤُولٌ وَإِنَّكُمْ مَسْؤُولُونَ فَمَاذَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟، قَالُوا: نَشْهَدُ إِنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ، وَجَاهَدْتَ، وَنَصَحْتَ، فَجَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا فَقَالَ ﷺ: أَلَيْسَ تَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ جَنَّتَهُ حَقٌّ، وَأَنَّ نَارَهُ حَقٌّ، وَأَنَّ الْمَوْتَ حَقٌّ، وَأَنَّ الْبُعْثَ حَقٌّ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا، وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ. قَالُوا: بَلَى نَشْهَدُ بِذَلِكَ. قَالَ ﷺ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ، ثُمَّ قَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ مَوْلَايَ وَأَنَا مَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَأَنَا أَوْلَى بِكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ، فَمَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا مَوْلَاهُ يَعْنِي عَلِيًّا، اللَّهُمَّ وَالْ مَنْ وَإِلَاهُ وَعَادٍ مِنْ عَادَاهُ^(٢)).

وعندما نادى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ يَوْمَ غَدِيرِ خَمٍّ، فَاجْتَمَعُوا فَأَخَذَ بِيَدِ عَلِيٍّ، فَقَالَ: (مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ)

فَشَاعَ ذَلِكَ وَطَارَ فِي الْبِلَادِ، وَبَلَغَ ذَلِكَ الْحَارِثُ بْنُ النُّعْمَانِ الْفَهْرِيُّ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَنَاحَ بِالْأَبْطَحِ، فَنَزَلَ وَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي مَلَأٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَمَرْتَنَا بِالشَّهَادَتَيْنِ، وَبِالصَّلَاةِ، وَبِالزَّكَاةِ، وَبِالصَّيَامِ، وَبِالْحَجِّ، فَقَبَلْنَا مِنْكَ، ثُمَّ لَمْ تَرْضَ حَتَّى رَفَعْتَ ابْنَ عَمِّكَ، فَفَضَّلْتَهُ عَلَيْنَا، وَقُلْتَ: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ. فَإِنْ كَانَ هَذَا مِنَ اللَّهِ فَحَدَّثْنَا، فَقَالَ: أَيُّ وَاللَّهِ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ. فَوَلِيَ الْحَارِثَ وَهُوَ يَقُولُ (إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأُطِرَ عَلَيْنَا حِجَارَةٌ مِنَ السَّمَاءِ أَوْ اثْنَا بِعَذَابِ أَلِيمٍ) فَمَا وَصَلَ حَتَّى رَمَاهُ اللَّهُ بِحَجَرٍ، فَسَقَطَ عَلَى هَامَتِهِ وَخَرَجَ مِنْ دُبُرِهِ فَقَتَلَهُ^(٣). فنزلت ﴿سَأَلُوكَ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾^(٤).

ولابد لنا من الوقوف عند معنى كلمة (مولى)، إذ وردت في كثيرٍ من المعاجم اللغوية وهي تحمل معنى الولي. قال الله عز وجل: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾^(٥).

١- الحسام المسلول على منتقضي أصحاب الرسول: ٤٧/١ - ٤٨.

٢- الصواعق المحرقة على أهل الرافض والضلال والزندقة: ١٠٨/١ - ١٠٩، ويُنظر: ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى: ٦٧، وكنز العمال (٩٧٥): ١٣/١٠٤ - ١٠٥، ١٣١، ١٥٧.

٣- يُنظر: المنتقى من منهاج الاعتدال: ١/٤٢٢، والجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي): ١٨/٢٧٨، ومجمع البيان في تفسير القرآن: ١٠/١٦٥.

٤- سورة المآثر: آية ١.

٥- سورة محمد: آية ١١.



معناه: لا ولي لهم^(١)، والمولى: المعتق والمعتق، والصاحب، والحليف، وابن العم، والناصر، والجار؛ كل هؤلاء من الولي وهو القرب. وكل من ولي أمر آخر فهو وليه^(٢). وقد تكرر ذكر المولى في الحديث، وهو اسم يقع على معان كثيرة، فهو الرب، والمالك، والسيد، والمنعم، والمعتق، والناصر، والمحِب، والتابع، والجار، وابن العم، والحليف، والعقيد، والصهر، والعبد، والمعتق، والمنعم عليه. وكل من ولي أمراً أو قام به فهو مولاه ووليه. وقد تختلف مصادر هذه الأسماء. فالولاية بالفتح، في النسب والنصرة والمعتق. والولاية بالكسر، في الإمارة. والولاء، المعتق والمؤالة من وإلى القوم. ومنه الحديث «من كنت مولاه فعلي مولاه» يُحمل على أكثر الأسماء المذكورة. وقول عمر لعلي «أصبحت مولى كل مؤمن» أي ولي كل مؤمن^(٣). والفرق بين المولى والولي، أن الولي يجري في الصفة على العان والمعين، تقول: الله ولي المؤمنين، أي: معينهم. والمؤمن ولي الله، أي: المعان بنصر الله عز وجل. ويُقال أيضاً: المؤمن ولي الله.

والمراد أنه ناصِر لأوليائه ودينه. ويجوز أن يُقال: الله ولي المؤمنين. بمعنى أنه يلي كلاءهم كولي الطفل المتولي شأنه، ويكون الولي على وجه منها، ولي المسلم الذي يلزمه القيام بحقه إذا احتاج إليه، ومنها الولي الحليف المعاهد، ومنها ولي المرأة القائم بأمرها، ومنها ولي المقتول الذي هو أحق بالمطالبة بدمه، وأصل الولي جعل الثاني بعد الأول من غير فصل من قولهم (هذا يلي ذلك ولياً)، وولاه الله كأنه يلي أمره ولم يكله إلى غيره، وولاه أمره وكله إليه. كأنه جعله بيده، وتولى أمر نفسه: قام من غير وسيطة. وولى عنه، خلاف والى إليه، وولى بين ريتين: جعل إحداهما تلي الأخرى. والأولى هو الذي الحكمة اليه ادعى، ويجوز أن يقال معنى الولي: أنه يحب الخير لوليّه، كما أن معنى العدو أنه يريد الضرر لعدوه^(٤). والمولى في حديث الولاية بمعنى الأولى، وأنه إنما أراد لعلي من الولاء عليهم ماله ﷺ من الولاء، وقوله قبل ذلك: «ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم» يُعْضَد هذا القول ويسنده^(٥). ولسطان الواعظين ت (١٩٧١)

١- يُنظر: الزاهر في معاني كلمات الناس: ١ / ١٢٤.

٢- يُنظر: مقاييس اللغة: ٦ / ١٤١، والمحكم والمحيط الأعظم: ١٠ / ٤٥٨.

٣- يُنظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٥ / ٢٢٨، ولسان العرب: ١٥ / ٤١١.

٤- يُنظر: الفروق اللغوية للعسكري: ٢٨٥.

٥- يُنظر: المنتقى من منهاج الاعتدال: ١ / ٤٦٦، والحسام المسلول على متقضي أصحاب الرسول:

٤٧ / ٤٨.



م رأي في المولى، إذ يراه الأولى بالتصرف في الأمر العام، وفي شؤون الإسلام^(١). وقد فهمت الصحابة من التولية ما فهمناه، حتى قال عمر حين استقبل علياً عليه السلام: طوبى لك يا علي! أصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة. وقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (أقضاكم علي) نص في الإمامة، فإن الإمامة لا معنى لها إلا أن يكون أفضى القضية في كل حادثة، والحاكم على المتخاصمين في كل واقعة؛ وهو معنى قول الله سبحانه وتعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٢). قالوا: فأولوا الأمر، من إليه القضاء والحكم^(٣). ومن يوم الغدير تعتمد الشيعة في الإمامة على لفظة (المولى)، وهذا ما لا يتوهمه أحد^(٤).

وبعد هذه الخطبة التي شهدها الداني والقاصي، والتي أخذ بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أمته موثقاً عظيماً، بتنصيبه علياً بعده، لتذهب روحه إلى بارئها أمانة مطمئنة، لم يلبث الأمر إلا أن اختلف، وتنازع القوم بينهم، فسرعان ما تناسوا كلام نبيهم، وحرصه على وحدتهم فانقلبَت الأمور، وسيطرت الأهواء بلا ارعواء

من رسول الله، وخوف من أمر الله، إذ اجتمعت الأمة على سلب علي حقّه، هذا ما ذكره الإمام علي والأئمة من ولده «صلوات ربي عليهم أجمعين» وقد أحتج أمير المؤمنين علي عليه السلام بأحقّيته بالخلافة، مناشداً أصحاب رسول الله، ومن شهد اليوم المجيد، عندما قالوا له فيما جرى في السقيفة (بايع أبا بكر). فقال عليه السلام: ((أنا أحق بهذا الأمر منه وأنتم أولى بالبيعة لي، أخذتم هذا الأمر من الأنصار واحتججتم عليهم بالقرابة من الرسول، وتأخذونه منّا أهل البيت غصبا، أنا أولى برسول الله حياً وميتاً، وأنا وصيّه، ووزيره، ومستودع سرّه وعلمه، وأنا الصديق الأكبر، والفاروق الأعظم، وأول من آمن به وصدّقه، وأحسنكم بلاءً في جهاد المشركين، وأعرفكم بالكتاب والسنة، وأفقهكم في الدين، وأعلمكم بعواقب الأمور، وأدربكم لساناً، وأثبتكم جناناً، فعلام تنازعونا هذا الأمر؟ أنصفونا إن كنتم تخافون الله على أنفسكم، وإلا فبوؤا بالظلم والعدوان وأنتم تعلمون، فلا علمت أن رسول الله ترك يوم غدير خمّ

١- يُنظر: لبالي بيشاور: ٤٢٧.

٢- سورة النساء: آية ٥٩.

٣- يُنظر: الملل والنحل: ١/ ١٦٤.

٤- يُنظر: رسالة في معنى المولى: ٤٠.



مواقفه الإسلامية المشرفة، موضعاً حبّ النبي له، ومُعَرِّفاً للناس بمنزلته، رامياً عليهم الحجج، إذ قال: ((وقد سمعتُ هذه الأئمة رسول الله ﷺ يقول ذلك لأي: أنّه مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه لا نبي بعدي، وقد رأوا رسول الله حين نصبه لهم بغدير خمّ، وسمعوه، ونادى له بالولاية، ثمّ أمرهم أن يُبلغ الشاهد منهم الغائب))^(٥).

وفي نصّ آخر ذكره الطبرسيّ ت (٥٤٨) هـ قال ﷺ: ((وتعجب يا معاوية أن سمّي الله من الأئمة واحداً بعد واحد، وقد نصّ عليهم رسول الله ﷺ بغدير خمّ، وفي غير موطن، واحتجّ بهم عليهم، وأمرهم بطاعتهم، وأخبر أنّ أولهم علي بن أبي طالب وليّ كلّ مؤمن ومؤمنة من بعده، وأنّه خليفته فيهم ووصيه... العجب منك يا معاوية ومن قلّة حيائك))^(٦).

وتذكر بعض الروايات أنّ الإمام الحسين ﷺ عندما حجّ قبل موت معاوية بسنة، كان قد جمع بني هاشم، ورجالهم، ونساءهم، ومواليهم، ومن الأنصار ممن

لأحد حجة، ولا لقائل مقالاً))^(١) وقد سُمِعَ عليّ ﷺ وهو ينشد الناس: من شهد رسول الله ﷺ يوم غدير خمّ وهو يقول ما قال؟ فقام ثلاثة عشر رجلاً فشهدوا أنّهم سمعوا رسول الله ﷺ وهو يقول: (مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيْ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَهُ)^(٢). وكانت الصديقة الزهراء «سلام الله عليها» حاضرة في غدير خمّ مع أبيها، ولذلك كانت بعد ما جرى في السقيفة تذكّر الناس بعهدهم، وبيعتهم يوم الغدير، فقالت: (أنسيتم قول رسول الله ﷺ يوم غدير خمّ: من كنت مولاه فعليّ مولاه)؟!^(٣).

أمّا الإمام الحسن بن عليّ «عليهما السلام» فقد ذكر ولاية أبيه يوم الغدير في خطبته بالناس عند محاججته لمعاوية، إذ قال بعد الحمد لله والثناء عليه، والشهادة بوحدانيته، ولمحمد ﷺ بالرسالة، ذاكراً آية التطهير التي خصّها الله تعالى بآل بيت النبوة والإمامة: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(٤). ذاكراً فضائل أبيه، مُعَدِّداً

١- الاحتجاج: ١/ ١٨٢ - ١٨٥.

٢- مسند احمد: ١/ ٤٤٢، وأسد الغابة: ٢/ ٣٦٢.

٣- الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء: ١/ ١٤٩.

٤- سورة الأحزاب: آية ٣٣.

٥- مسند الإمام المجتبى: ٣١٣.

٦- الاحتجاج: ٢/ ٦١.



عليه السلام والقول بإمامتهم، ودفع علي عن حقه، وجحد فضله، وأن لا يبالي بإعطائه واجب تعظيمه، فهذا هو القتل الذي هو تخليد المقتول في نار جهنم خالداً مخلداً أبداً، فجزاء هذا القتل مثل ذلك الخلود في نار جهنم))^(٣).

وأجاب الإمام الباقر عليه السلام رجلاً في مجلس أبيه شكك بمنزلة أمير المؤمنين علي من رسول الله «صلوات ربي عليهم» بأن تكون منزلته كمنزلة هارون من موسى، فقال عليه السلام مصرحاً بدعاء رسول الله له يوم غدير خم: ((يا عبد الله، ما أكثر ظلم كثير من هذه الأمة لعلي بن أبي طالب عليه السلام، وأقل إنصافهم له، يمنعون علياً ما يعطونه ساير الصحابة، وعلي أفضلهم، فكيف يُمنع منزلة يعطونها غيره؟ قيل: وكيف ذلك يا ابن رسول الله؟ قال: لأنكم تتولّون محبي أبي بكر بن أبي قحافة، وتبرؤون من أعدائه كائناً من كان، وكذلك تتولّون عمر بن الخطاب، وتبرؤون من أعدائه كائناً من كان، وتولّون عثمان بن عفان، وتبرؤون من أعدائه كائناً من كان، حتّى إذا صار إلى علي بن أبي طالب عليه السلام قالوا: نتولّى محبيه،

يعرفه، وأهل بيته، وأخذ يخطب فيهم بمنى خطاباً طويلاً، وناشدهم كثيراً في إثبات الإمامة لأبيه علي بن أبي طالب «صلوات الله عليه» وله إلى أن وصل إلى تذكيرهم بحادثة الغدير، موطن الشاهد إذ قال: ((أنشدكم الله أعلمون أن رسول الله ﷺ نصّب يوم غدير خمّ فنادى له بالولاية، وقال ليبلغ الشاهد الغائب، قالوا: اللهم نعم))^(١).

وقد أشار الإمام زين العابدين علي بن الحسين «عليهما سلام الله» إلى ولاية جدّه أمير المؤمنين عليه السلام وأحقّيته بالإمامة عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٢). إذ قال: ((عباد الله هذا قصاص قتلکم لمن تقتلونه في الدّنيا، وتفنون روحه، أولاً أنبئکم بأعظم من هذا القتل، وما يوجبّه الله على قاتله ما هو أعظم من هذا القصاص؟ قالوا: بلى يا ابن رسول الله. قال: أعظم من هذا القتل أن يقتله قتلاً لا يُجبر، ولا يحيا بعده أبداً. قالوا: ما هو؟ قال: أن يضلّه عن نبوة محمد ﷺ وعن ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام، ويسلك به غير سبيل الله ويغريه باتباع طريق أعداء

١- مسند الإمام الشهيد: ٩٦/٣.

٢- سورة البقرة: آية ١٧٩.

٣- الاحتجاج: ١٥٦/٢.



ولا نتبرأ من أعدائه بل نجبهم. فكيف يجوز هذا لهم، ورسول الله ﷺ يقول في عليّ "اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وأنصر من نصره، وأخذل من خذله" أفترونه لا يعادي من عاداه؟ ولا يخذل من خذله؟ ليس هذا بإنصاف))^(١).

ونُقل كثير عن مولانا أبي عبد الله الصادق عليه السلام بذكره ولاية جدّه أمير المؤمنين، وولده المُتَجَبِّين عليه السلام، منها قوله: «عرج النَّبِيِّ ﷺ إلى السَّماء مائة وعشرين مرّة، ما من مرّة إلّا وقد أوصى النَّبِيُّ ﷺ بولاية عليّ عليه السلام والأئمة من بعده أكثر مما أوصاه بالفرائض^(٢). وأجاب عليه عندما سُئل عن معنى قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٣). قال هو والله عليّ الميزان والصرّاط، وعن قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٤). قال آلَاء الله هي أعظم نعم الله على خلقه

وهي ولايتنا^(٥).

ونُقل عن الإمام أبي الحسن الكاظم عليه السلام قوله: «ولاية عليّ عليه السلام مكتوبة في جميع صحف الأنبياء، ولن يبعث الله رسولا إلّا بنبوّة محمد ﷺ ووصيته لعليّ عليه السلام^(٦). وأجاب عليه على سؤال أحدهم: لم سُمِّيَ عليّ عليه السلام بـ أمير المؤمنين؟ وكيف مال الناس عنه إلى غيره، وقد عرفوا فضله وسابقته ومكانته من رسول الله ﷺ؟ قائلا: سُمِّيَ عليّ عليه السلام بـ أمير المؤمنين؛ لأنّه يُمِيزهم العلم، أما سمعت قوله تعالى: ﴿وَنَمِيزُ أَهْلَنَا﴾^(٧). وإنّما مالوا عنه إلى غيره؛ لأنّه كان قد قتل آبائهم، وأجدادهم، وأعمامهم، وأخوالهم، وأقربائهم المحاربين لله ولرسوله عدداً كثيراً، فكان حقدهم عليه لذلك في قلوبهم فلم يحبوا أن يتولى عليهم، ولم يكن في قلوبهم على غيره مثل ذلك؛ لأنّه لم يكن له الجهاد بين يدي رسول الله ﷺ مثل ما كان له فلذلك عدلوا عنه ومالوا إلى غيره^(٨).

١- الاحتجاج: ٢ / ١٩١.

٢- مسند الإمام الصادق: ٣ / ٧.

٣- سورة الأنعام: آية ١٥٣.

٤- سورة الأعراف: آية ٦٩.

٥- يُنظر: مسند الإمام الصادق: ٣ / ٧-٨.

٦- مسند الإمام الكاظم: ١ / ٣٨٦.

٧- سورة يوسف: آية ٦٥.

٨- يُنظر: مسند الإمام الكاظم: ١ / ٣٩٧.



وقد احتجَّ الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، فيما يتعلّق بالإمامة عند اجتماع النَّاس في يوم الجمعة، وقد أداروا بينهم أمر الإمامة واختلاف الناس فيها، إذ دخل عليه أحدهم، وأعلمه بما تحدث الناس، فتبسّم، وقال عليه السلام: ((يا عبد العزيز، جُهل القوم وخُدعوا عن أديانهم، إنّ الله تبارك وتعالى لم يقبض نبيّه ﷺ حتّى أكمل له الدين، وأنزل عليه القرآن فيه تفصيل كلّ شيء، بيّن فيه الحلال والحرام، والحدود والأحكام، وجميع ما يحتاج إليه كاملاً، فقال عز وجل: (ما فرطنا في الكتاب من شيء)، وأنزل في حجة الوداع، وهو في آخر عمره (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً)، فأمر الإمامة من تمام الدين، ولم يمضِ ﷺ حتّى بيّن لأمتّه معالم دينهم، وأوضح لهم سبيلهم، وتركهم على قصد الحقّ، وأقام لهم عليّاً عليه السلام علماً وإماماً، وما ترك شيئاً تحتاج إليه الأمة إلّا بيّنه، فمن زعم أن الله عز وجل لم يكمل دينه فقد ردّ كتاب الله عز وجل، ومن ردّ كتاب الله فهو كافر))^(١). وقد أشار إلى مظلومية

جدّه أمير المؤمنين علي عليه السلام بسلب حقّه في الخلافة عندما بيّن لأصحابه أحقيّة ابنه الجواد عليه السلام بالإمامة بعده، إذ قال: ((من ظلم ابني هذا حقّه، وجحد إمامته من بعدي، كان كمن ظلم علي بن أبي طالب عليه السلام حقّه، وجحد إمامته من بعد محمد ﷺ))^(٢).

أمّا الإمام علي الهادي «صلوات ربي عليه» فقد كان كثيراً ما ينقل عن جدّه رسول الله ﷺ في كلامه مع النَّاس، إذ أجاب بكلام طويل في رسالته لأهل الأهواز حين سألوه عن الجبر والتفويض، نذكر موطن الشاهد في فضل أمير المؤمنين علي عليه السلام ومنزلته من رسول الله ﷺ، إذ قال: ((وجدنا رسول الله ﷺ قد أبانه من أصحابه بهذه اللفظة: «من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» وقوله ﷺ: «عليّ يقضي ديني وينجز مواعيدي وهو خليفتي عليكم بعدي»))^(٣).

وقد ذكر الإمام الحسن العسكري عليه السلام ولاية علي عليه السلام في السماء بنقله عن أبيه وجدّه وصولاً إلى رسول الله ﷺ، إذ قال:

١- الاحتجاج: ٢/ ٤٣٩-٤٤٠.

٢- مسند الإمام الجواد: ١٨.

٣- الاحتجاج: ٢/ ٤٨٩.

* - الفئام: الجماعة، وقيل الطائفة، هو مأخوذ من الفئام وهي كالقطعة من الشيء. يُنظر: العين: ٨/ ٤٠٥، وجهرة اللغة: ٢/ ٩٧٢، ومشارك الأنوار على صحاح الآثار: ٢/ ١٤٤.



أبي طالب عليه السلام، ثُمَّ إلى الأوصياء من ولده واحداً بعد واحد، أحيا بهم دينه، وأتم بهم نوره»^(٢).

ويتَّضح من هذه النصوص أن خلافة الإمام علي عليه السلام منصوص عليها تاريخياً بأدلة وبراهين واضحة كوضح الشمس في رابعة النهار، ولا يسوغ لأحد إنكارها بأدنى تشكيك أو قدح، وهو خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإن غضبوا حقه وأزالوه عن مقامه طيلة سنين عديدة^(٣).

وبهذا يكون تبليغ النبي وتنصيب الوصي في ذلك اليوم المميز إكمالاً لحلقات الدين، وحديث الولاية مثبتاً لأهل الولاية، رواه الجَم الغفير، والروايات الصحيحة كثيرة فيه، فلا طريق لمن يحاول تضعيفه من أصحاب الهوى والتعصب، والأحقاد والضغائن، الذين حاولوا انقاص قدره وإخساس حقه ولكن هيهات هيهات فهو ولي كل مؤمن ومؤمنة، وقد طاب من مولى رفيع المقام، سمو الشأن، عالي القدر، قد ملأت فضائله الخافقين، لمقامه التَّفخيم والتَّعظيم، فسلامٌ عليه يوم ولد، ويوم أُستشهد، ويوم يبعث حياً.

«يحدّثني أبي عن جدي عن الرضا عن أبيه عن آبائه عن علي عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن الله اختارنا معاشر آل محمد، واختار النبيين، واختار الملائكة المقربين، وما اختارهم إلا على علمٍ منه بهم: أنهم لا يواقعون ما يخرجون به عن ولايته، وينقطعون به عن عصمته، وينضمون به إلى المستحقين لعذابه ونقمته... فقد روي لنا أن علياً «صلوات الله عليه» لما نصّ عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالإمامة، عرض الله ولايته على فئام* وفئام من الملائكة فأبوها، فمسخهم الله ضفادع»^(١).

أمّا صاحب العصر والزمان الإمام محمد بن الحسن القائم المهدي «عجل الله فرجه الشريف» فقد أورد له الطبرسي كتاباً يرد فيه على ادعاء جعفر بن علي الإمامة دونه، مشيراً إلى إمامة جده أمير المؤمنين علي عليه السلام قائلاً: «... ثم بعث محمداً صلى الله عليه وآله وسلم رحمة للعالمين، وتَمَّ به نعمته، وختم به أنبياءه، وأرسله إلى الناس كافة، وأظهر من صدقه ما أظهر، وبَيَّن من آياته وعلاماته ما بيَّن، ثُمَّ قبضه صلى الله عليه وآله وسلم حميداً فقيداً سعيداً، وجعل الأمر من بعده إلى أخيه وابن عمّه ووصيّهِ ووارثهِ علي بن

١- الاحتجاج: ٥١٥/٢.

٢- الاحتجاج: ٥٣٩ / ٢ - ٥٤٠.

٣- يُنظر: لبالي بيشاور: ٥٥٢.



النُّبُوَّةُ التَّبْلِيغِيَّةُ، ففيها تمام الرِّسالة وكمال الدِّين.

٤- هناك فرق بين الكمال والتَّمام، فالكمال هو الحالة المثلِّي والتَّمام نقيض النَّقص. النِّعمة يمكن يُزاد عليها؛ لأنَّ النِّعم لا تُحصى، أمَّا الكمال لا يُزاد عليه، لأنَّه الحالة المثلِّي، والتَّمام يُزاد عليه الكمال.

٥- إنَّ الإمامة تعني: الرئاسة والقيادة، أي: رئاسة عامَّة في أمور الدُّنيا والدِّين نيابة عن النَّبي ﷺ، وهي امتدادٌ مباشرٌ للنُّبُوَّة لا تقبل الانفصال، فالإمام يمثل النَّبيَّ بكلِّ مقوماته باستثناء تلقي الوحي، فمفهوم الإمامة يستوعب المرجعيَّة الفكريَّة، والرَّعامة السِّياسيَّة، والقيادة الدِّينيَّة.

٦- معنى المولى: الأولى بالتَّصرف في الأمر العام، وفي شؤون الإسلام.

٧- ذكر الأئمة المعصومون حديث الولاية وواقعة الغدير واحداً بعد واحد، وقد احتجوا به كثيراً على أعدائهم، بالتَّصريح المُعلن أو الإشارة الخفيَّة عن طريق زيارة الإمام عليٍّ ﷺ في يوم الغدير.

وآخر دعوانا أن الحمد لله الذي جعلنا من المتمسِّكين بولاية عليٍّ بن أبي طالب «عليه صلوات ربي وسلامه»، والثابتين عليها إن شاء الله تعالى. وأن نكون من أصحاب بيعة الولاء المستمرة للإمام المهدي «عجل الله فرجه الشَّريف» فالميثاق مع إمام العصر والزمان من الهدايا القيِّمة في يوم الغدير.

نتائج البحث:

في هذه الرِّحلة البحثيَّة القصيرة ظهرت مجموعة نتائج مهمَّة، منها:

١- واقعة الغدير من أهمِّ الوقائع الإسلاميَّة؛ لِمَا فيها من ترسيم وتثبيت لمحاور هذا الدِّين المجيد، ولأهميتها في تركيز الدِّعائم والأهداف الرِّساليَّة، لكونها منطلقةً من آيات الإكمال والتبليغ في القرآن الكريم.

٢- يُعدُّ حديثُ الولاية في غدير خَمٍّ من أقوى الأدلة التي تنصُّ على أحقيَّة الإمام عليٍّ ﷺ بالخلافة بعد رسول الله ﷺ وهو حديثٌ مشهور وثابت ومعلوم عند المسلمين كافة.

٣- مسألة الغدير تتعلق بجوهر الرِّسالة السَّماويَّة، وتكملة الانجازات



المصادر والمراجع:

ت(٦٩٤)هـ، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٣٥٦ هـ.

● رسالة في معنى المولى، الشيخ المفيد ت(٤١٣)هـ، تح: الشيخ مهدي نجف، نشر المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ.

● الزاهر في معاني كلمات الناس، أبو بكر الأنباري ت(٣٢٨)هـ، تح: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢ م.

● شرح خطبة الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام، الشيخ محمد طاهر آل شبير الخاقاني، تنقيح: الشيخ كاظم النوراني، منشورات أنوار الهدى - قم، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ.

● الشيعة والسنة، إحسان إلهي ظهير الباكستاني ت(١٤٠٧)هـ، إدارة ترجمان السنة، لاهور - باكستان، الطبعة الثالثة، ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٩ م.

● الصحيح من سيرة الإمام علي (المرتضى من سيرة المرتضى)، السيد جعفر مرتضى العاملي، المركز الإسلامي للدراسات - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٣١/٢٠١٠.

● الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، أبو العباس الأنصاري ت(٩٧٤)هـ،

● القرآن الكريم.

● الاحتجاج، أحمد بن علي الطبرسي، تح: الشيخ إبراهيم البهادري، والشيخ محمد هادي به، دار الأسوة - قم، الطبعة السابعة، ١٤٣٠ هـ.

● أسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين ابن الأثير ت(٦٣٠)هـ، تح: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.

● الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، شمس الدين القرطبي ت(٦٧١)هـ، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٦٤ م.

● جمهرة اللغة، ابن دريد ت(٣٢١)هـ، تح: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧ م.

● الحسام المسلول على منتقصي أصحاب الرسول، محمد الحميري الشهير بـ «بخرق» ت(٩٣٠)هـ، تح: حسنين محمد مخلوف، مطبعة المدني - مصر، ١٣٨٦ هـ.

● ذخائر العقبى في مناقب ذوى القربى، أحمد بن عبد الله الطبري





- تح: عبد الرحمن بن عبد الله التركي - كامل محمد الخراط، مؤسسة الرسالة - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- العين، الخليل الفراهيدي ت(١٧٠) هـ، تح: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د.ط، د.ت.
- الغدير والتأسيس لحكومة الإمام علي عليه السلام في فكر المستشرقين (بحث)، كريم جهاد الحسّاني، مجلة دراسات استشرافية - العتبة العباسية - المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية - السنة الثالثة - العدد ٨ - ٢٠١٦ / ١٤٣٧.
- الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري ت(٣٩٥) هـ، تح: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، مصر، د.ط، د.ت.
- فضائل الخلفاء الأربعة وغيرهم، أبو نعيم الأصبهاني ت(٤٣٠) هـ، تح: صالح بن محمد العقيل، دار البخاري للنشر والتوزيع، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- في رحاب العقيدة، حوار مع ساحة المرجع الديني الكبير السيد محمد سعيد الطباطبائي الحكيم، دار الهلال، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢ / ١٤٢٣.
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، المتقي الهندي ت(٩٧٥) هـ، تح: بكري حياني - صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، لبنان، الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.
- لسان العرب، ابن منظور ت(٧١١) هـ، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، د.ت.
- ليالي بيشاور (مناظرات وحوار السيد محمد الموسوي الشيرازي)، تعريب: السيد حسين الموسوي، دار المحجة البيضاء - بيروت، الطبعة الخامسة، ٢٠٠٧ / ١٤٢٨.
- مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسن الطبرسي، تح: حامد الفدوي الأردستاني، المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية - قم، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ.
- المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده ت(٤٥٨) هـ، تح: عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل ت(٢٤١) هـ، تح: أحمد محمد شاكر، دار الحديث - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- مسند الإمام الجواد أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام،



- جمع وترتيب: الشيخ عزيز الله العطاردي، نشر عطارد- طهران، الطبعة الثانية، ١٣٩١هـ.
- مسند الإمام الشهيد أبي عبد الله الحسين بن علي عليهما السلام، جمع وترتيب: الشيخ عزيز الله العطاردي، نشر عطارد- طهران، الطبعة الثانية، ١٣٩١هـ.
- مسند الإمام الصادق عليه السلام، جمع وترتيب: الشيخ عزيز الله العطاردي، نشر عطارد- طهران، الطبعة الأولى، ١٣٨٦هـ.
- مسند الإمام الكاظم أبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام، جمع وترتيب: الشيخ عزيز الله العطاردي، نشر عطارد- طهران، الطبعة الثانية، ١٣٩١هـ.
- مسند الإمام المجتبى الحسن بن علي عليهما السلام، جمع وترتيب: الشيخ عزيز الله العطاردي، نشر عطارد- طهران، الطبعة الثانية، ١٣٩١هـ.
- مشارق الأنوار على صحاح الآثار، أبو الفضل عياض السبتي ت (٥٤٤)هـ، المكتبة العتيقة ودار التراث، د.ط، د.ت.
- مقاييس اللغة، ابن فارس ت (٣٩٥)هـ، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د.ط، ١٩٧٩م.
- الملل والنحل، أبو الفتح الشهرستاني ت (٥٤٨)هـ، مؤسسة الحلبي، د.ط، د.ت.
- مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ابن المغازلي ت (٤٨٣)هـ، تح: أبو عبد الرحمن تركي بن عبد الله الوادعي، دار الآثار - صنعاء، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣ م.
- المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال، شمس الدين الذهبي ت (٧٤٨)هـ، تح: محب الدين الخطيب، د.ط، د.ت.
- موسوعة الغدير في الكتاب والسنة والأدب، الشيخ عبد الحسين الأميني، تح: مركز الغدير للدراسات الإسلامية، مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلامي، قم / إيران، الطبعة الخامسة، ١٤٣٠ / ٢٠٠٩.
- الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء، إسماعيل الأنصاري الزنجاني، نشر دليل ما، قم، الطبعة الثانية، ١٣٢٩.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ت (٦٠٦)هـ، تح: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، د.ط، ١٩٧٩م.



المناقب الثمانون للولي

د. جنان الجعيفري







المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين، محمد ﷺ، وعلى أهل بيته الغر الميامين الطيبين الطاهرين، وبعد:

فإن الله (سبحانه) في سابق علمه وسعة رحمته خلق الخلق ليعرفهم نفسه؛ ولولا ذلك لم يعرف أحدٌ أحداً، ولما كانت المعرفة تقتضي إحاطة العارف بالمعروف والإحاطة بالذات الإلهية مستوحاة على ما قرّر في أدلة التوحيد، فخلق الله (سبحانه) خلقاً أقوياء قادرين على تلقي عنه أوامره وشؤونه ليوصلوها إلى من دونهم من الضعفاء من خلقه، فكان في مقدمة هؤلاء الأقوياء من الأوصياء الإمام علي ﷺ، إذ تميّز الإمام علي ﷺ بمناقب وفضائل لم تكن لأحد قبله ولا بعده، إذ كانت شخصيته ﷺ عقلاً نورانياً لا يشبه خلقاً جسدياً، فصل عن المركب الإلهي، واتّصل بالروح الإنساني فخلعه عن غاشيات الطبيعة وسما به الملكوت الأعلى، ونما به إلى مشهد النور الأجلّي، وسكن به غمار جانب التقديس بعد استخلاصه من شوائب التلبّيس^(١)،

بما روي عن الإمام جعفر بن محمد ﷺ في حديث أنه قال: (إنّ علياً ﷺ برسول الله شرف، وبه ارتفع... أمّا علمت أنّ المصباح هو الذي يهتدى به في الظلمة، وانبعث فرعه من أصله)، وقد قال علي ﷺ: (أنا من أحمد كالضوء من الضوء)، أمّا علمت أنّ محمّداً وعلياً (صلوات الله عليهما) كانا نوراً بين يدي الله (جلّ جلاله) قبل خلق الخلق بألفي عام، وأنّ الملائكة لما رأت ذلك النور رأت له أصلاً قد انشعب فيه شعاع لامع، فقالت: إلهنا وسيدنا، ما هذا النور؟ فأوحى الله (عزّ وجلّ) إليهم: هذا نور من نوري، أصله نبوة، وفرعه إمامة، أمّا النبوة فلمحمد عبدي ورسولي، وأمّا الإمامة فلعلي حجّتي ووليّ، الإمام علي ﷺ رمز الطهارة الفكرية والإنسانية، خلافة أنوار الرسالة المحمدية، قرآن الله (تعالى) الناطق، والثقل الثاني بعد كتاب الله (تعالى)، حبل الله المتين الممدود بين السماء والأرض، قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾^(٢)، يروي ابن هشام في السيرة: (سباق الأمة ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين: حزقيل مؤمن آل فرعون وحبيب النجار صاحب يس، وعلي بن أبي طالب رضي الله

١- ينظر: القصائد السمع العلويات: ١٠٤.

٢- الواقعة الآية: ١٠ - ١١.





الذي تطرقت فيه إلى بعض الأساليب منها: (الاستفهام، والشرط، والنداء، والأمر، والحوار، والنفي) وقد تكفلت جميعها بإظهار المناقب والمزايا التي تضمنتها الحديث المروي عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام التي انفرد بها عليه السلام عن الخلق أجمعين، وختمت الدراسة بتأنيج لعل من أهمها: مثل البناء في نصوص الشاعر على الشكل الذي يسهم باستثماره في إثبات حقائق ومسلّمات، أخبرت عنها كتب السير والتفاسير، فضلاً عن تواتر قضايا كان إلزام هذا البناء بتأكيد صحتها بحجّة نصوص من القرآن الكريم، والسنة النبويّة، والحق لو قلنا إن شعره بهذا الجانب، يعدّ وثيقة تاريخيّة مهمّة، لما جانبا الصواب، ورفدت هذه الدراسة بقائمة المصادر والمراجع.

عنهم)، ولولاه لما قام للإسلام قائمة، فقد استطاع بعلمه الموروث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وجهاده وتضحياته حفظ الرسالة وصون قيمتها وشرائعها وحدودها، يروي الشيخ المفيد في الأمالي، عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: (ديني دين رسول الله صلى الله عليه وآله وحسبي حسب رسول الله صلى الله عليه وآله، فمن تناول ديني وحسبي فقد تناول رسول الله صلى الله عليه وآله وحسبه)؛ لذا استقطب المؤمنون حبّ أمير المؤمنين عليه السلام؛ لأثره الفعّال في إصلاح المجتمع الإنساني إذعائاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾^(١)، ومن هنا جاءت هذه الدراسة الموسومة (المناقب الثمانون للولي في بيعة الغدير علي بن أبي طالب عليه السلام - البناء الشكلي للعلويات السبع أنموذجاً-)، وقامت الدراسة على: مقدمة ومبحثين، تناولت في المبحث الأول (البناء الشكلي للقصيدة) المطالع والمقدّمات: (الطلليّة، والغزليّة، والخمريّة، من دون مقدّمات)، ووصف الرحلة، والتخلّص، والخاتمة، هذا المنهج الذي حذا فيه الشاعر في بناء قصائده حذو المتأخر، أمّا المبحث الثاني (اللغة الشعرية) تناولت فيه الألفاظ الذي شمل: (الاقباس والتضمين، والتراث الأدبي)، والتراكيب



المبحث الأول / البناء الشكلي

خضعت القصيدة العربية الجاهلية، لمنهج فني حذا فيه المتأخر حذو المتقدم. وقد حظي هذا المنهج بعناية النقاد قديماً وحديثاً، ولعل أقدم محاولة لتفسير هذا المنهج البنائي للقصيدة هي محاولة ابن قتيبة عن طريق تحليله لقصيدة المديح بكل مكوناتها وعناصرها، وإيجاد الرابطة الفنية بين أجزائها: (المقدمة، والرحلة، والغرض)، إذ قال: (فالشاعر المجيد من سلك هذه الأساليب وعدل بين الأقسام، فلم يجعل واحداً منها أغلب على الشعر، ولم يطل فيمل السامعين، ولم يقطع بالنفوس ظمأ إلى المزيد)^(١).

ولو تأملنا البناء الشكلي عند الشاعر في قصائده العلويات، لوجدنا أنه يتبع المنهج التقليدي في نسج قصائده، إذ تألفت من:

المطلع

عني الشاعر بمطالع قصائده وأولاهها عناية كبيرة؛ لأنها (أول ما يقرع السمع

به ويستدل على ما عنده من أول وهلة)^(٢)، وهو بمنزلة مفتاح القصيدة، فالشعر (قفل أوله مفتاحه)^(٣)، والاستهلال الحسن لابد أن يكون له وقع حسن^(٤)، فيطرب الأسماع ويجذب إليه النفوس.

والحق، أن العناية بالمطالع يتأتى من طبيعة لوازم العمل الشعري، إذ يمثل نواة العمل الشعري وأساسه الأولي، وتمثل المطالع النوافذ أو الخطوط الرئيسة التي عن طريقها تنبثق تجربة الشاعر؛ لذا يرى النقاد ضرورة أن تستوفي معايير فنية خاصة، فالمطلع يعني البداية لما سيحدث في النص، والشاعر الحاذق هو الذي يحسن انتقاء المطالع بحيث يجعله حاملاً للفكرة التي يهدف إليها النص، ومعبراً عنها، مهما انعطف في قصيدته عن تلك الفكرة، أو الغرض الذي قيلت فيه القصيدة.

وقد سار الشاعر على القواعد التي سنّها النقاد العرب، إذ عدّوا الشاعر المجيد من سار على وفق هذه الأساليب^(٥)، ووصفوا الشعر أو الشاعر بالجودة.

١- الشعر والشعراء ١: ٧٥ - ٧٦.

٢- العمدة ١: ٢١٨.

٣- نفسه.

٤- ينظر: الشعر الجاهلي (خصائصه وفنونه): ١٢٧.

٥- ينظر: الشعر والشعراء ١: ٧٤ - ٧٥.





تأديتها غرضاً نفسياً كاملاً، بل أن بعض الشعراء اتخذوا من التماسك المعنوي مع مقاطع القصيدة، التي لا يتم معناها إلا بعد أن تستكمل القصيدة، بحيث تبدو تلك المطالع ركناً رئيساً في القصيدة بعد أن تستكمل قراءتها؛ وذلك لما فيها من مشاعر وقرائن تتداخل مع ما تثيره من مقاطعها وما تختص جزئياتها في تكوين المعنى، الذي يروم إليه الشاعر، وهذا ما نتلمسه في مطلع ابن أبي الحديد، إذ قال:

(الطويل)

إنَّ جودة المطالع تكشف عن وله الشاعر بفنّه وتأجج عاطفته، ويكون ذلك بيناً في المقدمات، أو عند ابتداء الشعراء قصائدهم التي تتناول العظام من الأمور أو النوازل الشديدة^(١)، فمطالع الطلل في قصائد الشعراء تكشف لنا نزعة الشاعر المتأصلة في التشبث بأطلاله، فتشأ بينهما علاقة وديّة تكشفها الصورة الفنية لمكونات الطلل، ورموز المكان، والذكريات الماضية، وهذا مما جعل الشعراء يحرصون على جودة مطالعهم في

ألا إنَّ نجدَ المجدِ أبيضُ ملحوبٌ

ولكنَّه جَمُّ المَهالكِ مرهوبٌ^(٢)

المقدمات

عني النقاد العرب — قديماً وحديثاً — بالمقدمة، في وصفهم منهج القصيدة العربية، — فتداولوها^(٣) مؤثرين إياها بالفسير والتحليل، بوصفها أحد أركان البنية الفنية والفكرية، ذاكرين أنواعها وتعدّد أشكالها، إذ (لم تتخذ شكلاً واحداً، بل تعددت أشكالها وتنوّعت صورها، لا في العصور التي تلت العصر الجاهلي،

فالشاعر هنا، يفتح قصيدته بـ(ألا) الاستفتاحية في تهيئة المشاعر عند المتلقّي، ليستوعب، إذ تحدّث الشاعر فيها عن توضيحات الإمام علي عليه السلام في وقعة خيبر، تلك الوقعة التي أنهت سيطرة اليهود، ويبدو أنّ الشاعر في هذا المطلع حقّق الترابط والانسجام مع مضمون القصيدة، وكأنّه أراد أن يرصد في المطلع موضوع قصيدته، استفتاح متعلّق بجوهر القصيدة ومضمونها.

١- ينظر: العمدة ١: ٢٣١.

٢- القصائد السبع العلويات: ٢١.

٣- ينظر: الشعر والشعراء ١: ٧٤.



أمام الفناء يتمخض عن شعور بالغربة، غربة الإنسان في مواجهة الزمان والمكان، فالأطلال ماضٍ والوقوف عندها اجترار للذكريات وحركة توقف الحاضر منه إلى المتلقي تعيد تشكيله في العمل الفني تشكيلاً يمتلك هذا الماضي ويسيطر عليه للتخلص من سيطرة ذلك الماضي على الذات وامتلاكه لها، فهو لم يرغب أن تصبح تلك الديار ساكنة لا حياة فيها، فالصمت المطبق عليها يمثل عند الشاعر نهاية لمبدأ الحياة، وما استنطاق الأحجار إلا رمز من رموز الرفض وترك الاستسلام وعدم الخضوع للصمت المريب، فالوقوف يتصل بما ترمز إليه هذه الأطلال، ترمز إلى الأهل والأحباب الذين هجروها، وإلى الحياة التي انقضت وحلّ مكانها الفناء؛ لذلك (أصبح الوقوف على الأطلال تقليداً فنياً وأخذ صورة نمطية، إذ افتتح كثير من الشعراء قصائدهم به)^(٤)، حتى أصبح استعماله أشبه باستعمال المثل، يتخذ الشاعر وسيلةً للتعبير عن أمور تتحالف صورها وأشكالها. ويتكرر سؤال الأطلال والاستفهام عن قدرة هذه الأطلال على الردّ أو الفهم، قال ابن أبي

بل في أول عهدها يوم أن أصل الشعراء الطليعة المبدعة في الجاهلية لقصائدهم مجموعة من التقاليد الفنية التي كان من أشهرها حرصهم على افتتاح مطولاتهم بالمقدمة الطللية أو الغزلية، أو مقدمة وصف الظعن، أو مقدمة الشباب والشيب، أو مقدمة وصف الطيف، أو مقدمة الفروسية^(١).

المقدمة الطللية

إنّ وقفة الشاعر على الأطلال ليست مجرد وقفة على آثار ودمن، وتذكّر الأهل الراحلين عنها، والذكريات الجميلة، والماضي والشباب، بل تعدّ هذه الوقفة (بداية المرحلة الشعورية التي تمرّ عن طريق أحاسيس الشاعر)^(٢)، إذ يستحضر الشاعر موهبته الشعرية، ويهيئ أفكاره التي تسهم في خلق الجو الشعري، تمهيداً لإبداعه وقدرته العالية على إطالة النفس والانتقال من لون لآخر فـ(مقدمة الطلل بكلّ صورها وألوانها تؤدّي وظيفة خلق هذا الجو الشعري الذي يمنح الشاعر القدرة على القول)^(٣)، وأنّ الوقوف على الأطلال وما يمثله من تجربة وجودية

١- مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الاول: ٢٥٦.

٢- وحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية: ٩.

٣- وحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية: ١٠.

٤- الأدب الجاهلي (قضايا، وفنون، ونصوص): ٣٦٦.



الحديد: (الكامل)

وسرت بليـل في عراصك خروجُ
إلا وأنـتَ من الأحبّة بلقـعُ
جون السحابـي فهي حـسرى ظلّعُ
صبري دُثورك مـذ محتـك الأدمعُ
حتى تبدّل فهو أنـكـدُ أشنعُ
فيه فيشفـعه ظلام أسفـعُ^(١)

يا رَسْمٌ لا رَسْمَتك ريح زعزع
لم أَلِفِ صـدري من فؤادي بلقعا
جارى الغـمام مدامعي بك فانثنت
لا يَمَحُكُ اهتـسن المـلثُ فقد محـا
ما تمَّ يومُك وهو أسعدُ أيمنـنْ
شروى الزمان يضيء صُبْحُ مسفرْ

بدليل ارتدادها وضعفه عن اللحاق بها، إلا أن الشاعر لم يقف صامتاً، فمضى بقلب مشتاق بالألا يمحو الغيث مجاري الدموع على الرسم المدرس، بعد أن كاد صبره ينفد لوعة على تلك الديار التي تغيرت من أيام سعد إلى نحس، وهنا جعل الشاعر الألم لفقدان الدار والحزن عليها متوافقاً مع الزمن الذي يبدأ بنور الصباح وينتهي بالظلام الدامس.

وإذا رأينا الشاعر يطيل في هذه الوقفة الطللية لتصل إلى أربعة عشر بيتاً، فإننا نجده في قصيدة أخرى يقتصر فيها بذكر الطلل على المطلع فحسب، إذ قال:

(الطويل)

ففي هذه اللوحة الطللية - التي نسج الشاعر خيوطها من الاتجاه الفني السائد في بناء القصيدة العربية -، اتّضحت قدرة الشاعر في استثمار العناصر المكوّنة للطلل، والتي استوعبت - بعمق - معاناته النفسية التي تكفل موضوع القصيدة (مدح الإمام علي عليه السلام) بمعالجتها.

وقد تمكّن الشاعر أن يُحدث لنا مفارقة معنوية عالية في مخاطبته للديار المدرسة، التي محت رسومها الرياح العاتية، إذ جفّ قلبه وخلا صدره عندما خلت الديار من الأحبة، ثم استرسل الشاعر واصفاً لنا حال وقوفه ليفاجئنا بمعنى تتعاطف معه النفوس وتتجذب نحوه، إذ قرن الأحياء للدار كالقلب للجسد، ونستدلّ من كثرة بكائه سباق مدامعه الغمام المطبق على تلك الديار،





جَلَلَتْ فَلَمَّا دَقَّ فِي عَيْنِكَ الْوَرَى

نَهَضَتْ إِلَى أُمِّ الْقُرَى أَيَّدَ الْقُرَى

ليدخل بعدها إلى غرضه في ذكر تعداد مناقب الإمام علي ٧ التي كانت فتح مكة محورا لها، ولعلَّ الحال النفسية التي صاحبت قول الشاعر، هي التي فرضت عليه عدم الإطالة في الوقفة الطليئة لهذه القصيدة على خلاف ما وجدناه في مقدمته آفة الذكر، فالشاعر مشغولٌ بذكر أحداث هذا الفتح، وتعداد مناقب الإمام علي ٧ والإشادة بدوره في مقاتلة الكفار؛ لذلك لم يلتفت إلى الإطالة في المقدمة والتشديد فيها، بل جعلها بيتاً واحداً، يبدو أن الشاعر وجد أن ذكر

الطلل استوعب أفكاره وأحاسيسه وما يريده من تكثيف المعنى وإيصاله للمتلقّي، أو لربّما يكون الطلل استدعاءً رمزياً للحادثة التاريخية، فالطلل زمانٌ ومكانٌ، وبذلك يتحوّل إلى مكان تاريخي يشحن زمن القصيدة بشحنة الزمن الماضي.

وترتبط هذه الذكريات والوقفة على الأطلال بظعن الأهل والأحباب، والشاعر عندما يقف على الأطلال يستحضر أمام عينيه واقعة الظعن وكأنّها واقعة لا ترتبط بالماضي، قال ابن أبي الحديد: (الطويل)

لَمِنْ ظَعْنٍ بَيْنَ الْغَمِيمِ وَحَاجِرٍ
شَبِيهَاتٍ بِيضَاتِ النِّعَامِ يَقْلُهَا
وَمِنْ دُونِ ذَاكَ الْخَدْرِ ظَبِيَّةٌ قَايِضٍ
تَنْوُوْءُ بِأَعْبَاءِ الْحَلِيِّ وَإِنَّمَا

بَرَّغَنَ شُمُوساً فِي ظِلَامِ الدِّيَاجِرِ
مِنَ الْعَيْسِ أَشْبَاهَ النِّعَامِ الْنَوَافِرِ
تُرِيْقُ دِمَاءَ الْمَشْبَلَاتِ الْخَوَادِرِ
لَتَضْعَفَ عَنِ لَمَحِ الْعُيُونِ النَّوَظِرِ^(١)

استحضر الشاعر في هذه اللوحة الطليئة صورة الماضي الذاهب، ذلك الماضي الذي يتّصل بالزمان والمكان ويرتبط بحفنة من العمر، يجدُّ الشاعر نفسه مدفوعاً إلى الحنين إليها، فيطيل النفس في وصفها ليعبر عما يعتلج بداخله

من هموم وما يلقاه من مصاعب تكفل موضوع القصيدة بمعالجته، مستثمراً إياه في تهيئة الشاعر عند المتلقّي، فالشاعر هنا يعيش بعد الراحلين عنه مواقف متأزمة، وحياته بعدهم موحشة، ونلمس إصراره بالتمسك بالراحلين مودته إليهم وتعلّقه





هذا الماضي ويسيطر عليه للتخلص من
سيطرة ذلك الماضي وامتلاكه لها.

المقدمة الغزلية

عرفَ الشعرُ العربيُّ هذا النوع من
المقدّمات منذ مراحلها الأولى، إذ وصف
الشعراء فيها محاسن المرأة الحسيّة
والمعنويّة، ورأى بعضهم - وهم يميزون
وصف عن آخر - أنّها تشييب ونسيب
وغزل، إلّا أنّ ابن رشيق القيرواني يرى -
متجاوزاً هذه التقسيمات - أنّها تقع تحت
عنوان عام هو (الغزل).

قال ابن أبي الحديد: (الكامل)

حَتّامٌ في شرع الهوى لا تعدلُ
وتضنُّ بالنزّ القليل وتبخلُ^(١)

أو الصفات الحسيّة التي تكوّن جزئيات
المقدّمة الغزليّة عموماً، بل يطوّع تلك
المعالجات للتعبير عن أثر الحبّ في نفسه،
فموقف الشاعر في هذه المقدمة الغزليّة ما
هو إلّا استجابة للموقف النفسي والحالة
الشعوريّة التي هو بها، ليدخل عن
طريقها إلى غرضه (المديح)، بغية التأثير في
المتلقّي وتفاعله معه وجدانيّاً.

بهم، وغرسته بعده، فهو لا يأبى للعذاب
في تلك الجنان النضرة، وهذا يعبر
عن الهروب من رموز الزمان والمكان
والبحث عن الرموز المصاحبة عن أحبته،
هذه الرموز التي يبحث عنها الشاعر
تقترب من نفسيته وحالته، ونلاحظ الصلة
بين الرحلة وموضوع القصيدة، فالحياة
الموحشة ومشاعر الحنين والشوق كلّها
ترمز إلى ما يكيف قضية التمسك بولاية
أمير المؤمنين^٧ وذكر مناقبه وصفاته من
هذه المشاعر، وبعد أن تأكّد الشاعر من
تهيئة هذه المشاعر في الرحلة، انتقل إلى
موضوع القصيدة فكانت مقدمته حركة
توقف الحاضر لتنتقل منه إلى الماضي،
تعيد تشكيل العمل الفني تشكيلاً يمتلك

يا ظالماً حكمتُهُ في مُهجَتِي
أنفقتُ عُمرِي في هَواكَ تَكرُماً

ففي هذه المقدمة - التي نسج
الشاعرُ خيوطها من الإرث القديم في
بيان جزئياتها وتشبيهاها - كثيرٌ من رموز
المرأة وألوانها، ذاكرةً هيامه وشدة شوقه
إليه، ولوعة الهجر والصدّ من محبوبته،
ومما يبدو أنّ معالجة الشاعر لمقاطعته
الغزليّة تكاد تكون أكثر استجابة للتعبير
عن الأثر النفسي، فهو لا يفتن بالملاح



المقدمة الخمرية

عرف الشعر العربي هذا النوع من المقدمات منذ زمن طويل، وتصدّرت (المقدمة الخمرية) قصائد كثيرة، منها قصائد الشعراء الشيعة في هذه الحقبة.

فقد وصف هؤلاء الشعراء الخمرة وأنواعها، وأثرها في شارها وقد تجتمع

فكّ الحبيس فعفروا
الصمت إجلالاً لمـ
غلط المجوس هي التبي
ما دار في خلد الزمان

في بنية المقدمة مجموعة رموز شعرية، وبين الرمز الأصيل والرمز البديل تقف التجربة الموضوعية والمناخ النفسي الناشئ عنها وطبيعة الشخصية والفنية عوامل حاسمة في الاختيار^(١)، وتمثل المقدمة الخمرية إحدى البدائل الرئيسة لذلك، قال ابن أبي الحديد (مجزوء الكامل):

في الترب تعفـ الحبس
ضعها القديـم بل الخرس
عبد المزمـم إذ درس
لها النظائر ولا هجـس^(٢)

ب- القصيدة المباشرة (من دون مقدمة)

هو نوعٌ بنائيٌّ يرتبط إلى حدٍّ ما بالموضوع، إذ (يهجم الشاعر على ما يريده مكافحة، ويتناوله مصافحة)، فلا يخضع فيها الشاعر إلى إطار معين من المعالجة الفنية، بل تكون له الحرية في اختيار النمط الذي يجده مناسباً للتجربة الشعرية، فيكون مدار القصيدة كلّ من افتتاح وموضوع محضاً لسرد حدث، أو وصف واقعة، أو تجسيد فكرة، يريد الشاعر إيصالها بأيسر الطرق وأوضحها.

من يقرأ هذه القصيدة يظن، في أول وهلة، أنّ الشاعر يتحدث عن الخمرة وقدمها، وعهد مولدها المجهول، ودنانها ومجالسها، وما تفعله لشارها، إذ تعترى السكران نشوة، وكأنّه يغيب عن عالمه إلى العوالم الأخرى، بيد أنّه كنّى بها عن المعرفة الإلهية، والحبّ الإلهي المتمثل في شخص الإمام علي عليه السلام؛ لذا يدعو إلى تناول الخمرة ببشر وسرور وإقبال، ليدخل إلى غرضه (مدح الإمام عليه السلام ووصفه) عبّر هذه اللوحة الفنية الشفافة التي تبعث في النفس أريجاً.

١- ينظر: دراسات نقدية في الأدب العربي: ٣٣.

٢- القصائد السبع العلويات: ٦٥.





إنَّ اختيارَ الشاعر للدخول المباشر إلى موضوعه، مرهون بطبيعة التجربة الفنيّة التي يكون الشاعر بصددّها، فضلاً عما يتناوبه من انفعالات وعواطف تسهم في الإسراع والمباشرة في التجربة الشعريّة، إذا ما أخذنا بالحسبان ما يحيط بالشاعر من أحداث ومواقف، لا تسمح له بالتأني والتأمل.

جَلَلْتَ فلماً دَقَّ في عَيْنِكَ الورى
نَهَضْتَ إلى أُمِّ القُرى أَيْدَ القُرى
جَلَبْتَ لها قُبَّ البُطُونِ وإنما
تَقوُدُ لها بالقوودُ أُمَّ حوكرَا
وَسُقْتَ إليها كُلَّ أسوقٍ لو بَدَتْ
لَه معفر ظَنَّتُهُ بالرَّمَلِ جُوذرا^(١)

فالقصيدُ - كما تبدو - مهيأة منذ البداية لوصف الواقعة، وما يلحق بها من مواقف سبقت المعركة، ويلحظ أنَّ الشاعر اتَّكأ في صياغة أبعادها على أسلوب القص الحكائي، الذي يعتمد العناصر الرئيسيّة من أحداث وشخصيات ومكان وزمان، فيسترسل الشاعر في وصف المعركة، ووصف القتال، والإشادة بالنصر الذي تحقّق بتدبير النبي محمد ﷺ، وشجاعة الإمام علي ﷺ، والذي كان سيفه أكثر راحة لرؤوس الأعداء من الكرى؛ لأنَّ السيف يريحها إلى الأبد، في حين يريحها الكرى لوقت قصير، ويبدو أنَّ الشاعر قصد هذا الأسلوب ليخلق عن طريقه تفاعلاً فكرياً ووجدانياً بينه وبين المتلقّي، وشدَّ انتباهه في استبيان مكانة الإمام علي ٧ وتضحياته في إرساء قواعد الاسلام، وتزامناً للحديث عمّا روي عن مولانا أمير المؤمنين ٧ بذكر مناقبه إذ قال ﷺ: (وَأَمَّا الثَّانِيَةُ والثلاثون فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى نَصَرَنِي بِالرَّعْبِ فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَنْصُرَكَ بِمِثْلِهِ



فجعل من ذلك مثل الذي جعل لي^(١)

وصف الرحلة (الناقة والصحراء)

يُعدّ هذا المقطع المرحلة الثانية في بنية القصيدة التقليدية، إذ يتخذ الشاعر سبيلاً يتوصل عن طريقه إلى غرضه الأساس، ومن المعلوم أنّ أغلب شعراء العربيّة قد استعان بصورة حمار الوحش وثور الوحش في تقديم صورة الناقة الأنموذج، الصلبة، والقوية، والسريعة، التي ألح عليها الهزال، ولكن لم يقعد بها عن السرعة، والتي تنافست فيها الفحول وازدحمت على الأتن إذ تتخذ أبعاد هذا المشهد عند الشاعر بضرب من الحبك القصصي في سرد الأحداث، ويكاد العمل الفني خلاهما يتخذ طابع الفروسية في السرد، إذ يهيئ مشهد الناقة للشاعر فرصة طرح ثلاثة أطر خلال تشبيه ناقته بثور الوحش أو النعامة تبعاً لنوعية التجربة عند الشاعر وخصوصيتها. ويبقى المحور الرئيس لوصف الناقة وربط

يا راكباً تمهوي به شَدْنِيَّةٌ

صورتها بصورة وحش الصحراء، وهو يخوض صراعه من أجل البقاء على أساس رغبة الشاعر في انتزاع نفسه من ذكريات الماضي المندثر لمواجهة الواقع وخوض ضروب النزاع المتاحة فيه، إذ كانت صورتها تخضع عند الشعراء — غالباً — لأجواء نفسية خاصة، فهي ليست وسيلة أو مرحلة تُوصل الشاعر إلى ممدوحه فحسب، بل هي مرحلة قائمة بذاتها، وهنا تفرض الحاجة النفسية عليه أن يذكرها في شعره، أو تصرفه عنها فينصرف عن ذكرها، وإنّ أهمّ ما يلحظ عند الشاعر في وصف مشاهد الرحلة بالنظر إلى النماذج التي بين أيدينا — أنّ وصفه للناقة جاء متّصلاً بالموضوعات التي تثيرها مقاطع المقدمة، والتي عن طريقها ينتقل الشاعر إلى غرضه الأساس، فلم يتخذ من صور الصراع التقليديّة التي وفرها الموروث الشعري أسلوباً فنياً يعتمد في معالجته لمكوّنات الرحلة في القصيدة، إذ قال (الكامل):

حرفٌ كما تمهوي حصاة من عل

بالقوّة والضخامة والضمور من كثرة

وصف ابن أبي الحديد مكونات ناقته



ومزج الشاعر بين جو الصحراء
والجو الحضري في وصف ناقلته السريعة
والقوية، التي من شدتها وصلابتها
تغوص أعماق الصحراء كما تغوص
السفن أمواج البحار، إذ قال (الكامل):

حتى تبوص على يديها الأرجل

باعه، وسعة قدرته في تنسيق الموضوعات
وربطها بعضها ببعض، إذ يتقل الشاعر
فيه من فن إلى آخر من غير أن يشعر
القارئ أو السامع لوقع ما بين الفنين من
امتزاج والتحام، بحيث يكون الانتقال من
المقدمة إلى الغرض الرئيس انتقالاً سلساً لا
يُشعر بأي انفصال أو انقطاع، وهو بذلك
أشبه بالاختيار لشاعريته وقدرته على البناء
وهذا ما أكدّه الحموي في أثناء حديثه عن
انتقال الشاعر في قصيدته (من المعنى
الأول إلا وقد وقع في المعنى الثاني لشدة
الممازجة والالتام والانسجام بينهما حتى
كأنهما أفرغا في قالب واحد)^(٢)، والحق
أنّ هذا التحديد هو ما اتَّفَق عليه أغلب
القدماء وتابعهم فيها المحدثون^(٣)، إذ قال:
(الطويل)

الأسفار ليؤكّد ولاءه لأهل البيت عليه السلام، إذ
شبه الشاعر ناقلته المنسوبة إلى أحد مواضع
اليمن بالسرعة، وقد بالغ في وصف تلك
السرعة، فيشبهها بالحصاة التي تسقط من
مكان مرتفع.

هوجاء تقطع جـوز تيارِ الفلا

وقد أسبغ الشاعر على ناقلته أوصاف
القوّة والضعف، والشدة والعنف في هذا
النص، وكذلك محاولته أن يصورها بصورة
سفينة الدهر التي تشقّ طريقها عبر فيافي
الصحراء الموحشة المهولة، وبهذا يكون
مقطعها خالصاً لوصف واستقبال تجربة
الشاعر وحديثه المباشر عن وصفه للإمام
علي عليه السلام وذكر مناقبه.

التخلص

ويُراد به الأسلوب الذي يتّبعه الشاعر
في الانتقال من معنى إلى آخر، وهذا
الانتقال الذي أطلق عليه النقاد^(١) (حسن
التخلص) أو (الخروج) رهن بحذق
الشاعر وقوّة تصرفه وقدرته وطول

١- البديع في نقد الشعر: ٦٠.

٢- خزانة الأدب ونهاية الإرب ١: ٣٩٩.

٣- ينظر: بناء القصيدة العربية: ٢٩١ - ٢٩٢.



أَلَمْ تَخْبِرِ الْأَخْبَارَ فِي فَتْحِ خَيْرٍ
وَقَوَّزُ عَلِيٍّ بِالْعُلَى فَوْزُهَُا بِهِ

فَفِيهَا لِذِي اللَّبِّ الْمَلْبِّ أَعَاجِبُ
فَكُلُّ إِلَى كُلِّ مُضَافٌ وَمَنْسُوبٌ^(١)

لجأ الشاعر - في تخلصه من المقدمة إلى الغرض الرئيس - إلى أسلوب الاستفهام، في تأكيد حقيقته تاريخية مهمة، إذ يشوق القارئ لمعرفة تلك الحقيقة، من دون وجود فاصل بين المقدمة وغرض القصيدة، فيذكر في وصف الإمام علي ٧ أن فوزه بالعلی، إذ المجد لا يدرك إلا بتجشّم الأخطار وتحمّ المهالك، وكأنّ الشاعر يريد إخبارنا بما اختصّ به الإمام من مناقب ذكرها في حديثه ١١٤١ إذ قال: (والخامسة أنّ رسول الله ﷺ قال لي: يا عليّ أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي، والسادسة أنّي كنت آخر الناس عهداً برسول الله ودليته في حفرته، والسابعة أنّ رسول الله ﷺ أنامني على فراشه حيث ذهب إلى الغار وسجاني ببرده، فلمّا جاء المشركون ظنّوني محمداً ﷺ فأيقظوني وقالوا: ما فعل

يا كرخ جاد عليك مدرار الحياء
إن كان جسمي عنك أصبح راحلاً
ما رمت بعدك بالمداين صبوة

صاحبك؟ فقلت: ذهب في حاجته فقالوا: لو كان هرب لهرب هذا معه، وأمّا الثامنة فإنّ رسول الله ﷺ علّمني ألف باب من العلم يفتح كلّ باب ألف باب ولم يعلم ذلك أحداً غيري، وأمّا التاسعة فإنّ رسول الله ﷺ قال لي: يا عليّ إذا حشر الله عزّ وجلّ الأولين والآخرين نُصب لي منبر فوق منابر النبيين، ونُصب لك منبر فوق منابر الوصيين فترتقي عليه، وأمّا العاشرة فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: يا عليّ لا أعطى يوم القيامة إلاّ سألت لك مثله^(٢).

وفي بعض الأحيان نجد أنّ الشعراء في التخلّص أو الانتقال يعمدون إلى وصف المواضع والأماكن التي تركت في نفوسهم أثرها، وهذا ما نتلمسه في تخلص ابن أبي الحديد، إذ قال: (الكامل)

وسقى ثراك من الرّواعد مُسْبِلُ
كرهاً فقلبي قاطن لا يرحلُ
إلاّ ثني الثاني هَواك الأول^(٣)

١- القصائد السبع العلويات: ٢٢.

٢- السيرة النبوية ٧: ١٣٤.

٣- القصائد السبع العلويات: ١١٣.





الخاتمة بأن (يكون ما وقع فيها من الكلام كأحسن ما اندرج في حشو القصيدة، وأن يتحرّز فيها من قطع الكلام على لفظ كربه أو معنى منفر للنفس عما قصدت إمالتهإليه... وإنّا وجب الاعتناء بهذا الموضوع؛ لأنّه منقطع الكلام وخاتمته، فالإساءة فيه معفية على كثير من تأثير الإحسان المتقدّم عليه في النفس، ولا شيء أقبح من كدر بعد صفوة...) (١)، وفضّلوا جودة القطع، وامتدحوا صاحبه؛ لذا يرى أبو هلال العسكري (أن يكون أجود بيت في القصيدة وأدخل في المعنى الذي قصد له الشاعر في نظمها... أو أن يتضمّن حكمة أو مثلاً سائراً، أو تشبيهاً حسناً) (٢)، أمّا حازم القرطاجني فيرى (أن يكون الاختتام في كلّ غرض بما يناسبه فيكون بمعانٍ سائرة فيما قصد به التهاني والمدائح، وبمعانٍ موسية فيما قصد به التعازي والرثاء، كذلك أوجب أن يكون اللفظ فيه مستعذباً والتأليف جزلاً متناسباً) (٣)؛

حقّق الشاعرُ تفوقاً بتخلصه من مقطع الغزل إلى غرض الوصف، فجاء مناسباً مع الأجواء النفسية للشاعر لعموم القصيدة، في حديثه عن الذات وما تحمل من هموم وشوق لتتناسب مع حديثه في وصف الإمام علي عليه السلام ومدحه.

الخاتمة

عُني القدماء بالمقاطع أو خواتم القصائد عنايتهم بالمطلع، وقد أطلقوا عليها (حسن الخاتمة) (١) ويقصد بها: الانتهاء أو (القفل) (٢)، ونظروا إليها من الزاوية نفسها التي نظروا إليها للمطالع من حيث العناية بالسامع أو المتلقّي؛ لأنّها (آخر معنى يبقى في الأذهان) (٣) وسيله أن يكون مُحْكَمًا: لا يمكن الزيادة عليه، ولا يأتي بعده أحسن منه، وإذا كان أول الشعر مفتاحاً له وجب (أن يكون الآخر قفلاً عليه) (٤)، وقد وضع النقاد القدماء والمحدثون (٥) شروطاً يجب أن تتوافر في

١- الوساطة بين المتنبي وخصومه: ٤٨.

٢- العمدة ١: ٢٣٩.

٣- منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ٣٠٦.

٤- العمدة ١: ٢٣٩.

٥- ينظر: بناء القصيدة العربية في النقد القديم في ضوء النقد الحديث: ٢٢٩.

٦- منهاج البلغاء: ٢٨٥.

٧- كتاب الصنائع: ٤٦٣.

٨- منهاج البلغاء: ٣٠٦.



لذا أولى الشاعرُ عنايةً كبيرةً وواضحةً في خواتيم قصائده، فجاءت منسجمةً ومناسبةً للموضوع الذي من أجله قد نظمها، إذ قال (الكامل)

صلى عليه الله ما اكتسبت الربى برداً بأيدي المعصرات تحاك^(١)

اختتمَ الشاعرُ قصيدته في وصف الإمام علي عليه السلام بخاتمة دعائية، إذ استمطر الصلوات على الإمام عليه السلام مادامت الروابي تكتسي برداً تحوكه السحاب الماطرات، ويبدو أن خاتمة القصيدة جاءت مطابقة

لآراء النقاد، إذ استوحاها من أجواء المناسبة التي أنشد فيها قصيدته المدحية. وفي قصيدة أخرى جاءت الخاتمة ولائية تنمُّ عن صدق الولاء والمعتقد، إذ قال: (الطويل)

سأمنحكُ مني مودةً وامقٍ يَغضُّ قلى عن غيركم طرف هاجر^(٢)

في هذه الخاتمة نجده صوتاً متوسلاً بالإمام علي عليه السلام والأئمة الأطهار بأن يتقبلوا منه ولاءه، ومودته التي لا يمنحها لغيرهم أبد الدهر، وهنا يلفت الشاعر أنظارنا إلى حقيقة مهمة وهي الشفاعة المطلقة لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام وللأئمة المعصومين عليهم السلام، وهذا ما يؤكده ما جاء من قوله: (وأما الخامسة والعشرون فإنني سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله يقول: الجنة محرمة على الأنبياء حتى أدخلها أنا، وهي محرمة على الأوصياء حتى تدخلها أنت يا علي، إن الله تبارك وتعالى بشرني فيك ببشرى لم يبشر بها نبياً قبلي، بشرني

بأنك سيد الأوصياء، وأن ابنك الحسن والحسين سيذا شباب أهل الجنة يوم القيامة، وأما السادسة والعشرون فإن جعفرأخي الطيار في الجنة مع الملائكة، المزين بالجناحين من در وياقوت وزبرجد، وأما السابعة والعشرون فعلمي حمزة سيد الشهداء في الجنة، وأما السابعة والستون فإن رسولَ الله صلى الله عليه وآله أمر أن أدعى يأمرة المؤمنين في حياته وبعد موته، ولم يطلق ذلك لأحد غيري، وأما الثامنة والستون فإن رسولَ الله صلى الله عليه وآله قال: يا علي إذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطنان العرش: أين سيد الأنبياء؟ فأقوم، ثم ينادي أين

١- القصائد السبع العلويات: ٥٥.

٢- القصائد السبع العلويات: ٨٥.





سيد الأوصياء؟ فتقوم ويأتيني رضوان بمفاتيح الجنة، ويأتيني مالك بمقاليد النار فيقولان: إن الله جل جلاله أمرنا أن ندفعها إلى علي بن أبي طالب فتكون يا علي قسيم الجنة والنار^(١).

المبحث الثاني / اللغة الشعرية

تعد اللغة الشعرية أحد مرتكزات البناء الفني في القصيدة، إذا ما اشترك الشاعر مع غيره في البناء الخارجي، فإنه يفترق في طبيعة صياغة البناء الداخلي، فالصيغة بنية تتجاوز حدودها؛ لأنها تضيف إلى معناها المجرد دلالتها الخاصة قبل صياغتها، إذ تمثل اللغة الشعرية قدرة ومهارة منفردة في صياغة التجارب الشعرية، فالشاعر مبدعٌ ومصوِّرٌ، يرسم بالكلمات، ويعزف، ويشخص، ويحيل الثبات إلى حركة، والحركة إلى ثبات عن طريق تخيله الشعري، متجاوزاً الواقع فهو لا يقف عند الواقع في معطياته الخارجية المباشرة، بل يتخطى هذه المعطيات إلى إدراك جديد لها، فيبدو الواقع في صورة جديدة هي صورته الفنية، وهذه الصورة أكثر اكتمالاً من أصلها؛ لأنها تلم ما بدا لنا مبثغراً من عناصره، وتوضح لنا ما

بدا غامضاً من مغزاه. ويختلف الشعراء في الأساليب لتوظيف عناصر اللغة في التأثير والتقصير، ويبدو أن غلبة الطابع الانفعالي في اختيار الشاعر للغة الشعرية يعود إلى التركيب النفسي الذي لا يمكن إغفاله في إكساء الألفاظ بعض الإحياءات والدلالات المتأصلة في نفوس الشعراء، فطبع لغتهم بطابع حسي مؤثر ينطق بفيض العاطفة وصدقها، وتأججها، ومناسبتها لغرضها، فكانت في عباراتها وألفاظها أداة ناجحة في تكثيف تلك المشاعر والأحاسيس في النفس بصورة موحية بالفكرة والمعنى معاً، وفي بعض الأحيان نجد أن الشاعر في لغته يفتر فتغلب على قصيدته أهواء نفسية تجعل من قصيدته متكلفة متصنعة، وربما يعود هذا المنحى التعبيري إلى التكوين الثقافي للشاعر وميله الفطري في جعله يتفنن في غرض من دون آخر، وقد يكون هذا الفتور والتقصير في الإبداع الفني بين شاعر وآخر في الغرض نفسه؛ لذا يرى القاضي الجرجاني أن التباين الحاصل بين الشعراء إلى الطبع إذ قال: (وقد كان القوم يختلفون في ذلك وتباين فيه أحوالهم فيرق شعر أحدهم ويصلب شعر الآخر، ويسهل لفظ أحدهم،



ويتوَعَر منطق غيره، وإنما ذلك بحسب الطباع، وتركيب الخلق، فإن سلامة اللفظ تتبع سلامة الطبع^(١).

ومن هنا يتطلب من الشاعر ألا تكون لغته مجرد وضع ألفاظ بإزاء معانٍ، بل يتعدى ذلك إلى عملية التركيب بحسب مقتضيات المعاني التي يريد التعبير عنها، فاللغة الشعرية بهذا تنظيم متناسق مقصود للكلمات، يعبر عن انفعال نفسي، حاول الشاعر استجلاءه بهذا التنظيم مما حملها بطاقات إيحائية انبجست من تزواج علاقة الحقيقة بالمجاز من جهة، والبناء بالإيقاع من جهة أخرى، وأدت التأثير المطلوب في المتلقي.

كما تقدّم تتضح عدة مستويات في تشكيل لغة الشاعر، وستناول منها: الألفاظ والتراكيب.

الألفاظ

الشعر نبض الحياة، وترجمان العواطف والأحاسيس والمشااعر، ولا بد من وجود وسيلة للاتصال والتواصل، ولعل اللغة من أهم وسائل التعبير، إذ لا يمكن أن نتصور أن هناك شعراً من دون أن يكون هناك لغة تعبر عنه، فالشعر فنٌ وسيلته

اللغة، والشاعر فنانٌ يرتقي باللغة من أموميتهما ويتحوّل بها إلى صوت شخصي، أن ينظمها عن طريق رؤيته وموهبته، في أغنى الأشكال تأثيراً، مستثمراً دلالاتها وأصواتها وعلاقات بنائها وإيقاعها على نحو ثمر، فتعكس رؤية الشاعر بقدرته الإبداعية بالارتقاء الجمالي للغة وما تحمله من أنساق تعبيرية جمالية انفعالية، تجاه الكون والأشياء لها وقع موسيقي خاص عند المتلقي؛ لأن مهمة الأديب أن يهيئ للألفاظ نظاماً ونسقاً وجواً يسمح لها بأن تشع أكبر شحنتها من الصور والظلال والإيقاع، وأن تتناسق خلالها وإيقاعها مع الجو الشعري الذي يريد أن يرسمه بما أن الكلمات هي أداة الشاعر للإبداع الفني، وأنها اللون الذي يلون به، أو الصوت الذي يعزف عن طريقه تجربته الشعرية.

ومن هنا يتطلب من الشاعر ألا تكون لغته مجرد وضع ألفاظ بإزاء معانٍ يريد التعبير عنها؛ لذا فقد كان الشاعر دقيقاً وبصيراً في صياغته الشعرية، فهو لم يتعد عن أساليب القدماء، ولكنه كان يتخذ منها منطلقاً ومنعطفاً ليحقق التميز والإبداع في فنه، إذ نراه يمزج بين القديم والجديد، فتظهر في شعره ألفاظ ذات طابع



بدوي، إذ قال: (الطويل)

فَلَوْ رَكَضَ الصُّمُّ الْجَلَامِدَ وَاطِئاً
وَلَوْ رَامَ كَسَفَ الشَّمْسِ كَوْرَ نَوْرَهَا

لَفَجَّرَهَا بِالْمُتَرَعَاتِ الزَّوَاخِرِ
وَعَطَّلَ مِنْ أَفْلَاكِهَا كُلِّ دَائِرِ

رَمَى اللَّهُ مِنْهُ يَوْمَ بَدْرٍ خُصُومَهُ

بِذِي فُذْذٍ فِي آلِ بَدْرٍ مُبَادِرِ^(١)

أمة محمد ﷺ (غيري)^(٢) واختاره الله ليسدّد سهمه صوب المشركين والكفار، ويتحقق النصر على يديه للإسلام والمسلمين.

نلاحظُ أنَّ ألفاظَ الشاعرِ جاءت متناغمة مع نفسه قريبة إلى روحه، وأكثر مساساً بتجربته الشعرية والتعبير عنها باللغة الجزلة، فلم يكن متكلفاً ولا وحشياً مغرقاً بالبداوة، بل كان مبدعاً، وقد اتكأ الشاعرُ على لغته بالزواجة بين القديم والجديد، إذ مكّنته سعة اطلاعه وثقافته المتنوعة فرفدَ معجمه الشعري بلغة فصيحة جزلة وواضحة ميّزت أسلوبه الخاص من بقية شعراء عصره، وكان ذلك واقعاً عن طريق ألفاظه التي حملت سمة الوضوح مما مكن أسلوبه من القوة، ولعلَّ هذه الانتقائية في بناء شعره، وإثراء معجمه اللغوي بها، كان سببه سعة ثقافته المتنوعة، من علوم القرآن، والبلاغة،

نلاحظ قدرة الشاعر في توظيف الطاقة الإيحائية المفردة على النحو الذي يعكس مقدّراته في الاستعمال المميّز للغة، ويتّضح ذلك على نحو جلي في أجواء القصيدة برمتها، إذ علتها نبرة الشدّة والقوّة والصلابة في ألفاظها التي جاءت منسجمة مع معانيها، في حمل أفكار الشاعر وميوله العقديّة، وتتناسب مع غرضها في وصف الإمام علي عليه السلام ومعجزاته ومناقبه وجهاده وأثره في بناء الإسلام وشجاعته الخارقة، فهو لو ضرب الصخر الأصم لفجّر منه الماء، وتبلغ مآثر الإمام عليه السلام ومعجزاته بما خصّه الله (تعالى) من قدرة على أن يكسف الشمس ويعطل الكواكب؛ لأنّه سرُّ الله التي لا تدركه العقول، وهنا إشارة إلى حديث سيد البلغاء عليه السلام إذ قال: (وأمّا السادسة والستون فإنّ الله تبارك وتعالى ردّ عليّ الشمس مرتين ولم يردها على أحد من





وأصول الفقه، والحديث، والصرف، والنحو، والأدب، والتاريخ، وعلم الفلك وغيرها من العلوم التي أثرت في لغته وأساليبه، فصفت ديباجته ووضحت

عبارته، فجمع بين جزالة اللفظ وفخامته ومتانة التعبير وعذوبته فخلا شعره من الفضول والحشو.

وهذا ما نجده في قوله: (البسيط)

وَلَكِنَّ سِرَّ اللَّهِ شُطْرٌ فَيَكْمَا
وَرَدَتْ حُنَيْنًا وَالْمَنِيَا شَوَاخِصُ
فَكَمْ مِنْ دَمٍ أَضْحَى بِسَيْفِكَ قَاطِرًا
وَكَمْ فَاجِرٍ فَجَّرَتْ يَنْبُوعَ قَلْبِهِ
وَكَمْ مِنْ رُؤُوسٍ فِي الرِّمَاحِ عَقْدَتَهَا

فَكُنْتَ لِتَسْطُو ثُمَّ كَانَ لِيَغْفِرَا
فَذَلَّلْتَ مِنْ أَرْكَانِهَا مَا تَوَعَّرَا
بِهَا مِنْ كَمِيٍّ قَدْ تَرَكْتَ مُقْطَرًا
وَكَمْ كَافِرٍ فِي التُّرْبِ أَضْحَى مُكْفَّرَا
هُنَاكَ لِأَجْسَامٍ مُحَلَّلَةِ الْعُرَا^(١)

تواشجت في الأبيات ألفاظ الحرب بشراستها لتعبّر عن تجربة الشاعر، إذ تداخلت مع خلجات وجدانه، وتوظيفاً للكشف عما أودعه الله (جلّ جلاله) من معجزات خصّها في عباده الذين اصطفاهم وحباهم من جميع الخلق، فالنبي ﷺ والإمام عليّ عليه السلام من أسرار الله، فالنبي فيه سرّ العفو والمغفرة وابن عمه فيه سرّ القوة والبأس^(٢)، وعن ثور بن يزيد، عن مكحول قال: قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: (لقد علم المستحفظون من أصحاب النبي محمد ﷺ أنه ليس فيهم رجل له منقبة إلا وقد شركته فيها وفضلته ولي سبعون منقبة لم يشركني فيها

أحد منهم، قلت: يا أمير المؤمنين فأخبرني بهن، فقال عليه السلام: إنّ أول منقبة لي أني لم أشرك بالله طرفه عين، ولم أعبد اللات والعزى، والثانية أني لم أشرب الخمر قط، والثالثة أنّ رسول الله ﷺ استوهبني عن أبي في صباي وكنت أكيله وشريبه ومؤنسه ومحدثه، والرابعة أني أول الناس إيماناً وإسلاماً، والخامسة إنّ رسول الله ﷺ قال لي: يا عليّ أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي، والسادسة أني كنت آخر الناس عهداً برسول الله ودليته في حفرته، ... وأمّا الحادية والخمسون فإنّ رسول الله ﷺ أقامني للناس كافة يوم غدیر خم، فقال: (من كنت مولاه فعلي مولاه فبعداً

١- القصائد السبع العلويات: ٤٣-٤٤.

٢- معاني الاخبار ١: ٣٥١





وسحقاً للقوم الظالمين^(١).

وقد وظّف الشاعر ألفاظ الحرب
لتدلّ على مستوى عالٍ من التحمّل
والقوّة والشجاعة الموضوعة في شخص
الإمام علي عليه السلام، فقوة ألفاظه وجزالتها
تناسب مع موضوعه مما جعلنا نقول
عنها إنّها تجسد ما يراه الجرجاني من
كون حسن دلالة الكلام وأن يؤتى المعنى
لولا حدوئك قلت إنّك جاعل الـ

من الجهة التي هي أصلح لتأديته، ويختار
له ألفاظ الذي هو أخص به، وأكشف
عنه، وأتم له، ويظهر فيه قدرته الفنيّة.

ويوظّف الشاعر ألفاظ أهل المنطق
وعلماء الكلام، إذ قال: (الكامل)

أرواح في الأشباح والمتنزع^(٢)

ومناقبه، فذكر أنّ الإمام علياً عليه السلام يزيد
فضله مع تعاقب الليل والنهار، فإذا
ونى فضل غيره ونقص، فإنّ فضل
الإمام لا ينقطع بل يتعاضد، إذ قال:

(الطويل)

تعاقب إدلاج عليه وتأويب^(٣)

بيّن الشاعر أنّه لولا حدوث علي و
لولا أنّه ولد كما يولد غيره من الناس -
على أنّه لم يكن ثم كان- لقال أنّه محيي
الأموات ومميت الأحياء.

وقد قرن ظاهرة تعاقب الليل
والنهار مع فضائل الإمام علي عليه السلام
وفضلاً جليلاً وإن نوى فضل فاضل

رسول الله ﷺ كان في بعض الغزوات ففقد
الماء فقال لي: يا علي قم إلى هذه الصخرة
وقل: أنا رسول الله انجري لي ماء،
فوالله الذي أكرمه بالنبوة لقد أبلغتها
الرسالة فاطلع منها مثل ثدي البقر،
فسال من كلّ ثدي منها ماء، فلما رأيت

بيّن الشاعر - في هذا البيت - المقام
العالي لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام حيث
الشرف كل الشرف، فجاءت ألفاظ
الشاعر متزامنة مع ما يروى من حديث
لكلام مولانا سيد البلغاء عليه السلام: (ولي سبعون
منقبة ...، وأمّا السابعة والخمسون فإنّ

١- السيرة النبويّة برواية أئمة أهل البيت عليه السلام ٧: ٢٤١.

٢- نفسه: ٩٦.

٣- القصائد السبع العلويات: ٣٠.



ذلك أسرع إلى النبي ﷺ فأخبرته فقال: انطلق يا علي فخذ من الماء وجاء القوم حتى ملأوا قريهم وأدواتهم وسفوا دوابهم وشربوا وتوضؤوا فخصني الله عز وجل بذلك من دون الصحابة، وأمّا الثامنة والخمسون فإن رسول الله ﷺ أمرني في بعض غزواته وقد نفذ الماء فقال: يا علي إئتني بتور فاتيته به فوضع يده اليمنى ويدي معها في التور، فقال: إنبع فنبع من بين أصابعنا...^(١).

الاقتباس والتضمين

يُعدُّ القرآن الكريم واحداً من أكبر وأهم تلك المصادر التي يتوسل الشاعر بها في صياغة نصّه الإبداعي فضلاً على الإرث الأدبي مستفيداً منه في الأسلوب، والبناء، والموضوع، والفكرة.

وَلَا تَحْسَبَنَّ الْبَرْقَ نَاراً فَإِنَّهُ

لقد أثر القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف في مفردات الشعر العربي وتراكيبه وأغراضه تأثيراً كبيراً، إذ استهوى الشعراء الاقتباس والتضمين لتأييد الغاية التي يقصدها، والغرض الذي جيء نصه فيه، مما يكسب نصه الشعري مزية الإبداع والتفوق والخلود، ويؤثر في المتلقي، وقد أفاد الشاعر من القرآن الكريم حيث عمد إلى استحضار ألفاظه وتراكيبه وصوره ودمجها وتوظيفها في سياق النص الشعري، وقد برز تأثير الشاعر للقرآن الكريم في الإشارة إلى معنى آية قرآنية، أو إلى قصة من قصص القرآن الكريم، أو باستخدام ألفاظه، إذ يقول:

(الطويل)

وَمِیْضُ أَتَى مِنْ ذِي الْفِقَارِ بِفَاقِرٍ (٢)

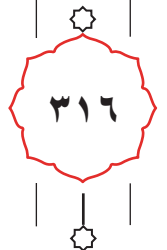
الإمام في الفتك والقوة الكاسرة للظهور، وكيف لا يكون وهو سيف ذو الفقار الذي قهر كل عدو للإسلام، وكأن الشاعر يلفت أنظارنا إلى منطلق الحديث الذي فيه مناقب أمير المؤمنين عليه السلام: (... وأمّا

لجأ الشاعر إلى إظهار شجاعة الإمام علي عليه السلام موظفاً قوله تعالى: (تَنْظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ)^(٣)، إذ قرن سيف الإمام علي عليه السلام بالفقر به، وبدا بتشبيهه بالبرق الخاطف واللمعان الهائل الذي ينبعث من سيف

١- السيرة النبوية ٧: ٢٤٢.

٢- قصائد السبع العلويات: ٨٢.

٣- سورة القيامة، الآية: ٢٥.



التاسعة والخمسون فإنَّ رسولَ الله ﷺ وجَّهني إلى خيبر فلمَّا أُتيته وجدتُ البابَ مغلقاً فزعزعتُه شديداً فقلعته ورميت به أربعين خطوة، فدخلتُ فبرزَ إليَّ مرحب اليهودي فحملَ عليَّ وحملتُ عليه وسقيت الأرض من دمه، وقد كان وجَّه رجلين من أصحابه فرجعا منكسفين، وأمَّا الستون قتلت عمرو بن ود، وكان يعدُّ ألف رجل...، وأمَّا الثانية والستون فإنِّي كنتُ مع رسول الله ﷺ في جميع المواطن وقلِّ السلامُ عليك يا مولى الورى

الحروب وكانت رايته معي، وأمَّا الثالثة والستون فإنِّي لم أفرَّ من الزحف قط، ولم يبارزني أحدٌ إلَّا سقيت الأرض من دمه^(١).

وقد عوَّل الشاعرُ كثيراً على الاقتباس القرآني؛ لأنَّه الوحيد القادر على رسم تلك الصورة الواقعيَّة لموضوعاته وخلق المتشابهات من أفكاره، إذ قال:

نصَّابُه نطقَ الكتابُ المنزَّلُ

القرآن الكريم وأحاديث الرسول الأعظم محمد ﷺ، ونلاحظ أنَّ الشاعرَ قد وظَّف الحقيقة الدينيَّة في إثبات حقيَّة الإمام علي ﷺ في الإمامة والخلافة، بما اقتبسه من لفظ (الكتاب) من قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾^(٢)، وكيف لا يكون الإمام علي ﷺ خليفة الله من بعد رسول الله ﷺ فقد تخلَّق بخلق الرسول ﷺ وتربَّى في حجره وورث علمه، وفداه نفسه عند مبيته في فراشه في بدء الدعوة، وقد نصَّ القرآن الكريم يمدح فعله، يقول الباري عزَّ وجل: ﴿وَمِنَ النَّاسِ

بَثَّ الشاعِرُ - في هذا البيت - ما اعتلجت به النفس وهامت به الروح من معانٍ سامية، وسمات تقيَّة صافية تطفح بصدق المعتقد تجاه الإمام علي ﷺ موضحاً بأنَّه مَهْمَا حاولوا من التحريف والتزييف بتأخير الإمام عن حقِّه في الخلافة فلن يستطيعوا أن يجرِّفوا نصوص القرآن الكريم التي نصَّت آياته المباركات على أحقيته بالخلافة، ويؤكِّد الشاعرُ للإمام أنَّه سيجاهد لإظهار تلك الحقيقة مَهْمَا كانت التضحيات معزراً صدق ما يدعو إليه بالبراهين والأدلة التي يسوقها من

١- السيرة النبويَّة ٧: ٢٤٢.

٢- سورة البقرة: الآية ١



مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ^(١)،
فالبذل والعطاء والتضحية بالنفس كانت
من أجل إعلاء كلمة التوحيد ونشر
تعاليم الإسلام، فالأولى لهذه الشخصية

الفذة ﷺ أن تكون الشخصية الثانية في
حمل رسالة الإسلام، وإلى ذلك أشار ابن
أبي الحديد قائلاً:
(الطويل):

وَلَا كَانَ يَوْمَ الْغَارِ يَهْفُو جَنَانُهُ

حِذَارًا وَلَا يَوْمَ الْعَرْشِ تَسَّرًا ^(٢)

وأكد الشاعرُ أحقية الخلافة لأمير
المؤمنين علي ﷺ بما نصَّ عليه الكتاب
العزیز في بيعة يوم الغدير، ففي
هذه البيعة تم إكمال الدين بجعل

عليًا أميراً للمؤمنين، قال تعالى:
﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ
مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ
وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ فيقول:

وَخِلَافَةً مَا إِنْ لَهَا لَوْ لَمْ تَكُنْ

منصوصة عن جيدِ مجدك معدل ^(٣)

وضَّحَ الشاعرُ - في هذا البيت الشعري
- أنَّ الإمامَ علياً ﷺ قد تَمَّتْ له البيعة في
عيد الغدير خليفةً للمسلمين، وقد ركَّز في
كرامات الإمام علي ﷺ وما خصَّه الله من
مآثر حمة منها ارتقاؤه على كتف النبي ﷺ
وقتل عمر بن ورد العامري في معركة
الخنندق عندما اجتمعت قريش وبرز عمر
بن ود العامري داعياً للمبارزة فلم يجبه
أحد من المسلمين إلا علي ﷺ وكان فتى
فبرز إليه وقتله بسيفه ذي الفقار الذي
فلقه فلقياً، وكذلك أكَّد الشاعر على

أحقية الإمام علي ﷺ بالخلافة مستظهرًا
أحداث البيعة للإمام علي ﷺ في غدير
خم، بعد أن أعلن النبي ﷺ تلك البيعة
أمام الناس، فبايعه الجميع، فهو طهرٌ
في الأصلاب الطاهرة، وأبو الأصلاب
الطاهرة.

وقد أقام الشاعرُ الدليلَ والحجَّةَ على
وجوب الولاية والوصاية للإمام علي ﷺ
بما أورده من الحقائق الدينية والتاريخية بما
دلَّ عليه من القرآن الكريم والسنة النبوية
الشريفة، فدلالة القرآن الكريم جاء في آية

١- سورة البقرة، الآية ٢٠٧.

٢- قصائد السبع العلويات: ٤٦.

٣- قصائد السبع العلويات: ١١٤، الروضة المختارة: ١٥٢.



المباهلة ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾^(١)، ومما جاء في السنة الشريفة حديث الرسول ﷺ في غدير خم بين مكة والمدينة، وفيه تحدث الرسول ﷺ

بذباب سيفك قر فارغ طوده
إن كان دين محمد فيه الهدى
لولاك أصبح ثلمة لا تفتى

بعد حجة الوداع قائلاً: (من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله...) (٢). إذ قال:

(الكامل)

بعد التأود واستقام الأمل
حقاً فحباك بأبه والمدخل
أطرافها ونقيصة لا تكمل (٣)

علي ﷺ أخذ يركز في الألفاظ الدالة على ذلك، فالألفاظ: (سيفك، فارغ طوده، استقام الأمل، دين محمد، فحك، بابه، والمدخل، الهدى) تتحدث عن شجاعة الإمام ﷺ وأحقية بالخلافة من بعد رسول الله ﷺ، وكيف لا يكون وقد طهرت الأرض به ﷺ من الناكثين والقاسطين والمارقين، وكذلك ضمن الشاعر أحاديث رسول الله ﷺ: (علي مني وأنا من علي ولا يؤدي عني إلا علي)، وكذلك قول رسول الله ﷺ: (أنت أخي في الدنيا والآخرة)، وكذلك ضمن قول الإمام علي ﷺ:

حرص الشاعر على توظيف الشعر في نشر حديث رسول الله ﷺ: (أنا مدينة العلم وعلي بابها، ومن أراد العلم فليأت الباب)^(٤)، فقام باستقصاء ألفاظ ذلك الحديث - ولا سيما التي تدل منها على أحقية الإمام ﷺ في الخلافة والولاية - بما يتمتع به من علم ودراية، فعلم الإمام ﷺ هو علم رسول الله ﷺ، ثم وزع تلك الألفاظ على أبيات نصه لتستوعب تجربة الشاعر بأن الدين لا يستقيم إلا بسيف علي ﷺ وتثبت قواعده بعزمه وشجاعته، ولما كان هم الشاعر إظهار شجاعة الإمام

١- آل عمران، الآية: ٦١.

٢- مسند أحمد بن حنبل ٢/ ١٩٥، تاريخ يعقوبي ٢/ ٩٣، نشأة الشيعة وتطوره/ ١١.

٣- القصائد السبع العلويات: ١١٥.

٤- ينظر: القصائد السبع العلويات: ٨٢.



(سلوني قبل أن تفقدوني) في أشعاره وهذا ما أكده الحديث المروي عن مناقب أمير المؤمنين عليه السلام: (وأما التاسعة عشرة فإن رسول الله ﷺ قال: (ستقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين، فمن قاتلك منهم شفاعة في مائة ألف من شيعتك، فقلت: يا رسول الله فمن الناكثون؟ قال: طلحة والزبير سيياعانك بالحجاز وينكثانك بالعراق، فإذا فعلا ذلك فحاربهما فإن في قتالهما طهارة لأهل الأرض، قلت: فمن القاسطون قال: معاوية وأصحابه، قلت: فمن المارقون؟ قال: أصحاب ذي الثدية وهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فاقتلهم فإن في قتلهم فرجاً لأهل الأرض، وعذاباً معجلاً عليهم،

تنوء بأعباء الحلي وإثمها

فاستلهم الشاعر في وصف الإمام

و يا أسيرة حجليها أرى سفهاً

وذخر لك عند الله عز وجل يوم القيامة، وأما العشرون فإنني سمعت رسول الله ﷺ يقول لي: مثلك في أمتي مثل باب حطة في بني اسرائيل، فمن دخل في ولايتك فقد دخل الباب كما أمره الله عز وجل^(١)

التراث الأدبي

إن للتراث الشعري رموزاً كثيرة مليئة بالموضوعات التي توحى لمشاعر وأحاسيس وأفكار متنوعة عند الشاعر وليس شائكا التعبير عنها؛ لذلك قال ابن أبي الحديد المعتزلي:

(الطويل)

لتضعف عن لمح العيون النواظر^(٢)

علي عليه السلام قول أبي العلاء المعري:

حمل الحلي لمن أغيا عن النظر^(٣)

مولانا أمير المؤمنين من مناقب يجسدها الحديث المروي: (وأما الثالثة والأربعون فإن رسول الله ﷺ قال: إن الله عز وجل رسخ حبي في قلوب المؤمنين وكذلك

ليكشف عن تعجبه واستغرابه، إذ كيف يضعف عن لمح البصر ويرى فيها تلك الحلي الكثيرة التي تنوء بحملها، وهنا يلفت الشعر أنظارنا لما يتسم به

١- السيرة النبوية ﷺ: ٢٣٦.

٢- قصائد السبع العلويات: ٧٧.

٣- سقط الزند: ٥٦.



التركيب

رسخ حبك يا علي في قلوب المؤمنين، ورسخ بغضي وبغضك في قلوب المنافقين، فلا يحبك إلا مؤمن تقي، ولا يبغضك إلا منافق كافر، وأمّا الرابعة والأربعون فإنّي سمعتُ رسولَ الله ٩ يقول: لن يبغضك من العرب إلاّ دعي، ولا من العجم إلاّ شقي، ولا من النساء الا سلقلية^(١)، ويُلاحظ أن هذا التضمن الشعري عند الشاعر جسد ولاءه المطلق لأهل البيت وحبّه لهم والتمسك بهم، وتظهر في هذه التجربة عاطفة الشاعر الصادقة.

علاقات ودلالات بما يخدم النص، فليس الغرض بنظم الكلم أن توالى ألفاظها في النطق، بل إذا تناسقت دلالاتها، وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل، فلا بدّ أن تتناسب أحاسيس الشاعر وانفعالاته النفسيّة والعاطفيّة مع تجربته التي يُريد نقلها إلى المتلقّي والتأثير فيه، فالتركيب أسلوبٌ راق متميز، يلمّ شمل الكلمات والألفاظ في روعة الخيال (على نحو معين لأداء معنى ذهني أو شعوري تستمد دلالاتها من الصور والظلال التي تشعها الألفاظ، لتتج بذلك العبارة)^(٣).

من هنا يتحتّم على الشاعر أن يحقق التوافق والانسجام بين هيأة التركيب ومحتواه؛ لأنّ التقديم الشعريّ هو الصياغة المؤثرة التي تستوعب القيمة وتعرضها عن طريق مظاهرها التي تبدي فيها^(٤)؛ لذا نجد الشاعر يتصرف في تراكيبه على وفق ما يحقّق له ذلك، من أجل الكشف عن قضايا التراكيب التي ألّفت ظواهر بارزة في شعره، وهي على النحو الآتي:

يتقاسم التركيب واللفظة المفردة - في السياق - بتأليف تجربة الشاعر الفنيّة، وأنّ الألفاظ لا تظهر أهميتها إلاّ عن طريق السياق الذي يأتي به، ومعنى اللفظة ملائماً لمعنى التي تليها^(٢)، فالكلمات لا معنى لها عندما تكون خارج السياق في الأعم الأغلب، إذ لا بدّ من الانتظام مع بعضها في تركيب ينبئ عن قدرة المشي في انتقاء الألفاظ وحسن توظيفها، وأنّ عملية انتقاء الألفاظ وتوظيفها في السياق تنتظمه

١- السيرة النبويّة ﷺ: ٢٤٠

٢- ينظر: دلائل الاعجاز: ٤٦.

٣- نظرية التصوير الفني عند سيد قطب: ١١٠.

٤- ينظر: مفهوم الشعر: ١٦٠.



١- الاستفهام

يعدُّ الاستفهام من أبرز الأساليب التي تُعين الشاعر على التعبير عن معانٍ متنوعة فهو (باب من أبواب المعنى)^(١)، إذ يثير في نفس المتلقّي علامات الحيرة والمشاعر المضطربة نحو المعرفة أو اليقين؛ لذلك يؤدي أثراً مهماً في صقل التجربة الشعرية، ويمنح النص حيوية، ويزيد قدرته على الإمتاع والتأثير؛ لأنّه يفضي إلى تعيين مجهول وعلم بشيء لم يكن معلوماً وحصول الشيء في الذهن، وقد يخرج الاستفهام لمعانٍ أسلوبية قصد التأثير في المتلقّي، وهنا تظهر مقدرة الشاعر وثقافته

أَقُولُ فِيكَ سُمَيْدَعٌ كَلَا وَلَا
بَلْ أَنْتَ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ حَاكِمٌ

يفصحُ الاستفهام عن مسألة مهمّة وحقيقة جوهرية في العقيدة، وهي مسألة أحقية الإمام علي عليه السلام بالخلافة من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، إذ يُظهر ما يريد إيصاله من حقائق ومسلمات بما يتسم به الإمام عليه السلام من سمات ومناقب لم تكن موجودة في شخص غيره، وذلك عن طريق الاستفهام الذي خرج إليه معنى النفي، واستصغار صفة السמידع، فالإمام عليه السلام

اللغوية في تنويع الأساليب، والتوسّع في استعمالات اللغة، ويوفّر أسلوب الاستفهام للشاعر مساحة كبيرة في التعبير عن مختلف التجارب النفسية، وكذلك يثير الاستفهام عند المتلقّي حالة من الترقّب والتقرّب والمتابعة نحو مضمون الغرض وفكرة العقيدة، وذلك حين يكون الاستفهام موجّهاً إليه؛ لذا يتطلب من المتلقّي مستوى من الوعي والإدراك والقدرة على التخيل ما يجعله قادراً على الفهم وهذا ما يجعله جزءاً داخلياً في إطار العمل الأدبي، إذ قال:

(الكامل)

حَاشَا لِمِثْلِكَ أَنْ يُقَالَ لَهُ سُمَيْدَعٌ
فِي الْعَالَمِينَ وَشَافِعٌ وَمُشَفِّعٌ^(٢)

أرفع مقاماً من أن يقال له سמידع؛ لأنّه قسيم الجنة والنار، وصاحب الحوض والشفاعة بإذن الله (تعالى)، وهنا يُظهر لنا الشاعر مضامين ما روي عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في ذكر مناقبه: (وأما الثامنة والعشرون فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إنّ الله تبارك وتعالى وعدني وعداً لن يخلفه، جعلني نبياً وجعلك وصياً، وستلقى من أمتي من بعدي ما لقي موسى من

١- أسلوبا النفي والاستفهام في العربية: ٥٠.

٢- القصائد السبع العلويات: ٩٧.





فرعون، فاصبر واحتسب حتى تلقاني فأولي من والاك، وأعادي من عاداك، وأمّا التاسعة والعشرون فإنّي سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: يا عليّ أنت صاحبُ الحوض لا يملكه غيرك، وسيأتيك قوم فيستسقونك فتقول: لا ولا مثل ذرة، فيصرفون مسودة وجوههم، وستردّ عليك شيعتي وشيعتك فتقول: رووا رواء مرويين فيروون مبيضة وجوههم، وأمّا الثلاثون فإنّي سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: لولا أن يقول فيك المغالون من أمّتي ما قالت النصراري في عيسى ابن مريم لقلت فيك قولاً لا تمرّ بملاً من الناس إلّا أخذوا التراب من تحت قدميك يستشفون به^(١)، وقد حصر أسلوبُ الاستفهام بصيغه المتعددة _ في شعر الشاعر فاستعملت أدواته في غير معانيها الأصليّة، ومن أدوات الاستفهام (الهمزة)، التي حقّقت حضوراً واسعاً في مواضع الاستفهام في شعره^(٢).

٢- الشرط

اعتمد الشاعر أسلوبَ الشرط لما في هذا الأسلوب من قيم فنيّة تجعل المتلقّي في حال من الترقّب والتهيؤ لما يقوله الشاعر، وما يريده من إيصال للمعنى، إذ

فرعون، فاصبر واحتسب حتى تلقاني فأولي من والاك، وأعادي من عاداك، وأمّا التاسعة والعشرون فإنّي سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: يا عليّ أنت صاحبُ الحوض لا يملكه غيرك، وسيأتيك قوم فيستسقونك فتقول: لا ولا مثل ذرة، فيصرفون مسودة وجوههم، وستردّ عليك شيعتي وشيعتك فتقول: رووا رواء مرويين فيروون مبيضة وجوههم، وأمّا الثلاثون فإنّي سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: لولا أن يقول فيك المغالون من أمّتي ما قالت النصراري في عيسى ابن مريم لقلت فيك قولاً لا تمرّ بملاً من الناس إلّا أخذوا التراب من تحت قدميك يستشفون به^(١)، وقد حصر أسلوبُ الاستفهام بصيغه المتعددة _ في شعر الشاعر فاستعملت أدواته في غير معانيها الأصليّة، ومن أدوات الاستفهام (الهمزة)، التي حقّقت حضوراً واسعاً في مواضع الاستفهام في شعره^(٢).

١- السيرة النبويّة ٧: ٢٣٧.

٢- ينظر على سبيل المثال لا الحصر: القصائد السبع العلويات / ١٤٨، ١٤١، ٩٢، ٨٢.



الشعرية في التعبير عن أفكاره وأحاسيسه.
قال ابن أبي الحديد المعتزلي:
(الطويل)

فَمَدَحُكَ أَسْنَى مِنْ صِيَامِ الْهَوَاجِرِ
فَحُبُّكَ أُنْسِي فِي بَطُونِ الْخَفَائِرِ^(١)

لا يحصل التوازن المطلوب إلا بعد مجيء
جواب الشرط المتأخر عنه، وقد ظهر
هذا الأسلوب في شعر الشاعر بأدواته
المتنوعة، وبحسب ما تقتضيه تجربته

وإن صَامَ نَاسٌ فِي الْهَوَاجِرِ حِسْبَةً
وَأَعْلَمُ أَنِّي إِنِ اطَّعْتُ غَوَايَتِي

من عذاب القبر، وأنسه من الوحشة
حين نزوله في حفرته، والحق أن الشاعر
يريد - هنا - أن ينهنا إلى حقيقة مهمّة
وهي شفاعة الإمام علي عليه السلام في المحشر،
وما يتسم به من قدسية تلازماً بما روي
عن حديث أمير المؤمنين عليه السلام يذكر فيه
مناقبه: (وَأَمَّا التَّاسِعَةُ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
قال لي: يَا عَلِيُّ إِذَا حَشَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ
الأولين والآخرين نُصِبَ لي منبر فوق
منابر النبيين، ونُصِبَ لك منبر فوق منابر
الوصيين فترتقي عليه، وأمّا العاشرة فإنّي
سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقول: يَا عَلِيُّ لَا
أُعْطِي فِي الْقِيَامَةِ إِلَّا سَأَلْتُ لَكَ مِثْلَهُ،
وَأَمَّا الْحَادِيَةَ عَشْرَةً فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ
اللَّهِ ﷺ يقول: يَا عَلِيُّ أَنْتَ أَخِي وَأَنَا
أَخُوكَ يَدُكَ فِي يَدِي حَتَّى تَدْخُلَ الْجَنَّةَ،
وَأَمَّا الثَّانِيَةَ عَشْرَةً فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ
ﷺ يقول: يَا عَلِيُّ مِثْلُكَ فِي أُمْتِي كَمِثْلِ
سَفِينَةِ نُوحٍ مِنْ رَكْبِهَا نَجَا، وَمَنْ تَخَلَّفَ

عمد الشاعر في هذين البيتين إلى إظهار
حال التلازم والترابط بين فعل الشرط
وجوابه، عن طريق فعل الشرط (صام)
الذي استعمله بصيغة الماضي، وأدخل
الفاء في جوابه ليعلق حصول الجزاء
بحصول الفعل، وكذلك استعان بـ(الفاء)
لربط الجملة الاسمية (فمدحك أسنى)
من أجل التوسط لجعل جملة الجواب
مرتبطة بفعل الشرط، وقد استقى الشرط
وجوابه من حديث رسول الله (من صام
رمضان إيماناً واحتساباً...)، إذ جعل مدحه
للإمام علي عليه السلام طلباً للأجر كالصائم في
شهر رمضان يطلب فيه المغفرة والرحمة
من الله (جلّ جلاله)، وعندما عجز
البيت عن استيعاب انفعالات الشاعر
عطف بيت شعري آخر، استعمل فيه
(إن) ليتسنى له إكمال الحديث عن قدسية
الإمام عليه السلام في نفس الشاعر، ويطمع بحبه
للإمام عليه السلام أن يكون له شافعاً بخلاصه





عنها غرق...، وأمّا الثامنة عشرة فلإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: يا عليُّ أنتَ صاحبُ لواء الحمد في الآخرة، وأنتَ يوم القيامة أقرب الخلائق مني مجلساً، يبسط لي ويبسط لك فأكون في زمرة النبيين وتكون في زمرة الوصيين، ويوضع على رأسك تاج النور وإكليل الكرامة، يحفّ بك سبعون ألف ملك حتى يفرغ الله عزّ

(الطويل)

وجلّ من حساب الخلائق^(١)، والحقّ أنّ الشاعرَ باستعماله هذا الأسلوب بيّن عن مدى إدراكه وسعة اطلاعه باختياره الأداة الأنسب والأفضل والأكثر تأثيراً في المتلقّي للتعبير عن أفكاره وقضاياها، وهذا ما نجده في قول الشاعر ابن أبي الحديد:

وَلَوْ لَمْ تَكُونُوا فِي الْبَسِيطَةِ زَلَزَلْتُمْ

وَأُخْرَبَ مِنْ أَرْجَائِهَا كُلِّ عَامِرٍ^(٢)

والخراب.

قصّد الشاعر استعمال الأداة (لو) الشرطيّة التي تستعمل فيما يمتنع تحقيقه، أو فيما هو محال، أو من قبيل المحال، مستبعداً بقية الأدوات التي يمكن أن تحلّ محلّها، موظّفاً دلالتها في بيان امتناع زوال الدنيا، وخراب عمرائها لوجود آل البيت ﷺ فيها، إذ لولا هم لأصابها الفناء

(الطويل)

فَأَقْسِمُ لَوْ لَا أَنْكُم سُبُلُ الْهُدَى

لضَلَّ الْوَرَى عَنْ لَحَبِ النَّهْجِ ظَاهِرٍ^(٣)

حاول الشاعر أن ينبهنا إلى ما اختصّ به آل البيت ﷺ من مناقب لا تكون إلّا لهم، وذلك في قول أمير المؤمنين عليه السلام بذكر مناقبه: (وأمّا الخامسة والخمسون

فإنّ رسولَ الله ﷺ قال لي: سيفتنن فيك طوائف من أمتي فيقولون: إنّ رسول الله ﷺ لم يخلف شيئاً فبماذا أوصى عليّاً أو ليس كتاب ربي أفضل الأشياء بعد

١- السيرة النبويّة ٧: ٢٣٥.

٢- القصائد السبع العلويات: ٨٥.

٣- قصائد السبع العلويات: ٨٥.



الله عزَّ وجلَّ والذي بعثني بالحق لئن لم تجمععه بإتقان لم يجمع أبداً فخصَّني الله عزَّ وجلَّ بذلك من دون الصحابة؟، وأمَّا السادسة والخمسون فإنَّ الله عزَّ وجلَّ خصَّني بما خصَّ به أوليائه وأهل طاعته وجعلني وارث محمد ﷺ فمن ساءه ساءه ومن سره سره وأوماً بيده نحو المدينة^(١).

٣- النداء

مثل أسلوب النداء في الشعر مساحة

فيا رُبَّبة لو شئت أن تلمس السُّها

توجَّه الشاعر بخطابه إلى الإمام عليٍّ عليه السلام عن طريق هذه الأداة الموضوعية في أصل اللغة لنداء البعيد، بيد أنَّ الشاعر يأتي بها هنا المعنى الآخر، فهو يدرك أنَّ الإمام ليس ببعيد عنه، وما ذلك إلا لغرض مجازي هو بيان رفعة شأن المنادى (الإمام علي) وعلو منزلته، وهذا ما هو عليه الإمام عليه السلام في الحقيقة، ثم إنَّ النداء فسح المجال للشاعر لتبليغ رسالة للمتلقّي بأنَّ الإمام عليه السلام لو شاء يلمس السُّها كما تعذَّر عليه ذلك، وفي هذا البيت تتجلَّى

واسعة، زيادة في شدِّ انتباه المخاطبين بقصد الإصغاء إلى ما يجيء بعدها من كلام، لغرض الاستماع لأمر ما، أو لفكرة يريد الشاعر أن يذكرها، أو وسيلة يفصح بها عن عواطفه وأفكاره.

وقد استثمر الشاعر أسلوب النداء بأدواته المختلفة وما تخرج إليه من دلالات مجازية في التعبير عن أفكاره وأحاسيسه في تجربته الشعرية، ويأتي النداء بالأداة (يا) لبيان علو المنزلة، ورفعة الشأن، وهذا ما نجده في قول ابن أبي الحديد (الطويل):

بها لم يكن ما رُمته مُتعدِّرا^(٢)

بوضوح سمات الإمام ومناقبه التي سما بها على الخلق أجمع نؤكد بها بقوله عليه السلام: (وأمَّا الخامسة والثلاثون فإنَّ رسول الله ﷺ وجَّهني يوم بدر فقال: أتني بكف حصيات مجموعة في مكان واحد فأخذتها ثم شممتها، فإذا هي طيبة تفوح منها رائحة المسك فأتيته بها فرمى بها وجوه المشركين وتلك الحصيات أربع منها كن من الفردوس، وحصة من المشرق، وحصة من المغرب، وحصة من تحت العرش، مع كلِّ حصة مائة ألف ملك

١- السيرة النبوية ٧: ٢٣٩.

٢- القصائد السبع العلويات: ٤٢.



مدداً لنا، لم يكرم الله عزَّ وجلَّ بهذه
الفضيلة أحداً قبل ولا بعد^(١).
قال: (البيسط)

أسلوب الامر:

وَلَيْسَ بِنَكَرٍ فِي حُنَيْنٍ فِرَارُهُ
فَفِي أَحَدٍ قَدْ فَرَّ خَوْفاً وَخَيْبَرَا
رُويَدَكَ إِنَّ المَجْدَ حُلُوْ لَطَاعِمِ
غَرِيبٌ فَإِنْ مَارَسْتَهُ ذُقْتَ مُمْقَرَا^(٢)

٥- الحوار

عدل الشاعر عن فعل الأمر إلى اسمه؛
لأنه أراد السخرية والخط من قدر
هؤلاء الذين فروا من الجهاد، ورداً على
كل من يدعي بأنه أفضل من الإمام
عليه السلام، فيخطبه بأن يرفق بنفسه في
طلب ما ليس من أهله، إذ يحلوه
الأمر من قبل معرفة ما يلزمه من
المشاق، فإذا باشر ذلك صعب عليه
ونفر منه، وهو ليس كأهله المعتادين
على تحمل أثقاله.

إِنْ قُلْتُ مَتُّ مِنَ الصَّبَابَةِ قَالَ لِي
أَوْ قُلْتُ قَدْ طَالَ الْعَذَابُ يَقُولُ لِي:
ظُلماً وَأَيَّ صَبَابَةٍ لَا تَقْتُلُ
مَا سَوْفَ تَلْقَى مِنْ عَذَابِكَ أَطْوَلُ^(٣)

استثمر الشاعر أسلوب الحوار ودلالته
الإيجائية في الكشف عن أرقى مستويات
الحب الإلهي المتمثل في شخص الإمام
علي بن أبي طالب عليه السلام. في صورة عقائدية

بحته، تجسّد صدق الإحساس والشعور
الولائي المطلق، فيعمل الحوار على إظهار
الأحاسيس والمواقف المؤثرة والشخصيات
والأحداث الموجودة في القصيدة، أكثر

١- السيرة النبوية ٧: ٢٣٨.

٢- القصائد السبع العلويات: ٤٥.

٣- القصائد السبع العلويات: ١١٢.



تعمقاً وتأثراً، إذ تتأججُ مشاعرُ الحب الصادق ولهب الشوق إلى ملاقاته الحبيب الذي تملك الفؤاد وتربّع فيه، فالنفس تميل إلى من تهواه فتعرج إليه الروح شاكيةً لوعة الفراق فيضجّ باكيةً تنهمرُ دموعه على خديه من لوعة المصاب، فما يسكنها

والثَمُّ ثراه المسك طيباً واستلم وانظر إلى الدّعوات تسعد عنده والنور يلمع والنواظر شخّصُ واغضض وغيض فثمّ سرّ أعجم

إلا وقد شَمَّ ترابه ولثمه، والطوف حول مشواه، خاشعاً خاضعاً، معظماً الهداة مسلماً سلاماً لخير الورى وأبي الهداة والسادة الأظهار فإنّه خير شفيع وخير مدعو وبه تُقضى الحاجات، إذ قال: (الكامل)

عيدانه قُبلا فهنّ المنـدُلُ وجنود وحي الله كيـف تنزّل واللسن خُرُس والبصائر ذُهْلُ دَفّت معانيه وأمر مشـكُلُ

لأنّ المكان مقدّس، ومن به أقدس.

٦- النفي

هو أسلوبُ نقض ونفي للأشياء، ويُستعمل لدفع ما يتردّد في ذهن المخاطب، من هواجس وأفكار يسودها التباس في صحتّها ودقّة في صوابها، إذن يستوجب إزالة ذلك الالتباس عن طريق أسلوب النفي بأدواته المتعددة، ومن تلك الأدوات (لم)، إذ قال: (البسيط)

وَلَا عَبَدَ اللّاتِ الْخَبِيثَةَ أَعْصَرَا^(١)

ففي هذه الأبيات يتراءى لنا بوضوح مراسيم زيارة الأئمة، وما توحيه تلك الشعيرة من إحياء للقلب ومناجاتها لله (سبحانه وتعالى) فتخضع النفس لخالقها وتبجل من اصطفاها واختارهم لحملة رسالته وجعلهم أئمة يدعون سراً وعلانية تتجافى في جنوبهم عن المضاجع خشعاً ركعاً لباريها (جلّ وعلا)، فالنفس لا بدّ من تهذيبها وترك ما توسوس إليها شياطينها من الدنس، فطهارة النفس ملزمة وواجبة؛

فَتَى لَمْ يُعْرِقْ فِيهِ تَيْمٌ بَنَ مُرَّةٍ

حيث استحالة وجود عرق جاهلي في أصل

أدّت أداة النفي (لم) الجزم القاطع من



الإمام عليّ ٧، وما النفي إلا لتأكيد إثبات العكس، فأبو بكر وطلحة من أصل تيم بن مرة بن كعب بن لؤي، وهو جاهلي، ويبدو أن الشاعر أراد أن يلفت تنبه المتلقي

ولا كان معزولاً غداة براءة

لذلك، ومن أدوات النفي (لا)، كقول ابن أبي الحديد: (البسيط)

ولا عن صلاة أم فيها مؤخرًا^(١)

الخاتمة

خلص البحث إلى جملة من النتائج لعل أهمها ما يأتي:

- تبين لنا أن الشاعر في مطالع القصائد لم يكن خاضعاً للتقليد الفني، بل الأمر يتصل بغرض القصيدة وموضوعها الأساس، فكلما كانت القضية التي يتحدث عنها الشاعر قضية تتصل بالفكر والوجدان وتملأ عليه عقله وقلبه؛ لذلك لم يجد بداً من الاستفتاح بما يهيئ المشاعر والعواطف عند المتلقي ليتسنى له بعد ذلك الولوج إلى غرضه الذي نهض المطلع بمهمة الإشارة إليه، فضلاً عما وجدنا من محاكاة الشاعر لأسلافه، وفيما كان مدعاة لما سنه النقاد من قواعد تتمثل في مناسبة المطلع للقصيدة ومواءمته للغرض، في أن

تناوب تكرار أداة النفي (لا) في بدء صدر البيت وعجزه، موظفاً مضامين النص القرآني بها^(٢)،: ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، ويبدو أن تكرار النفي يلزم إثبات قضية وإلزام نفي الأمر، فقد نفى عن الإمام علي ١٢ نفيًا قطعياً بعدم تبليغ ما أمر الله (تعالى) به والرسول ١٣، بإعلان البراءة من المشركين، وإثبات عزل أبي بكر عنها^(٣)، وهنا يؤكد الشاعر حقيقة عظمت في حق أمير المؤمنين ١٤ نذكرها من قوله ١٥: (وأما التاسعة والستون فإني سمعتُ رسول الله ١٦ يقول: (لولاك ما عُرف المنافقون من المؤمنين)^(٤).

١- القصائد السبع العلويات: ٤٥.

٢- التوبة: ٣.

٣- ينظر: المزيد من التفاصيل: تفسير الطبري ١٤: ٤٨، الخصائص للنسائي: ٢٠.

٤- السيرة النبوية ٧: ٢٤٢.



يكون المطلعُ مصرّعاً وموجزاً وواضحاً. السبك، وفن الصنعة.

- اتّضح أنّ الشاعرَ في بناء مقدماته الطلليّة لم يصف على الإرث القديم شيئاً جديداً، إذ كان مقلّداً لأسلافه في نسجها، بيد أنّ هذا التقليد ليس عيباً فيه، بل هو أصالة للقديم واعتزازاً به.

- استطاع الشاعرُ بناءً مقدماته الغزليّة بناءً مُحكماً تبني عن قدراته الفنيّة وثقافته الأدبيّة، فضلاً عن أنّها معبرة عن أفكاره وأحاسيسه وانفعالاته الذاتيّة.

- تميّز الشاعرُ في رسم مشاهد الناقّة، ووصف أحوالها النفسيّة وصراعاتها، وسرد جزئياتها، بطريقة تختلف عما جاء عند شعراء الجاهليّة، إذ جاء وصفه وصفاً مباشراً، وكذلك الحال في مشهد الرحلة، إذ جاء مُكمّلاً - في المحتوى والدلالة - لأجزاء المقدّمة وصولاً إلى الغرض.

- حرصَ الشاعرُ على بناء تخلصاته أشدّ الحرص، مُحققاً الانتقال المناسب والملائم لغرض القصيدة، وقد جمعت أساليبه المتنوعة المستوحاة من تجاربه الفنيّة صوراً من تخلصات الموروث القديم، كما هيّأ لأشعاره ألفاظاً ومعاني مستوحاة من واقع حياته، وهو بعد ذلك قد حقّق البراعة الفنيّة، والقدرة الإيحائيّة، وجودة

- جاءت خواتيم القصائد عند الشاعر متوافقة ومنسجمة مع يراه النقاد قديماً وحديثاً، إذ حقّقت تركيزاً واضحاً لكثير من معاني القصيدة التي صوّرها في قصائده، إذ استطاع الشاعرُ معالجة قضايا متنوعة من واقع حياته، بيد أنّ هذا التنوع يمثّل صوت الشاعر الذي جاء فيه متوسلاً ومتضرعاً ومشيداً وشاكياً داعياً وممجداً، ولعل ذلك يعود إلى طبيعة الأغراض وتنوعها، فجاءت متوائمة مع الأجواء النفسيّة وبنية المطلع والمقدمة ومناسبة الموضوع، فضلاً عن حرصه على تزيين خواتيم قصائده بحلية من القرآن الكريم، والحكمة، والأقوال السائرة.

- إنّ فهم طبيعة الاعتقاد عند الشاعر تجعلنا لا نستغرب مما جاء في أشعاره من ألفاظ دينيّة، فالشاعر ينطلق من اعتقاده من أول القصيدة ليعود إلى اعتقاد آخر في نهايتها ليستكمل حلقة الالتزام الفكري والعقائدي والولائي بصورة رائعة.

- إنّ تضمين الأحاديث النبويّة الشريفة في شعر الشاعر لم يأت حشواً أو سرداً، بل كان توظيفاً يحقق الغرض الذي أراده





الشاعر أن ينقله إلى المتلقي مثيراً النص الشعري بأسلوب سهل وواضح، فحفلت معانيه بالتأثير في المتلقي.

- أبدى الشاعر تفوقاً ملحوظاً بابتكار وخلق معاني جديدة تتناسب مع ثقافته، وثقافة عصرهم، عن طريق الحوار الخلاق مع الموروث الأدبي بمختلف العصور، الذي كان له خير معين وسند في رصد الموضوعات وتأييد الفكرة التي تجسيد تجربته الفنية.

- نجح الشاعر في المزاوجة بين الألفاظ الغريبة والواضحة لإنتاج صور مناسبة مع الغرض، ومنسجمة مع المعنى الذي أراد إيصاله للمتلقي، فأكسب الألفاظ حلية الجزالة والمتانة، والرقّة والسهولة.

- إن الإرث الأدبي كان واضحاً في لغة الشاعر عن طريق استثماره لكل أنواعه وأساليبه لتعزّيد المعنى وتثبيته في ذهن المتلقي، فأعطى صورة جمالية للألفاظ الملائمة للمعنى والهادفة للانسجام والترابط في القصيدة، وكان لثقافة الشاعر الدينية أثرها الكبير في شحذ قرائحه وصقل موهبته الشعرية باقتباسه من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة لفظاً ومعنى، فأعطى تجربته الشعرية

طابع الأصالة والإبداع والتميّز.

- شغل أسلوب الاستفهام في شعر الشاعر مساحة واسعة في ضمن أشعاره، وقد عبّر فيه الشاعر - بأدواته المتنوعة - عن مختلف تجاربه الشعرية، مستوعباً خصيصة كل أداة بما تخرج إليه من معنى مجازي في صقل لغته الشعرية، وما تومي إليه من إحياءات، بغية الإقناع والإمتاع.

- استوعب الشاعر أسلوب الأمر على نحو الإلزام، وما خرج به من معاني مجازية منها الالتماس، والنصح والإرشاد، والتعجب، والزجر والتحذير، فاستطاعت لغته التعبير عن تجربته الشعرية المتعددة، في صور تمنح القارئ متعة المتابعة الاستثناس.

- اتخذ أسلوب الحوار عند الشاعر مساراً ذا أبعاد تحوارية في إيفاء حق الموضوع، فضلاً عما تساوره من منعطفات استدراكية أسهمت في خلق تفاعل وجداني وفكري بين المنشئ والقارئ.

- استثمر الشاعر أسلوب النفي في إثبات حقائق ومسلمات، أخبرت عنها كتب السير والتفاسير، فضلاً عن تواتر قضايا كان إلزام هذا الأسلوب بتأكيد صحتها بحجية نصوص من القرآن



الكريم؛ لذلك يعدّ شعره في هذا الجانب، وثيقة تاريخية مهمة.

- لقد أولى الدين الاسلامي عناية كبيرة في تنظيم الحياة البشريّة عن طريق الدستور الالهى (القرآن الكريم)، بما اشتملت آياته من جوانب أخلاقيّة وفقهيّة وجهاديّة ترسخت كلّها عملاً في حياة أمير المؤمنين عليه السلام، وأنّ إقامة دولة تحقق العدل والأمان لابدّ من إصلاح العقول وتهذيب النفوس التي أصابها الانحراف عن النهج السليم والتفكير الصحيح، والابتعاد عن السنن والأحكام، واصابة الغرور وحب الدنيا وملذّاتها.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- الأدب الجاهلي (قضايا، فنون، ونصوص)، د. حسني عبد الجليل، المختار، ط ٢، القاهرة، ٢٠٠٣.
- اسلوبا النفسي والاستفهام في العربية - في منهج وصفى في التحليل، د. خليل أحمد، جامعة اليرموك.
- بناء القصيدة الفني في النقد العربي

القديم في ضوء النقد الحديث، د. يوسف حسين بكار، دار الأندلس، ط ٢، بيروت، ١٩٨٣ م.

● تاريخ اليعقوبي، أحمد بن يعقوب بن جعفر (ت ٢٨٤)، النجف، ١٣٥٨ م.

● التصوير الفني في القرآن الكريم، سيد قطب، منشورات دار الأضواء، قم، ١٣٦٣ م.

● تفسير الطبري، د. بشار عواد معروف، وعصام فارس الحرساني، الرسالة، بيروت- لبنان، ط ١، ٢٠٠٢ م

● خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، البغدادى (١٠٣٠ هـ) تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، ط ٢، ٢٠٠٥ م

● خصائص أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام، النسائي، الحيدرية، النجف الاشرف، ط ١، ١٩٦٩ م.

● دراسات نقدية في الأدب العربي، د. محمود عبد الله الجادر، وزارة التعليم، جامعة بغداد، ١٩٩٠ م

● دلائل الاعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، القاهرة، ١٩٨٤ م.



- سقط الزند، أبي العلاء المعري، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٠.
- السيرة النبوية برواية أئمة أهل البيت عليهم السلام، الشيخ العاملي، دارالهادي، ط١، ٢٠٠٨ م.
- الشعر الجاهلي (خصائصه وفنونه)، د. يحيى الجبوري، دار التربية، بغداد، د.ت.
- الشعر والشعراء، ابن قتيبة (ت ٢٧٦)، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط٢، دار المعارف، مصر ١٩٦٦.
- العمدة، ابن رشيقي القيرواني (ت ٤٥٦)، حققه محمد محيي الدين، السعادة، مصر، ط٢، ١٩٥٥ م.
- القصائد السبع العلويات، ابن أبي الحديد المعتزلي، دار العالمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٩٩٤ م.
- كتاب الصناعتين، العسكري (ت ٣٩٥)، تح: البجاوي، أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ط١، ١٩٥٢ م.
- مسند أحمد بن حنبل (ت ٢٤١)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٤ م.
- مفهوم الشعر دراسة في التراث النقدي، د. جابر عصفور، دار الثقافة بالقاهرة، ١٩٧٨.
- مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الأول، حسين عطوان، مطبعة دار المعارف، مصر، ١٩٧٤ م.
- معاني الاخبار، الشيخ الصدوق القمي، مؤسسة دار العلم، مطبعة الحيدري، قم، ١٣٧٩ م.
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، القرطاجني (ت ٦٨٤)، تح: ابن خوجة، المطبعة الرسمية، تونس، ١٩٦٦.
- نشأة التشيع وتطوره، د. علي سامي النشار، دار المعارف، القاهرة، ط٤، ١٩٦٩ م.
- وحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية، نوري حمودي القيسي، دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٧٤ م.
- الوساطة بين الوساطة بين المتنبي وخصومه، الجرجاني، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، د.ت، ط١، ١٩٦٦ م.

